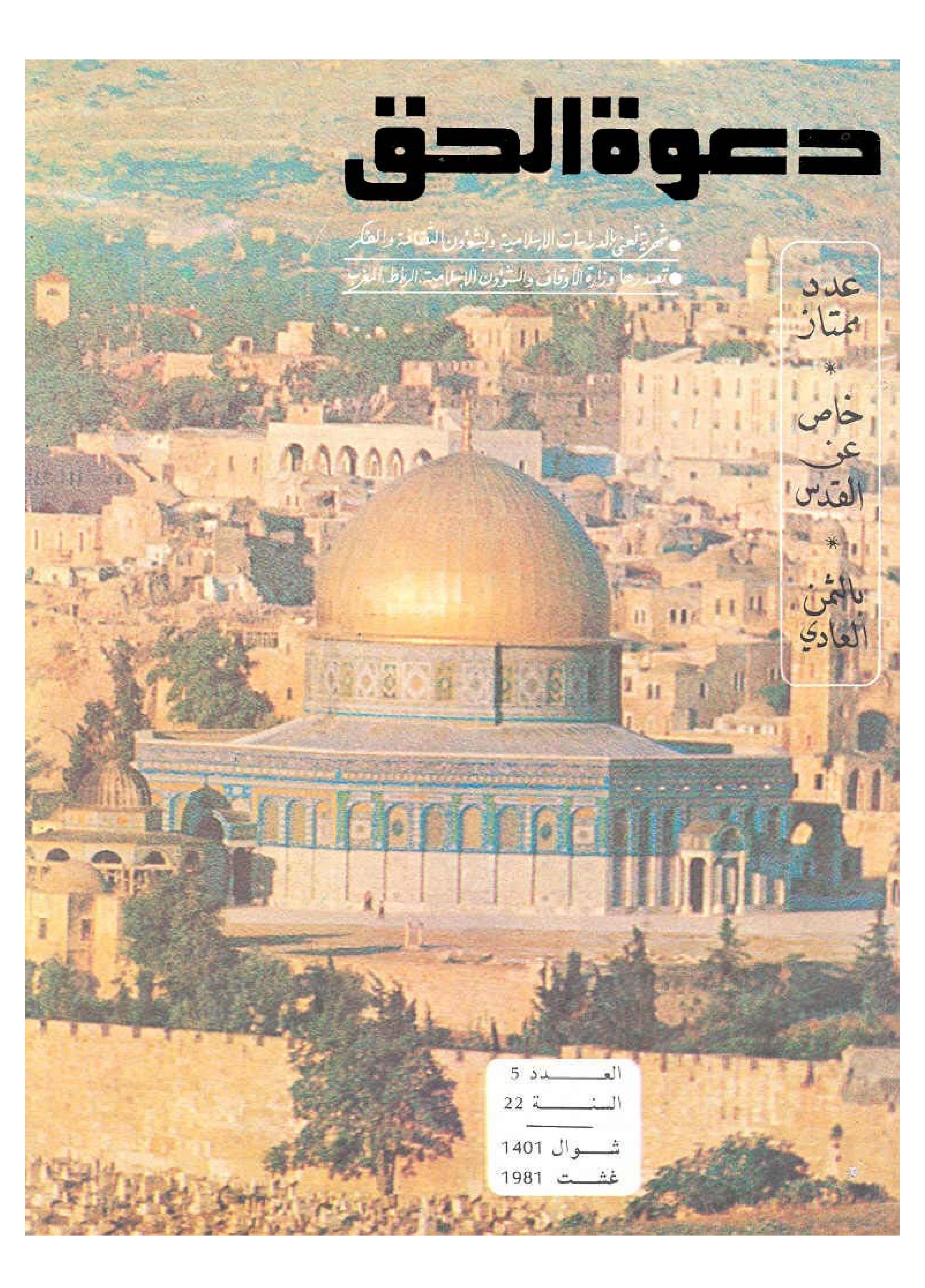


دعوة الحق
● شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
● تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. الرباط. المغرب
عدد ممتاز
*
خاص عن القدس
*
بالثمن العادي
العدد 5
السنة 22
شوال 1401
غشت 1981

بسم الله الرحمن الرحيم

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية
الرباط - المملكة المغربية

• تبعث المقالات الى العنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » - مديرية الشؤون الإسلامية

ص ب : 375 - الرباط - المغرب

الهاتف : 10 - 632

• الاشتراك العادي عن سنة 55 درهماً للداخل، و 67 درهماً للخارج، والشرفي 100 درهم فأكثر.

• السنة عشرة أعداد . لايقبل الإشتراك الا عن سنة كاملة.

• تدفع قيمة الإشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 485.55 الرباط .

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

أو تبعث رأساً في حوالة بالعنوان أعلاه .

• لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر •

العدد 5
السنة 22

شوال 1401
غشت 1981

هذا العدد

●● لماذا عدد خاص عن القدس الشريف ؟

الواقع أن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية تهدف من وراء إصدار هذا العدد الممتاز إلى الإسهام بجهد المستطاع في بلورة قضية المسلمين الأولى وتحليل مختلف جوانبها وبسط صحائفها أمام أنظار أكبر وأوسع عدد ممكن من قراء الضاد، قياما بواجب نشعر جميعا بثقله وجسامته، وأداء لأمانة التاريخ الذي يشهد بدور المغرب في الدفاع عن قدس المسلمين والعرب على مر الأزمان رغم شط المزار وبعد الدار.

●● عدد خاص عن القدس.. لماذا ؟ لأن بداية القرن الخامس عشر الهجري ينبغي أن تقترن في الذاكرة بالقدس، ولأن الفكر الإسلامي المعاصر مفروض عليه أن يزيد هذه القضية وضوحا على وضوح كما يزداد في قلب المؤمن نور على نور.

●● وإن مجلة (دعوة الحق) التي أولت دائما قضايا المسلمين الرئيسية عناية فكرية خاصة لتتطلع اليوم إلى أن يكون هذا العدد سجلا نافعا يجد فيه المسلم وغير المسلم من الناطقين بلغة القرآن ما يجلي لهم صفحات مشرقة من تاريخ المدينة المقدسة، وهي مساهمة متواضعة تدخل في إطار وظيفة الإعلام الإسلامي في العصر الحديث، لا يمكن أن تكون مخاطبة للنفس وترديدا لمقولات تعلمها جميعا، ولكنها جهد مخلص للتذكير بقضية المسلمين الأولى، والذكر تنفع المؤمنين. ولم نكن في يوم من الأيام أحوج إلى الذكرى منا اليوم.

● ويشارك في هذا العدد كتاب كبار من المغرب وفلسطين المحتلة، ونحن نعتز غاية الإعتزاز بمشاركة الكاتب الفلسطيني الكبير عجاج نويهض، الذي قدم للمكتبة العربية والإسلامية الروائع والنفائس على مدى ثلثي القرن.

● ويكتب في هذا العدد عمدة القدس الأستاذ المجاهد روحي الخطيب الذي طردته السلطات الإسرائيلية من مكتبه ببلدية القدس غداة حرب يونيو سنة 1967.

● وترى (دعوة الحق) في هذا الحشد الحاشد من الأقلام المثقفة المجاهدة الرائدة عاملا قويا للتشجيع والإستمرار في أداء رسالتها.

● وعهد تقطعه (دعوة الحق) على نفسها، أن تظل صامدة في طريقها تنشر الفكر الصحيح، والعقيدة السليمة، والرأي الصائب، والتحليل الموضوعي، والرؤية الواضحة.

●● وهو باختصار الطريق الذي اختاره المغرب وتنهجه هذه الوزارة على هدي من الله..

(دعوة الحق)

الثمن : 5 دراهم



بعظيم الاجلال والولاء وخالص المحبة والوفاء، تهدي وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية هذا العدد الخاص إلى أمير المؤمنين رئيس لجنة القدس، جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله وسدد خطاه.

...سَنُصَلّي في القُدْسِ
وَاللهِ سَنُصَلّي في القُدْسِ.

جلالة الملك الحسن الثاني
رئيس لجنة القدس



للدكتور أحمد رمزي
وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

تشكل القدس الشريف في وجدان المسلم عقيدة وعهدا، فهي عقيدة لأنها ترتبط بأحداث إسلامية ضخام، الايمان بها من مستلزمات اليقين الديني استنادا إلى ما ورد في محكم التنزيل، وهي عهد لأن المسلمين فتحوها بعهد قطعوه على أنفسهم ولا يزال ذلك العهد سارى المفعول إلى يومنا هذا حفاظا على الأمانة وصيانة للوديعة. فليست القدس مجرد مدينة استهدفت للاحتلال الغاصب مثلها مثل المدن والمناطق التي تحتل من طرف الغزاة المستعمرين، ولكنها، بالاضافة إلى هذه الاعتبارات جميعها، مجمع القداسات وملتقى الرسالات وموضع المقامات. وهي إلى جانب ذلك كله أولى القبلتين وثالث الحرمين، لوجود المسجد الأقصى بها الذى بارك الله حوله، ولا يزال مباركا إلى يوم الناس هذا. ومن هذه الزاوية فإن التعلق الروحي بالقدس له ما يبرره وبالتالي فإن استنفار الجهود وحشد الطاقات لتحرير المدينة المقدسة له من الشرعية الدولية ما يجعله فريضة عين على كل إنسان مؤمن على وجه الأرض ينشد السلام ويسعى الى الوئام.

ولقد ارتبط تاريخ الاسلام والمسلمين منذ العقد الثاني للهجرة النبوية الشريفة بهذه المدينة المباركة، فكان لها أن طبعت التاريخ البشرى بطابع الصراع الذى بلغ أوجه في عصرنا الراهن. وما الحروب الصليبية الاستعمارية التي دامت قرنين من الزمن إلا المظهر البارز لهذا الصراع المحتدم، الذي يتخذ اليوم أشكالا جديدة تجسم في مجموعها التحدي العالمي للضمير الإسلامي خاصة، والضمير الانساني عامة.

ولقد كان للمغرب نصيبه الوافي من الجهاد الإسلامي الممتد عبر القرون، وكان لتعبئته المستمرة الأثر الفعال في تطور الأحداث بتلك المنطقة، وما الأوقاف المغربية بالقدس الشريف، وما الهجرات المتتالية الى تلك البقاع، إلا صورة واحدة من صور هذا الاسهام الحضارى في الدفاع عن أولى القبلتين وثالث الحرمين، ولا تزال آثارنا بالقدس تدل على مواقفنا وملامحنا، حتى صار لقب (المغربي) عنوانا على الصلاح والتقوى والنجدة والشجاعة، والجهاد والتضحية.

وفي العصر الحديث، قامت الدولة العلوية الشريفة، بما لها من إمارة دينية وقوامة حضارية، بما يقتضيه الواجب الإسلامي، من دفاع مستميت عن فلسطين بطريقة أو بأخرى.

ويحق لنا أن نعد مواقف جلالة الملك الحسن الثاني، في هذا السبيل، أنموذجا للموقف الإسلامي الشهم الواضح المعالم الجلي المقاصد المنزه عن الأعراض. وليس ما ينشر عن أعمال لجنة القدس التي يترأسها جلالته نصره الله الا النزر اليسير مما يبذله العاهل الكريم من جهد وما يصدر عنه من عمل في سبيل تحرير بيت المقدس وافتكاكه من الأسر الصهيوني.

لقد آل المغاربة على أنفسهم أن يخلصوا العمل في الساحة العربية والإسلامية تضامنا مع أشقائهم وتعاونا مع أصدقائهم فيما يعود بالنفع والدعم والتأييد للقضية الإسلامية الأولى، وتشهد الأيام على مدى البذل وسعة العطاء اللذين يعززان المجهود المغربي المكرس لهذا الغرض. ذلك أن قضية القدس، من المنظور المغربي ليست مجرد قضية سياسية مثل عشرات القضايا السياسية المعلقة، ولكنها قضية ايمان في المقام الأول، انطلاقا من اقتناع المغاربة أجمعين، بأن ايمانهم لا يكتمل إلا إذا قرن بنية الجهاد، لتحرير القدس. وتلك درجة عليا من الإلتزام المبدئي تتخطى كل المقولات السياسية والشعارات المذهبية ومواقف المزايدة التي نعلم جميعا دوافعها وغاياتها.

ان تحرير القدس أمانة في اعناقنا، ومسؤولية اسلامية نقدرها حق قدرها وإن لنا في نضال جلالة الملك الملهم لخير مثال لما يجب أن نصمد من أجله مضحين ومستبسلين ما وسعتنا التضحية والاستبسال.

وان وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية الحريصة على بلورة الاختيارات الإسلامية لحكومة صاحب الجلالة أيده الله، ليسعدها اليوم أن تقدم بين يدى القراء في المغرب والمشرق عددا خاصا عن القدس يستضيف نخبة مختارة من فطاحل الرأى والفكر والقلم.

فعسى أن يجد هذا الاسهام المتواضع قبولا واستحسانا، وعساه أن يسد بعض الفراغ في المكتبة العربية والاسلامية.

حقق الله آمال المسلمين في العودة الى أراضيهم المقدسة، وأيد - سبحانه - رئيس لجنة القدس جلالة الملك الحسن الثاني وحفظه وازره وسدد خطاه، حتى يؤدى الأمانة المقدسة التي حملها أياه قادة المسلمين. انه سميع مجيب.

د. أحمد رمزي
وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية

هذه القدس...

•• لم تجتمع كلمة المسلمين في العصر الراهن حول قضية مثلما اجتمعت اليوم حول القدس الشريف.

فلقد ظلت صفوف الأمة الإسلامية مشتتة ممزقة قرونا من السنين ولم يرأب لها صدع أو يجتمع لها شمل الا بعد أن امتدت يد الغدر والعدوان الى أولى القبلتين وثالث الحرمين بالاحراق والهدم، فهب العالم الاسلامي من أقصاه الى أقصاه في انتفاضة قلما تحدث في التاريخ، ليبطل كل النظريات والمقولات السياسية التي تنفي قيام تضامن من بين الشعوب على أساس العقيدة ولا شيء سواها، فكان مؤتمر القمة الاسلامي الأول الذي احتضنته رباط الفتح بقيادة أمير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني أول إعلان لارادة الأمة بلغة العصر، الذي ما لبث أن تبلور في قيام منظمة المؤتمر الإسلامي التي تشكل اليوم الإطار الدولي المعترف به لممارسة التحرك الإسلامي في الاتجاه الذي يخدم قضية تحرير القدس وفلسطين.

وان اجتماع الأمة الاسلامية، بهذا المستوى من الانضباط حول القضية المركزية الأولى يثبت قدرة المسلمين، رغم ماهم فيه من حصار رهيب، على اثبات الذات وإعلان الموقف واسماع العالم كله كلمة الحق الذي لا يرضى بغير التحرير والخلاص بديلا، وهي وضعية تمثل اليوم النجم المضيء في سماء المسلمين يهتدون به في دروب الكفاح على تشعبها وتعددها، فلو لم تكن القدس بهذه المكانة وبهذا القدر الهائل من القداسة لما أمكن لأمة القرآن أن تلتقي على كلمة سواء، وكأن الله جلت قدرته أراد لنا لحكمة نجهلها، أن يجعل من محنتنا الحالية ومصيبتنا الراهنة نعمة قد لا يوجد من بيننا من يقدرها حق قدرها، ولكن هذه الغفلة لا تنال من طبيعة الأمر شيئا.

● ولقد فجرت قضية القدس تناقضات كثيرة ظلت مختمرة في الكيان الإسلامي وفي النسيج الدولي أزمنة طويلة حتى ظهر الحق الصراح واتضح الطريق اللاحب، وبانت الأمور كلها بجلاء تام. فإذا بالمعركة واضحة المقاصد، وإذا بالاعداء يظهرون على حقيقتهم وإذا بالعالم الإسلامي قاطبة يقف في ساحة الجهاد. يملي ارادته ويصدع بكلمته ويتحدى الأشرار والطغاة والجبابرة في كل مكان.

وكان هذا من أفضال القدس وكراماتها، ولا تزال الأنوار تتلألأ ساطعة من جنبات المسجد الأقصى لتنير أمام الأجيال سبل الكفاح وسط ظلمات بعضها فوق بعض، وفي عالم شديد الحقد والتآمر على الايمان وأهله في أنحاء الأرض.

●● ان القدس بكل الثقل الحضاري والعبء المأساوي وظروف القهر والحرمان والأسر تتحدى اليوم إرادة القوى الباغية التي جبلت على الكيد للعرب والمسلمين، فمهما أحكمت هذه القوى خططها ودبرت مؤامراتها، فلن تقوى على قهر الأمة الإسلامية وحملها على الاستسلام. وان مثل ما تفعله لا يعدو أن يكون إضراما لنيران الثأر في قلوب مليار مسلم. وتحريضا لهذه الشعوب على المزيد من توحيد الصفوف في سباق مع الزمن لكسب أشواط المعركة شوطا بعد آخر. الأمر الذي يؤكد أن إمعان القوى الاستعمارية الدولية في التآمر ضد المسلمين والعرب ان هو الا عامل مساعد لانضاج الوعي، تمهيدا للانفجار المرتقب ان شاء الله، وهذا ما نراه قريبا من مفهوم الآية الكريمة : **(ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)**.

● **(هذه القدس)** إذا، هي البوصلة التي يهتدي بها في هذا البحر المتلاطم الذي يركب أمواجه المسلمون، بعضهم متمكن من نفسه، واثق من قدراته، يمسك بزمام مركبه، وبعضهم الآخر تتقاذفه الأمواج ذات اليمين وذات الشمال، بينما توجد فئة اوشكت على الغرق لافتقادها الثقة بالنفس ولعجزها عن قيادة السفينة. فهي والحالة هذه فرصة قلما يجود بها الدهر لمراجعة الحساب وترتيب البيت من الداخل والتخطيط للمعارك القادمة بمشيئة الله.

ولسنا نطلق الكلام على عواهنه. وما كان لمؤمن أن يهزل في ساعة الجد، وإنما هي صورة لواقع لا يرتفع ولا نملك لرفعه سببا، وتعبير عن وضعية يشعر بوطأتها وضغطها كل من يمت الى هذه الأمة بأدنى صلة.

●● إننا لن نفلح في ضبط الوسيلة الفعالة لاسترجاع القدس الشريف الا اذا أمعنا النظر في الأسباب التي أدت الى ضياع المدينة المقدسة. ولعل ما كتب عن القدس، وظروف وملابسات سقوطها في عصرنا هذا، يفوق كل ما كتب عن تاريخها الطويل الممتد عبر الزمان. ولا نحسب أنه وقع التركيز على التلازم الحاصل بين خسران القدس واحتلالها من طرف الصهاينة وبين انحراف خط السير في البلاد العربية الاسلامية. ومن الحق أن نقول ان الارتماء في أحضان المستعمرين الذين احتلوا أراضينا بالأمس القريب مهد تمهيدا مباشرا للمأساة الفلسطينية برمتها. ذلك أن ما يعرف في التاريخ الحديث بالانتداب البريطاني على فلسطين غداة الحرب العظمى الأولى، لم يكن سوى تحصيل حاصل للتناقض القائم يومئذ في البلاد الإسلامية. فكان أمرا طبيعيا أن ينفذ الأجنبي الى الأرض الاسلامية ويتمكن من احتلالها سواء أكان هذا الاحتلال تحت غطاء الانتداب أو الحماية فالأمر سيان. ولنا أن نتصور الآن ماذا كان سينتهي اليه أمر فلسطين لو أن دولة الخلافة كانت في مستوى الاسم والشعار والصفة التي تحملها. وهو تصور مطلوب للمزيد من ضبط الحكم على العوامل التاريخية التي أدت الى الكوارث المتتالية.

● ونستطيع أن نوجز القول في كلمات قصار دون أن نطيل على القارىء فنؤكد جازمين أن غياب الاسلام من الساحة السياسية العربية كان العامل المباشر وراء كل الأحداث الدامية الرهيبة التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط، بحيث كانت الحكومات القائمة يومئذ ترتبط بصورة أو بأخرى بمحاور السياسة الدولية على حساب حرية واستقلال الشعوب التي تمثلها مما أدى بطبيعة الحال الى سريان حالة الضعف والعجز فالاستسلام والاذعان بالأمر الواقع فالخلود الى الراحة وإيثار السلامة.

● كان هذا هو العامل الأول المباشر وهناك عوامل أخرى ليس هذا مجال ذكرها، وانما حسبنا أن نشير الى غلبة الفكر السياسي الغربي الذي مهد السبيل لقبول التعامل مع أوروبا المستعمرة للأراضي الاسلامية بدعوى التعايش وبدافع التسامح. وكان ذلك فهما مغلوطا لهاتين الخصلتين اللتين نادى بهما الاسلام.

● وان المناخ الفكري الذي هيمن على جو المعركة الفاصلة التي خاضتها الشعوب العربية سنة 1948 على أرض فلسطين كان له هو الاخر تأثير وأي تأثير

على مستقبل المنطقة فقد سيطرت الأفكار الصهيونية سواء منها الليبرالية الرأسمالية أو الاشتراكية الماركسية، مما زاد في عذاب الشعوب وقوى من وجود اسرائيل، وأحكم الحصار حول القدس حتى اذا كانت حرب يونيو سنة 1967 استولى اليهود على بيت القدس في سهولة ويسر، ولم تكد تنقضي سنتان حتى أحرقوه، وبعد احدى عشرة سنة من هذه الجريمة أعلنوها ارادة شريرة يتحدون بها العالم كله بجعل القدس عاصمة أبدية لاسرائيل.

واذا كنا نعتقد جازمين بأن هذا المسلك من اسرائيل ان هو الا وهم ومحض خيال، فان مقتضيات هذا الاعتقاد أن نعود الى سالف عهدنا فنوحد الشمل ليس فقط بالجلوس حول موائد المؤتمرات، وانما بتنسيق الخطوات والمبادرات والاعتماد على النفس في المقام الاول، وقبل هذا وذاك باعلان التوبة النصوح مما اقترفته أيدينا وألسنتنا وجوارحنا كلها. والتوبة في هذا المقام انما تكون بالتحرر الكامل غير المنقوص من التبعية لهذا المعسكر أو ذاك لا بقطع العلاقات مع العالم الذي لا يشاطرنا عقيدتنا، وانما بالتعامل معه على أساس المساواة المطلقة.

●● ان تحرير القدس رهن بتحرير الارادة الاسلامية من الضغوط الأجنبية.

ومن الحق أن نقول ان الجهود المخلصة المبذولة على صعيد لجنة القدس لمن شأنها أن تجسم الحق الإسلامي في الصورة التي تلقى قبولا لدى الأوساط الدولية القادرة على الفعل السياسي الذي يخدم مصالحنا.

وكلمة مخلصة نجهر بها انصافا للحق وأداء للامانة : ان العالم الاسلامي يواجه اليوم امتحانا عسيرا طالما أن القدس رهينة المحبسين : الرأسمالي والماركسي، وكلاهما يصدران عن الصهيونية كما لا نحتاج أن نقول.

●● **(هذه القدس) هي الأمل والرجاء، وهي الأداة والوسيلة، وتحريرها هو** الطريق نحو التقدم الحق والفجر الصادق الذي أوشكت تباشيره ان تبين ان شاء الله تعالى.

● ولما كنا نقول باسلامية القدس، فان المناخ العام للمعركة المقبلة لا ينبغي أن تهيمن عليه عقيدة سوى عقيدة الاسلام ذات الركائز الثلاث :

- الحرية في القرار الممارسة والتوجيه والحكم.

- الوحدة في الصف والهدف والمعركة.

- والوضوح في الرؤية بحيث يتكشف لنا الخصوم على حقيقتهم، ولا نخدع بالتمويهات والشعارات ولا نفرق بين خصم واخر، ماداموا على كلمة سواء واتفاق تام ضد حقوقنا جميعا.

وهـذا المَغـرِبُ

●● إن وقوف المغرب إلى جانب أشقائه في المعركة الفاصلة دفاعا عن عروبة واسلامية القدس الشريف، حقيقة ثابتة من الحقائق السياسية والشعبية الملموسة في هذه البلاد. ولذلك لم يكن من قبيل الصدف أن يجمع قادة الدول الإسلامية على اسناد رئاسة لجنة القدس الى عاهل المغرب. كما أنه ليس عبثا أن يبذل المغرب بقيادة ملكه كل هذا البذل السخي من أجل القدس. فالأمور، في هذه البلاد، تنضبط بمعيار المصلحة العربية والاسلامية، فحيث كانت مصلحة هذه الأمة اتجهت الجهود نحوها مخلصة مبرأة من الهوى.

● أن المغرب المسلم وعلى رأسه أمير المؤمنين الحسن الثاني، لا يفصل بين تحرير صحرائه واسترجاعها الى حظيرة الوطن - وقد تم هذا ولله الحمد - وبين تحرير القدس الشريف واعادة أهله المشردين اليه. ومن هذا المنطلق كان المغرب يخوض المعركة الواحدة في ظروف بالغة الخطورة.

وليس شك، أن المغرب الان في وضعية جديدة تمكنه من صرف المزيد من الجهد والعناية والإعتبار لمعركة القدس بعد أن استكمل تحرير أراضيه الإقليمية، وتوفرت لديه وسائل أكبر تساعد، على المضي في هذا الطريق الصعب الذي رضي أن يكون في طليعة رواده، انتصارا للحق الفلسطيني الاسلامي، ودفاعا عن كلمة الله المتمثلة في الحرية الكاملة للشعب الفلسطيني المنكوب.

●● ويحين أوان هذه المعركة في الوقت الذي يحتفل فيه المغرب بالذكرى الثامنة والعشرين لثورة الملك والشعب الظافرة. ففي مثل هذا الشهر من سنة 1953 انتفض الشعب المغربي دفاعا عن كرامته التاريخية المتمثلة في العرش المجاهد الأمين الذي استهدف للعدوان الاستعماري الغاشم.

وان محمدا الخامس - قدس الله روحه - الذي عبر عن مساندة المغرب المطلقة لاشقائه أثناء حرب سنة 1948- ووطنه بعد تحت الحصارالاستعماري - تمثلت فيه كل الخصال النضالية التي يملكها القائد المسلم. ولعل هذا الحماس المتوثب الذي أظهره ملك المغرب المجاهد في تلك المرحلة المبكرة هو الذي أدى الى احكام الخناق حوله والامعان في مضايقته والكيد له. حتى اذا حان يوم 20 غشت من سنة 1953، اقدمت هذه السلطات المجرمة على فعلتها الشنعاء فنفي ملك المغرب الشرعي الى اقاصي افريقيا.

● ومن المؤكد أن شعبنا يستوحي دائما هذه المعاني العظيمة من ثورة الملك والشعب، وانه في ظروفه الراهنة، يقف في شموخ وصمود غير مبال بما يعترض طريقه بين الحين والاخر من عقبات، فما كانت الشعوب العريقة لتتأثر بالمعارك والمناوشات والأحداث الجانبية، فقد ارتبط مصيرها بالمعالي والأمور الجسام، وتعلقت همتها بالامال العظام والأهداف الكبرى.

●● لقد انتصب شعبنا مدافعا عن قضية القدس وقضايا الاسلام والمسلمين، وله في رصيده النضالي، وفي ثورة الملك والشعب بوجه خاص ما يقوى فيه العزم ويشحذ منه الهمة ويغريه للمزيد من التحمل والصبر والتضحية.

وهذه احدى مزايا ثورة الملك والشعب التي تهيمن علينا اليوم بمعانيها الموحية. فلم تعد حدثا تاريخيا تحين ذكراه كل سنة، ولكنه مصدر للمدد الروحي والسياسي نستمد منه ما يحفزنا ويحرضنا على الجهاد.

ولعمري أن المغرب المسلم، بثورته التي ايقظت افريقيا كلها، وبثوراته عبر التاريخ، لهو الجدير اليوم بأن يقود المعركة ويرود مسيرة المسلمين نحو القدس.

وتلك هي الخلفيات التاريخية والحضارية لواقعنا الحالي سواء على الصعيد الوطني. حيث الالتحام القوي بين الملك والشعب تترسخ جذوره يوما بعد يوم. أو على المستوى الاسلامي، حيث مواقفنا المشهود لنا بها بين الأشقاء والاخوة في الله.

وانها لمسيرة مباركة من الملك والشعب نحو الخير والنصر والسلام.

عبد القادر الإدريسي



معالم الطريق

في كلمات جلالة الملك الحسن الثاني رئيس لجنة القدس

•• المجموعة الكاملة للخطب والكلمات والبيانات الملكية، تشكل في حقيقتها وجوهرها، وثائق سياسية تتضمن التوجيه السديد، والتقويم الدقيق، والحكم المنصف والتحليل السليم، لما يتصل بحياة المواطنين من جهة، ولما يمت بصلة الى قضايا الأمة العربية والإسلامية من جهة ثانية، ولما يرتبط بحياة البشرية ومشاكل العالم المعاصر من جهة ثالثة. وهي بهذا الاعتبار، مصدر مهم من مصادر الفكر السياسي الحديث.

وبخصوص قضية القدس فاننا نجد في الخطب الملكية السامية في شتى المناسبات زادا لا غنى عنه لكل من أراد الوقوف على حقيقة الأمر، ومعرفة الوجهة السليمة، والطريق اللاحب نحو المعالجة الهادفة لقضية المسلمين الأولى.

نترك القارىء مع خطب جلالة الملك الحسن الثاني رئيس لجنة القدس فهي بحكمتها تغني عن كل تعليق ••

الخطاب الملكي السامي
في اختتام أعمال لجنة القدس بفاس

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

صاحب السمو الملكي،

أصحاب المعالي الوزراء،

أصحاب السعادة السفراء،

حضرات السادة،

قبل كل شيء أريد أن أشكر جميع أفراد لجنة القدس الشريف، وبالأخص ممثل الشعب الفلسطيني صديقنا أبو ميزر من قديم، على ما عبروا عنه من مشاعر نحو المغرب، والشعب المغربي، وما الجهود التي قمنا بها جميعا لتهيىء المؤتمر، ولتسيير أعماله، إلا من أقدس الواجبات الملقاة على عاتق كل مسلم لإنجاح قضية قدسية مقدسة.

في ذهن المغاربة وغيرهم من العرب والمسلمين، لايمكن حينما يذكر لفظ القدس الا يذكر معه لفظ فلسطين، وحينما يذكر لفظ فلسطين تتشخص أمام أعيننا تلك المأساة التي يعيشها إخوان لنا، منذ جيل كامل، جيل ازداد وترعرع وشب في المنفى، في الإرهاب، في الابعاد عن وطنه وبلده، في مشاهدة الغير يتمتع بأرضه وخيراته.

وكل من ذكر منا القدس وفلسطين لايمكن في آن واحد إلا أن يربط تلك الصورة بوعد صميم بالعمل المتوالي ليل نهار، حتى ترفع المظالم، ويحرر بيت المقدس وحتى ترد الحقوق إلى أهلها في فلسطين.

ان التوصيات والمقررات التي سمعناها الآن والتي قامت بتحضيرها لجنتان تحت اشراف الأمانة العامة لتنير لنا الطريق. فليس هناك أي ابهام وليست هناك اية نقطة مجهولة، وليس لدى كل واحد منا فرادى وجماعات أي منفذ للتهرب من المسؤولية الجماعية التي ألقاها على كاهلنا المؤتمر الإسلامي، وأحاطتنا وتقييمنا وتجسيدنا لهذه المسؤولية. وهاته الامانة، هي العناصر التي ستجعلنا نسير في آن واحد باقدام وثبات، بجرأة ورصانة، بحكمة وسرعة، حتى لايسبق العمل الرأي، وحتى لاتنعكس علينا الأهداف التي كنا نريد الوصول إليها.

ان القرارات والتوصيات، تلزمنا بالعمل في الميدان الدولي وفي الميدان الجهوي، فعلينا إذن حينما نقوم بعملنا كافراد أو كلجنة أن نلبس لكل مقام لبوسه، ونتذاكر مع كل متكلم بمنطقه وكلامه، حتى لانضغط عليه، بل حتى نصل إلى اقناعه. فلغتنا وحجتنا في المؤتمر الإفريقي مثلا. ليست هي لغتنا في مؤتمر عدم الانحياز. وقاموسنا في هيئة الأمم المتحدة ليس هو القاموس الذي نستعمله في مؤتمراتنا الجهوية الأخرى. إذن لكل مقام مقال حتى «ادفع بالتي هي أحسن»، يقول القرآن «فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم».

لي اليقين، كما قلت البارحة، ان ما مارسناه جميعا من مسؤوليات وفي جميع المجالات، وما تخبطنا فيه من مشاكل ومعالجة الأمور وما تلقيناه من دروس من الأحداث، وما عشنا فيه، كل في حياته من جو المسؤوليات كل هذا يجعلنا نترفع عن الجزئيات ونتهرب من المجازفات.

صاحب السمو الملكي،
معالي الوزراء،
أصحاب السعادة السفراء،

إننا بعملنا هذا فجرنا طاقات لامثيل لها من العمل في قلوب الملايين من المسلمين حينما تعرضنا لتحرير القدس، وفجرنا كذلك طاقات جسيمة من الآمال في مئات الآلاف من الأسر الفلسطينية، سواء كانت تعيش في الأرض المحتلة وعلى غير الأرض المحتلة.

فأملنا وهذا دعائي باسمكم جميعا، أملنا في الله ألا يخيب الظن فينا، وأملنا في الله أن يجعلنا عند مستوى مسؤوليتنا.

حينما قبلنا هذه المسؤولية لم تفرض علينا فرضا، ولم نتحملها كرها، بل، انطلاقا من المثل العربي الذي يقول: «ان أعمال العقلاء منزهة عن العبث»، بل حينما قبلناها باسمنا كبشر وكأفراد، وباسم شعوبنا كجماعات، كنا نعرف المقاييس التي نقيس بها المشكل وكنا نعرف كذلك ماهي الموازين التي نزن بها المسؤولية، وجسامة المشكل. واننا سنجد في أصالتنا التاريخية الإسلامية العربية، وسنجد في إيماننا بالله، الإيمان بأنفسنا وبحق قضيتنا حتى نتمكن من حل هذه المشاكل، أو من تصوير الحل لمن سيأتي بعدنا حتى نكون قد أرضينا ضميرنا وشعوبنا والاهنا.

ولا أريد أن أختم هذه الكلمة دون أن أوجه شكري العميق لجميع أصدقائي أعضاء لجنة القدس، على ما قاموا به من عمل متقن وسريع في آن واحد، وعلى ما أظهروه جميعا من تقييم حقيقي للمسؤولية واعتبار للظروف الاستثنائية.

ولا أريد بالضبط أن أختم كلمتي دون أن أتجه إلى أميننا العام الدكتور غاي الذي عرفناه حينما كان في الحكومة السينغالية، وبلوناه منذ قلدناه مسؤولية الأمانة العامة، على ما قامت به الأمانة من تسهيل للعمل والمذاكرات.

صاحب السمو الملكي

أصحاب المعالي الوزراء

أصحاب السعادة السفراء

قبل الختام أريد أن أقترح عليكم اقتراحا، هو أن نقرر أن نجتمع قبل دورة هيئة الأمم المتحدة، حينما يكون جميعكم في طريقه إلى نيويورك أظن أن اجتماعنا هذا سينفعنا في منروفيا، والاجتماع الإفريقي، وبعده ليس اجتماع إلا اجتماع هيئة الأمم المتحدة في الاوائل من سبتمبر أو الجمعة الثالثة أظن أو 23 من سبتمبر، فإذا كان في الإمكان أن نقرر لقاء ولو سريعا حتى ننسق ما نقوم به من أعمال في الدورة العلنية.

أما خلال الفترة فسأراجع شخصيا نقطة التوصيات والقرارات، وكلما سنحت فرصة أو ظهر ظرف خاص سأشير عليكم به وسأعلم به الأمانة العامة متخذا في عملي هذا الا استأثر برأيي، فأنا واحد منكم، وعضو في لجنتكم، فيجب إذن أن تكون أواصر الثقة متبادلة بيني وبين كل عضو من أعضاء هذه اللجنة، حتى يمكننا جميعا أن نعيش في جو واحد رغم ما سنجده من عراقيل ومشاكل، ومؤامرات أمام مسيرتنا.

وختامنا الدعاء الذي في القران.

يقول الله سبحانه وتعالى :

«ربنا لاتواخذنا ان نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به، واعف عنا، واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين».

صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله.

الخطاب الملكي السامي في افتتاح الاجتماع الأول للجنة القدس بفاس

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

صاحب السمو الملكي

أصحاب المعالي الوزراء

أصحاب السعادة السفراء

حضرات السادة ،

فلنفتتح جلستنا هذه، بآية من كتاب الله عز وجل حيث يقول :

«وقل ربي ادخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا».

صدق الله العظيم

ان هذا اليوم سيسجل بأحرف المجد والاعتزاز في تاريخ وطننا، وطنكم الثاني المغرب، وفي سجل الملاحم المعروفة لشعبه العربي الأمين. ذلك أن المجموعة الإسلامية في العالم كله، ابت إلا أن تسند لخديم شعبه، وخديم الشعوب الإسلامية كلها، رئاسة لجنة القدس، للدفاع عن حقوق أولى القبلتين وثالث الحرمين. وان مسؤولية كهذه، اعتقد شخصيا انها ليست منحصرة فقط في من يترأس إداريا أو يسير سياسيا أعمالكم، بل هي في عمق كل واحد منكم، بل في ضمير كل ملك أو رئيس تمثلونه هنا، فعلينا إذن حضرات السادة، أن نمثل صادق مشاعرنا الإسلامية، وأن نعرب عن احساساتنا الظاهرة والباطنية، وفي أن واحد علينا أن نعلم كاسترجاع مآثر من مآثر تاريخنا فقط، بل علينا أن نبرزها كمثال شاخص اننا جميعا نمثل كيانات ودولا وأنظمة، وبالتالي مسؤوليات.

فقضية القدس الشريف علينا ألا نبرزها كقضية عاطفية فقط، ولا لما يمكن للغطرسة والظلم والجهالة الجهلاء أن تفعل في قيم روحيةأبدية أزلية...

نعم، من تطرق إلى مشكلة القدس لايمكنه أبدا ألا يفكر، بل ألا يطرح ولو بكيفية جانبية وهامشية المشاكل المحيطة بها من مشاكل الأراضي المحتلة أو أراضي الشعب الفلسطيني وحقوقه.

لذا، نعتبر شخصيا، أن المطالب العربية يجب ألا تكون عرقلة في إنجاح المساعي الإسلامية، علينا أن نضعها في محلها وفي توقيتها المحل اللازم واللائق بها. حتى تكون مطالب العرب أو الأفارقة أو الاسيويين، مطالب لاتعرقل السير إلى الأمام بالنسبة لقضية القدس، بل تعضدها وتسايرها وتواكبها، أو في بعض المرات تسبقها.

حضرات السادة ،

لي اليقين انني سأجد في حنكتكم وفي اضطلاعكم بمسؤولياتكم، وفي معرفتكم بما يواكبنا جميعا، كيفما كانت قاراتنا أو كيفما كانت الأسر التي ننتمي إليها، انكم تقدرون ماعلينا جميعا من مسؤوليات.

ان حنكتكم وماضيكم وتجربتكم، هو في الحقيقة، رصيد لهذه اللجنة، هو بمثابة العمود الفقري لأعمالها ولنشاطها.

وإنني لأرجو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعا لما فيه الخير.

أجل، لأول مرة ابت الظروف، وإرادة المؤتمر الإسلامي، أن تنعقد لجنة القدس على هذا المستوى وبرآسة رئيس دولة. وإن كان هذا الشيء يدل على شيء، فإنما يدل على أن الأمم الإسلامية أرادت أن تضع المشكل في حجمه الحقيقي، بقطع النظر عن شخص رئيس الدولة الذي يترأس لجنتنا هذه، ففي الحقيقة لافضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، وأشار صلى الله عليه وسلم إلى صدره ثلاث مرات، وذلك في خطابه في حجة الوداع، انه قال صلى الله عليه وسلم :

«تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها الا ظالم».

وهذه المحجة هي محجة القرآن، والشهادة بلا إله إلا الله، محمد رسول الله.

فلنجعل دائما هذه الاصرة آصرة الشهادة، بل حبل الشهادة رابطا بيننا، كيفما كانت أجناسنا ولغاتنا وقاراتنا ولنسر على بركة الله، مؤمنين بأن الله سبحانه وتعالى لن يضيع حقا من ورائه طالب.

ولنختم هذه الكلمة جميعا برجائه سبحانه وتعالى بآية قرآنية :

«ربي قد أتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث، فاطر السماوات والارض، أنت وليي في الدنيا والآخرة، توفني مسلما والحقني بالصالحين».

صدق الله العظيم، والسلام عليكم ورحمة الله

الخطاب الملكي السامي في افتتاح الاجتماع الثاني للجنة القدس بمراكش

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

صاحب السمو الملكي

أصحاب المعالي

حضرات السادة :

ان نوعية سرورنا، ومدى حبورنا، لايجسمه ولا يفسره الا قدسية مشاعرنا، وكيف لاتكون مشاعرنا موسومة، بل مصبوغة بل ممزوجة بالقدسية، ونحن هنا من أجل القدس الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين.

في السنة الماضية، في شهر ماي، بمدينة فاس، في بلدكم، وبين إخوانكم ومواطنيكم، ابى مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الا أن يسند إلى هذا العبد الضعيف رئاسة لجنة القدس الشريف.

فإذا كان لنا ولبلدنا بالخصوص، عظيم الشرف، فقد شعرنا كذلك بأننا في ذلك الوقت أصبحنا لا مكلفين بل مطوقين بأمانة مقدسة في عنقنا، أمام ضمائرنا، وأمام جماهير المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأمام التاريخ ويوم الحساب.

من الطبيعي أن مشكلة كمشكلة القدس التي أصبحت لها مضاعفات سياسية واستراتيجية على الصعيد العالمي، من الطبيعي ألا يتخيل المرء أنه من الامكان أو من السهل حلها في بضعة شهور، ولكن إذا لم يكن في بضعة شهور قد توصلنا إلى الحل الكلي، فلله الحمد، فقد رأينا بواكير الحل الجزئي، ذلك الحل الذي يفتح الثغرة في قلعة الخصم فيترك إذ ذاك المجال لإتمام النصر واستكمال الرغبة.

حضرات السادة،

منذ السنة الماضية، أو ما يقل عن السنة الماضية رأى العالم الإسلامي ثلاثة أحداث مهمة جدا :

الأولى : خطاب قداسة البابا في هيئة الأمم المتحدة، وقد يسرنا هنا، باسمكم واسمنا، أن نجدد له الشكر على ما أبداه من موضوعية تاريخية ودينية فأصبح بذلك منصفا بالنسبة للمسلمين جميعا، وبالنسبة للقدس الشريف.

وكرئيس للجنتكم الموقرة، كما رأينا لزاما علينا أن نخاطب قداسته، وفعلا كاتبناه وأرسلنا كاتبنا مصحوبا بوزير الدولة في الشؤون الثقافية، فقدم الرسالة، وزاد على الرسالة إيضاحات كنا أمرناه إذ ذاك بتوجيهها إلى قداسته وعندما رجع مرسولنا بشرنا بأنه وجد من قداسته الباب المفتوح والقلب المشروح والإرادة الحسنة.

وفعلا فقد أبى قداسته إلا أن يظهر ذلك ويبينه تبيانا عندما ألقى خطابه في هيئة الأمم المتحدة.

أما الحدث الثاني فهو : القرار الذي صدر عن مجلس الأمن في الأسبوع المنصرم، وقد قرأت القرار من أوله إلى آخره، مرارا وتكرارا، فوجدته قرارا مسبوكا محكما لايترك فجوة لأي تصرف فيما يخص التفسير أو فيما يخص التطبيق وسواء كان ذلك فيما يخص مدينة القدس الشريف أو فيما يخص الأراضي العربية المحتلة.

وهذا لعمري، انتصار فريد في نوعه، وسوف إن شاء الله، لن يكون منفردا، فإذا خيمت بعض السحب على التصويت في مجلس الأمن بما صدر من تفسيرات أو تأويلات من طرف الحكومة الامريكية فإن هذه التعليقات، وهذه التأويلات لا تنال في شيء من صلب الموضوع، فالقرار خلقيا وماديا وعمقا وشكلا قد كتب، وحرر، وقبل، وصوت عليه بالاجماع بما في ذلك الولايات المتحدة.

وأملنا وطيد في أن تعرب تلك الدولة التي كانت عظيمة أولا بأخلاقها قبل أن تكون بمادياتها فالكل يعلم ما جاء في رسالات رؤساء الولايات المتحدة للدول كلها وبالأخص للمملكة المغربية، وكانت إذ ذاك تلك الدولة وهي ترزح تحت نير الاستعمار تعترف أن ليس لها قوة، ولا حول، ولا مادة، ولا جيش ولكن لديها إرادة حسنة، وأخلاق مبنية على التوحيد وعلى الايمان، وانها تأمل أنه في يوم من الأيام ستتمكن من رد الجميل إلى ذويه، فأملي إذن أن تنظر الدولة الامريكية إلى ماضيها، وان تحلل حاضرها لترى كما يقول الرئيس كارتر نفسه أن القيم الروحية هي قبل كل شيء أقوى من القنابل الذرية.

أما الحدث الثالث : ألا وهي التصريحات التي قام بها رئيس الجمهورية الفرنسية ڤاليري جيسكار ديستان حينما زار كلا من الكويت والإمارات وقطر والبحرين والمملكة السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية، وقد أكد، وَلأول مرة، نسمع ذلك من فم رئيس دولة أوروبية غربية، أكد أن للشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصيره وان منظمة التحرير الفلسطينية من جملة المخاطبين.

نعم يمكن أن يظهر هذا التصريح دون مقررات مؤتمر القمة الذي انعقد في الرباط سنة 1974 ولكن أعتقد شخصيا أن هذه الخطوة خطوة جريئة جسيمة ملأى بما سيتبعها من مضاعفات تاريخية وملأى بما سيتبعها من تضامنات داخل القارة الأوروبية الغربية أو غيرها، ولذا أتوجه باسمكم جميعا بالشكر أولا إلى قداسة البابا، مرة ثانية على ماقاله وما كتبه إلى أعضاء مجلس الأمن على انهم صرحوا بالحق الصراح وأشكر أخيرا صديقي العزيز فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية ڤاليري جيسكار ديستان على الشجاعة وعلى قدرته على التحليل العاجل والاجل لمشاكل الشرق الأوسط وعلى حسن اختياره للركائز الحقيقية التي بدونها لايمكن أن يبني صرح أي سلم دائمة في المنطقة.

صاحب السمو الملكي

معالي الوزراء

حضرات السادة ،

في السنة الماضية كنا قد توجهنا إليكم وقلنا : ان الفلسطينيين ومنظمة التحرير ليسوا في حاجة إلى من يقودهم أو إلى من يهيمن عليهم، وهذه السنة أتوجه بالخصوص إلى منظمة التحرير الفلسطينية لأقول لها : ان العالم الإسلامي والعربي والشعب الفلسطيني والعبقرية الفلسطينية بالخصوص هم أمام منعطف خطير من تاريخ مصيرهم، وان مفتاح النجاح هو قبل كل شيء بيد الفلسطينيين الان وبيد منظمة التحرير الفلسطينية، ذلك انهم سيدعون، في أقرب مانظن إلى التعبير عن عبقرياتهم إلى تحمل مسؤولياتهم، إلى احترام التزاماتهم وإلى إظهار شجاعتهم السياسية ان الاختيارات السياسية ليست كسائر الاختيارات في الاختيارات العادية يجد الإنسان نفسه في حرية، لا أقول مطلقة، ولكن نسبية، اما من الناحية السياسية فالاختيارات لاتكون اختيارات نسبية، لأنها اختيارات مصيرية، ولي اليقين ان ماعرفناه في إخواننا الفلسطينيين منظمة وشعبا، من شجاعة وبسالة في ميدان الرمح سنجدهما، إن شاء الله في القريب حينما يدعون للحرب في ميدان القلم وما ذلك على عبقرية هذا الشعب بعزيز.

حضرات السادة ،

في هذه المدة الوجيزة التي سنعمل فيها جميعا، سيعرض عليكم برنامج مدقق للتعريف أولا، لابقضيتنا لأنها معروفة ولكن للتعريف بلجنتنا وللتعريف بحججنا وللتعريف بما نريده في مسالمتنا ومساكنتنا ومعاملاتنا.

وان لنا اليقين بأن هذا البرنامج سوف لايحظى برضاكم فقط بل سيطبق تطبيقا متينا، ذلك لأن الله حبانا نحن أفراد المؤتمر الإسلامي ولجنة القدس بالطبع بأمين عام سيضمن لنا النجاح.

إنني أعرف السيد الحبيب الشطي منذ القديم، عرفته كسفير في المملكة المغربية ثم عرفته كمدير لديوان حبيبنا وصديقنا وحليفنا وواحد من أساذتنا في الوطنية فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة، وعرفته بعد ذلك وهو وزير لخارجية بلاده وأخيرا قبل أن يصبح أمينا عاما للمؤتمر الإسلامي عرفته كإنسان فلم يكن الحبيب الشطي الذي رأيته في هذه المجالات أقل من مستواه كبشر وكشخص وكمؤمن فكلنا سنذهب إلى مسؤولياتنا المختلفة والتي لاتترك لنا وقتا كثيرا للنظر في غيرها، وإذا سمي أمينا فلي اليقين أنه سيحمل الامانة وانه سيؤديها وانه سيكون عند حسن الظن، فلنجدد له جميعا كأعضاء لهذه اللجنة ثقتنا فيه.

وأخيرا أرجو منكم جميعا أن تسمحوا لي أن أعتبركم أولا كأصدقاء، كأصدقاء لأنني أعتقد شخصيا أن الإنسان لايمكن أن يعطي مالديه ولا يمكنه أن ينتج من نتائج إلا إذا عمل في جو من الصداقة ومن الترابط البشري فإنني أرجو من أعضاء هذه اللجنة المحترمين أن يعتبروني قبل أن يعتبروني كملك المغرب أو رئيس اللجنة، أن يعتبروني كأحد منهم، صديقا لهم لأنني دون حرارة الصداقة والمعاملة البشرية أشعر داخل نفسي وفي قرارتها انني لايمكن أن أعطي ما أراد الله أن أعطي لكم ولغيركم.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يكلل جهودنا بالنجاح، وقبل كل شيء أن يهدينا إلى الاستمرار في العمل، فالعمل المنقطع أخطر من غير العمل، فالإيمان بالعمل والاستمرار في العمل هما سر النجاح، وأريد أن أختم بآية، والحقيقة كتاب الله العزيز كله حكم، وكله عبر ويحرم أن تفضل أية منه على أية ولكن كثيرا ما أريد أن أكرر هذه الاية : «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا»

صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله

الخطاب الملكي السامي في ختام أشغال لجنة القدس بمراكش

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

صاحب السمو الملكي

معالي الوزراء

حضرات السادة ،

جرت العادة أن نختتم قبل هذه المؤتمرات بكلمة تضاف إلى الكلمات التي ألقيت اما في افتتاحه، أو طيلة انعقاده، إلا أن كلمتي هذه، بما أنها كلمة تقليدية سوف نكتفي بشكركم جميعا على ما قدمتموه كمسلمين، وكرجال سلم، ورجال مسؤولية ورجال دولة، من إعانة لهذه الرئاسة وللأمانة العامة حتى خرج هذا المؤتمر بتوصيات قائمة الذات وتوصيات واقعية، بتوصيات يمكنها أن تكون لنا نموذجا للعمل يحتذى ويقتدى بكل اهتمام وبكل إتقان، واننا إذ نشكركم جميعا وكأصدقاء ومعينين، على ما أضفيتم على هذا المؤتمر وأعماله وجلساته، من عقل وتعقل وصبر وتبصر كل هذا سيكتب في صحيفة لجنة القدس، تلك اللجنة التي هي بدورها منبثقة عن المؤتمر الإسلامي، ونظرا لرغبة هذا المؤتمر على أن يجتمع قبل اجتماع المؤتمر الإسلامي ونظرا لأنه ترك لرئيس اللجنة الصلاحية لاختيار الوقت فإن صديقكم هذا ورئيس اللجنة يعتبر من اللائق بل من الضروري أن يجتمع مؤتمر لجنة القدس قبيل المؤتمر الإسلامي باسلام أباد. وذلك حتى يكسب المؤتمر الإسلامي لجنة القدس هذه باجتماعهما تقريبا في ظرف واحد، حتى يكسبها القوة اللازمة والدفعة الواجبة.

وهكذا وإذا وافقتم سنصدر أوامرنا إلى وزير دولتنا في الشؤون الخارجية ليترأس لجنة القدس نيابة عنا في اسلام أباد عاصمة باكستان الشقيقة الحبيبة المضيفة الإسلامية المغوارة الشجاعة. في اسلام اباد مؤتمر لجنة القدس قبيل مؤتمر الدول الإسلامية بيوم أو يومين.

ان التوصيات التي طلعت من أعمالنا المشتركة والتي كلفتني بالقيام ببعض المهام منصوص عليها أعدكم أنني بعون الله وقوته وثقتكم المستمرة وسندكم وتأييدكم، سأعمل جهدي كمسلم مؤمن بقضية القدس وبمشروعيتها سأعمل جهدي وسأواصل عملي حتى أتمكن في الاجتماع المقبل أن أسرد عليكم بعض النتائج السارة للنشاط الذي سيكون لي الشرف أن أقوم به باسمكم وباسم حكوماتكم وباسم شعوبكم وباسم الأسرة المسلمة كافة.

وقبل الختام وحتى تظهروا صاحب السمو، أصحاب المعالي، انكم في الحقيقة في بلدكم وبين شعبكم أبى إلا أن أريد اشراككم في فرحتنا غدا فرحة المغرب بتدشين سد المسيرة الخضراء ووجودكم بجانبنا يدل على أن السلسلة الإسلامية حلقاتها تطوق الأرض وتجعل منها حزاما أخضر، حزاما للتعاضد، حزاما للتفاهم بين المسلمين أولا وبين الشعوب كافة والله سبحانه وتعالى أسأل أن يديم علينا روح التفاهم وروح الاتصال البشري، ومعلوم، في كل مؤتمر كل واحد يأتي بفكرة أو كل واحد

يختار تعبيرا بدلا عن تعبير آخر وكل واحد يريد النقاش في كذا وفي هذا وهذا هو سبب المؤتمرات وسبب وجود المؤتمرات بدون مناقشة. لايمكن أن يقال أنه كان مؤتمرا ولكن المهم أن روح الوصول إلى النتيجة الهادفة، روح الجهاد الواقعي المطابق للحقيقة هي التي كانت مهيمنة على أعمالنا كيفما كانت نظراتنا بالنسبة لهذه الزاوية من العالم، أو بالنسبة لهذه النقطة من نقط جدول أعمالنا، المهم أن الجميع حينما اتفق على النصوص التي قرئت هنا امامنا سيكون رجل كلمة وسيدافع عن المقررات هاته، بصدق وامانة، واستمرار، وهذه شيم الرجال،، والحمد لله وشيم الرجال هي قبل كل شيء منبثقة عن التربية الإسلامية تلك التربية التي جاءتنا من القرآن الكريم ذلك القرآن الذي جعل من القدس أولى القبلتين.

أعانكم الله وسدد جميعا خطانا وارانا ما يعلمه في قلوبنا من خير لقضية القدس والمسلمين «ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يوتكم خيرا».

صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله

الخطاب الملكي السامي في ختام أشغال لجنة القدس بالدار البيضاء

الحمد لله، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

معالي رئيس منظمة التحرير الفلسطينية أخي أبو عمار

صاحب السمو الملكي

أصحاب السعادة الوزراء والسفراء ،

إذا شهدت مدينة الدار البيضاء في حياتها أشياء فمن جملة ماشهدت هو انبثاق الكرامات وازدياد المعجزات وليس التاريخ ببعيد ونحن في هذه المدينة وفي هذه القاعة نضع اللبنات الأساسية للوحدة الإفريقية.

ومما لاشك فيه أن أرواح أولئك الفطاحل الذين كانوا يمثلون دولنا والذين لازالت روحهم مهيمنة علينا يشهدون اجتماعنا اليوم وفينا من هو إفريقي ومن هو غير إفريقي مدافعين دائما ـ كشأننا في الماضي ـ عن الحقوق المحقوقة وعن المشروعية التي لها أسسها في العدل والإنصاف ولها أسسها في بناء التعامل على السلامة وعلى السلم والاخوة.

في شهر يناير من سنة 1961 كان والدنا محمد الخامس طيب الله ثراه مشرفا ومترئسا لنواة مؤتمر الوحدة الإفريقية.

ولي اليقين ان الله سبحانه وتعالى لو زاد في عمره وأطاله لكان هنا من هذه المنصة يصيح أكثر مما أصيح ويبكي أكثر مما أبكي لأنه رحمه الله أسعده الله بالصلاة في القدس وبالدعاء فيه وهو بهذا كان طبق قول النبي صلى الله عليه وسلم مما رواه البخاري ومسلم حينما قال :

لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا وهو مسجد المدينة والمسجد الحرام والمسجد الأقصى) ولكن منذ سنوات لم يتمكن المسلمون من إتمام حجهم بالتبرك بالصلاة في المسجد الأقصى، فحرموا من رؤية المسجد الأقصى ولكن لم يحرموا ثواب الصلاة في المسجد الأقصى.

حضرات السادة ،

إذا نحن نظرنا إلى العمل الذي قامت به إسرائيل بعين المؤرخ الرصين والمحلل الموضوعي، نرى أن قرار الحكومة الإسرائيلية هو أول حفرة في قبر دولة إسرائيل.

ذلك انها هي المضطهدة وعلى الاضطهاد بنت كيانها واكتست من حلل العطف ما يقوي اليوم جانبها، أصبحت هي المضطهدة والمستخفة بالبشر وبالقيم وبالديانات وبآلاف السنين من التاريخ حفرت قبرها لأنها تظن أن الفوارق الموجودة بينها وبين الدول الإسلامية من الناحية التكنولوجية ستبقى على ماهي عليه، وهذا غلط. فكلما دارت عجلة التاريخ إلا وتقلصت تلك الفوارق.

وكلما أصبح الصباح علينا إلا وجيل يانع من أبنائنا عرب ومسلمون يدخل ساحات البحث والعلم والتنقيب.

وأبشر إسرائيل انه من بعد بضع سنين سيصير المسلمون والعرب في مستوى مجابهة هذا التحدي ماديا وعلى ساحة الميدان، ربما إسرائيل لم تسمع مني قولا مثل هذا القول ولكن لاتنسى أنها جرحتنا في قلوبنا وأمعائنا مادام الحوار أو مادامت الحرب والقتال في منطقة جغرافية سياسية كنا نقول هذا للتوازن مع كذا وللتوازن مع كذا حيث انها كانت مفاعلات سياسية محضة، والحرب السياسية تقتضي المد والجزر يوم لنا ويوم علينا.

اما أن تأتي إسرائيل وهي تقول انها موحدة أو تأتي وتضم إليها تلك الأرض التي قال فيها الاثر انه مامن نبي نبي خلقه الله على هذه الأرض إلا وصلى عليها وحينما أقول الأنبياء أذكر الآية (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)، اما ان تضم إسرائيل هذه الأرض التي هي أرض الله وأرض التوحيد بعجرفة وبسوء ادب وتصرف وهي تريد أن تصن علينا ماصب الله عليها في القدم من ذل ومسكنة أقول لا، أقول لا لأن الشاعر العربي يقول :

الا لايجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين

ولكن انتفاضتنا ستكون انتفاضة العقل وسيخضع عملنا العاطفة لحكم العقل فمع هذا البشر عقل وقلب فلا يمكن لأي أحد أن يقول سأتكلم بعقل اليوم وبعاطفة الغد، المهم في هذا كله أن إسرائيل حشدت حول العرب اخوانهم المسلمين وحشدت حولهم اخوان المسلمين في الدين المسيحيين، وأتوجه إلى المسيحيين وأقول لهم كيف كانت عواطفكم حينما أراد الديكتاتور موسوليني ضم الفاتيكان ؟ أكنتم ترضون ألا يبقى للمسيحيين أرضا عليها علم المسيحية وسيادة المسيحية ؟ فإذا نحن في مركبة واحدة مسلمون ومسيحيون وكل من يعطي للمشروعية أسبقية على الأمر الواقع، وكل من يعطي للحق أسبقية على القوة، وكل من يعطي للمشروعية أسبقية على الأمر الواقع، وكل من يفكر ويحس هو الآن بجانبنا.

خلال اليومين الاخيرين اشتغلنا كثيرا في هذه اللجنة، ومما اضفى على هذه اللجنة حلة من الحماس ومن العمل في نشاط وجود الرجل الذي يمثل هنا ذلك الشعب المقاوم المناضل الشعب الفلسطيني حيث اتى رغم مشاغله ومشاكله حتى يدلي برأيه في العمل الجماعي للجنة القدس.

لم نفتتح أعمال لجنة القدس رسميا واخرنا جلسة الاختتام إلى هذا الصباح مفضلين بذلك على أن تكون أعمالنا متسمة بالحكمة وبالاناة وبالتعقل وبالاتقان، ذلك انه طالما ذهبت القضية العربية والإسلامية ضحية الخطابة الفارغة والعواطف الجياشة التي لاترتكز على أساس سياسية سليمة وواقعية، علينا ألا نخفي لأنفسنا ماينتظر المسلمين من مشاق لحل هذا المشكل ولكن المهم ليس أن يوجد مشكل ما، المهم هو ماهو استعدادنا وماهو استمرار استعدادنا لحل هذا المشكل استعدادنا فينا واستمرار استعدادنا يجب أن يكون في أبنائنا حتى ان نحن لم نر ولم نصل في القدس صلوا فيه وردوه مسلما ومع ذلك أرجو الله سبحانه وتعالى أن يمتعنا جميعا بالصلاة في القدس قريبا إن شاء الله.

حضرات السادة أعضاء لجنة القدس ،

كم سررت بالعمل معكم يومين متتابعين لأنني تعلمت أشياء كثيرة ولأنني استمتعت بخبرات مختلفة لا في أجناسها ولا في ألوانها ولا في قاراتها، وانني لأشكركم على الجدية التي أبيتم إلا أن تطبعوا بها سير أعمالنا رغم انها كانت لاتتم إلا في أوقات متأخرة.

آخر كلمة سأختم بها هذا الخطاب هو الآية الكريمة التي علينا كمسلمين وكشعوب أن نتدبرها ونستخلص منها العبر، يقول الله سبحانه وتعالى : (ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم).

الهمنا الله سبحانه وتعالى ذلك التغيير وذلك التجديد و ذلك النوع من الخلق والابتكار والتضحية في سبيل معتقداتنا ودينا وكرامتنا التي أراد من أراد أن ينزعها منا، ولكن الله سبحانه وتعالى سوف يديم على

هذه الأمة الإسلامية ما وعدها به حينما قال : (كنتم وهنا الماضي يدل على الاستمرار ويدل على الماضي والحاضر) «كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله».

صدق الله العظيم

والسلام عليكم ورحمة الله

الخطاب الملكي السامي في افتتاح اشغال الدورة الطارئة لجنة القدس بفاس

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

فخامة الأخ العزيز السيد أحمد سيكوتوري رئيس جمهورية غينيا،

فخامة الأخ الودود الرئيس ليوبولد سيدار سنغور رئيس جمهورية السينغال،

صاحب السمو الملكي

أصحاب السعادة الوزراء

أصحاب المعالي السفراء

حضرات السادة :

ان اجتماعنا اليوم، قد اضفى عليه الله سبحانه وتعالى صيغة خاصة، ذلك انه جسم ما أقوله دائما : جسم أن الديانة الإسلامية، والقيم الإسلامية والأخلاق الإسلامية، بمثابة حزام يطوق جيد الأرض، ذلك أن من شرقها إلى غربها، نجد المسلمين وأي مسلمين، ونجد الأصدقاء وأي أصدقاء ونجد الحلفاء، والحمد لله هذا النوع من الحلفاء.

ان اجتماعنا اليوم، يذكرني بآية من القرآن العظيم، ذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول : «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم».

سأحاول أن أفسر هذه الآية، حتى يمكننا أن نعطي لمدلول الجهاد الإسلامي، ذلك الجهاد الذي هو محور عملنا منذ أن تسلطت إسرائيل على القدس وحتى نتمكن أن نظهر للعالم أن نوعية جهادنا ليست الحروب الدينية ولا الصليبية، وإنما هي استراتيجية عسكرية وسياسية، وحتى حرب سيكولوجية من شأنها أن نحن طبقناها ان تنصرنا على العدو، يقول الله سبحانه وتعالى وأعدوا لهم، لفظ اعدوا فيه العدد والعدة، بمعنى أن التهييء يجب أن يكون تهييئا متقنا لامن ناحية النوع ولا من ناحية العدد، وأن يكون ذلك الاعداد، وذلك العدد يجيب إلى نوع الحرب التي تريدون أيها المسلمون أن تخوضوها، وأعدوا لهم ما استطعتم، هنا أقول انه يجب التفسير وأعدوا لهم كل ما استطعتم، لاما استطعتم، أو ما كان بيدكم، وأعدوا لهم كل ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، من قوة، معروفة، ولكن رباط الخيل، ماهو معنى رباط الخيل معنى رباط الخيل : علينا أن نكون في المجموعة البشرية، تكتلات فكرية، تكتلات فضائلية معسكرات دينية، لأسرتنا الإسلامية، حتى بالمعنى يمكن أن نرهب عدو الله، والإرهاب هنا ليس المعروف، ولكن هو الحرب البسيكولوجية، يجب أن نجعل عدونا يهابنا، ويضرب لنا الف حساب، فإذا نحن أعددنا له ما استطعنا عددا وعدة، وكل ما استطعنا من قوة، كلاسيكية، ومن رباط الخيل، من وداديات عالمية، من وداديات لمحبة السلام، من وداديات لحقوق الإنسان، من وداديات لعدم تشريد الشعوب، إذ ذاك تمكنا من إرهاب العدو، وإذا أرهبنا العدو، يمكن أن نقول أن الحرب مربوحة بثلاثة أرباع، وهنا التحق بفخامة الرئيس سيكوتوري، كما التحق بفخامة الرئيس ليوبولد سيدار سنغور، حينما كل واحد منهما على شكله، أظهر قوة الإسلام.

وبالأخص الحاج أحمد سيكوتوري الذي أظهر قوة الإسلام، ان الإسلام لايخضع للقوة، الإسلام لايخضع للجبروت، الإسلام إنما يخضع لكبرياء الله، وللعقل لذا : «اقرأ باسم ربك الذي خلق» كانت هي الآية الأولى التي نزلت من القرآن.

فإذا نحن رجعنا إلى الوراء نرى أن الأحداث التي مرت بالعالم العربي أو العالم الإسلامي لم تؤثر فينا الاثر الذي اثره القرار الصهيوني الأخير، ذلك لأن عبقرية الإسلام تسمح لنا أن نقبل أن نخسر معركة من المعارك، أو ألا نفوز بنصر من الانتصارات، ولكن الدين الإسلامي والأخلاق النبوية علمتنا أن النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو قدوتنا وأسوتنا كان لايغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله، وهل هناك أكبر حرمات الله من أن تنتهك القدس، أولى القبلتين وثالث الحرمين.

لذا أقول : وأؤكد أنني حينما قلت أن الجهاد يشمل كل شيء، لا استثني نهائيا فكرة الحرب، لأن الرجل يموت قبل كل شيء على قيم روحية، يموت للدفاع عن عقيدته، يموت للدفاع عن بلده، يموت للدفاع عن أسرته، يموت للدفاع عن كرامته.

فما هي كرامة المسلمين إذن ؟ إذا كلما داسهم العدو في شرفهم وفي أغلى ما عندهم - لا في أموالهم ولا أغراضهم - وإنما عقيدتهم، فما هي إذن قيمتنا إذا نحن استثنينا - تمشيا مع حضارة القرن العشرين - استثنينا نهائيا العمل العسكري ؟ أنا لا أستثني أي شيء، وإنما أقول : آخر الدواء الكي، علينا أن نجرب كل شيء، وان نركب جميع المسالك، وأن نطرق جميع الأبواب، وألا نترك فجا الا وكنا فيه الأولون.

لكن :

«إذا لم يكن من الموت بد فمن العجز أن تموت جبانا»

أريد هنا باسم المجموعة الإسلامية الممثلة في وزراء خارجيتها أن أقول لإخواننا الفلسطينيين لستم وحدكم الذين فقدتم القدس، فقدناها معكم. وسنردها معكم، لكم ولذويكم.

ان القدس أمانة ليست في عنق الفلسطينيين فحسب، بل هي أمانة في عنق كل مسلم ومسلمة.

فليكونوا إذن، على يقين أن هذه النقطة بالذات، هي التي ستوحد أكثر من أي نقطة مضت في الماضي، صفوف الدول الإسلامية وبالتالي الدول العربية، ولي اليقين أن مؤتمر القمة المقبل الذي ستحتضنه المملكة العربية السعودية في أواخر هذه السنة احتفالا بالقرن الهجري المقبل. لنا اليقين أن ذلك المؤتمر في تلك البقاع المطهرة، وبقيادة الملك خالد وولي عهده وحكومته، وبوحي من مكة المشرفة، وببركة من قبر النبي صلى الله عليه وسلم، ان ذلك الاجتماع في القمة سيوحد نهائيا صفوف المسلمين أينما كانوا ووجدوا، وسيطهر إن شاء الله من كل الضغائن الساحة العربية، لأننا عربا ومسلمين، ما أحوجنا إلى أن نسير يدا في يد وقدما على قدم.

أما خديم القضية، قضية القدس، المتواضع هذا، فكونوا على يقين أنه مهما قبل تشريفكم وتكليفكم له، الا وبالتالي ومن باب المنطق، قبل كل تضحية وكل عناء وكل تعب وكل جهد، ولكن الله سبحانه وتعالى خفف ذلك أن عززني بصديقين واحد منهما عن يميني الرئيس أحمد سيكوتوري، والاخر غائب وهو رئيس البنغلاديش، أولئك الذين سيكونون لي بمثابة المكمل للفريق الذي نحن فيه والذي، مما لاشك فيه، سيعمل على ربح الرهان، وعلى النصر. وأنا شخصيا متفائل، وعلينا أن نتفاءل، ذلك حينما اجتمعنا في لجنة القدس بالدار البيضاء، كانت عدة دول، سفاراتها في القدس، وكنا لانظن، أو نستبعد أن مجلس الأمن سيدين إسرائيل، فإذا به، في ظرف ثمانية أيام انسحبت جميع الدول من القدس التي كانت لها سفارة بها، وجاءت الادانة الصارخة الصريحة التي لاغبار عليها في جبين إسرائيل ملطخة اسمها وعلمها ومدينة عدم اعتبارها للقيمة البشرية، وأنا لا أفهم هنا، لا أفهم العبقرية اليهودية الصهيونية انها فمن الذي سيمكن أن يثق بها يوما أو يبكي معها من أوروبا أو من السند والهند إذا هي أصبحت تحكي مصائبها، والحالة هذه انها تعمل وتأتي من المصائب، وتجرح من العواطف، عواطف المسلمين في القدس بكيفية شنيعة لاتعرف لا احترام الكرامة البشرية ولا العقيدة الدينية.

فلنستعد إذن بشيئين : بإيماننا بالله وبغلطات عدونا المشترك فإذا نحن عملنا متكاثفين متكتلين

منظمين، وإذا نحن عرفنا كيف ننتهز الفرص لإبراز غلطات العدو لي اليقين اننا سنعد له كل ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل، واننا سنرهب قلوبه لأنه عدو الله وعدو المسلمين بالعملية الشنعاء التي قام بها.

أنا رجل مسالم وأفضل السلم دائما على كل شيء فلهذا فهذه الكلمات التي تخرج من فمي يستغرب لها فعلا.

انا هنا أصبحت أتساءل ماذا أفعل هنا شخصيا كبشر ولم لا لم أتطوع شخصيا لتحرير القدس، تقع، تقع للحسن المسلم وللحسن تلميذ محمد الخامس في الحفاظ على المبادىء والدفاع عن القيم.

ولكن اعتبر شخصيا أن عمل الجماعة أحسن بكثير من الأعمال الفردية، وان في مستوانا هذا، التخطيط والتفكير والتدبير، هو ربما سيقرب الهدف أكثر من طريقة أخرى، كان والدي رحمه الله يقول دائما : ما ضاع حق من ورائه طالب، لي اليقين أن حقوق المسلمين وحقوق المسيحيين، حقوق أهل الكتاب وحقوق المسلمين هي قبل كل شيء في يد الله، فلنضع حقوقنا وحقنا في يد الله لنا اليقين انه بعملنا هذا وثقتنا به وإيماننا به سيمكننا من عدونا، وسينصرنا، وسيثبت اقدامنا وما ذلك عليه سبحانه وتعالى بعزيز.

والسلام عليكم ورحمة الله

الخطاب الملكي السامي في افتتاح اشغال لجنة القدس بالرباط

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

صاحب السمو الملكي

أصحاب السعادة الوزراء

أصحاب المعالي السفراء

حضرات السادة ،

اننا نعتبر أن الترحاب بكم أصبح من باب الحشو في الكلام نظرا لأن جميع أعضاء هذه اللجنة المحترمين كما قلت في الماضي لم يعودوا وزراء خارجية لدولهم ولكن أصبحوا بالنسبة لي شخصيا رفقاء طريق أرجو الله أن تكون طريق خير وأن نسير على الدرب وأن نصل إلى الهدف.

وغير خاف عليكم انه في الشهر المقبل سينعقد المؤتمر الإسلامي للقمة بالمملكة العربية السعودية. واننا لمؤمنون ان اجتماع المسلمين في تلك البقاع الطاهرة سيرجع بهم إلى طهارة النية واستقامة السريرة والجد في كل عمل قرروا أن يأتوه أو كل ما قرروا أن يضعوه. وهناك ستكون من واجبات لجنة القدس التي نعمل فيها كلنا بوطنية وإخلاص وإيمان سيكون على لجنتنا أن تقدم لاخواننا الدول الإسلامية ما وصلنا إليه من أعمال وما توصلنا إليه من استنتاجات.

إذن من هنا يظهر للجميع أهمية مأموريتنا وقدسية رسالتنا.

تعلمون كلكم رفقائي الأعزاء أن نشاطنا غدا بالرباط سيكون أن نضع تقريرا مفصلا لما نشير به على إخواننا المسلمين من طرق وسياسة وأعمال من شأنها أن تأتي بالنتائج الثلاث :

- تحرير القدس الشريف.
- والإعانة على تحرير الأراضي العربية المحتلة.
- والإعانة على أن نرى الكيان الفلسطيني قائم الذات متحديا التحديات.

وعمل كهذا ليس بالصعب بالنسبة للتجربة التي لدينا جميعا إن نحن جمعناها وعملنا منها عملية حسابية فلنا في التجربة من الأطنان والأطنان مما رأينا وما سمعناه وما جربناه، ولي اليقين ان شيئا ما من الواقع ومن الجد سيوصلنا إلى ورقة عمل تكون في مستوى العبقرية الإسلامية.

منذ سنين والعالم العربي والعالم الإسلامي لايكتبان الا تاريخ الفرص الضائعة، ولا أريد أن تكون هذه اللجنة هي كذلك من كتاب ومدوني الفرص الضائعة.

ولا أريد أن يكون المؤتمر المقبل الذي نعلق عليه آمالا جسيمة كذلك هو من الموقعين على دفتر الفرص الضائعة.

أخرى مما لاشك فيه وصلتم إليها وحللتموها كلكم، ان سنة 1981 ستكون بالنسبة للعالم سنة حاسمة في منعطفاتها. ذلك انه في أمريكا تغيرت الإدارة وفي أوروبا تغيرت إدارة ألمانيا في هذه السنة وإدارة انجلترا في السنة التي قبلها. وستعرف فرنسا بدورها من الدول الأوروبية العظمى اما تأكيدا لرئاسة الرئيس أو تغييرا لإدارتها كذلك. فإذا نحن زدنا على هذا ما يجري في صفوف الأسرة الاشتراكية الأوروبية والذي من شأنه أن يكون منعطفا بشريا بالنسبة للقوى العالمية وصلنا إلى النتيجة الحتمية هي أن عملنا بالأمس ولو كان بفاس منذ شهرين مضت ليس هو عملنا باليوم نظرا لما عرفه العالم من تقلبات أو ما سيعرفه من تغييرات جذرية.

فإذا نحن جمعنا إيماننا واحساسنا والهامنا بالواقع وتكييفنا للكيميا العالمية الان التي تجري أو ستجري لي اليقين اننا سنضع ورقة عمل يمكن لأبنائنا أن يفتخروا بكون آبائهم كانوا من واضعي تلك الخطة التي يجب أن تتسم بالجرأة وبالطموح. ولكن في آن واحد أن تساير الواقع وتساير الممكن ريثما نصل إلى المطمح.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يوفقنا جميعا.

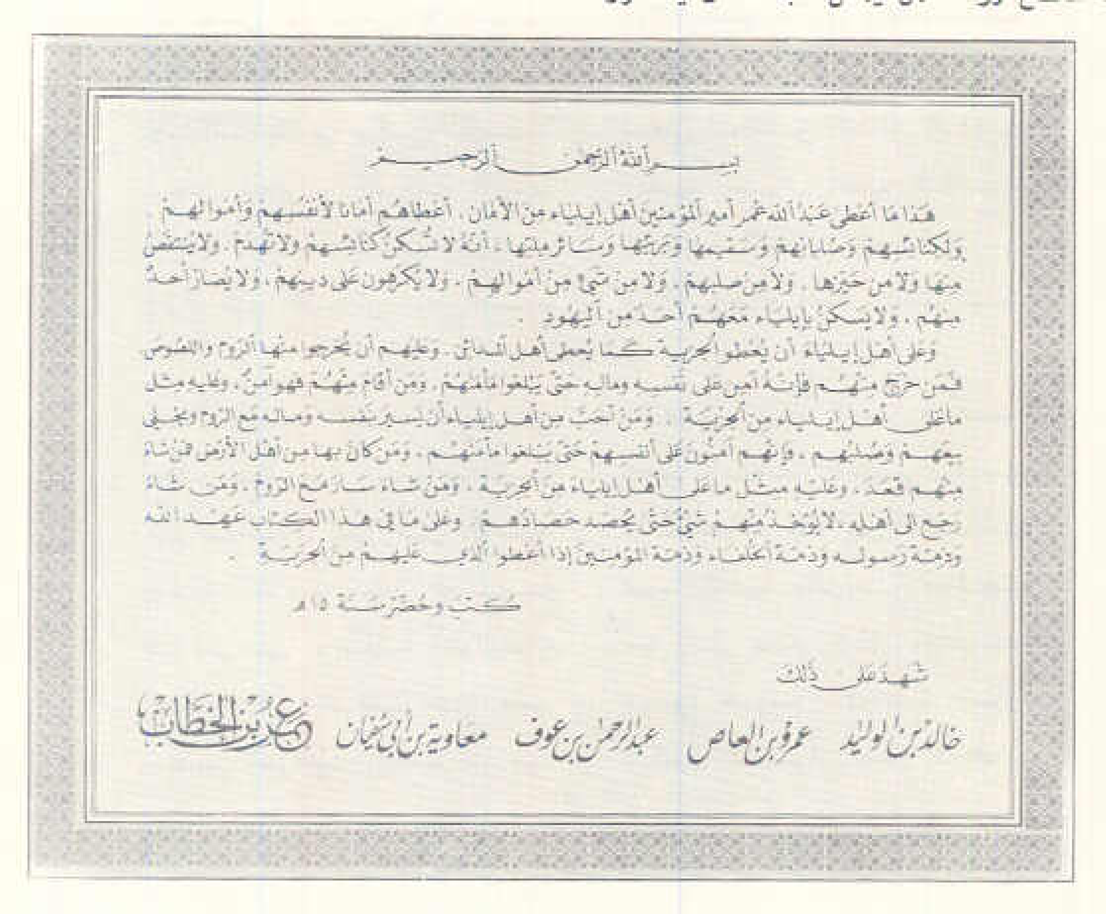
فإذا نحن رجعنا إلى الملفات نجد أن الأمانة العامة لديها ورقة العمل التي جاءت بها المملكة الأردنية الهاشمية. والورقة المغربية. ومن كانت له ورقة عمل وأراد أن يضيفها إلى هذه الوثائق فله. وأعتقد أن الأحسن أن نتخذ ورقتي العمل كمنطلق لعملنا غدا.

كنت فكرت أن أشير عليكم بتكوين لجنة صياغة وبعدما رأيت عددنا القليل قلت على أنه من الواجب أن يكون كل عضو من أعضاء فريقنا هذا، فريق القدس الذي أرجو له النجاح في مباراته أن يكون كل عضو في هذا الفريق عضوا مبدئيا وطبيعيا في لجنة الصياغة.

فإذا وافقتم على اقتراحي سنبدأ بالعمل غدا إن شاء الله في وضع ورقة العمل .

والله سبحانه وتعالى نرجو أن يوفقنا لما فيه الخير.

والسلام عليكم ورحمة الله



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها. أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم. ولا ينتقص منها ولا من حيزها. ولا من صليبهم. ولا من شيء من أموالهم. ولا يكرهون على دينهم. ولا يضار أحد منهم. ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن. وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم. ومن أقام منهم فهو آمن. وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم. فإنهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد. وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية. ومن شاء سار مع الروم. ومن شاء رجع إلى أهله. لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم. وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية.

كتب وحضر سنة ١٥ هـ

شهد على ذلك

خالد بن الوليد عمرو بن العاص عبد الرحمن بن عوف معاوية بن أبي سفيان عمر بن الخطاب

فلسطين

للشاعر الكبير المرحوم
علال الفاسي

ماذا أطيق من البيان الخالـــد عن ذب شعب لا محالة عائد ؟
ماذا أقول عن العروبة جـدت في ذلك العربي الفدائي الصامد ؟
ان كانت الأرض الحبيبة ضيعت بتامر الاعـدا وغـدر القائـــد
أو كانت الأرض الحبيبة شـردت أبناءهـا أيـدي العـدو الحاقـد
فلهـا بكـل نفوسنـا وقلوبنـا حـرم يوجهنـا لكعبـة قاصـد
انا نعيش لها نحس بلاءهـــا وبلاء شعب صادق ومجاهـــد
ولها نناضل في سبيل وجودنـا ببقائهـا رمـز النضـال الرائـد
جبهاتنـا كثـر ولكـن كلنـا نسعى لتحقيـق المثـل الواحـد
نسعى لتحرير العروبة كلهـا ونعيـد مـرى أحمد للحامـد
ولبعث مجد المسلميـن وعزهـم وحضارة الاسلام أعظم شاهـد
ولرد كيد الكائدين بنحرهـــم وبناء وحدة صفنا المتسانـد

+ ٥ +

ان الصهاينـة الذيـن تألبــوا متامريـن بنـا تامـر جاحـد
حلف الصليبيين يسند ظهرهـم وهـم للاستعمـار أعظـم رافـد
والرأسماليـون في كـل الدنـا قد عاقدوهم عقد لص كائـــد
ولذلك الثالوث يفعل فعلـــه فينـا كذئـب للفريسـة صائـد
قد دس في أوطاننـا أعوانـــه من كـل مكـار وكـل معانـد
فصلوا بنـى افريقيا عـن اسيـا وبنـوا بصهيـون قواعـد مـارد
اسفيـن اسرائيـل يفصل بيننـا ليكـون قنطـرة العدو الوافـد

فتفرقت كلماتنا وتضاربـــــت   طبقا لاهـواء العـدو الراصـد
وتعـــددت دول كمــا الشطرنـــج تمـــــلاه بيـــــادق حاشـــد
من فرنزتــه يـد العـدو تكونت   منـه الرياسـة في النظام السائـد
لولا تمزق أمتي ما سادهـــــا   شـذاذ افــاق العـدو الماهـــد
ولمـا غـدت أرض العروبة كلها   قطعا تديـن بشيخهـا المتعاهـد
ترجو السلامة أن يمس حدودها   حـرب وتعجـز عـن سلام راشـد

+ ٥ +

لـولا فلسطيـن الحبيبـة لـم تفـق   أوطانـنـا بعـد الزمـان الراقـــد
لولا فلسطين العزيـزة لـم نعـد   لشعورنـا بكيانـنـا المتصاعـــد
انا ابتصرنـا فـي قضيتها الحمى   مـن دون حـام مخلص ومسانـد
انا ابتصرنا قومنـا، خذلانهـــم   لبلادهـم حـظ العـدو الصاعـد
انا عرفنـا المترفيـن وما جنـوا   كـي يبلغـوا قـدر الغنـى القاعـد
باعـوا ضمائرهـم وخاسـوا عهدهم   لبلادهم وبنيهم، والوالـــــد
شـروا الضلالـة بالهـدى فكأنمـا   جعلـوا النفـاق شريعـة المتعاقـد
انا ابتصرنا الحاكميـن وأمرهـم   متفرق حسـب الهـوى المتباعـد
مهما ادعوا من فكرة أو أسندوا   من ثورة فالحكم حكم البائـــد

+ ٥ +

لله أبطال العروبـــة أسدهـــــا   عنـد المغاور لـم تبـل بالصائـد
أسد الكرامة والمواقـع بعدهـــا   ومعودو الأعـداء ثـار العائـــد
كسـروا القيـود وحطمـوا أغلالهـا   وغدوا طليعة عسكـر متوافـد
كانـوا مثال الذائديـن يسوقهـــم   كسـب القضيـة رغـم انف الحاسد
شبان فتـح والعروبـة سرهـــم   قد امنوا بغـد العروبـة ماجـد
ما ظـن اسرائيـل ان سيعيدهـــا   حربـا عليهـم كالجحيـم المـارد
ظنـوا هزيمـة ثلة لـم يستطـع   زعماؤهـا تخطيـط غـزو حاشـد
تخـذوا مـن الأعوان كل معرفـة   قميـن بخـط العاجـز المتقاعـد
ظنـوا الهزيمـة للزعامـة أوقفت   سيـرا لتاريخ النضـال الابـــد
خابـت ظنونهـم فانـا فتيـــة   وهبـوا نفوسهـم لنصـر خالـــد
أن يفتـح الشـذاذ بعـض ديارنـا   ويشردونـا فـي الخـلاء الشارد
فلسـوف نصليهـم جـزاء فعالهـم   ببلادنـا وبشعبنـا المتسانـــد
الثـأر نأخـذه ونحـن جنـوده   سيـرى العـدو بنـا أشـد مطـارد

والقدس ندخله نحرر أهله ... والمسجد الاقصى وركن الساجد

مهما تامر حولنا من خائن ... أو واجهتنا نكبة من جاحد

أو حيل بين مرورنا ورجوعنا ... من خائف متامر متعاقد

فلنا سبيل في البحار نشقها ... والجو نخرق بالشهاب الراصد

وبداخل الارض الحبيبة أمة ... تلقى العدو بكل شهم حاصد

انا رجال الفتح ليس يصدنا ... مكر العدو وحلف كل مجاحد

ذقنا المرارة من أقارب أصبحت ... مثل العقارب ذات سم زائد

لكن ضحايانا العزيزة لم تكن ... الا لتملأنا بعزم جاهد

+ ٥ +

آآخي لدى الارض الحبيبة اننا ... سيان في قفص وقيد عاقد

ماذا أقول عن القضية بلورت ... كل القضايا في جهاد واحد

سيروا الى الميدان نحن وراءكم ... نحو النضال الى المصير الواحد

نحو البناء لوحدة عربية ... ومن الخليج الى المحيط الذائد

الرباط 27 يناير 1973



القدس حاضراً ومستقبلاً

للأستاذ روحي الخطيب
عمدة مدينة القدس

لقد اجمعت كتب التاريخ والآثار وايدتها الكتب السماوية، على أن القدس كانت عربية قبل الإسلام وقبل المسيحية وقبل اليهودية، وكانت مملكة لقبائل عربية كنعانية، ثم يبوسية ومن الثانية اشتقت اسمها الأول - يبوس - وكان ذلك حوالى سنة 3000ق. م. أي منذ خمسة آلاف عام. ومن أشهر ملوكها ملكي صادق. الذي كان يحكم المدينة أثناء مرور سيدنا ابراهيم بها من العراق في طريقه إلى مصر، وكان ذلك حوالى سنة 1900 ق. م. وتشير التوراة إلى أن سيدنا ابراهيم قد دفع لملكي صادق، قيمة عشر ما يملك كضريبة مرور.

وتعاقب على غزو القدس كل من، الفراعنة، والعبرانيين، والاشوريين، والبابليين والفرس واليونان والرومان والعرب المسلمين والصليبيين. والإسلام ثانية في عهود الايوبيين والمماليك والأتراك، ثم الانجليز وعادت ثالثة للعرب تحت الحكم الأردني الهاشمي، وأخيرا احتلها اليهود منذ 1967 وحتى اليوم.

وقد أكدت مصادر التاريخ، على أن حكم اليهود للقدس لم يدم أكثر من سبعين عاما في عهد الملكين داود وابنه سليمان، ما بين 1045ق. م. و975ق. م. وان حكم اليهود لبعض المدن الفلسطينية وليس كلها، كان متقطعا واستمر حوالى 400 عام فقط.

مقابل ذلك أكدت مصادر التاريخ أيضا، ان السكان العرب الأصليين من كنعانيين وفروعهم من بعدهم، استمروا وبصورة موصولة، يقطنون القدس والبلاد الفلسطينية، منذ القرن الثالث قبل الميلاد وحتى اليوم صامدين فيها، رغم حكم الأجانب لها في العهود التي مر ذكرها، وان صمودهم هذا كان خير عون لعمدة الحكم العربي للمدينة، واستمراره خلال الثلاثة عشر قرنا الأخيرة، باستثناء ما يقارب من 225 عاما منها، خضعت المدينة المقدسة خلالها لحكم الصليبيين مدة (188) عاما ما بين 1099 و1187، ولحكم الانتداب البريطاني ثلاثين عاما ما بين 1918 و1948 وأخيرا للحكم الصهيوني الاسرائيلى فترة بعضها منذ 1948 والبعض الآخر منذ 1967 وحتى اليوم.

وقد تميز الحكم البريطاني للقدس ما بين 1918 و1948 بفتحه أبواب الهجرة اليهودية للقدس ولباقي الارجاء الفلسطينية، وبتسهيله نقل وبيع الأراضي الاميرية الحكومية والعربية وفي باقي الانحاء الفلسطينية. وبعد ان

لم يكن عدد اليهود في المدينة ليزيد عن بضعة آلاف سنة 1918 مقابل حوالى ثلاثين الفا من العرب (مسلمين ومسيحيين) ارتفع هذا العدد إلى ما يقارب من مائة ألف سنة 1948 وكان معادلا لما وصل إليه عدد العرب فيها آنذاك.

وبعد ان لم يكن لليهود أكثر من خمسمائة دونم في القدس سنة 1918 ارتفع هذا الرقم إلى خمسة الاف سنه 1948، يقابل ذلك خمسة وعشرين ألف دونم للعرب، وبنسبة 83 % أملاك عربية و 17 % أملاك يهودية.

وكان من نتيجة الحرب الأولى بين العرب واليهود سنة 1948، ان احتل اليهود وبمساعدة بريطانيا أولا وأمريكا وبعض البلاد الأوروبية ثانيا مما يقارب من 80 % من مساحة مدينة القدس، وطردوا حوالى ستين ألف عربي منها، وصادروا أملاكهم المنقولة وغير المنقولة، ومنعوا عودتهم اليها رغم قرارات الأمم المتحدة التي تدعو لاعادتهم أو التعويض لمن لا يريدها منهم، واستطاع الجيش العربي الأردني أن ينقذ في تلك السنة جميع الضفة الغربية والقدس القديمة داخل الأسوار وبعض الأحياء الغربية خارجها وتضم معظم المقدسات الإسلامية والمسيحية، ضمن مساحة تعادل 20 % من مساحة القدس الموحدة ومعها رصيد ممن تبقى من السكان العرب فيها وكانوا حوالى أربعين ألفا فقط.

وخلال العشرين عاما الواقعة ما بين 1948 و1967، ارتفع عدد السكان اليهود من (100) ألف إلى (190) ألفا، وعدد السكان العرب من (40) ألفا إلى (75) ألفا تقريبا.

وبعد الإحتلال الإسرائيلي للقسم الثاني من القدس، انخفض عدد السكان العرب بفعل القتال والارهاب والاجلاء عشرة آلاف، وارتفع عدد اليهود خلال السبعة أعوام الماضية إلى ما يقارب من (240) ألفا.

وارتفعت نسبة ما يملكون من 17 % سنة 1948 الى حوالى 60 % سنة 1973، ويعود السبب الأول في هذا الارتفاع، الى مصادرة أملاك جميع العرب الذين نزحوا سنة 1948 وما بعدها كما يعود السبب الثاني إلى أوامر الاستملاكات الباطلة التي صدرت عن سلطات الاحتلال الإسرائيلي ما بعد 1967 وحتى اليوم وقد تمت جميعها رغم معارضة أصحابها العرب ورغم قرارات هيئة الأمم المتحدة ومجلس امنها المتعاقبة.

حاضر القدس

أ ـ والقدس اليوم، تمر بمأساة لم يشهد تاريخ البلاد لها مثيلا، كما لم ير التاريخ لها حالة مماثلة، فهي تتعرض منذ 1948 وحتى اليوم، لسلسلة حلقات من مخططات اسرائيلية رهيبة، قامت باعدادها عقول صهيونية متعصبة حاقدة على البشر والإنسانية، تستهدف تغيير المدينة المقدسة تغييرا شاملا، عقارا وسكانا وتنظيما وحضارة وسيادة ولا اغالي ان قلت دينا أيضا، القدس اليوم مهددة بخطر آفة جديدة من عالمنا الحديث، هي آفة عنصرية متطرفة اسمها «الصهيونية» تلبست لباس دين سماوي، نحترم أنبياءه هو «الدين اليهودي» واتخذت من هذا الدين شعارا لتغطية اعتداءاتها واجراءاتها في تنفيذ مخططها الرهيب المسمى «مخطط تهويد القدس».

ب ـ فتحت شعار توحيد المدينة (والقدس في كل عهود التاريخ كانت موحدة ولم تتجزأ إلا في عهد الصهيونية)، اعتدت سلطات الإحتلال العسكري الإسرائيلي على السيادة العربية الأردنية والغتها وضمت القسم العربي من المدينة الى حكمها بقوة الاحتلال وضد رغبة سكان المدينة العرب، واستمرت متمسكة في موقفها رغم قرارات هيئة الأمم ومجلس الأمن الدولي بعدم الاعتراف بهذا الضم، واستنادا إلى هذا الضم، حلت سلطات الإحتلال المجلس

البلدي العربي الذي يمثل سكان المدينة العرب. وألحقته ببلدية الاحتلال. وطردت رئيس البلدية العربي من البلد الذي خدمها وعائلته باستمرار منذ أكثر من (800) عام.

جـ - وتحت شعار الدين شنت حملات ارهابية ضد السكان العرب. حيث شردت في سنة 1948 حوالى (60) الفا منهم. كما شردت حوالى عشرة آلاف آخرين في سنة 1967. واغتصبت جميع أملاكهم المنقولة وغير المنقولة. بحكم قوانين غير شرعية اصدرتها تباعا واحلت مكانهم مهاجرين صهيونيين من جميع أقطار العالم ورفعت اعدادهم من أقل من (10) آلاف سنة 1918 الى ما يزيد عن (240) الفا في سنة 1973. وخفضت اعداد العرب الذي كانوا يشكلون أكثرية السكان قبل الاحتلال البريطاني وخفضتهم إلى حوالى (75) الفا اليوم.

د - وتحت شعار الدين والتنظيم أيضا امعنت في هدم المئات من الأبنية العربية الحضارية والسكنية والتجارية داخل السور وخارجه وكل عقار منها يشكل جزءا من تاريخ القدس في عهودها المختلفة. في وقت تحافظ هي وكل مدينة في العالم على تراث السلف وتحيطه بكل رعاية. لتطمس تاريخا وتشرد فئات أخرى من السكان العرب لتستبدل بها وبهم مبان وسكانا وحضارة تحمل إسم الصهيونية واسرائيل.

هـ - وتحت شعار التنظيم. اغتصبت في الأربع سنوات الأخيرة ما يزيد على 50 % مما تبقى لعرب القدس من أراضي واعلنت بلسان وزير اسكانها (شاريف) مخططاتها لانشاء أربع مستوطنات جديدة عليها تشمل (35) ألف وحدة سكن. لتضم (122) ألف مهاجر صهيوني جديد. كخطوة في سبيل جعل القدس نهائيا مدينة يهودية. كما أكد وزير اسكانها نفسه في مؤتمر صحفي له بالقدس في 1971/2/15.

و - وتحت شعار التنظيم. اعلن رئيس بلدية الاحتلال عن مخطط تنظيمي جديد للمدينة يستهدف تحويل المدينة الى مدينة تشابه أجزاء من نيويورك ولوس انجلوس ودعا بعد المباشرة بتنفيذها. بعض خبراء التنظيم العالميين للاطلاع عليها. وبمجرد اطلاعهم على مخططاتهم ومشاهدتهم ما رواه من انشاءات تمت بموجبها. نفروا منها ورفضوها لمغايرتها طبيعة تنظيم وروحانية وتاريخ المدينة المقدسة. واعلن أحدهم وهو المهندس الايطالي اليهودي البرفسور (برونسفي) ان أعمال البناء التي تمت هي انتحار جماعي نتيجة الفشل الذريع. كما اعلن أن المشروع التنظيمي هو سيء جدا. وان سلطات الاحتلال لا يحق لها ان تقوم به.

ز - وتحت شعار رفع مستوى التعليم الجامعي. وضعوا مخططات لما اسمته مجلة الايكونومست الانكليزية غابة من الاسمنت المسلح. لانشاء عمارات سكنية ضخمة على الجزء الشمالي من جبل الزيتون المقدس تتسع كما اعلنت سلطات الجامعة العبرية لايواء (31500) تلميذ وموظف مما أثار مشاعر الطوائف الدينية المسيحية المختلفة داخل القدس وخارجها.

ح - وتحت شعار الحفريات وكشف التاريخ تسببوا في تصديع العقارات الحضارية حول سور الحرم الشريف وهدموا قسما منها وما زالوا يواصلون الحفريات غير القانونية لهدم العقارات القائمة حول سور جامع عمر في القدس. وهم يهددون عن طريقها بهدم خمسة أحياء عربية أخرى داخل أسوار القدس. كل جزء منها يمثل عهدا من عهود القدس التاريخية الواجب الحفاظ عليها ورعايتها.

ط - وتحت شعار الدين والتنظيم. اجبروا بعض المؤسسات الدينية المسيحية على التنازل عن املاكها الدينية.

ي - وتحت شعار توسيع حدود مدينة القدس، هدمت سلطاتهم قرية عربية جديدة قرب القدس اسمها قرية النبي صموئيل، وضمت اراضيها وأراضي عشر قرى أخرى حول القدس الى ادارتها وضد رغبة سكانها، واعلنت عن اغتصابها لما يقارب من نصف أراضيهم، وتخصيصها لمشاريع اسكان جديدة ولانشاء ضواحي صناعية تتسع إلى إقامة الف مشروع صناعي جديد عليها.

ك - وحتى أسماء الشوارع والطرق والساحات وكلها أسماء تاريخية عربية وغير عربية متصلة بتاريخ القدس، عهدا وراء آخر حتى هذه الأحياء لم تسلم من مخططات التهويد فقد بدأت عمليات إستبدالها بأسماء صهيونية واسرائيلية، تأخذ مكانها في عمليات تهويد القدس.

ل - وتحت شعار تنظيم الادارة الغت القوانين الاردنية التي كانت قائمة واستبدلتها بتطبيق القوانين والأنظمة الاسرائيلية، والغت المحاكم النظامية الأردنية وفرضت على السكان العرب، التعامل مع المحاكم الإسرائيلية، وجمدت تنفيذ أحكام المحاكم الشرعية الاسلامية في المدينة لعدم تقديم الولاء لسيادتها.

م - وتحت شعار توحيد الاقتصاد الغت العملة الأردنية وامرت باستبدالها بالعملة الاسرائيلية، واغلقت البنوك العربية وفرضت التعامل مع البنوك اليهودية في المدينة وفرضت رسوما جمركية باهضة على كل انتاج عربي يدخل المدينة ولو من القرى والمدن العربية المجاورة، وسهلت مقابل ذلك دخول الإنتاج اليهودي وحصرت الاستيراد مع الخارج باليهود الا في حالات خاصة.

ن - وتجاوبا مع المخططات الصهيونية الدينية، قامت بسلسلة من الاعتداءات على الأماكن الدينية الاسلامية والمسيحية وكان ابرزها ما يلي :-

الأول : إحراق المسجد الأقصى في 21 / 8 / 1969.

الثاني : مواصلة القيام بمظاهرات وصلوات دينية داخل ساحات الحرم الشريف ، تدعو باصرار للاستيلاء على الحرم وانشاء هيكل لليهودية فيه.

الثالث : هدم عدد من المساجد واستعمال أخرى لغايات منافية للاداب والدين.

الرابع : الاعتداء على كنيسة القيامة بسرقة تاج العذراء أولا، وتحطيم قناديل القبر المقدس ثانيا، وضرب الرهبان في عدد من الحوادث ثالثا.

الخامس : الاعتداء على دير الاقباط ورهبانه في القدس في أبريل 1971.

السادس : الضغوط المتواصلة على رجال الكنائس المسيحية للتنازل عن بعض املاكها بالبيع أو بالتأجير الطويل، ونجاحهم حتى اليوم في استملاك، عقارات مؤسسة شنلر الالمانية والتي كانت تسمى «مدرسة الايتام السورية»، وكذلك الاستيلاء على أراضي الكنيسة الروسية البيضاء المعروفة باسم «المسكوبية» وكذلك على مساحات واسعة من أراضي الروم الارثوذكس والارمن بالمدينة.

س - وحتى مراكز الخدمات الطبية والشؤون الإجتماعية العربية لم تسلم من التهود، فقد امرت سلطاتهم بنقلها من القدس اعتبارا من أبريل 1973 وحرمان السكان العرب من خدماتهم واجبارهم على مراجعة الخدمات الطبية اليهودية ومركز الخدمات الاجتماعية.

ع - وتحت شعار توحيد التعليم، أخضعت المدارس العربية الحكومية لتعليم البرامج المعدة للمدارس الاسرائيلية، ومنعتها من تداول الكتب التي تكشف معالم التاريخ والحضارة العربية للمدينة وللمنطقة.

ف - وتحت شعار توحيد الادارة البلدية، ضغطت على السكان العرب في الاشتراك بانتخابات البلدية سنة 1969 و1973، وقد فشلت حملتها سنة 1969 فلم يترشح أي

عربي وغدا ستجرى انتخابات ولم يسمع عن أي عربي قد ترشح لها. وعلى العكس فقد قرأنا مؤخرا الغاءهم لمراكز الانتخاب في الأحياء العربية. مما يفسر خيبة أملهم فيها.

ص - وضمن سياسة الارهاب التي تشنها ابعدت العشرات من أهل القدس. وفي مقدمتهم سماحة الشيخ عبد الحميد السائح. رئيس الهيئة الإسلامية ورئيس محكمة الاستئناف الشرعية في القدس سنة 1967 والعين انطون بك عطا الله المدير العام السابق للبنك العقاري العربي. والمحامي الدجاني - وزير الداخلية السابق. والدكتور داود الحسيني نائب القدس السابق. والدكتور نبيه معمر - رئيس مستشفى المقاصد الخيرية السابق. وعدد كبير من رجال التعليم والشركات والتجار والطلاب.

ق - وتحت شعار المساواة بالضرائب. فرضت على أهالي القدس ضريبة الحرب الإسرائيلية بالاضافة للضرائب العالية التي لم يتعودها السكان العرب. والتي تعتبر من أعلى نسب الضرائب عالميا وأخذت تحجز على أملاك كل من يتخلف منهم.

ر - وتحت شعار اعلان القدس عاصمة لاسرائيل. بدأت بنقل وزاراتها من تل ابيب اليها وتم لها حتى اليوم نقل وزارة الشرطة والعدلية وهي جادة في نقل الوزارات الأخرى.

ش - ولقد كشفت لنا مصادر التخطيط الصهيونية مؤخرا عن عدد من مخططاتهم التي تستهدف المزيد من عمليات التهويد وتطويق من بقي من عرب القدس. منها ما يلي : -

أولا ، مخطط لتوسيع مساحة القدس بحيث يضم اليها مدن بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور ومعها 29 قرية عربية تمتد من حدود رام الله شمالا الى بيت لحم جنوبا ومن بيت اكسا غربا الى الخان الاحمر جنوبا.

ثانيا ، مخطط لانشاء مركز تجاري جديد في القدس. يستهدف استملاك جميع الأحياء العربية خارج السور من واد الجوز شرقا الى مقبرة مأمن الله غربا. ومن المستشفى الالماني شمالا حتى محطة سكة الحديد جنوبا ومساحة الأراضي التي يشملها هذا المخطط تبلغ 2700 دونم.

ثالثا ، استملاك سبعين الف دونم من أراضي الخان الأحمر وما حولها. وتقع جميعها في منتصف الطريق بين القدس واريحا. وإقامة مدينة صناعية فيها. وبهذه العملية تصبح القدس مطوقة بسلسلة من الأحياء اليهودية الجديدة. وباعداد من مئات الألوف من اليهود يهددون الكيان العربي باستمرار.

هذا ما سأحاول استعراضه في القسم الأخير من حديثي. وهو ما عنيته عندما حددت التسمية **«القدس حاضرا ومستقبلا»**.

هذا أيها القارىء هو بعض من واقع القدس المرير وبعض مما هو مخطط لاستكمال مأساة التهويد فيها. فهل ينجح الصهاينة في استكمالها ؟

مستقبل القدس

ان حرب العاشر من رمضان من جهة. وسلاح النفط العربي الذي تلاها من جهة أخرى. قد وضعا حدا للمد وللتوسع الصهيوني اللذين كانا يهددان ليس القدس وحدها. بل وجميع المناطق المحتلة والبلاد العربية المجاورة.

ولقد حركت تلك الحرب وسلاح النفط قضيتنا التي كان يخيم عليها العنكبوت في ردهات هيئة الأمم. ودفعت بالدولتين الكبيرتين الولايات المتحدة والاتحاد الروسي للقيام بمجهود مشترك لايجاد حل سلمي مبني على تنفيذ قرار مجلس الأمن المعروف بقرار 242 والذي ينص كما يلي : -

ان مجلس الأمن :

1 - اعرابا عن قلقه المستمر على الموقف الخطير في الشرق الأوسط.

2 - وتأكيدا لعدم السماح بالاستيلاء على أراض بالحرب. والحاجة الى العمل في سبيل سلام عادل دائم تستطيع فيه كل دولة في المنطقة ان تعيش في أمان.

3 - وتأكيد ذلك الى أن جميع الدول الأعضاء عند قبولها ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بان تتصرف وفقا للمادة الثانية من الميثاق.

4 - يؤكد أن الوفاء بمبادىء الميثاق يقتضي اقرار سلم عادل دائم في الشرق الأوسط يتضمن كلا من المبدأين التاليين : -

أولا : سحب القوات الاسرائيلية المسلحة من الأراضي التي احتلت في القتال الأخير أي في قتال 1967.

ثانيا : التخلي عن جميع المطالب وانهاء حالات الحرب واحترام السيادة وسلامة الأراضي والاستقلال السياسي والاعتراف بها لكل دولة في المنطقة واحترام والاعتراف بحق كل دولة في المنطقة في أن تعيش في سلام داخل حدود آمنة معترف بها في مأمن من التهديدات أو أعمال القوة.

- ويؤكد كذلك ضرورة :

أ - ضمان حرية الملاحة عبر الممرات المائية الدولية في المنطقة.

ب - تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

ج - ضمان عدم انتهاك الأراضي. والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة باجراءات منها انشاء مناطق مجردة من السلاح.

وفي قرارات هيئة الأمم ومجلس الأمن الدولي الخمسة المتخذة منذ 1967 وحتى اليوم اصرار على عدم اعتراف الامم المتحدة بضم القدس الى اسرائيل. واعتبار جميع الاجراءات التشريعية والادارية التي اتخذتها اسرائيل. بما في ذلك مصادرة الأراضي والممتلكات ونقل السكان ووضع تشريعات تهدف الى ضم قطاع القدس المحتل. هي كلها أعمال باطلة ولا يمكن ان تغير ذلك الوضع.

استنادا الى هذه المبادىء والقرارات والمواقف العربية. وخشية من مضاعفات آثار حرب النفط على الحياة في كثير من الأقطار الأوروبية وحتى الأمريكية أيضـــا. فستجد أميركا نفسها. ان عاجلا أو آجلا. تواجه اختيارا مرا. كالذي ذاقته في الصين وفي فيتنام وستضطر الى ايجاد معادلة مع اسرائيل التي خططت لها مع الصين الوطنية وفيتنام الجنوبية. تؤدي مهما ناورت اسرائيل وماطلت الى انسحابها من المناطق المحتلة سنة 1967. ومن ضمنها القدس وتكون هذه الخطوات أولى بوادر الجزر الصهيوني وبداية استرجاع الحق والكرامة والسيادة العربية.

القدس في ضمير كل مسلم

للأستاذ عبد الله كنون
عضو أكاديمية المملكة المغربية

رفع المسلمون شعار القدس في كل مكان. وما أحق أن يكون القدس في ضمير كل مسلم. في عقيدته. في إيمانه. في صلاته. في محل عمله. في يقظته. في نومه لأنه القبلة الأولى ومسرى النبي صلى الله عليه وسلم. وثالث المساجد التي لاتشد الرحلة إلا إليها. وقد عطلت مع الأسف هذه الرحلة التي لا يجوز أن تكون إلا في ولاية الإسلام وتحت حكمه المطلق.

إن مدينة القدس ليست للعرب وحدهم. فهي لجميع المسلمين. والعرب إنما هم حراس لها وسدنة لحرمها. فإذا غلبوا لسبب من الأسباب فإن من الواجب أن تهب الأمة الإسلامية جمعاء للذود عن كيانها وحماية بيضتها وإلا حاق بها الذل والهوان في كل مكان. واعتبر استلامها وتخاذلها وصمة عار في جبين كل مسلم وميسم خزي يلاحقه أينما حل وارتحل.

وهذا هو الواقع التاريخي الذي درج عليه المسلمون في الماضي أثناء الحروب الصليبية فلم تكن هناك قوة عربية تقاتل وحدها أو قوة تركية أو قوة كردية مثلا وإنما هي قوة إسلامية متكتلة مؤلفة من جميع الأصول والعناصر التي تكون المجتمع الإسلامي. كما أن الصليبيين كانوا أجناسا وشعوبا لاتجمعهم إلا رابطة الصليب والعدوان على المسلمين. فماذا كان يصير لو تصدى العرب وحدهم لمقاومة الصليبيين وقد جاؤوا من كل حدب وصوب بأعداد وعدد لاتكيف ولا تحصى وأطبقوا على فلسطين وأهلها بوحشية ضارية لاتشبهها إلا وحشية الصهيونيين الآن ؟.

إذن لكانت فلسطين قد ضاعت إلى الأبد من يد المسلمين ولربما لم يقتصر الأمر على فلسطين. بل تعدى لما جاورها من ولايات وأقطار عربية وغير عربية. كما ينوي الصهيونيون أن يفعلوا اليوم إذا تمكنوا من تنفيذ

مخططهم في تأسيس دولة إسرائيل وهي تمتد في تقديرهم من النيل إلى الفرات .

إن التحدي السافر الذي تقابل به الدول الاستعمارية قضية فلسطين سواء بتسليحها لدولة العصابات أو بالدعاية الصاخبة التي تنشرها لها في جميع أنحاء العالم أو بتأييد دعاويها الباطلة في الأمم المتحدة ومجلس الأمن وسائر المنظمات الدولية ليس له من تفسير إلا الكراهية للإسلام والحقد الذي يعتلج في صدور القوم على المسلمين. فيجب أن يقابل بتحد مماثل من دول الإسلام قاطبة على جميع الأصعدة وكل تهاون في ذلك إنما هو كسر لشوكة الإسلام وحكم على دولته بالمحو من صحيفة الوجود.

والخلاصة أن قضية فلسطين. والقدس الشريف خاصة. بكل احتمالاتها. هي قضية إسلامية لاعربية فقط. والصهيونية ماهي إلا ربيبة الاستعمار. والاستعمار ماهو إلا صورة جديدة من الحروب الصليبية التي شنها الغرب المسيحي في القرون الوسطى على الشرق الإسلامي قصد إخضاعه لسيطرته. فلما انهار كيانه وتقوضت أركانه في النصف الأول من هذا القرن. بفضل المقاومة المسلحة والمدّ الإسلامي الجديد الذي ظهر أقوى ما يكون في التضامن مع لحركات التحريرية لم يجد الاستعمار المهزوم بعد أن فكر وقدر. فقتل كيف قدر. إلا أن يغرس هذا الاسفين الصهيوني الصدىء في قلب البلاد الإسلامية ليمنع اتصالها ويشغلها عن بناء استقلالها ويذلها بتسليط أحط الأجناس وأرذل الشعوب عليها. ويتمكن في الوقت نفسه من شفاء غليل الفلول الصليبية الذي لايشفيه إلا مواصلة حرب الإسلام ومهاجمة المسلمين في عقر دارهم. والدليل على ذلك هذه التبرعات السخية تترى على دويلة إسرائيل من جميع أنحاء أوربا وأمريكا. إنها قربات مسيحية يقدمها المتعصبون ضد الإسلام لمن يحاربه ولو كان من جنس يهود الذين صلبوا المسيح عليه السلام في اعتقادهم الذي نفاه بعض بابواتهم توددا لإسرائيل.

ومن الأدلة أيضا هذه الشحنات الهائلة من الأسلحة الفتاكة التي تتوارد على إسرائيل بعضها بصفة مساعدة وبعضها بصفة صفقات زهيدة الثمن. وآلاف المهجَرين من يهود الاتحاد السوفياتي إلى فلسطين ليضربوا ويكاثروا مواطنيها الأصليين من العرب والمسلمين عموما من غير مراعاة حتى لشعور السكان المسلمين في الجمهوريات الاسيوية التي تكون ثلث هذا الاتحاد تقريبا.

فهل هذا كله إنما يقع حبا باسرائيل وانتصافا لها من العرب والمسلمين الذين لم يسيئوا قط إلى اليهود ولم يلقوا منهم إلا المعاملة الحسنة والذين ءآووهم لما طردهم الغربيون وحموهم من أعدائهم في غير ما موقف من تاريخهم الطويل ؟ كلاّ بل هو الاستعمار بطغيانه وجبروته خرج من الباب فأراد أن يعود من النافذة. واذا قلنا الاستعمار فيجب أن نذكر الصليبية التي هي أهم أعمدته وأرسخ قواعده . وما المصالح الاقتصادية والمواقع الاستراتيجية وغيرها إلا تبع لها وغنائم وأسلاب تستعمل في خدمتها. وقد وجد الاستعمار في الصهيونية بغيته وطلبته فسخرها لتحقيق أغراضه وبلوغ أهدافه. وجعل من قضيتها قميص عثمان يدلس به على الرأي العام الدولي ويغرر بالشعوب وبسطاء العقول. فإذا انكشفت حيله وظهر تمالؤه لجأ إلى استعمال القوة والتدخل العسكري بحجة حفظ التوازن في المنطقة وحماية مصالحه المهددة بزعمه الملفق المكذوب.

لكن العجب كل العجب ليس من وقاحة هذا الموقف الذي يتخذه الثالوث البغيض : الإستعمار والصليبية والصهيونية. وانما هو من تدهور موقفنا نحن المسلمين حتى حق فينا قول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عجبت من تناصرهم في الباطل وتخاذلكم في الحق...

إن الغرب المتحضر المتعلم لا يخجل أن يتظاهر بمسيحيته، وطائفة منه تفسر الصهيونية تفسيرا دينيا فتقف بجانبها وفاء منها لعقيدتها الفاسدة وأخذا بنصوص التوراة المنسوخة والمحرفة. ولكن الشرق المتخلف المختلف يخجل أن ينادى بشعار الإسلام ويكتل جهود المسلمين ليقف في وجه العدوان الصهيوني العنصري المتعصب ومن يناصره من الاستعماريين والامبرياليين. وهو صاحب الحق وهو الموعود بنصرة الله ليخلص بيت المقدس والأرض التي بارك الله حولها من يد المغتصبين وقبضة المعتدين. وإنه والله ما بيننا وبين الانتصار وكسب المعركة إلا أن نوطن أنفسنا على الموت. فتوهب لنا الحياة. فياخيل الله اركبي. ولا تهنوا في ابتغاء القوم. إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تالمون وترجون من الله ما يرجون. والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عبد الله گنون

"في ذهن المغاربة وغيرهم من العرب والمسلمين، لا يمكن حينما يذكر لفظ القدس الا يذكر معه لفظ فلسطين وحينما يذكر لفظ فلسطين تشخص أمام أعيننا تلك المأساة التي يعيشها إخوان لنا، منذ جيل كامل، جيل كامل ازداد وترعرع وشب في المنفى، في الارهاب، في الابعاد عن وطنه وبلده."

جلالة الملك الحسن الثاني



للأستاذ محمد الفاسي

ليس من الصدف أن يكون المغرب ملكا وحكومة وشعبا من المناضلين المخلصين لقضية القدس. فذلك نابع من تشبثهم بالأخوة الإسلامية منذ دخل الإسلام أرضهم وآمنوا به وعملوا على نشره. وظلوا في كل أطوار تاريخهم يغارون عليه ويضحون في سبيله بكل عزيز. وما مواقفهم لصالح الإسلام والمسلمين بالأندلس وافريقيا بخافية. وبالنسبة للقدس بالذات فقد ثارت ثائرتهم عند احتلال الصليبيين له وبمجرد ما تزعم صلاح الدين حركة مقاومتهم هب المغاربة. وإن بعدت الشقة للإسهام في حرب التحرير. ومن المواقف المجيدة في تاريخ هذا التضامن الإسلامي. مشاركتهم في حرب تحرير مصر من احتلال بونابارت لها.

أما اليوم فمنذ أن أعلن عهد بالفور الذي قضى بتمكين الصهيونيين من فلسطين. والمغرب يتتبع باهتمام كبير حركة المقاومة التي يقوم بها أهل فلسطين ضد الغاصب الصهيوني. بل كان المغاربة أول من هب لنصرة فلسطين مما تجلى في الحركة التي تزعمها ثلة من شباب فاس سنة 1929. وهذا ما أريد أن أتكلم عنه باختصار.

كان ذلك في صيف السنة المذكورة وقد كنت طالبا بباريس ورجعت لمسقط رأسي لقضاء العطلة (وأنا مضطر لاستعمال ضمير المتكلم لأنني كنت المثير لهذه الحركة). وذلك . أنني رأيت يوما في الصفحة الأولى من الجريدة الفرنسية التي بدأت تصدر بفاس Le courrier de Fès صورة لمسجد سيدنا عمر رضي الله عنه بالقدس مع خبر يقول ان اليهود بموافقة الإنكليز هدموا هذا المسجد الذي له في نفوس المسلمين حرمة كبيرة. فاغتظت لهذا النبأ وأخذتني ثورة في نفسي وقلت لابد أن نفعل شيئا أمام هذه الإهانة وفكرت في القيام بكتابة عريضة احتجاج توقع من قبل أكبر عدد ممكن من المواطنين وتخابرت في هذا الشأن مع الإخوان علال الفاسي وعبد الوهاب الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني رحمهم الله والحاج الحسن أبي عياد أمد الله في عمره. فوافقوا على الفكرة ودخلنا ضريح جدنا شيخ الإسلام أبي السعود بن عبد القادر الفاسي وطلعنا لصقلبية سيدي عبد الوهاب - وهي في اصطلاحنا حجرة من جملة عدة حجر تكون كل واحدة لأحد النجباء من أبناء العائلة الفاسية من طلبة القرويين يتخذها لتحضير دروسه - فحررنا العريضة وكتبها سيدي عبد الوهاب رحمه الله بخطه الجميل وهو الذي خط أيضا بقلمه خمس عشرة سنة بعد هذا عريضة المطالبة بالاستقلال.

وقد عبرنا في هذه الوثيقة الأولى من نوعها عن سخط أهل فاس على هذا العمل الشنيع وعما أصابهم من ألم نفساني عميق وحملنا مسؤولية هذا التعدي على مقدساتنا لانكلترا ولليهود الصهيونيين وخرجنا بخمستنا نجوب المدينة ونقف عند تجارها وصناعها ونشرح لهم المقصود ونحمسهم ونطلب منهم التوقيع. وكل من خاطبناه تسارع إلى الإجابة. وهكذا لم يبق من أسواق المدينة من لم نجمع تواقيع أصحابه. وظللنا هكذا النهار كله وإدارة الحماية في غفلة عنا. وتواعدنا على المضي في العمل في الغد حيث تلاقينا بضريح سيدي عبد القادر الفاسي وكان المركز الذي ننطلق منه وفعلا كملنا عملنا في اليوم الموالي ورجعنا آخر العشية لمنازلنا راضين مبتهجين بنجاح هذه المبادرة الوطنية الأولى التي لم يكن لأهل فاس إذ ذاك عهد بمثلها.

وفي اليوم الثالث ما تم جمعنا في الصباح بالزاوية الفاسية حتى فوجئنا بثلاثة من مقدمي (1) الحومات. واحد مكلف بي وبابن عمي سيدي عبد الوهاب لسكنانا بحي واحد. والثاني موكل بسيدي علال. والثالث بسيدي محمد بن الحسن الوزاني. أما أخونا الحاج الحسن أبو عياد فلم تكن للباشا (2) عليه سلطة لأنه كان «حماية انكليز» كما كان يقال. فطلب منا المقدمون أن نصحبهم عند الباشا ابن البغدادي. ومن المعلوم أن مدينة فاس كانت تتمتع بشبه استقلال داخلي حيث كان لها نظام خاص. فلا شرطة فرنسية ولا مراكز لها وإنما الأمر بيد الباشا ومقدمي الحومة والعسة (3). ثم كان لها مجلس بلدي منتخب لأن الحماية وجدت الأمر على هذه الحالة فلم تجرؤ على تغييره إلى أن قمنا بالمطالبة بالاستقلال سنة 1944 مما تبعته المظاهرات العنيفة المعروفة. فعند ذلك احتلوا المدينة وجعلوا مركزا للشرطة بفندق النجارين وآخر بباب أبي الجنود.

فلما رأيت أن الأمر يتعلق بالعريضة وكانت تحت يدي سارعت إلى أخينا سيدي عبد الوهاب وكلفته بأخذها لتصويرها بالملاح حيث كان المصور الوحيد الموجود إذ ذاك بفاس وهو المواطن اليهودي أبو حصيرة ولا يزال ولده أو حفيده مصورا بفاس إلى الآن ثم توجهنا نحن الثلاثة. عبد ربه وسيدي علال وابن الحسن الوزاني. إلى دار أبي علي حيث مقر حكم الباشا وهو منذ أيام الباشا أبي علي الروسي في عصر المولى اسماعيل محل باشوية فاس. فمثلنا أمام الباشا ابن البغدادي وقد كان رجلا حازما مستقيما إلا أن له سمعة سيئة بما قام به من العسف ضد حركتنا الوطنية ورجالها. فقابلنا باحترام زائد وأدخلنا إلى الحجرة التي كان يجلس في وسطها على زربية متواضعة فوق حصير على خلاف عادته مع الذين يقدمون له إذ كان يجلسهم في باب العتبة على الأرض. فقال لنا عندكم «زميم» (4) أريد أن تدفعوه لي فتصديت له قائلا: إنه تعبير أهل فاس عما قام به اليهود في القدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وقد دهم هؤلاء الصهيونيون مسجد سيدنا عمر فما زدنا على استنكار هذا العمل الشنيع. فقال وأين القوة التي تواجهون بها هذا الصنيع فأجابه سيدي علال رحمه الله بقولة لم يدرك لها مغزى حيث قال: «إن قوتنا هي الدم الذي يجري في عروقنا» فقال على كل حال أنا لا يهمني إلا أن تأتوني بالزميم ولن أبرح من مكاني هذا حتى تحضروه. فقلت له: إن العريضة عند الحاج الحسن أبي عياد وسنذهب عنده ونطلبها منه فإن أعطانا

(1) مقدم الحومة بمثابة رئيس قسم الشرطة.
(2) هو حاكم المدينة وإليه يرجع المقدمون والعسة.
(3) جمع عاس وهو عتابة الشرطة.
(4) وهو عبارة عن ورقة تسجل فيها حسابات مختلفة وهو تصغير زمام.

إياها أتيناك بها. فقال : «أنا لا أعرف الحاج الحسن أبا عياد ولا أعرف إلا إياكم فاذهبوا وأتوني بالزميم».

فخرجنا من عنده وتوجهنا إلى دار سلعة الحاج العربي أبي عياد وولده السيد أحمد بالديوان حيث وجدنا في انتظارنا الحاج الحسن ودخلنا لحجرة ننتظر رجوع سيدي عبد الوهاب من الملاح بالعريضة وصورتها. وأثناء ذلك حررنا رسالة للباشا نطلب منه فيها أن يدفع العريضة لقنصل إنكلترا بفاس ليرفعها لحكومته.

وبعد مضي ساعتين أو ثلاث كلموني من منزل عمي رحمه الله يقولون إن سيدي عبد الوهاب يطلب قدرا من المال. فقلت لهم : «ا بعثوه له بواسطة الخادم الطاهر حجيرة رحمه الله على بغلة (5) حتى يتم ذلك بالسرعة المطلوبة ويقول لسيدي عبد الوهاب إننا ننتظره بفندق أبي عياد بالديوان».

وبعد مدة حضر سيدي عبد الوهاب فخرجنا جميعا باستثناء الحاج الحسن طبعا وقصدنا دار أبي علي فوجدنا الباشا مل الإنتظار وذهب لمنزله بقنطرة أبي رؤس. وقال لنا المخازنية (6) أنه ينتظركم بداره. فطلعنا لقنطرة أبي رؤس وقلنا للأعوان أن يخبروا الباشا أننا جئنا بالعريضة. فخرج إلينا اثنان أو ثلاثة من أعوانه الصغار وقالوا يطلب منكم الباشا أن تعطوه الزميم. فأجبناهم : لا يمكن أن ندفعه إلا ليده. فدخلوا ورجعوا بالإذن لنا بالدخول عليه مع العلم أنه لم يلج من أهل فاس أحد منهم هذا المنزل وإن الباشا ابن البغدادي لم يستضف قط فرنسيا واحدا.

فلما دخلنا المنزل وجدناه جالسا فوق ما تسميه السداري في حجرة متواضعة لا يزينها إلا حيطي من الملف «على طريقة البدو». فجلسنا عن يمينه وشماله وقرأنا عليه الرسالة التي نطلب منه فيها أن يدفع العريضة الموقعة من قبل مئات السكان من أهل فاس. وشرحنا في كتابنا هذا ما دفعنا للقيام بهذا العمل الذي يمس بعواطفنا الدينية والذي يعبر عن تضامننا مع إخواننا المسلمين من أهل فلسطين وتلاحمنا معهم. فأخذ منا الكتاب والعريضة وجعلهما تحت الطليق وهو زربية مصنوعة بأوربا كانت تجعل جوف السداري والمطربات. وقد لا حظت في عينيه تأثرا كبيرا وهو يسمع تهديم مسجد سيدنا عمر رضي الله عنه. ومن المعلوم أن ذلك الخبر كان موضوعا ولكنه كان داعيا لقيامنا بهذه الانتفاضة الأولى في سبيل القدس الذي لجلالة الملك المفدى مولانا الحسن الثاني نصره الله الآن دور هام في الدفاع عنه. وقد كان لنا من هذا العمل تجربة لمدى بلوغ الوعي الوطني الإسلامي من مواطنينا مما شجعنا سنة بعد ذلك على القيام بالمظاهرات والاحتجاجات والتجمعات في المساجد لذكر اسم الله اللطيف ضد ما يسمى بالظهير البربري. وتلك قصة أخرى.

أما عريضة 1929 فقد أخذت صورتها معي إلى باريس بعد انتهاء العطلة الصيفية. ووافق أن زار باريس مفتي فلسطين السيد أمين الحسيني رحمه الله فأقمنا له حفلة في فندق لوتيسيا وتكلمت إذ ذاك باسم طلبة إفريقيا الشمالية وتكلمت على العريضة وعلى المساعدات المادية التي كنا جمعناها للفلسطينيين بعد الاحتجاج الذي قمنا به. وكان لذلك أثر عميق في نفس الزعيم الفلسطيني وفي نفوس إخواننا طلبة المشرق.

هذه الصفحة المشرقة من تشبث المغاربة بالتضامن الإسلامي مع إخواننا في المشرق وفي كل بقعة من بلاد الإسلام تبعتها صفحات أخرى سجلت كفاح المغرب وملكيه الفذين في سبيل تحرير المغرب والقدس الشريف حقق الله تعالى انعتاقه وتمتع الوطن الفلسطيني بأجمعه بحريته واستقلاله.

محمد الفاسي

(5) لأن مدينة فاس لا تدخلها لا عربة خيل ولا سيارة ولها عقبات لذلك يتخذ أعيانها بغلات فارهة بسرج أنيقة.

(6) جمع مخزني وهم أعوان الباشا.

القدس

موطن الأنبياء ومسرى الرسول الأمين عليه السلام

للأستاذ أبي بكر القادري
الكاتب العام للجمعية المغربية
لمساندة الكفاح الفلسطيني

القدس أو مدينة «إيلياء» حسب ما ورد في العهدة العمرية، أرض الأنبياء والمرسلين وموضع ظهور دعوتهم إلى التوحيد. فيها كلم الله سيدنا موسى وفي أرضها غفر الله لداود وسليمان. وبين ظهرانيها بشر الله سيدنا زكرياء بيحيى. وفيها ولد سيدنا عيسى عليه السلام. ومنها رفع إلى السماء، وفيها ينزل مرة أخرى عندما يأذن الحق بذلك اعتبرت مدينة مقدسة منذ القدم. وزادها تقديسا إسراء رسولنا العظيم إليها. ومعراجه إلى السماء منها. فهي مدينة مباركة، بارك الله حولها، وهي القرية التي عنتها الآيات القرآنية الكريمة التي تقول : **«وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة تغفر لكم خطيآتكم وسنزيد المحسنين» «ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم، ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين» « ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين»**.

لقد كانت تسمى بأرض «إيلياء» حتى زمن الفتح الإسلامي في عهد الخليفة الأول سيدنا عمر بن الخطاب، حيث سميت بالقدس. وفي عهد الأتراك العثمانيين صار يطلق عليها القدس الشريف.

وسميت القدس بهذا الإسم أو ببيت المقدس لأنها المكان الطاهر المقدس الذي يتقدس فيه من الذنوب. فهي مكان التطهير. وهي موطن التقديس. والتقديس هو التطهير كما ورد في غريب الحديث : لاقدست أمة لا يوخذ لضعيفها من قويها أي لاطهرت.

فتحها المسلمون في السنة السابعة للهجرة (636م) وتسلم مفاتيحها أمير المومنين عمر بن الخطاب بيده من يد (صفرونيوس) بعدما حاز هذا الأخير وثيقة الامان التي تدعى بالعهدة العمرية.

ولقد ورد في هذه العهدة حسبما أورده ابن جرير الطبري ما يلي :

«بسم الله الرحمان الرحيم : هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المومنين أهل «إيلياء» من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أن

لاتسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود» إلى آخر ما جاء في هذه العهدة التي شهد عليها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمان بن عوف ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم أجمعين.

ومنذ ذلك الحين والقدس الشريف تحت إمرة العرب المسلمين، سواء في عهد الأمويين أو العباسيين أو الأتراك السلجوقيين أو المماليك أو العثمانيين باستثناء فترة الحروب الصليبية التي احتلها فيها الصليبيون بعد ماقتلوا تسعين ألفا من سكانها. ولم يفكها ويحررها منهم إلا صلاح الدين الأيوبي الذي انتصر على الصليبيين في موقعة حطين ودخل القدس يوم 27 رجب سنة 583 هـ - 1187م.



ولقد اختلف في أول من بناها فقيل هو «سام» الملقب «بملكيصادف» أو «إيلياء» حفيد «ملكيصادف» أو اليبوسيون وهم بطن من بطون العرب الأوائل.

وكيفما كان الأمر، فهي مدينة عربية منذ تأسيسها.

أما بيت المقدس فلقد شرفه الله وكرمه وطهره وخصه بالعديد من الأنبياء والمرسلين منذ عهد إبراهيم الخليل عليه السلام إلى عيسى بن مريم إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال عبد الله بن عباس : البيت المقدس، بنته الأنبياء، وسكنته الأنبياء، ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي، أو قام فيه ملك.

لقد دام حكم المسلمين للقدس الشريف أزيد من ثلاثة عشر قرنا، عاش فيها المتساكنون على اختلاف دياناتهم في بحبوحة من الكرامة والحرية والمعاملة بالحسنى وكيف لايطبق المسلمون ذلك وقد أعطى خليفتهم الأول عمر بن الخطاب عهده وذمته وذمة المسلمين بأن تبقى للنصارى حرمتهم، وتصان مقدساتهم. وليس صحيحا ما يدعيه اليهود من أن القدس ملك لهم، وعاصمتهم الأبدية. فما يطلق عليه أرض «أورشليم» خربت واندثرت، ولم يبق لها أي أثر. ولقد تنبأ بهذا الخراب المسيح عليه السلام حين قال : «يا أورشليم، يا أورودشليم ياقاتلة الأنبياء، وراجمة المرسلين إليها، هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا» لقد كان العبرانيون يقصدونها فاتحين فترات متعددة قبل ميلاد المسيح عليه السلام، ولكنهم يطردون منها، ولدى فتح المسلمين لها اشترط المسيحيون أثناء تسليمها أن لايسكنها يهود كما ورد في العهدة العمرية ولكنهم بعد الفتح الإسلامي صاروا يفدون عليها بقصد الزيارة والعبادة التي حرموا منهما أيام الحكم الروماني. ثم بعد انتصاب محاكم التفتيش في بلاد الأندلس هاجر الكثيرون منهم إلى المغرب لاجئين محتمين بالتسامح

الإسلامي. وهاجر آخرون إلى الشرق العربي وإلى القدس الشريف بالذات. ونظرا لأن الإسلام يوصي بمعاملة أهل الكتاب بالحسنى. فلقد فسحوا لهم المجال. وسمحوا لهم بالإقامة وحرية العبادة. مثل ما عاملوا النصارى سواء بسواء. وهكذا صاروا يشتغلون كبقية المواطنين. بل أسندت إليهم بعض الخدمات في المسجد الأقصى نفسه كعمل الاقداح والثريات والقناديل مقابل أن لاتؤخذ منهم جزية. وهكذا أثبت الحكم العربي والإسلامي أنه يحترم ذوي الديانات جميعهم. مراعيا ذمتهم. غير مفرق بين الأنبياء وبين مختلف أتباعهم . سواء من اليهود أو النصارى. بعكس ما وقع لهم مع الرومان الذين حرموا عليهم المدينة. وقضوا حتى على أمكنة عبادتهم.

إن المسلمين عندما دخلوا إلى بيت المقدس. كانوا واعين كل الوعي أنه مكان التقديس والتطهير والتبجيل. جاعلين نصب أعينهم الحديث الذي رواه الإمام السيوطي في الجامع الصغير عن زهير بن محمد بلاغا عن النبي صلى الله عليه وسلم : «ان الله تعالى بارك ما بين العريش والفرات. وخص فلسطين بالتقديس».

لقد كان المسلمون من مختلف أنحاء العالم الإسلامي يمرون أثناء قصدهم أداء فريضة الحج أو سنة العمرة بالقدس الشريف. حيث يهلون من المسجد الأقصى. مستجيبين للحديث الشريف الذي روته أم سلمة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله عليه وسلم : من أهل بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى غفر الله له ماتقدم من ذنبه. رواه أبو داود.

والمغاربة بدورهم كانوا يقصدون المسجد الأقصى أثناء ذهابهم إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج. بل ان الكثيرين منهم كانوا يقطنون ويجاورون بجانبه. حتى أصبح لهم حي من الأحياء لا زال يدعى حي المغاربة.

وإني آتي هنا بوصف لبيت المقدس والمسجد الأقصى كتبه الرحالة المغربي أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الحيحي الذي اغتنم فرصة ذهابه إلى الحج فزار عدة أقطار. كان من جملتها الديار الفلسطينية حررها الله وذلك ابتداء من سنة 688 هـ. قال العبدري :

ثم وصلنا إلى بيت المقدس. زاده الله تعظيما. وألحفه مبرة دائمة وتكريما. مسجد الأنبياء وقبلتنا قديما. ومطلع الأولياء يطلعهم عظيما فعظيما. أحد المساجد التي إليهاتعمل المطي. وتضاعف بها الحسنات لكل بر تقي. مصعد نبينا عليه السلام. إلى مستوى يسمع فيه صرير الأقلام. ومعراجه حين عسعس الظلام. إلى مناجاة الملك العلام. والقدس المقدس المنفى من الآثام. نجعة من راد وری من حام. خفق برقه فوفق من شام. وتدفق ودقه فأفرق ذو الهيام. لو نطق محتجا بفضيلته الشام. لأفحم به العراق أيما إفحام.

والبلد مدينة كبيرة منيعة محكمة كلها من صخر منحوت على نشز غليظ. مقطوع بجهات الأودية. وسورها مهدوم. هدمه الملك الظاهر خوفا من استيلاء الروم عليها. وامتناعهم بها. والخراب فيها فاش. وليس لها نهر ولا بستان. وحواليها تلال مشرفة عليها. وبها كنيسة معظمة عند النصارى. يحجونها في كل عام. وهي التي يزعمون أن فيها قبر عيسى عليه السلام إلخ...

وأما المسجد الأقصى. فهو من المساجد الرائقة العجيبة. المنشرحة الفسيحة وهو متسع جدا. طولا وعرضا. وذكر أبو عبيد البكري : ان طوله سبعمائة واثنان وخمسون ذراعا بالمالكي. وهو ثلاثة أشبار. وطوله من الجنوب إلى الشمال وعرضه أربعمائة وخمس وثلاثون. وهو من الشرق إلى الغرب. وله أبواب يدخل منه الإمام. وذكر بعض الناس أن عددها خمسون بابا. والمسجد كله فضاء غير

مسقف إلا الناحية الغربية. فهناك مسجد مسقف في نهاية الإحكام وإتقان العمل. وفيه تزويق كثير. وتذهيب رائع مليح إلى أن يقول :

وفي وسط فضاء المسجد. قبة الصخرة. وهي أعجب المباني الموضوعة في الأرض. وأتقنها وأغربها. قد نالت من كل حسن بديع أوفر حصة. وتلت من الإتقان ظاهره ونصه. وتجلت في جمالها الرائع كعروس حسنة جليت على منصة. قامت متبرجة على يفاع. تصرح وتلوح بالإعراب والإبداع. وتفصح بما يشرح عن فضيلة الصناع. حسنها الأول فاستحسنها الآخر وانعقد الإجماع. تنازع الكمال منها الظاهر والباطن. لما سلما معا من كل عائب وشائن. واجتمعت في كليهما أشتات المحاسن. إلى أن يقول :

وصفتها انها قبة مثمنة على نشز في وسط المسجد. ويطلع إليها في درج من رخام وقد أحاط بها ولها أربعة أبواب. والدائر مفروش بالرخام المحكم الصنعة. وداخلها كذلك. وفي ظاهرها وباطنها من أنواع التزويق ما يقصر عنه الوصف. واما الذهب. فما رأيته مبتذلا في شيء كابتذاله في هذه القبة. حتى لقد غشى به أكثرها ظاهرا وباطنا. فهي تتلألأ ساطعة الأنوار. كلمعان برق أو اشتعال نار. إلى آخر الوصف الدقيق للمسجد.

إن فلسطين والقدس بلاد عربية إسلامية. سكانها الأولون هم الكنعانيون وهم عرب أقحاح وحكامها بعد الفتح الإسلامي هم العرب المسلمون. فإذا ما أدعى الصهاينة أن فلسطين بلدهم فهم كاذبون. وإذا ما قرروا أن يجعلوا من القدس عاصمة أبدية لهم. فعلى المسلمين جميعا واجب تحريرها منهم.

لقد اعتدى الصهاينة على أرض فلسطين وغصبوها من أصحابها الشرعيين فعلى المسلمين أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم وجميع ما يملكون لافتكاكها. إن ارتباط المسلمين بالقدس والأقصى ارتباط أبدي. وأن تحريرها واجب عيني على كل واحد منهم. ان الجهاد لتحرير القدس واجب مقدس. وان المرابطين فيها. المدافعين عنها مضمون لهم النصر إن شاء الله. فلقد روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين. لعدوهم قاهرين. لا يضرهم من خالفهم. ولا ملل أصابهم من اللأواء. حين ياتيهم أمر الله وهم كذلك. قالوا يارسول الله ! وأين هم ؟ قال : ببيت المقدس. وأكناف بيت المقدس.

أبو بكر القادري

أسرىٰ إليك محمدٌ وعلى خطاهُ جميعنا نمضي صفوفا
لبيك من كل البنادق والخنادق فالرجالُ عزائمٌ أبت الوقوفا
ومئاتُنا بدمائها تروي ثراك فينبتُ السهلَ الألوفا
لبيك يا قُدسُ السلام سلامُنا بسلاحنا سيظلّ نشوانًا شغوفا

القدس الشريف وفلسطين في كتب الرحالين المغاربة

للأستاذ محمد ابراهيم الكتاني
عضو أكاديمية المملكة المغربية

يحرص بعض الحجاج المغاربة على أن يزوروا المسجد الأقصى وما به من آثار الأنبياء والصالحين ويصلوا في هذه المواطن المباركة، ويتوجهوا إلى الله بالدعاء والاستغفار في هذه المشاهد التي يرجى من الله قبول الدعاء فيها. ويعبر الذين كتبوا رحلاتهم عن شعورهم الروحي وعواطفهم النبيلة نحو هذه البلاد وأهلها، والسعادة التي تغمر جوانحهم وهم يعيشون في مسرى الرسول وقبلته الأولى وبين آثار إبراهيم واسماعيل ويعقوب ويوسف وعيسى وغيرهم من الأنبياء والمرسلين ويحسون إحساسا عميقا بوحدة الدين الإلهي التي ينفرد بالاحساس بها المسلمون الذين لا يفرقون بين أحد من رسل الله، بخلاف اليهود الذين لايدعون الايمان إلا برسلهم، والنصارى الذين كفروا بقولهم ان الله هو المسيح ابن مريم، وهم جميعا ينكرون نبوة خاتم أنبيـاء الله والذي نسخ الله به ماسبقه من أديان الاهية، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

ويمتزج عند الزائر المسلم للقدس الشريف الشعور الديني الغامر، بالمتعة الحضرية الساحرة في الآثار المعمارية الزاخرة بالفنون التشكيلية المختلفة الأشكال، المتنوعة الألوان، والتي تبلغ قمتها في معجزة العمارة البشرية في مختلف الحضارات (قبة الصخرة) المعظمة، التي يتفنن كل واحد في إبداء اعجابه بما اشتملت عليه من زخرفة وإبداع فني رائع ثم يختم بالقول أن التعابير مهما بلغت من الدقة والاتقان، لا تستطيع التعبير عن حقيقة ما هي عليه في الواقع من جمال وإبداع.

ويحرص الزائرون على لقاء أهل العلم والفضل والأخذ عنهم والتماس الدعاء الصالح منهم. ولا يغفل أحد منهم عن التنويه بسمو اخلاق أهل بيت المقدس خصوصا، وبقية الفلسطينيين والشاميين عموما - بدوا وحضرا - والإشادة بكريم سجاياهم وقد يزيد بعضهم المقابلة بينهم وبين بعض سكان المنطقة الذين هم حسب تجربة الكاتب على النقيض من ذلك.
وسنستعرض هنا أقوال اثني عشر من الرحالين المغاربة على امتداد ألف سنة وهم :

(1) القاضي أبو بكر ابن العربي المعافري في القرن 5 هـ وقد عاش في القدس الشريف ثلاث سنوات طالبا العلم / (2) ابن جبير، وقد زار القدس مرتين : 585 / 611 وحال احتلال الصليبيين لها بينه وبين زيارتها أول مرة 578 / (3) العبدري سنـــة 690 / (4) ابن بطوطة 725 / (5) خالد البلوي 736، 738 / (6) ابن خلدون 802 / (7) أبو العباس المقري 1029، 1037 / (8) أبو سالم العياشي 1074 - (9) العامري 1152 / (10) ابن عثمان المكناسي 1202 / (11) الزياني 1209 / (12) أحمد الهواري 1353.

ومع أن أغلبية هذه المصادر مطبوع، فإن صعوبة اطلاع عموم القراء عليها - مجتمعة - تسمح بالعودة إليها هنا.

شهادة رحالة (مقدسي) زار المغرب في القرن الرابع الهجري :

ونقدم قبل هذا العرض ما قاله الرحالة المقدسي محمد بن أحمد ابن البناء، المعروف بالبشاري في (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) الذي فرغ من تأليفه سنة 375 هـ والذي اعتمد فيه بالدرجة الأولى على مشاهداته في الأقاليم التي زارها.

فقد ذكر عند كلامه على (اقليم المغرب) : انه قل من لايزور بيت المقدس منهم، (أي المغاربة) ص 243 طبعة بريل بليدن 1906م.

1) ابن العربي المعافري :

فالقاضي أبو بكر ابن العربي المعافري الاشبيلي دفين مدينة فاس الذي زار الأرض المقدسة فلسطين أواخر القرن الخامس الهجري - وهو واضع أسس أدب الرحلات في الأدب العربي بالمغرب - يركز في حديثه عن مدينة بيت المقدس في رسالته (قانون التاويل) على الناحية العلمية بوجه خاص.

فيذكر انه حين صلى بالمسجد الأقصى، فاتحة دخوله بيت المقدس، عمد إلى مدرسة الشافعية فألفى بها جماعة علمائهم يتناظرون، فقرر الإقامة بها لطلب العلم، وقال لأبيه : ان كانت لك نية في الحج فامض لعزمك فإني لست برائم عن هذه البلدة حتى أعلم علم من فيها...

وذهب مع أبيه إلى العلامة المغربي الإمام أبي بكر الطرطوش الفهري قال : فشاهدت هديه وسمعت كلامه، فامتلأت عيني وأذني منه، وأعلمه أبي بنيتي فأناب، وطالعه بعزيمتي فأجاب، وانفتح لي إلى العلم كل باب، ونفعني الله به في العلم والعمل، وتيسر لي على يديـــه أعظم الامل.

فاتخذت بيت المقدس مباءة، والتزمت فيه القراءة... وخصوصا بقبة السلسلة، منه تطلع الشمس لي على الطور، وتغرب على محراب داود فيخلفها البدر طالعا وغاربا على الموضعين الكريمين وأدخل إلى مدارس الحنفية والشافعية في كل يوم لحضور التناظور بين الطوائف.

وهكذا يتمتع ابن العربي في وقت واحد بقدسية المكان، وجمال الطبيعة، ومتعة طلب العلم ـ قال : وكنا نفاوض ، الكرامية، والمعتزلة، والمشبهة، واليهود، وخاصمنا النصارى...

وذكر حضوره مجلس مناظرة بين المسلمين والنصارى واليهود برياسة الإمام الطرطوشي، وقد بدأ المناظرة أحد كبار أحبار اليهود فقال ، اتفقنا جميعا ـ مسلمين ونصارى ويهودا على نبوة موسى فمن ادعى نبوءة شخص آخر بعده فعليه أن يقيم الدليل على دعواه، فأجابه أبو بكر الطرطوشي : ان كان موسى الذي تتحدث عنه هو موسى الذي بشر بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فنحن نومن به، وان كنت تتحدث عن موسى آخر فنحن لانعرفه ؟ قال ابن العربي ، فأفحم اليهودي، ولم يجد جوابا.

وقال ، ولم نزل على تلك السجية حتى أطلعت بفضل الله على العلوم الثلاثة : علم الكلام، وأصول الفقه، ومسائل الخلاف، التي هي عمدة الدين، والطريق المهيع إلى التدريب في معرفة احكام المكلفين، الحاوية للمسألة والدليل، والجامعة للتفريع والتعليل وذكر إقباله على مطالعة كتب التفسير والحديث والكـلام، للمؤالفيـــن والمخالفين، وبعضها مما كان وقفا في كتب الصخرة المقدسة.

وفي أثناء ذلك ورد عليهم برسم زيارة الخليل صلوات الله عليه، وبنية الصلاة في المسجد الأقصى جماعة من علماء خراسان... فلما سمع كلامهم رأى أنها درجة عالية، ومزية ثانية، وبزمن المعارف أغلى، ومنزلة في العلوم أعلى.

ولم يغادر ابن العربي بيت المقدس إلا بعد ما أقام بها ثلاث سنوات.

الصخرة المقدسة :

وتحدث في كتاب القبس في شرح موطإ مالك بن أنس عن صخرة بيت المقدس فذكر انها ، (من عجائب الله في أرضه، في وسط المسجد الأقصى قد انقطعت من كل جهة، لا يمسكها إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه.

في أعلاها من جهة الجوف قدم النبي حين ركب البراق، وقد مالت من تلك الجهة بهيبته، ومن الجهة الأخرى أثر أصابع الملائكة التي أمسكتها إذ مالت.

ومن تحتها الغار الذي انفصلت به من كل جهة، عليه باب يفتح للناس للصلاة والاعتكاف والدعاء، تهيبتها (مرة ان أدخل تحتها) لأني كنت أقول ، أخاف أن تسقط علي بالذنوب، ثم رأيت الظلمة والمجاهرين بالمعاصي يدخلونها ثم يخرجون منها سالمين، فهممت بدخولها، ثم

قلت : ولعلهم امهلوا وأعاجل. ثم عزم علي فدخلت فرأيت العجب العجاب ، تمشي في حواشيها من كل جهة. فتراها منفصلة عن الأرض لا يتصل بها من الأرض شيء، وبعض الجهات أبعد من بعض).

القنوت بالدعاء على الصليبيين :

وذكر في (الناسخ والمنسوخ) انه : (عندما كان في الثغر المحروس - الاسكندرية - في طريق العودة إلى بلاده، زحف العدو إلى المسجد الأقصى قال ، فكنت بعد الركوع أقنت جهرا، وأدعو للمسلمين وعلى الكفار. كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل).

وهذان النصان - عن (القبس) والناسخ والمنسوخ - ينشران لأول مرة.

إلـــى عسقـــلان

وقبل أن يغادر أبو بكر ابن العربي المعافري أرض فلسطين إلى دمشق وبغداد خرج متساحلا إلى عسقلان. قال :

فالفيت بها بحر أدب يعب عبابه، ويغب ميزابـه. فأقمت بها - لا أرتوي نحوا من ستةأشهر.

علماء مصر على عهده :

وكان أبو بكر بن العربي، قبل أن يصل إلى (الأرض المقدسة) قد مر بمصر - وكانت إذ ذاك تحت حكم الشيعة الفاطميين الإسماعيليين. وأبو بكر بن العربي، السني الأشعري المالكي المحدث من أعداء الشيعة كما لا يخفى. فذكر أنهم (ألفوا بمصر جماعة من المحدثين. والفقهاء والمتكلمين. والسلطان عليهم جري وهم من الخمول في سرب خفي، ومن هجران الخلق بحيث لا يرشد إليهم جري، ولا ينبسون من العلم ببنت شفة، ولا ينتسب أحد منهم في فن إلى معرفته).

2) ابـن جبيـــر :

وفي سنة 578 هـ سافر للحج. محمد بن أحمد ابن جبير الكناني، البلنسي، الغرناطي المالقي السبتي الفاسي.

وكان ابن جبير فقيها، محدثا صوفيا شاعرا فائقا، ناثرا مبدعا، مدرسا مؤلفا رحالة.

وقال معبرا عن أمله من رحلته ،

طال شوقي إلى بقاع ثـــلاث
لا تشد الرحال إلا إليهـــا
ان للنفس في سمـاء الأمانـي
طائرا لا يحـوم إلا عليهـا
قص منه الجناح فهو مهيــض
كل يوم يرجو الوقوع عليهـا

وحج، وزار، ولكنه لم يتمكن من زيارة بيت المقدس لأنه كان في أيدي الصليبيين.

وقد قال في (الرحلة) عندما ورد ذكره عرضا :

والله يعيده إلى أيدي المسلمين. ويطهره من أيدي المشركين بعزته وقدرته) (ص 310 ط ليدن))1907).

وفي وصف حجته الأولى هذه ألف رحلته المشهورة التي أجمع القدماء والمحدثون على الإشادة بها.

وقال عنها كراتشكوفسكي، في تاريخ الادب الجغرافي العربي : انها تعتبر من الناحية الفنية ذروة ما بلغه نمط الرحلة في الادب العربي ج 1 ص 301 الترجمة العربية).

ولما شاع الخبر المبهج بتحرير بيت المقدس على يد السلطان الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب، قوي

عزمه على الرحلة للشرق مرة ثانية فسافر في ربيع الأول سنة خمس وثمانين وخمسمائة فزار بيت المقدس وجاور به. وحج وزار. وجاور بمكة. وقال في مدح الملك الناصر والتنويه بتحريره-لبيت المقدس قصيدته الرائعة التي عبر فيها عن تقدير المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لعمل صلاح الدين العظيم ،

أطلت على أفقك الزاهـــــر
سعـود مـن الفلـك الدائـر
فابشـر فـإن رقـاب العــدى
تمـد إلـى سيفـك الباتـر
وعما قليل يحل الـــردى
بكندهـم الناكـث الغــادر
وخصب الورى يوم تسقى الثرى
سحائب من دمها الهامــــر
فكـم لـك من فتكة فيهـم
حكت فتكة الاســد الخــادر
وغيرت ءاثارهــم كلهـــــا
فليس لها الدهر من جابـــر
وأمضيـت جـدك فـي غزوهـم
فتعـــا لجدهـــم العاثــــر
فأدبــر ملكهــم بالشــآم
وولــى كامهــم الدابـــر
جنـــودك بالرعــب منصــورة
فناجـز متـى شئـت أو صابر
فكلهـم غـارق هالـــــك
بتيـار عسكـرك الزاخـــر
ثـأرت لديـن الهدى فـي العدى
فآثـرك اللـه مـن ثائـــــر
وقمـت بنصـر الـــه الورى
فسمـاك بالملـك الناصــر
وجاهـدت مجتهــدا صابـرا
فللـه درك مـــن صابـــر
تبيـت الملـوك على فرشهـا
وترفـل فـي الـزرد السابـر
وتوثـر جاهـد عيـش الجهـاد
علـى طيـب عيشهـم الناضـر
وتـهـر جفنـك فـي حق مـن
سيرضيـك في جفنـك الساهـر
فتحت المقدس من أرضـه
فعادت إلى وصفها الطاهـر
وجئت إلى قدسـه المرتضى
فخلصته من يـد الكافـر
وأعليـت فيـه منار الهدى
وأحييت من رمسه الداثـر
لكم ذخر الله هذى الفتــو
ح من الزمن الأول الغابـر
وخصـك من بعد ما زرتـه
بها لاصطناعك فـي الآخـر
محبتكم القيت في النفـ
وس بذكر لكم في الورى طائـر
فكم لهم عند ذكر الملـ
وك بمثلك من مثل سائـر
... فكم لك بالشرق من حامد
وكم لك بالغرب من شاكـر
... وحبك انطقني بالقريض
وما ابتغي صلة الشاعــر
ولا كان فيما مضى مكسبـي
وبيس البضاعة للتاجــــر
إذا الشعر صار شعار الفتــى
فناهيـك مـن لقـب شاهـر

بسم الله الرحمن الرحيم   صلى الله على سيدنا محمد



المتفضل على خلقه بفتح ابواب الرحمة. الحمد لله الذي جعل الملة الحنيفية
تتزايد في الخير والنعمة الذي هدى لمن اختاره لنصرة دينه اسباب علو الهمة، وانعم
على عبده لما سكن البيت المقدس بما خصه من الاقامة به وكشف عنهم الغمة. احمده
سبحانه على ما من به علينا من المجاورة للمسجد الاقصى واشكره على منته التي كثرت
فلا تحصى ولا تستقصى. واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الفعال لما يريد واشهد
ان محمدا عبده ورسوله الذي نصر به دينه وقمع به كل جبار عنيد صلى الله عليه
وعلى آله الذين اذهب عنهم الرجس. وصحبه واتباعهم الذين من بعده وقاموا بنصرته
اعظم قيام صلاة وسلاما دائمين الى يوم نلقاه ان شاء الله بدار السلام. اما بعد
فهذا مختصر استخرت الله في جمعه وسألته المعونة في ترتيب وضعه يتضمن تاريخ البيت
المقدس الذي هو على التقوى مؤسس، وقصة السيد الجليل ابراهيم الخليل
وابنائه السادات الكرام وغيرهم من الانبياء عليهم السلام. عزمت ان اجمعه من
الكتب المعتبرة واميز ما نقلته من قواعد المؤرخين، واذكر ما يتعلق ببيت
المقدس من ابتداء امره وبنائه وما وقع من اخباره وانبيائه من لدن بنائه آدم عليه
السلام الى عصرنا هذا وهو اواخر عام تسعمائة من هجرة النبي المصطفى عليه
واضيف الى ذلك نبذة من الحوادث والاخبار وتراجم الاعيان على وجه الاختصار

وان كان نظمي له نـــــادرا

فقد قيل لا حكم للنـــــــادر

ولكنهـا خطـرات الهـــوى

تعـن فتلعـب بالخاطـــــر

واما وقد زار تلـك العلـــــى

فقـد فـاز بالشـرف الـ.ـــر

وان كان منك قبول لــــــه

فتلـك الكرامـــــة للزائـــر

ويكفيه (مثلك) من سامـع

ويكفيه لحظك من ناظـــــر

ويزهى على الروض غب الحيـا

بما حاز من ذكرك العاطـــــر

ﻫ ﻫ ﻫ

وفي شعبان 587 عاد ابن جبير إلى غرناطة، ثم مالقة ثم سبتة، ثم فاس، منقطعا إلى اسماع الحديث والتصوف وترووية ماعنده.

ثم رحل للمرة الثالثة من سبتة 611 فوصل مكة وجاور بها طويلا، **ثم بيت المقدس**، ومن سوء الحظ انه لم يسجل - فيما بلغنا - ارتساماته عن بيت المقدس، بعد أن جاور بها مرتين.

وغير صحيح ما جاء في ترجمته بدائرة المعـارف الإسلامية ج 1 ص 116 (الترجمة العربية) من انه لم يتجاوز الاسكندرية في رحلته الثالثة.

وفي شعبان 614 أدركه أجله بالأسكندرية، رحمه الله رحمة واسعة.

3) **العبدري** :

أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري الحيحي

في عودته من الحج، (690) مر بفلسطين، فزار مدينة الخليل التي قال عنها :

(المحل الانيس، والمعهد الذي يتخير فيه مقيل وتعريس، والمنزل الذي حكم له القدر بالسعادة حين التأسيس، مثوى لكل خاشع ومنيب، ومستقر كل خائف حذر من التأنيب، ومناخ كل مشتاق يحن حنين النيب حرم الخليل عليه السلام، وهي قرية مليحة المنظر والمخبر، أنيقة المسموع والمبصر، مشرقة كالصبح إذا أسفر، موضوعة ببطن واد قليل الماء والشجر، والمحيط بها حرار وعرة.. والمسجد بنيته أنيقة من المباني القديمة الوثيقة، عالية البناء محكمة العمل، من صخور منحوتة في نهاية العظم، منها صخرة في الركن... يتعجب الناس منها....

(وفي داخل المسجد قبر الخليل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، وتقابلها من ناحية يسار القبلة ثلاثة أخرى وهي قبور أزواجهم، وكان في غربي المسجد قبر يوسف عليه السلام، دفن هناك حين نقل من مصر بوصيته، والآن قد زيد في المسجد حتى رجع قبره في داخله.

(وعن يمين المنبر لاصقا بجدار القبلة نفق يهبط منه على درج من رخام متقنة العمل إلى مسلك ضيق...

(وقد نزلت إليه وتأملته مرارا... ودعوت الله فيه سرا وجهارا، والحمد لله على حسن عونه).

ثم أورد شيئا من كتاب (المسفر للقلوب، عن صحة قبر ابراهيم الخليل وإسحاق ويعقوب) تأليف علي ابن جعفر الرازي، نقله من خط الفقيه القاضي المحدث الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مفرج الأندلسي (ص 223 - 226).

وزار تربة لوط عليه السلام (وبمقربة منها مسجد اليقين، وهو على تل مرتفع نزه له زيادة رونق وفرط اشراق، وفي المسجد قريبا من الباب موضع منخفض في حجر صلد، ويقال أن إبراهيم لما أيقن عليه السلام بهلاك قوم لوط خر لله تعالى ساجدا، فجعل مركعا تبركا به،

وبالقرب من المسجد مغارة قبر يزار ويتبرك به وهو قبر فاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهم).

وبعد ما أقاموا بحرم الخليل عليه السلام خمسة أيام، وصلوا فيه الجمعة، سافروا إلى بيت المقدس، وزاروا في الطريق قبر يونس عليه السلام، ومروا ببيت لحم فلم يقض لهم دخوله، وهو مولد عيسى عليه السلام.

بيت القدس :

قال العبدري ، (ثم وصلنا إلى بيت المقدس زاده الله تعظيما، وألحفه مبرة وتكريما، مسجد الأنبياء وقبلتنا قديما، ومطلع الأولياء يطلعهم عظيما فعظيما، أحد المساجد التي إليها تعمل المطي وتضاعف بها الحسنات لكل برتقي - مصعد نبينا عليه السلام إلى مستوى يسمع فيه صرير الأقلام ومعراجه حين عسعس الظلام، إلى مناجاة الملك العلام، والقدس المقدس المنفي من الآثام، نجعة من رادوري من حام، خفق برقه فوق من شام وتدفق ودقه فافرق ذو الهيام، لو نطق محتجا بفضيلته الشام، لافحم به العراق أي افحام)، ثم تحدث عن المدينة، وذكر الكنيسة التي يزعم النصارى أن بها قبر عيسى عليه السلام، وان بالمدينة رباطين متقاربين في غاية الاتقان، وفي كليهما رزق جار للمنقطعين وأبناء السبيل.

والكنيسة التي يقال أن بها قبر مريم، والتي يقال أن بها مصعد عيسى، وقبر رابعة البدوية، بالباء.

واما المسجد المقدس :

(فهو من المساجد الرائقة العجيبة المنشرحة الفسيحة، وهو متسع جدا، طولا وعرضا...

والمسجد كله فضاء غير مسقف إلا الناحية الغربية فهنالك مسجد مسقف في نهاية الاحكام وإتقان العمل وفيه تزويق كثير، وتذهيب رائع مليح، وفي ناحية الشرق مواضع مسقفة.

(وهنا لك موضع مهد عيسى عليه السلام يقصد للركوع فيه والتبرك به.

(وفي وسط فضاء المسجد **قبة الصخرة** . وهي من أعجب المباني الموضوعة في الأرض وأتقنها وأغربها قد نالت من كل حسن بديع أوفر حصة، وتلت من الاتقان ظاهره ونصه، وتجلت في جمالها الرائع كعروس حسنة جليت على منصة قامت مشرفة متبرجة على يفاع، تصرح وتلوح بالاعراب والابداع، وتفصح بما يشرح عن فضيلة الصناع، حسنها الأول فاستحسنها الآخر وانعقد الاجماع، تنازع الكمال منها الظاهر والباطن، لما سلما معا من كل عائب وشائن، واجتمعت في كليهما المحاسن، فان ادلى الظاهر بحجته إلى حكم الطرف حكم له، وان أعرب الباطن عن فضائله قال له الطرف ، ما أكمله ! تناصف الحسن وتماثلت الأدلة، فليس إلا أن يقال في جواب المسألة ، أيهما جاء أولا عمل عمله.

وصفتها... (وفي ظاهرها وباطنها من أنواع التزويق ما يقصر عنه الوصف واما الذهب فما رأيته مبتذلا في شيء كابتذاله في هذه القبة حتى لقد غشي به أكثرها ظاهرا وباطنا، فهي تتلألأ ساطعة الأنوار، كلمعان برق واشتعال نار، وقد ذهب الأعلى من ظاهرها إلى حد التسقيف، والبس سقفها لين الرصاص المحكم الالصاق حتى صار جسدا واحدا.

(وأما باطنها فيكل عن وصفه اللسان، ويحار في حسنه إنسان الإنسان، تبهر النطاق (كذا، ولعلها الناظر)، أشعته الباهرة، وتستوقف الخاطر محاسنه الظاهرة، اسكرت العقول فصارت لها عقالا، وكلت الألسن فما وجدت مقالا، فاقت حسنا وكمالا . فقطعت لسان من يغمز، وراقت حلى واوصافا فاسرت فؤاد المتحرز، ان وعدت الاعجاب خيرا

فهي مشاهدة تنجز. أو افتخر مكان لتحدث من حسنها بالمعجز.

شرك العقول ونزهة ما مثلها

للناظرين وعقلة المستوفز

(وفي وسط القبة الصخرة التي جاء ذكرها في الآثار. وأنه عليه السلام عرج عنها إلى السماء).

وقد أورد العبدري قصيدة ابن جبير في مدح صلاح الدين الأيوبي وتهنئته بتحرير القدس الشريف ورواها بسنده إلى ناظمها. وبعد إقامته بالقدس خمسة أيام زار ثغر **عسقلان**.

(جبره الله. وهو خراب يباب لا أنيس به إلا اطالا مائلة. وءاثارا طامسة تؤثر في القلب تباريج الاسى. وتعيد المشرق من انسه حندسا. تحت المبصر على اعمال العبرة. واسبال الجفون بوابل العبرة...

وقلما رأيت من البلدان من جمع من المحاسن ماجمعت عسقلان - جبرها الله - صنعا واتقانا. ووضعا ومكانا وبرا وبحرا عامرا أو قفرا. لها على البحر طرف ممتد. وحكم ماض لا يرتد. ترنو إليهما من طرف. وتتلو عليها سور الشرف. وتزهو بتقلبها في الترف. في روضة جمة الأزهار والطرف.

(واما مبانيها فلو فاخرتها ارم لقيل انها نفخت في غير ضرم. أو حاسنتها بابل. لصاب عليها من مطر التعنيف وابل. وأسرع إليها ملام كالمعابل. لفتك لامين على نابل.

وبها مزارة رأس الحسين رضي الله عنه. وهو مسجد كبير مليح مرتفع... وفي قبلة هذه المزارة مسجد كبير مليح يعرف بمسجد عمر. وقد تهدم ولم يبق إلا حيطانه. وفيه من أساطين الرخام قائمة وموضوعة ماهو النهاية في الحين. وبه أسطوانة حمراء مليحة جدا...

(وفي قبلة المسجد بئر عظيمة متقنة العمل عجيبة الصفة. تعرف ببئر إبراهيم... ويحكى في فضائلها أشياء لا تقع الثقة بصحتها.

(وبظاهر عسقلان واد يعرف بواد النمل. ويقال انه المذكور في الكتاب العزيز... وفيه جبانة عسقلان وبها من قبور الأولياء والشهداء مالا يحصره عد. وأكثرها مسمى معروف. وقد وقفنا عليها...).

وكان دخولهم عسقلان وقت الظهر فصلوها بمسجد الحسين. ثم خرجوا قبل العصر إذ المقام بها غرر. والله ولي التوفيق. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم وصلوا إلى غزة حماها الله. (وهي آخر بلاد الشام مما يلي مصر. وغزة متسعة عامرة... وهي أكثر عمارة من كل ما تقدم ذكره من بلاد الشام... وبها أسواق قائمة ومساجد معمورة. ولها جامع مليح حسن).

4) ابن بطوطة :

غادر أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن بطوطة اللواتي الطنجي مسقط رأسه طنجة يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة وفي شعبان 26 وصل إلى مدينة **غزة** وهي أول بلاد الشام مما يلي مصر. ومنها سافر إلى مدينة **الخليل** صلى الله على نبينا وعليه وسلم تسليما وهي مدينة صغيرة الساحة كبيرة المقدار. مشرقة الأنوار. حسنة المنظر عجيبة المخبر. ومسجدها أنيق الصنعة. محكم العمل. بديع الحسن سامي الارتفاع. مبني بالصخر المنحوت.

وفي داخل المسجد الغار المكرم المقدس. فيه قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب. صلوات الله على نبينا وعليهم ونقل من كتاب (المسفر للقلوب. عن صحة قبر إبراهيم

وإسحاق ويعقوب) تأليف علي بن جعفر الرازي ما يدل على صحة نسبة هذه القبور ولا صحابها.

وبداخل هذا المسجد أيضا قبر يوسف عليه السلام.

وبشرقي حرم الخليل تربة لوط عليه السلام. وعلى قبره ابنية حسنة.

وبمقربة من تربة لوط مسجد اليقين. وهو على تل مرتفع، له نور واشراق ليس لسواه.

وفي المسجد بمقربة من بابه موضع منخفض في حجر صلد قد هيىء فيه صورة محراب لا يسع إلا مصليا واحدا ويقال أن إبراهيم سجد في ذلك الموضع شاكرا الله تعالى عند هلاك قوم لوط. وبالقرب من هذا المسجد مغارة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن علي عليهما السلام.

ثم سافر من هذه المدينة إلى **القدس** فزار في طريقه إليه **تربة يونس عليه السلام**. وعليها بنية كبيرة ومسجد. وزار أيضا **بيت لحم** موضع ميلاد عيسى عليه السلام. وعليه عمارة كثيرة والنصارى يعظمونه أشد التعظيم ويضيفون من نزل به.

ثم وصل إلى **بيت المقدس** شرفه الله. ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل ومصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما، ومعرجه إلى السماء. والبلدة كبيرة منيفة مبنية بالصخر المنحوت.

وقال عن المسجد المقدس : وهو من المساجد العجيبة الرائقة الفائقة الحسن. يقال انه ليس على الأرض مسجد أكبر منه... وله أبواب كثيرة...

والمسجد كله فضاء غير مسقف. إلا المسجد الأقصى فهو مسقف، في النهاية من احكام العمل واتقان الصنعة مموه بالذهب والاصنعة الرائقة. وفي المسجد مواضع سواه مسقفة.

وقال عن قبة الصخرة : وهي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلا. قد توفر حظها من المحاسن وأخذت من كل بديعة بطرف. وهي قائمة على نشز في وسط المسجد يصعد إليها في درج رخام ولها أربعة أبواب . والدائر بها مفروش بالرخام أيضا محكم الصنعة وكذلك داخلها. وفي ظاهرها من أنواع الزواقة ورائق الصنعة ما يعجز الواصف. وأكثر ذلك مغشى بالذهب. فهي تتلألأ نورا. وتلمع لمعان البرق يحار بصر متأملها في محاسنها. ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها.

وفي وسط القبة **الصخرة الكريمة** التي جاء ذكرها في الآثار. فإن النبي صلى الله عليه وسلم عرج منها إلى السماء.

ومن المشاهد المباركة التي ذكرها بالقدس الشريف :

بنية يقال انها مصعد عيسى عليه السلام إلى السماء.

وقبر رابعة البدوية. منسوبة إلى البادية.

وكنيسة يعظمها النصارى ويقولون ان قبر مريم عليها السلام بها.

وكنيسة أخرى معظمة يحجها النصارى. وهي التي يكذبون عليها ويعتقدون أن قبر عيسى عليه السلام بها. وهناك موضع مهد عيسى عليه السلام يتبرك به.

وممن ذكرهم من فضلاء القدس : مدرس المالكية وشيخ الخانقاه الكريمة أبو عبد الله محمد بن مثبت **الغرناطي** نزيل القدس. كما ذكر صحبته لتركي من تلامذة تاج الدين الرفاعي ولباسه منه خرقة التصوف ثم زار **عسقلان**، وهي خراب قد عاد رسوما طامسة. واطلالا دارسة. وقل بلد جمع من المحاسن ما جمعته عسقلان ارتفاعا وحسن وضع وأصالة مكان، وجمعا بين مرافق البر والبحر. وبها المشهد الشهير حيث كان رأس الحسين بن

علي عليه السلام قبل أن ينقل إلى القاهرة. وهو مسجد عظيم سامي العلو. وفي قبلة هذا المزار مسجد كبير يعرف بمسجد عمر لم يبق منه إلا حيطانه. وفيه اساطين رخام لا مثيل لها في الحسن. وهي ما بين قائم وحصيد.

وفي القبلة من هذا المسجد بئر تعرف ببئر إبراهيم عليه السلام... ويذكر الناس من فضائلها كثيرا. وبجبانة عسقلان من قبور الشهداء والأولياء. مالا يحصر لكثرته.

ثم سافر منها إلى مدينة **الرملة**. وهي فلسطين. مدينة كبيرة الخيرات. حسنة الأسواق. وبها الجامع الأبيض ويقال ان في قبلته ثلاثمائة من الأنبياء مدفونين عليهم السلام ثم خرج منها إلى **مدينة نابلس** وهي مدينة عظيمةكثيرة الأشجار. مطردة الأنهار من أكثر بلاد الشام زيتونا. وبها تصنع حلواء الخروب. وبها البطيخ المنسوب إليها.

والمسجد الجامع في نهاية من الاتقان والحسن.

وزار في اللاذقية قبر أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الأمة رضي الله عنه.

وزار في **القصير** قبر معاذ بن جبل رضي الله عنه.

وسافر إلى مدينة **عكة** وهي خراب. وبها قبر صالح عليه السلام وزار صور، وصيدا، وطبرية. بها مسجد الأنبياء. وفيه قبر شعيب عليه السلام. وبنته زوج موسى الكليم عليه السلام. وقبر سليمان عليه السلام. وقبر يهودا وقبر روبيل. صلوات الله وسلامه على نبينا وعليهم. وفي صحن مسجد صغير الجب الذي ألقي فيه يوسف عليه السلام.

5) **البلـوي :**

أبو البقاء خالد بن عيسى البلوي. ولد في قتورة وطلب العلم بغرناطة وفاس التي أخذ عن كثير من فقهائها.

ورحل للحج فيما بين 736 ـ 738 هـ ودخل مدينتي **الخليل والقدس الشريف** في كل من ذهابه وايابه.

ففي المرة الأولى تحدث عن جمال الطبيعة في مدينة الخليل وطيب هوائها وأزهارها وأطيارها ثم دخل المسجد الأعظم فرأى من حسنه عجبا ومن بنيانه ما شئت فضة وذهبا. وبعد ما أطال في ذلك انتقل إلى وصف المسجد فأطال ايضا. ثم قال : (وفي وسط المسجد الكريم التربة المقدسة تربة الخليل أبينا إبراهيم عيه السلام... وأمامه ضريح زوجه رضوان الله عليها وتجاه ذلك من الجانب الجوفي قبة أخرى عظيمة القدر . متناهية الاتقان. تحتها ضريح النبي يعقوب عليه السلام وأمامه زوجه رضي الله عنها. وتحتها طبقة وقبة النبي يوسف الصديق عليه السلام... والله سبحانه وتعالى أعلم بصحة ذلك كله) (ص 241).

ثم ذكر من أخذ عنهم من علماء الحرم الخليلي الشريف (ص 242 ـ 245).

وقال عن مدينة بيت المقدس كلاها الله تعالى : (هي بلدة الافق المنير ونجمه. والنجم الذي لا تمتطي صهواته. وصلناها في سن الاكتهال. وأيدينا ممتدة بالشكر لله تعالى والابتهال. فوافينا مدينة واسعة الرقعة. طيبة البقعة. سامية الارتفاع. مشرقة البقاع. مباركة الأغوار والتلاع... قد أخذت من كل المحاسن نصيبا. وفوقت إلى هدف الفضائل سهما مصيبا...)

(ثم قصدت الحرم الشريف. والمسجد العظيم المنيف. الذي بارك الله حوله وعرفت كل أمة فضله. المسجد الأقصى. موضع المعراج والاسرا. وكفى بهذا شرفا وفخرا. فرأيت بقعة لها نور. وفضل مأثور. وشرف معلوم مذكور. ومسجد (كذا) له حرمات. ومقام (كذا) تخطر فيه خطرات. وتعرض مقامات. ومحل (كذا) تفيض عليه بركات.

وتستجاب فيه دعوات. ومكان (كذا) يمكن فيه الالتفات. وتقصر عنه الصفات. وتكل في تصنيف محاسنه الياءات والالفات. قد جمع شرف المقدار. إلى طيب التربة وفضيلة الدار. وشهرت مفاخره. فأي البقاع تفاخره ؟...

وهذا المسجد الشريف هو أعظم مساجد الدنيا). ثم ذكر طوله وعرضه وسواريه وأبوابه وسوره. (وفي الجهة القبلية المسجد الأعظم الحافل الذي عليه اليوم اسم المسجد الأقصى. فيه الخطبة والجمعة والمنبر الذي جمع فيه من كل إبداع عجيب. واختراع غريب. والمقاصر التي لانظير لها ، غرابة صنعة وجودة إنشاء. والسواري المفضضة الملونة من ألوان شتى... كلها مطلية الرؤوس بالذهب الذائب. والتبر الخالص. وقد قامت بين يد المحراب منتظمة به. عظيمة جليلة. منقسمة على أفنان. معقودة بأقواس محنية

متراكبة مدخلة على ألوان شتى وتصنيف غريب. وقد رونق الحسن استمامها. واستوفت من حظوظ البراعة أقسامها لها منظر رائع. ورواء لامع. فتراها تشتعل ذهبا. وتستقل عجبا. فيها تواريخ مكتوبة بالذهب في أرض فيروزية. وفي أرض حمراء زنجفورية. بأعلى المحراب مكتوب بالذهب... وبشرقي هذا المسجد متصلا به وداخلا فيه المسجد المبارك الذي بناه أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبجوفه تربيعة خلفها محراب زكرياء. عليه السلام.... وبخارج المسجد الأعظم من ناحية المشرق مسجد بقبتين يعرف بمسجد عيسى. وفي شرقيه باب له مدارج كثيرة تفضي تحت الأرض إلى موضع كبير حسي كمسجد فيه مهد مصور من الحجر الصلد يذكر انه مهد عيسى عليه السلام. وبغربيه مسجد حسن للمالكية يسمى بمسجد المغاربة...

(وفي وسط هذا الصحن الاخير المرتفع القبة العظيمة القدر. الكبيرة الخطر. التي كأن محاسن الدنيا مجموعة فيها. ومحصورة في نواحيها فهي من أعاجب الدهر. وأحسن ما يرى بالبصر. ويتخيل في الفكر. **(قبة الصخرة الكريمة)** وهي مصنوعة من قبة مثمنة الحائط والأركان من داخلها وخارجها. مستوية السقف. اعلاها ذهب مضروب في صنائع عجيبة. وجوانبها كلها من داخلها ملبسة بألواح الرخام المنثور الملصق إلصاقا محكما. مخططا بالخطوط الكحل. تخطيط القدرة الربانية فجاء منها خواتم عجيبة وطوالع مختلفة الصناعة غريبة.

(وفي وسط هذه القبة المثمنة المستوية السقف قبة أخرى وقد بعد في السماء مرتقاها. حتى تساوى ثراها مع ثرياها. وجاوزت الجوزاء سمتا. وعزلت السماك الاعزل سمكا. وارتقت في الهوى. وأسرت إلى السماء النجوي. وانتهت في الحسن الغاية القصوى. فكأنها صورت جنة الخلد. وأشربت حبة القلب. واوسعت قرة العين. ونقشت في عرض الأرض. وأبرزت في الابريز الخالص المحض. قد اتفق الذكر فيها. وضرب المثل بتناهيها وبلغ الخاصة والعامة خبرها. وبعد فيهم صيتها. وارتفع ذكرها. وعظم خطرها. وتوافى الناس إليها من البعد والقرب. والشرق والغرب. متاملين لها. متعجبين من مونق مرءاها. ورونق سناها والتقى رجال برجال قد دخلوا البلدان. واستبدلوا الأوطان. وجالوا في الأمصار. وجابوا في الأقطار. فأقسم كل منهم بجهد قسمه : انه ما رأى لتمام محاسنها تماما. ولا بأنق ما انتظمته مطالعها انتظاما. ولا بعجيب ما تضمنه ايواؤها. ومنحته أفناؤها. في النقوش السرية. والصنائع السنية. التي لايبلغها نقوش أهل الهند. ولا تنتهيها نمنمة أهل الصين (ولا) تدركها رقوم أهل رها. ولا تساميها دباج تستر ولا يقارن بها وشي صنعاء. ولو لم يكن لها إلا السطح الممدد المشرف على الصحن الكبير. والقبة. وعجائب ما تضمنته من اتقان الصنعة. وفخامة الهمة. وحسن لمستشرق. (كذا) وبراعة الملبس والحلة. مابين مرمر

مسنون، وذهب موضون، وعمد كأنها أفرغت في القوالب، أو أعيرت ملمس النضارالدلامس . ونقوش كقطع الحياض وتشجير كالفات الرياض. يتسنم بين ذلك كله انه سنام الدنيا. سلسل برود يفرغ أمامه من تماثيل عجيبة الأشخاص في خوابي رخام تهد الجبال ضخما، ولا تهتدي إلا وهام إلى سبيل الإلغاء بها...

وتحت هذه القبة العجيبة الصخرة الشريفة التي هي كالجبل الراسي والطود العظيم معلقة وسط الفضاء بين الأرض والسماء، لاصعودا ولا نزولا، إنما يمسكها الذي يمسك السموات والارض أن تزولا.

وقد انصنع بهذه الصخرة الشريفة والبنيان الدائر بها نوع مغارة كبيرة تفضي إليها ادراج جملتها خمسة عشر درجا، وفيها سطح مفروش بالرخام المجزع المختلف اللون، البديع الصنعة. وهو موضع مبارك للصلاة. وفي الطرف القبلي من الصخرة الشريفة أثر قدم النبي صلى الله عليه وسلم، يتبرك به الناس ويمرغون خذودهم فيه.

وقد طاف بالصخرة الشريفة شباك من العود وبعده شباك آخر من الحديد، ثلاثة (كذا) أبواب وبين الشباكين فضاء واسع للصلاة.

وللقبة المثمنة أربعة أبواب...

وأمام باب الجنة المذكور قبة تغشي النواظر بشعاعها، وتخطف الأبصار بالتماعها، تسمى قبة السلسلة، التي كان يحكم بها داود عليه السلام، وهي قبة عجيبة...

وفي الركن الغربي من هذا الصحن المرتفع المذكور مسجد فيه قبتان منتظمتان عجيبتان...

وفي الجهة الغربية ثلاث صوامع...

وفي الجهة الغربية والجوفية قباب مختلفة تركت وصفها اختصارا، منها قبة الركن المشرقي الحافلة ،قبة المعراج، وقبة الميزان الرخامية، وقبة موسى البديعة، وقبة سليمان الرائعة.

وفي كل مسجد من تلك المساجد، ومدرسة من تلك المدارس وقبة من تلك القباب، امام عاكف به قائم عليه.

ولقد عددت مواضع الاشفاع وصلاة التراويح بها في شهر رمضان المعظم، فالفيتها نحو الأربعين موضعا.

وفي الجهة الغربية من الصحن الكبير المثمن مدرسة عجيبة غريبة الشكل غزيرة المياه، حافلة الصنعة بابها ملاصق لباب الحرم... ويسكنها الصوفية، وقدحف بها من الرسوم المذهبة العجيبة، والخطب الأدبية الغريبة...

ثم تحدث عن جبل الطور، وهو بشرقي هذا الحرم العظيم...

وفيه مسجد يقصده الناس تبركا، وقبة البدوية وقبة مريم عليها السلام.

وفي هذه المدينة بقاع طاهرة، عليها بركات ظاهرة وبها قبور الأنبياء صلوات الله عليهم وآثارهم نفع الله بالقصد والنية في زيارتها برحمته.

قال : وما هذا الذي ذكرت من وصف تلك المشاهد الشريفة الذكر، والمساجد العظيمة القدر، والمعاهد الكريمة الفخر، إلا كالنقطة الواقعة في البحر، والدرة الساقطة في القفر، والشرارة من الجمر.

ولما لاحت نيرات هذه الأنوار، وفاحت نسيمات تلك الأسحار، وشاهدت احد المساجد الثلاثة التي لاتشد إلا إليها الرحال، وعاينت الحرم الشريف حقيقة قد احلني لديه الارتحال، واخترت مجاورته، وءاثرت ملازمته وقلت : أين اذهب عن موطن مهبط الرحمة، وموضع محشر الأمة، ومحل تفرج (فيه) الكربة والغمة.

ثم أورد البلوي أحاديث نبوية في فضل مدينة القدس والمسجد الأقصى متصلة الأسانيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم قال : (ولو تتبعت الأحاديث المأثورة والأخبار المشهور. لاملأت (كذا) وملأت ورويت ورويت.هذا - إلى ماأطلعه الله في ذلك الأفق المنير من بدور العلماء. وامتع من صدور الأولياء الذين وردوا على طاهر تلك البقاع. وقصدوا إلى العبادة فيها والانقطاع. فسن الله إلى البغية. ولقيتهم أجمعين. ورويت عنهم. ولما كثر علي تعدادهم. وقل علي نظراؤهم وأندادهم. انتقيت منهم ها هنا خمسة يتبرك بذكرهم وتعطر الأندية بشكرهم. وهم : زين الدين عبد الرحيم ابن جماعة.

لقيه بالمسجد الأقصى وأدخله إلى منزله وأكرمه. وجرى بينهما حوار ادبي حضاري ممتاز. واخذ عنه وسمع منه واجازه.

وصلاح الدين خليل بن كيكلدي. حضر مجالس تدريسه. ومما سمع جميعه من لفظه بالمسجد الأقصى الشريف وحدثه به بسنده المكتتب بخطه في إجازته له. كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض المغربي السبتي دفين مراكش.

وانشده. ومن خطه نقل. من شعر شيخه شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي كاتب السلطان بدمشق. كل فريدة غيداء وحديقة غناء. قال البلوي : (وأنا أول من جلب شعر شهاب الدين هذا فأدخله بلاد المغرب).

والثالث علي بن أيوب بن المنصور المقدسي.

سمع عليه بمجلسه من المسجد الأقصى الشريف جميع الصحيحين و... وجميع قصيدتيه الرائعتين اللتين نظمهما في فضائل المسجد الأقصى شرفه الله تعالى.

ورابعهم محمد بن علي الخولاني الأندلسي.

وكثيرا ما كان يحضر مجالسه العلية. وفوائده العلمية. ودوله الفقهية والنحوية. واجازه وكتب له بخطه. وذكر البلوي أن أولاده بذلك الحرم الشريف من خيار المدرسين وكبار الرؤساء.

وخامسهم جمال الدين أبو بكر محمد ابن نباتة. صاحب الخطب الشهيرة (ابرع خلق الله إذا نظم أو كتب). لقيه بحرم المقدس أتاه من دمشق زائرا.

واستنشده من شعره ، فأنشده البلوي له ولغيره. ثم سأله البلوي في تقييد شيء من شعره. فأخرج له ما ارتضاه منه واختاره. في نسخة تغار عليها حبات القلوب إذا تبديها... فاستعارها منه وكتبها عنه. فلما رمق ما كتبه البلوي استوهبه منه. ووهبه أصله. قال البلوي : فأنا أول من جلب ذلك الدر النفيس من بحره. وفاز بشرفه وفخره. وكتب له على ظهر الأصل إجازة وانه نحله هذه النسخة بعد أن تعوض عنها بنسخة من خطه الذي يتنافس فيه البصر والسمع...

وعند عودة خالد البلوي من الحج عرج مرة أخرى على الأرض المقدسة وفي ذلك يقول :

ووصلنا إليها - ماء العقبة الكبرى - في ضحى يوم الخميس السادس عشر لشهر الله المحرم مفتتح عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة (738)م ثم تقسمت الركبان. فبعض انقلب إلى الديار المصرية. وبعض ذهب إلى البلاد الشامية...

فكنت ممن آثر زيارة تلك البقاع السامية الكريمة. واستخار الله تعالى فاختار له أفضل الغنيمة... إلى أن وصلنا إلى مدينة الخليل... واجتمع كل بخليله ونسيبه. وأخذ من سماط أبيه الخليل عليه السلام بسهمه ونصيبه. فقضينا ماتعين من الزيارة ووجب من السلام. ولقيت من أمكن من أولائك الفضلاء الاعلام.

وخرجت منها... فوصلنا إلى مدينة **القدس الشريف**... وبها اجتمعت بأخي محمد حيث تركته، بعد ما جال في أطراف بلاد الشام. وكاد يبلغ مدينة السلام... فكان بذلك لنوم عيني سبيل. وعهدي بالنوم عهد طويل.

وأقمنا بالقدس الشريف الكريم ملتمسين البركة في ذلك الحرم العظيم. إلى أن أخرجت منه بالرغم وتزودت بالغم. ملتفتا إلى تلك الربوع. ومكفكفا واكف الدموع. فبت عنه مرتحلا. وفيه أنشأت عاجلا وأنشدت مرتجلا :

خليلي في ربع الخليل مني نفسي
وفيك فؤادي أنت ياحرم القدس
أحن إلى تلقاء هذا صبابة
وألمح من هذا سنى البدر والشمس
مواطن لو انصفتها جئت زائرا
إليها على العينين والخد والرأس
ولو أنني أعطى مرادي بينها
لما رحلت من دونها أبدا عنسي
وكيف رحيلي عن معاهد لم تزل
على الحل والترحال لي غاية الأنس
أروح وأغدو بينها شيقا لها
وأصبح فيها مستهاما كما أمسي
بلاد خليل الله والمسجد الذي
صلاة به في الأجر كالمائة الخمس
وموطن معراج النبي محمد
وقد هب غمض النوم في الأعين النعس
وموطن اقدام الرسالة والهدى
وقد لان صلد الصخر من ذلك اللمس
أيا مسجدا قد بارك الله حوله
وعظمه في العرب والعجم والفرس
ويا أربعا قد أظهر الله فضلها
وكرمها في اليوم والغد والأمس
رحلت وفي قلبي لأجلك لوعة
فلم يبلها مني الزمان ولم ينسي
وأزعجني عنك النوى وهي دائما
تعاملني في جمع شملي بالعكس
وعندي إلى لقياك أي تشوق
به اغتدي دهري والحد في رمسي
عسى عودة أو زورة تنقع الظما
وتخلع عني للظما وارس اللبس
وإن كانت الأخرى ولم تك أوبة
فأهدي سلامي في القراطيس بالنفس

(ج 2 ص 13 ـ 15)

ومن القدس الشريف إلى مدينة **الرملة** . وقد أفاض في التفنن في وصف محاسنها المختلفة دخل مسجدها الجامع الكبير. وزار مغارته العظيمة. التي ذكر أن فيها جماعة عظيمة من الأنبياء مدفونين. يعدهم النساك بالمئات.

ثم زار **عسقلان**، وكانت دار إبراهيم عليه السلام. وفيها آثار النمرود بن كنعان. وأعجب بالمناظر الطبيعية من حولها. وتبرك بما تضمنه مسجدها الحافل. من الآثار الجلائل وتألم لما أصابها من الخراب. وسار منها، وهو لا يمل من التغزل في هوائها وأزهارها وأطيارها وأشجارها وبحرها إلى أن وصل الى **غزة**... (ج 2 ص 15 ـ 18).

6) ابن خلدون :

في سنة 802 هـ. كان ابن خلدون قاضيا بمصر. وسافر في موكب السلطان إلى الشام. وعندما أراد السلطان الرجوع. استأذنه ابن خلدون في التقدم إلى مصر بين يدي السلطان لزيارة بيت المقدس. فاذن له في ذلك. قال :

ووصلت إلى القدس. ودخلت المسجد وتبركت بزيارته والصلاة فيه. وتعففت عن الدخول إلى القمامة. ـ يظهران صوابها ، القيامة.

ـ لما فيها من الإشادة بتكذيب القرآن. إذ هو بناء أمم النصرانية على مكان الصليب بزعمهم فنكرته نفسي. ونكرت الدخول إليه. وقضيت من سنن الزيارة ونافلتها ما يجب.

وانصرفت إلى مدفن الخليل عليه السلام.

ومررت في طريقي إليه ببيت لحم. وهو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح. شيدت القياصرة عليه بناء بسماطين من العمد الصخور. منجدة مصطفة وقوفا. على رؤوسها صور ملوك القياصرة وتواريخ دولهم. ميسرة لمن يبتغي تحقيق نقلها بالتراجمة العارفين لأوضاعها. ولقد شهد هذا المصنع بعظمة ملك القياصرة. وضخامة دولتهم ثم ارتحلت من مدفن الخليل إلى غزة.

(التعريف بابن خلدون (349 ـ 350).

7) أبو العباس المقري :

في شهر ربيع 1029 زار أبو العباس المقري بيت المقدس قال ، وقد شملتني بفضل الله جوائز الانعام. وتذكرت عند مشاهدة تلك المسالك الصعبة قول حافظ الحفاظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله تعالى ـ وهو مما زادني في هذه الزيارة رغبة :

إلى البيت المقدس جئت أرجـو
حياة الخلد نـزلا مـن كريـــم
قطعنـا فـي مـافتـــه عقابـــا
وما بعـد العقـاب سـوى النعيـم

فلما دخلت المسجد الأقصى وأبصرت بدائعه التي لا تستقصى. بهرني جماله الذي تجلى به الله عليه وسألت عن محل المعراج الشريف فأرشدت إليه وشاهدت محلا أم فيه صلى الله عليه وسلم الرسل الكرام الهداة وكان حقي أن أنشد هنا لك ما قاله بعض الموفقين. وهو ممـــا ينبغي أن تزمزم به الحداة ،

ان كنـت تسـأل أيـن قـــد
ر محمـــد بيـــن الأنـــــام
فأصـــخ إلـــى آياتـــــه
تظفـــر بريـــك فـــي الاوام
اكـــرم بعبـــد سلمـــت
تقديمـــه الرســـل الكـــرام
فـــي حضـــــرة القـــدس وا
فاهـــا بعـــز واحتـــــرام...

نفح الطيب (ج 1 ص 54 ـ 55).

وفي رجب 1037 تحركت همته للعودة للبيت المقدس وتجديد العهد بالمحل الذي هو على التقوى مؤسس واقام فيه نحو خمسة وعشرين يوما. والقى عدة دروس بالأقصى والصخرة المنيفة. وزار مقام الخليل ومن معه من الأنبياء. وأنشد قصيدة لابن مطروح يستغيث فيها بخليل الله مطلعها ،

خليل الله قد جئناك نرجـــــو
شفاعتـــك التـي ليســت تـرد
.... (ج 1 ص 57).

8) أبو سالم العياشي :

وفي صفر 1074 مر أبو سالم عبد الله العياشي المغربي ببلاد الشام (فلسطين) عند رجوعه من الحج وكان ينوي زيارة القدس بعد وصوله للقاهرة ولكنه في العقبة قرر المسير إلى غزة. وكان كبير حجاج أهل غزة في تلك السنة الحاج حسن المغربي. ووصلوا غزة صباح 7 من صفر فذهبوا إلى المسجد الكبير.

قال : هذا المسجد من أحسن المساجد رواء عالي البناء، فسيح المنظر، له صحن رائق مفروش بالمرمر والحجارة المنحوتة. وفيه دالية عنب قد غطت بأغصانها الناعمة جهة منه. وفيه شجرتان كبيرتان من الزان بسقتا في السماء بسوقا مفرطا كانهما نخلتان سموقتان. وعن يمين قبلة الصحن مسجد كبير مرفوع على سواري كبيرة من الحجارة المنحوتة... وفي قبلة المسجد مدرسة يفصل الطريق بينها وبين المسجد. وفيها خزانة كتب. وتقرأ فيها كتب علمية.

وكان الشيخ أبو العباس المقري هو السبب في بناء هذه المدرسة. فقد تكلم في ذلك مع حاكم البلد. وذكر له ماورد في فضل بناء المساجد والمدارس. ولم يبرح من المحل حتى دعى الحاكم القاضي وكتب وشهد الشهود. وحبس على المحل أوقافا. ولم يزل المحل بعد ذلك عامرا بالذكر والقراءة. بفضل الشيخ المقري.

ووجد أبو سالم عند مدرس المدرسة نسخة من (اضاءة الدجنة) للمقري. عليها خط ناظمها في أماكن واجازته لمالكها المدرس المذكور. وكتب ناظمها بخطه انه صححها جهد استطاعته وأصلح فيها ما عثر عليه.

(وفي مدينة غزة مزارات كثيرة ومساجد فضيلة في أطراف البلد قد استولى الخراب على أكثرها.

ومما زاره بغزة مولد الإمام الشافعي. وهو مغارة تحت الأرض وقبر هاشم بن عبد المطلب (كذا) جد رسول الله وإليه تنسب غزة حتى الآن فيقال : غزة هاشم. وقبر الإمام الأوزاعي.

وبعد إقامته. بغزة خمسة أيام ارتحل إلى **الرملة**. وكان يريد زيارة **عسقلان** وزيارة ما فيها من المساجد فلم يقدر له ذلك.

ومروا بخان ازدود. وزار مسجده وما به من الأضرحة.

قال : وكنت جهدت أن اختم فيه ختمة كان ابتداؤها من مكة المشرفة فلم يتيسر ختمها إلا بالمسجد الأقصى.

وزار في الرملة الشيخ خير الدين الرملي. واستجازه فأجازه. وزار قبر الصحابي الفضل بن العباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وكتب عنده عقد اخوة بينه وبين مضيفه بالرملة.

ومن المزارات العظيمة بالرملة المسجد الأبيض. وهو مشهور الذكر عند الصوفية. وفي صحنه مسجد تحت الأرض فيه مغارة زعموا أن فيها قبور جماعة من الأنبياء.

وفي جانبه الغربي مسجد يقال انه متعبد صالح عليه السلام. وفي شرقه قبر الحافظ أبي عبد الرحمن النسائي صاحب السنن وزار اللد. وهي قريبة من الرملة ومن الغرائب التي شاهدها في هذه المدينة ان مسجدهم الأعظم كان في الأصل كنيسة وصار اليوم مسجدا نصفه مسجدا ونصفه كنيسة تسمع أصوات كل من المحلين في الآخر.

وارتحل من الرملة صباحا فصلى العصر **بقبة الصخرة ببيت المقدس**. وأنزل حوائجه بزاوية المغاربة. ثم انتقل إلى بيت داخل المسجد.

قال : وهذا المسجد المقدس آية من آيات الله في فخامة البناء وسعة المقدار. فيه أشجار كثيرة من التين والزيتون. عظيمة تحت كل شجرة مصطبة مبنية بالحجر المنحوت على قدر ما تظله أغصان الشجرة. فيه شكل محراب يجلس الناس تحتها للصلاة والقراءة. ويأوي إليها الفقراء المتجردون.

وطوله... وأما الأروقة التي داخله. والبيوت التي في خارجه فشيء كثير.

وفي وسط المسجد **قبة الصخرة** ماثلة في الهواء، مثمنة الشكل بها أربعة أبواب. دور القبة كلها نحو من خمسمائة قدم وحيطان القبة وأرضها كلها مزخرفة بأنواع الفسيفساء المصبوغة بأصباغ مختلفة، ونقوش عجيبة. وهي في غاية الارتفاع واتقان البناء، وأبوابها في غاية العظمة والاتقان. وداخل الأبواب دربيز فيمر بين الأساطين على دور الصخرة. وفي داخل الأساطين **الصخرة المقدسة**، يحيط بها شباك من خشب دوره نحو من تسعين خطوة والصخرة لونها يميل إلى الزرقة غاية في الصلابة. وشكلها فيه استدارة يغلب عليه الطول. وغلظها نحو من ذراعين. وعلى ظهر الصخرة ندوب ومربعات صغيرة وكبيرة كأنها أماكن أحجار قطعت منها...

وقد بني بازائها ومن تحتها إلى أن صار تحتها شبه مغارة على هيئة مسجد يصلي فيه الناس ويدخل الناس إليه من تحت طرفها المسمى بلسان الصخرة. وهو من ناحية القبلة. وكنت أدخل إليها في غالب أوقات الصلوات. وأصلي تحتها ما تيسر.

وبين الباب القبلي والغربي في أحد الأساطين حجر يقال أن فيه بعض اثر أعضائه صلى الله عليه وسلم والناس يتبركون به.

ومن وراء قبة الصخرة لطيفة (كذا) يصلي فيها الناس يقال ان منها عرج برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج.

ويحيط بمسجد الصخرة صحن كبير مفروش بالحجر المنحوت وعلى أطراف الصحن بيوت ينزلها المتعبدون . وكذلك تحته وهي متعددة.

وفي قبلة الصخرة من تحت الصحن بغلوة **المسجد الأقصى**، وهو كله مسقف. وفيه تصلى الجمعة وبناؤه من أرفع الأبنية. وفيه موضع زعموا أن فيه صلى عمر رضي الله عنه لما دخل بيت المقدس.

وفي ركنه الشرقي موضع يزار. فيه حجر منحوت يقال له مهد عيسى. وورد في بعض الآثار تسميته بذلك...

وبالجلمة فغرائب الصخرة والمسجد الأقصى وما حولهما من المزارات شيء كثير وقد الفت فيه التآليف. وانما نذكر من ذلك بعض ما رأيناه وزرناه.

فمن ذلك حجر خارج بعض أبواب المسجد الغربية مثقوب هو في أصل حائط. يزوره الناس ويدخلون فيه أيديهم ويتمسحون به. يقولون انه الذي ربط به النبي صلى الله عليه وسلم دابة البراق ليلة المعراج. وخبره مذكور في الصحيح.

ومن المزارات طورزيتا. وفي أعلاه مزارة فيها مكان يقال ان منها رفع المسيح عليه السلام. ومن فوق حجرة هناك.

ومن المزارات التي على جبل الطور قبر العابدة العدوية (كذا) ومن المزارات قبر مريم عليها السلام في كنيسة في أصل الوادي. وهي بأيدي النصارى، فتحرجنا من الدخول إليه وزرناه من خارج.

ومنها عين سلوان. ولم يصل إليها الا برأي العين. فبعث من اتاه منها بماء. ووردت آثار في فضلها.

ومن المزارات قبر شداد بن أوس وعبادة بن الصامت الصحابيان رضي الله عنهما.

وفي خارج المدينة قريبا من غربيها مزار يقال أن فيه قبر داود عليه السلام.

وغالب مزارات تلك البلاد هي بأيدي النصارى.

مثل بيت لحم الذي فيه مولد المسيح.

وقبر يونس بن متى في قرية قرب مدينة الخليل زاره من بعيد.

وأما قبر موسى عليه السلام فبينه وبين القدس نحو من نصف مرحلة أوأزيد إلى ناحية المشرق، والطريق إليه مخوفة غاية ؛

وتعرف أبو سالم على قاضي مدينة القدس الشيخ محمد النفاتي التونسي المغربي ومدحه بقصيدة يقول فيها

لقاضي قضاة القدس قد سره
علو غدا فوق السما مستقره

تبدي بافق الغرب من خير عثرة
هلالا به قدما تشرف قطره.

فصار بأفق الشرق يسري إلى العلا
ولم ينقطع حتى علا النسر سيره

غدا قمرا فيه يضيء لقاصد
ولكنه في القدس قد تم بدره

تولى به دون البلاد لنبسة
يراها لبيب قد تهذب فكره

وذلك ان القدس أرفع بلدة
كما قد أتانا في الأحاديث ذكره

وهذا الإمام البحر أرفع عالم
تفتق في ذا العصر بالجود فوره

وقد أكرمه القاضي غاية وأمر بإنزاله هو وأصحابه وإضافته مدة مقامه فاعتذر عن المنزل بأنه يفضل البقاء في المسجد حيث هو. فأجرى لهم ما يفضل عن كفايتهم وودعهم يوم سفرهم ودفع كراء الدواب التي حملتهم للخليل من عنده.

وزار أبو سالم في مدينة القدس إمام الصوفية وابن إمامها في تلك الديار الشيخ عمر العلمي. وأخذ عليه العهد ولقنه وشد المئزر في وسطه. ووهب له الفوطة التي شد بها وسطه، وأجازه. وكتب له اجازة متضمنة لخطوط جماعة من أصحابه وأصحاب جده يشهدون بذلك.

وعقد أبو سالم اخوة في الله مع شخصين من أصحاب شيخه هذا، وتكفلا له بالدعاء مدة حياتهما في تلك المقامات الشريفة. ووهب له احدهما ديوان الشيخ محمد العلمي. وفيه من جيد القصائد المحتوية على قصائد الصوفية وأمداح خير البرية مالا يحصى كثرة ، ووهب له جملة من رسائله .

والشيخ محمد العلمي هذا هو شيخ شيخ أبي سالم العالم العلامة أبي بكر بن يوسف السكتاني. تلقى عنه الذكر وألبسه وأجازه. وكان يثني عليه كثيرا. ويقول ما رأيت أعبد منه. مع علمه وورعه. وممن أخذ عنه أيضا الشيخ المقري. وهو الذي أشار على الشيخ أبي بكر بلقائه والأخذ عنه.

وهو جد وشيخ الشيخ عمر الذي أخذ عنه أبو سالم.

وقد أطال أبو سالم في الحديث عن الشيخ عمر وجده من ص 222 ـ 244 ـ وسيأتي قريبا قول ابن عثمان ان هذا الشيخ العلمي هو من ذرية الشيخ عبد السلام بن مشيش المغربي. وما يزال عقبه بفلسطين إلى الآن.

ومن القدس قصدوا الخليل. وفيها انزلهم قاضيها نائب قاضي القدس ببيت في جوار المسجد وقام بالواجب.

وزاروا قبر خليل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام. وقبور بنيه الكرام سيدنا إسحاق، ويعقوب، ويوسف عليهم السلام. وقبور زوجاتهم.

والتقى أبو سالم ببعض أهل القدس. ومنهم عالم من ذرية أبي القاسم الجنيد وسمع منه وأجازه.

ولقي شيخا أخر هو إمام المسجد واستجاز هو أبا سالم فأجازه وكتب له.. وأطلعه على اجازة الشيخ المقري لوالده.

وذكر أبو سالم ان إمام المسجد يقيم مجالس الذكر فيه في أدبار الصلوات على عادة أهل تلك البلاد فقد استبدلوا من مجالس العلم مجالس الذكر. فقلما يخلو مسجد من مجلس ذكر برفع الصوت والجماعات والإنشادات على هيئة سماع الصوفية. إلا أن غالب متعاطي ذلك أميون أرباب دنيا ! فقل بذلك العلم في هذه البلاد والسواحل الشامية كلها. بقياس مالم أر منها على ما رأيت. وباخبار من رآها من الواردين.

وأورد أبو سالم قصيدة له يستغيث فيها بخليل الله. وغادروا مدينة الخليل قاصدين **غزة**. فباتوا بقرية يقال لها **حيرين**. وأضافهم أهلها. وفي الغد باتوا بقرية يقال **السوافر**. واضافهم أهلها اضافة حسنة وادخلوهم دارا خوفا عليهم من اذاية السراق.

قال أبو سالم : **وفلاحة بلاد الشام كلهم أهل كرم وصدق** ووفاء. خلاف فلاحة مصر.

وفي غزة أكرمهم فقيه بالبلدة وسمع منه أبو سالم واستجازه فأجازه. وأطلعه الشيخ على تأليف له في طبائع الإنسان وطلب منه تقريضه فنظم أبياتا أعجب بها الشيخ.

وغادروا غزة في 7 ربيع الأول.

9) الرحلة العامرية :

في سنة 1152 هـ نظم محمد بن الحاج بن منصور العامري التلمساني ثم التازي. المتوفي في حدود السبعين من المائة الثانية عشرة قصيدة وصف فيها مراحل الرحلة من تازة إلى البقاع المطهرة ومنها إلى الشام. وصفا كافيا.

وقد نشرها الأستاذ محمد المنوني في (ركب الحاج المغربي) (ص 88 ـ 104) بعد ما تحدث عنها في ص 18.

وقد جاء فيها 100 :

وإذا ما أردت مشيا إلى الشام
ففيها أئمة أنبياء
ولديها جمع كثير من الصحب
كذا التابعون والأولياء
وهنالك صخرة القدس في المسجد
الأقصى حازتهما إيلياء
ومزارات عندها مثل داو
د النبي ومريم العذراء
وعبادة وهو خير نقيب
للنبي ان عدت النقباء
ثم بسطامي همام
بعة العدوية كذارا الغراء

وقال عند ذكر نابلس (102 ـ 104)

أهلها من أجل ناس كرام
بهم يتأنس الغرباء

ثم منها انزلن في القدس والمسجد الأقصى **وتمت النعماء.**

صل ما تستطيع فيه ولازم
ادبا فكم فازت الأدباء
ان فيه لمن يقيم رواقا
لأبي بردة به القراء

هو من تونس وكان به للقارئين تحنن وسخاء

ذكر بعض مزارات القدس الشريف زيادة على ما تقدم :

فادع عند القباب وهي كثير
ربما فاز بالمنى الدعاء

ان منها التي لـلـثلة تنمى وعند الجميع شاع انتماء

وبها كان ينجلى عنـد داو
د الذي كان يفتـري الخصمـاء

وكـذا قبـة تضـاف لمعـــراج
وللهاشمـي منهـا ارتقــاء

وكـذا مربـط البـراق الـذي كا
ن من المصطفى عليـه استـواء

ثم عيـن سلـوان وارتــو منهـا
انها للفتـى لنعـم الشفــاء

وإذا خفيـت عليـك المـزار
ت فـل أهلـه يـزول الخفـاء

فصـــل

وإذا تنقضــي زيــارة قــدس
وابتغيــت الكليــم فهـو عـلاء

فمـن القـدس نصف يـوم إليـه
بمعين وفـي الطريـق اعتـداء

ان روضتــه بــأرض فــلاة
زرو عدرا شـدا عـداك الريــاء

واتين النبي عازر في المشي إليه فتكمل الســــراء

فصـــل

ومـن القــدس للخليـل نهــار
بمعيــن ولكـن فيـه عـداء

فـإذا رمتـه فلا تغــد إلا
مع مـن يتقــي بـه الأعـداء

وإذا جئتــه فــزره وزر ســا
ئـر مـن بعـده ينـال ابتغـاء

ثـم اسحــاق هكـذا ثـم يعقـ
ـوب كـذاك وزوجـه لبقـاء

تـم يوسـف نجله وهـو الصد
يـق نعـم الاجلــة الكرمـاء

ضمهـم مـجـد كبير فكم عمـ
ـت لزائرهـم بـه الآبــاء

وبقـرب محرابـه كهـف غـ
ـار قـد ثوى فيـه جلـة أنبيـاء

ثـم لا تنـس بيـت لحـم إذا
جئتهم فهـو بعد قـدس ولاء

فيـه مـقط رأس عيسى وفيـه
مهـده إنـه لنعـم الوطــاء

ونبـي الإلـه يونــس زره
عـن يسـار الطريـق حيث البناء

فصـــل

وإذا تمـت الزيـارة فارجع
واقصد القدس حيث كان الثواء

ثم أكثر من الصلاة لدى المـ
ـجـد الأقصى الذي له الإسراء

مخلصا راجي القبول عسى
ينمو الجزا وتغفـر الحوبـاء

ثم أكثر من الدعاء والنفـع
منـه إذا يعـم الدعــاء

إن ربـي للدعـاء سميــع
ومجيـب لـم يعيـه الاعطاء

10) ابن عثمان المكناسي :

محمد ابن عثمان المكناسي، أديب مغربي وسفير رحالة. سفر عن السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي إلى كل من : إسبانيا، ومالطة، والاستانة. فحج وكتب عن كل سفارة من هذه السفارات رحلة خاصة.

واغتنم فرصة سفارته للاستانة، فحج وزار وقدس وخلل، وكتب بهذه المناسبة رحلته الحفيلة، (احراز المعلى والرقيب، في حج بيت الله الحرام، **وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب)** وهي ما تزال مخطوطة بمكتبة القصر الملكي بالرباط، تنتظر النشر.

كان السفر من رباط الفتح في المحرم فاتح سنة مائتين وألف، وكان خروجهم من دمشق الشام قاصدين **القدس الشريف** تاسع ربيع الأول سنة اثنتين ومائتين وألف.

ومروا في الطريق بجب يوسف عليه السلام، فدعوا الله تعالى هناك، وقرأ سورة يوسف متفكرا في قضيته وقضية أبيه عليهما السلام، وانشأ هنالك أبياتا يخاطب فيها الجب.

ولما قربوا من عكة بعثوا من يكتري لهم دارا ينزلون بها فلم يجد لهم منزلا فسمع بذلك الوزير صاحب البلاد (أحمد باشا الجزار) فعين لهم موضعا لنزولهم، واستدعاهم وأبدى بشاشة وفرحا، قال ، وأهل البلد يثنون عليه.

وبهذه المدينة ضريح نبي الله صالح عليه السلام، فزاروه وقرأوا عنده ما تيسر من القرآن، ودعوا الله بما يرجى قبوله، وبها مسجد من أحسن المساجد وألطفها، وحمام ما رأى ابن عثمان مثله لا في القسطنطينية ولا في الشام.

ومن هناك توجهوا لزيارة **القدس الشريف** . والتبرك بمشاهدة المسجد الأقصى، وبمن هنالك من الأنبياء فكان مبيتهم يوم خروجهم من عكة عند عرب أهل بيوت شعر بقرب تربة ولي مشهور في تلك النواحي يقال له الشيخ إبراهيم الزعبي، فراحوا إليهم والسماء تجودهم، فما كان إلا أن راوهم وادخلوهم خيمة من أكبر خيامهم وفرحوا بهم، وسلكوا معهم مسلك أهل الحاضرة، فاتوا بالقهوة اثر نزولهم، وبعلف الخيل وبعشاء قل ان يوجد في الحاضرة، وباتوا يحرسون الخيمة التي نزلوا بها إلى الصبح، جزاهم الله خيرا.

وراحوا إلى قلعة سنور فأكرم متواهم صاحب القلعة وأحسن نزلهم، وأتى بطعام كثير، وفراش متكلف، ولم يترك شيئا من الحضرية في طعامه ولا في شرابه.

وساروا منها إلى بلدة نابلس، وهي بلدة متوسطة، بين جبال، مرآها حسن، وبناؤها كله بالحجارة المنحوتة حسن المنظر، وماؤها كثير، ذات بساتين... فنزلوا بها على شيخ القلعة المذكورة . فباتوا عنده ومن الغد عين فارسا يصحبهم في الطريق إلى القدس ولما خرجوا من نابلس أروهم قبيا يقال انها مدافن اولاد يعقوب عليه السلام، فتبركوا بزيارتهم وقرأوا لهم الفاتحة.

وقبل وصولهم إلى القدس بنحو ساعة قابلهم ضريح النبي شمويل بن يعقوب عن يمين المار إلى القدس، فقرأوا الفاتحة عند مواجهته ودعوا الله هنالك.

وللقدس السور الحصين، مبني بالحجارة، في غاية الكمال والاتقان، والأبواب الحصينة الغلق.

وذكر أبواب القدس، ومنها باب المغاربة، وباب الأسباط وباب النبي داود وباب الخليل.

ونزلوا ببيت يقال انه بيت الشيخ أبي مدين الغوث دفين تلمسان، وعليه وكيل، وله أوقاف.

وأول ما بدأوا به أن توضأوا وتوجهوا إلى **المسجد الأقصى**، فدخلوا أولا إلى **قبة الصخرة المباركة** ولمس الصخرة على سبيل التبرك من طيقان الشباك، ووضع أصابع

يده في اثر أصابع الملك. حيث أقام الصخرة لما مالت بالنبي عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء.

ومما قاله عن قبة الصخرة : وجميع حيطان هذه القبة من داخل وخارج مكسو بالرخام المصقول الذي كأنه مرآة وما رأيت في بلاد الإسلام أكثر تأنقا من صنعة هذه القبة.

وقال : ان المكان الذي تحت الصخرة كثير الأنس. ويجد الإنسان فيه نشاطا وخفة وانشراحا لعبادة الله تعالى وقرأ تحت الصخرة ما تيسر من القرآن. ودعا الله هناك بما يرجى من الله قبوله. وصلى في محراب سيدنا سليمان وركعتين في محراب سيدنا داود.

ومكتوب في دائرة قبة الصخرة من خارج. سورة الإسراء. وبدائرة المسطح المحيط بها سورة يس. إلى يأكلون. وجامع المسجد الأقصى. وهو المسقف من الأقصى. وصار اليوم اسم الأقصى علما عليه بالغلبة... ومحرابه في غاية الحسن... وهو مكسو بألواح من الرخام ... وقد صلينا في هذا المحراب على سبيل التبرك. وأمام المحراب قبة عظيمة مزينة بالفصوص الملونة كاملة الزينة... وبه منبر من العود المنتخب. في غاية مايكون من الصنائع الفائقة. والنقوش الرائقة... وفي الجهة الغربية من الصحن عدة مدارس. وبقربها متصلا بها مسجد. وهو بلاط واحد كبير طويل جدا يقال له البقعة البيضاء. وبه يصلي إمام المالكية قرب مربط البراق. ويقولون أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى بقربه. وبقربه زاوية لسيدي عبد القادر الجيلاني... وسوق المعرفة مكان مسقف بين محراب داود والمحل الذي فيه محراب مريم ومهد عيسى عليهما السلام...

وقال عن باب المغاربة . سمي بذلك لمجارته لباب جامع المغاربة الذي تقام فيه الصلاة أولا. ولأنه ينتهي إلى حارة المغاربة. ويسمى - هذا الباب أيضا - باب النبي صلى الله عليه وسلم.

وزاروا في هذا الحرم الموضع الذي فيه محراب سيدتنا مريم. وفيه أيضا مهد عيسى عليهما السلام وقعد في المهد تبركا بصاحبه.

وأشرفوا من هذا المكان على الفضاء المحمول عليه المسجد الأقصى كله. فهو محمول على أعمدة من الحجارة العظيمة وذكر له بعض المزورين أن عدد الأعمدة التي تحت الأرض المحمول عليها المسجد الأقصى ثلاثة آلاف قائمة. قال : والعهدة عليه. وكلها تحت الأرض وقد رأى بعضها من طاق من محل مهد عيسى عليه السلام فهي في غاية الضخامة. العمود فيه ثلاث قطع من الحجارة العظيمة. وزاروا أيضا بهذا الحرم تربة سليمان عليه السلام. وهي موضع كرسيه وقيل : الصحيح انه مدفون مع والده في الجسمانية. موضع خارج سور المسجد من جهة الشرق. وجزم بعض العلماء. بأن سيدنا داود مدفون بصهيون . موضع خارج سور المدينة من جهة القبلة. وهو الآن مقامه. مشهور في غاية الجلالة. يزوره الخاص والعام لاغتنام المدد والجمال. وزاروا المكان الذي كان يحكم فيه نبي الله داود. وهو أمام قبة الصخرة. تحت قبة السلسلة. مكتوب فوق محراب هذه القبة : ياداود أنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق. الآية.

وزار أيضا تربة نبي الله داود. وهو خارج سور البلد وقرأوا في ضريحه سورة ص. ودعوا الله هناك. وتبركوا بزيارة مربط البراق وصلوا هناك ركعتين. ورأوا الحلقة التي ربط فيها البراق. لكن الحلقة بدلت بغيرها وجعلت هذه تذكرة.

ثم توجهوا لزيارة طور سينا. ومن اشتمل عليه من أهل السناء والسنا. فخرجوا من باب الأسباط. أحد أبواب القدس فزاروا أولا قبر الصحابي الجليل عبادة بن الصامت وبعده الصحابي الشهير شداد بن أوس. ثم انحدروا إلى

زيارة سيدتنا مريم ابنة عمران. فوقفوا عند ضريحها وقرأوا لها الفاتحة. ودعوا الله هناك. ومفتاح قبتها عند النصارى. وأمامها تربة الإمام الخليلي صاحب (تاريخ الأنس الجليل. في القدس والخليل).

ثم صعدوا إلى الطور. فزاروا قبر الشيخ محمد العلمي **من ذرية سيدنا عبد السلام بن مشيش**، (نفعنا الله تعالى ببركاته). وقرب ضريحه مسجد وزاوية يقال لها الأسعدية.

ثم دخلوا إلى الموضع الذي رفع منه سيدنا عيسى عليه السلام. فصلوا فيه ركعتين. وأروهم حجرا فيه اثر قدمه فتبركوا به ودعوا الله هناك.

ثم توجهوا لزيارة تربة نبي الله عزير. فدخلوا مقامه المبارك ودعوا الله هناك.

ومن جبل الطور يظهر بيت المقدس. في غاية البهاء والابتهاج وحسن المنظر. وكذا من جهة القبلة وأما من جهة الغرب والشمال فلا يرى منه من بعيد إلا القليل. لموازاة الجبال له. فإن بيت المقدس والخليل في جبال كثيرة الأوعار والأحجار والسير بها متعب. والمسافة فيها بعيدة... **ولكن إذا من الله على قاصد الزيارة بالوصول إلى المسجد الشريف الأقصى وإلى المقام الشريف الخليلي يحصل له من الانس والبهجة مالا يكاد يوصف، ويسلو عما حصل له من المشقة والنصب،**

ثم انشد بيتي الحافظ ابن حجر :

إلى البيت المقدس جئت أرجو
جنان الخلد نزلا من كريم
قطعنا في مسافته عقابا
وما بعد العقاب سوى النعيم

ثم انحدروا من وراء الطور إلى صوب كليم الله ونبيه موسى بن عمران عليه السلام. وهو بعيد من هذا المكان فحدثته نفسه بالوصول إليه. ولكن أهل البلد أخبروه ان الطريق مخوفة. فرد الوجهة إلى صوبه، ودعى الله هناك.

ثم تبركوا بزيارة بير نبي الله أيوب عليه السلام. الذي يروى انه المراد بقوله تعالى : اركض برجلك. هذا مغتسل بارد وشراب.

ثم مروا بعين يقال لها سلوان. فشربوا منها فإذا ماؤها أشبه شيء بماء زمزم. وهذا عند أهل البلد معروف.

وقد أخبروهم به قبل رؤيتهم له. فلما شربوه وجدوه كما قيل.

وزاروا أيضا القبة التي عرج منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء. وصلوا هناك ركعتين. ودعوا الله بما يرجى قبوله.

وتبركوا أيضا بالدخول إلى **المسجد الأقصى** القديم الذي من فوقه المسجد الذي يسمى اليوم بالأقصى. وبناؤه قديم من بناء سليمان عليه السلام بالحجارة الهائلة. وتبركوا بزيارة خلوة أبي مدين الغوث دفين تلمسان. وهي في حارة المغاربة.

ثم ساروا من القدس إلى بلدة حبرون. وتسمى اليوم بالخليل. ومروا في الطريق على قبر راحيل أم يوسف عليه السلام.

ثم على قرية بيت لحم. وفيها المكان الذي ازداد فيه نبي الله وكلمته عيسى بن مريم عليه السلام. فزاروا المكان عند مواجهته. وقرأوا الفاتحة ودعوا الله هناك.

ثم تمادوا على المسير فواجهتم تربة نبي الله يونس ابن متى صاحب الحوت ، فدعوا الله تعالى عند مواجهته ووصلوا إلى الخليل. وهو أشبه شيء بمكة عند أول نظرة. فنزلوا على شيخ البلد. وتوضأوا وساروا إلى المقصد الأعظم والملاذ الأفخم أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم خليل الرحمن.

عليه السلام، فدخلوا إلى قبته، وتبركوا بالمقام عند ضريحه وقرأوا عليه سورة إبراهيم، ودعوا الله هنالك، وقال : انه كان حقيقا أن ينشد قصيدة ابن مطروح :

خليل الله قد جئناك نرجو

شفاعتك التي ليست ترد

ثم صلى الصلاة الإبراهيمية التي علمها الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابة عندما سألوه كيف يصلون عليه : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...

ثم أورد نقولا، ومنها من شرح الحصن الحصين لأبي عبد الله محمد بن عبد القدر الفاسي وفي آخره : قال أهل العلم وليس موضع قبر مقطوع به بعد موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم إلا موضع الخليل...

وقبل الفجر بساعتين فتحت لهم أبواب مدينة الخليل وتوجهوا إلى القدس الشريف لأداء صلاة الجمعة في

المسجد الأقصى.

ثم ان ابن عثمان أطال في الكلام على : ما يتعلق ببناء بيت المقدس وأول من بناه، ومن أعاده بعد الطوفان ومن جدد بناءه بعد الخراب، وما يتعلق بالصخرة المباركة وقبتها، ومن بناها، والمسجد الأقصى، ومعراجه صلى الله عليه وسلم، وكيف هو منتخبا ذلك مما يعتمد عليه من التأليف، مثل (الانس الجليل في القدس والخليل) **ورسالة الشيخ التافلالتي أحد أصحابنا المغاربة...** (من ص 293 - 302).

وذكر ان أول من بناه الملائكة وأورد حديث البخاري ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبره أن المسجد الأقصى بني بعد المسجد الحرام بأربعين عاما. وذكر ابن عثمان أن ذلك قبل خلق ءادم بمائتين من السنين، وعندما جاء الإسلام كان النصارى قد جعلوا سطح الصخرة والمسجد مزبلة، فلما فتح بيت المقدس صلحا على يد أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كنس عنه جميع المزابل، وغسل الصخرة المشرفة، وبنى قطعة من المسجد للصلاة في صدر المسجد، وما زال هكذا إلى الآن يدعى مسجد عمر.

وأما الباب الذي دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فهو الباب السفلي القريب من باب مسجد المغاربة والصواب أن عروجه صلى الله عليه وسلم كان من موضع القبة المعروفة الآن بقبة المعراج.

والموضع الذي صلى فيه صلى الله عليه وسلم بالأنبياء، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين شمالي قبة المعراج قريبا منها وثبت انه صلى الله عليه وسلم دخل تحت الصخرة، ولكن لم يثبت انه صلى تحتها.

(ونقل عن أبي بكر بن العربي قوله في شرحه لموطأ مالك، ماسبق، أن نقلناه عن القبس).

وأجمع العلماء على أن المسجد الأقصى هو جميع ما أحاط به سور المسجد، فيدخل فيه قبة الصخرة، وجامع لمالكية وجامع قايتباي . والمحل الذي فيه المنبر، وأما تخصيص الأقصى بالمكان الذي فيه المنبر الآن فهو اصطلاح جديد.

وأثنى ابن عثمان على اعتناء الدولة العثمانية بالمسجد الأقصى وأهل القدس الشريف.

وذكر ممن اجتمع به في القدس الشريف الشيخ أبا المسعود محمد، المأذون بالخلوة القادرية والخلوتية وأخذ عنه وصافحه، بمصافحته شيخه في الطريقة السيد مصطفى بن كمال الدين الصديقي الدمشقي الخلوتي، وأخذ أيضا عن السيد عبد القادر القادري شيخ السجادة القادرية ببغداد.

وأورد أبياتا لشيخه أبي المسعود أنشده اياها وذكر ترجمة الشيخ مصطفى البكري شيخ شيخه، وسلسلته في الطريق.

وممن اجتمع به في القدس الشريف الشيخ مصطفى ابن شيخه أبي المسعود وأورد ما أنشده من أبياته وأبيات غيره.

وختم حديثه الطويل عن بيت المقدس بقوله :

ولأهل بيت المقدس بشاشة وطلاقة وأخلاق حسنة وميل إلى موانسة الغريب ومسامرته والحديث معه. ولا سيما ان كان من هذا الجنس العلمي. فلهم اعتناء به كثير حياهم الله وبياهم، وادام سقياهم ورياهم، والى مكارم الأخلاق يسرهم وهياهم.

وبعدما غادروا القدس باتوا بقرية سنجيل فأكرمهم أهلها، ومنها باتوا بقلعة تستور، فأكرمهم أهلها، ومنها إلى عكة حيث أكرمهم، وزيرها، وسافروا بحرا إلى تونس.

11) الزياني :

كان أبو القاسم الزياني سنة 1209. في رحلة من الاسكندرية إلى تركيا، فبقيت الريح تتلاعب بالسفينة التي كان يركبها من مرسى إلى آخر إلى أن توقفت بمرسى انطاكية.

فترك رفقته بالمركب تنتظره، وذهب في البر فزار الخليل والقدس ثم عاد إليها.

وقد وجد فيما كتبه البلوي في القرن 8 عنهما في (تاج المفرق، في تحلية علماء المشرق) ـ وهو ما لخصناه فيما سبق ـ ما يعبر عن عواطف الاعجاب بالحرمين الشريفين، فنقل الكثير منه بلفظه، من غير أن يكلف نفسه مشقة نسبته لقائله، وحذف منه بعض ما لم يتفق له هو، مثل من أخذ عنهم البلوي، وأضاف بعض الأشياء من كتاب آخر أو كتب فيما يظهر ـ فاكتفينا بما سبق عن إعادته هنا.

وذكر ان في صحن الحرم الخليلي وفي المسجد يكون مجتمع الوفود للضيافة المباركة، ضيافة الخليل عليه السلام، في كل يوم بعد صلاة العصر، على توالي أحقاب الدهر. قال : وقد حضرتها مع جملة الناس تبركا بذلك كله ولله الحمد.

وفي حديثه عن المسجد الأقصى، ذكر أن الشيخ العالم القدوة شمس الدين الكرمي قال له : ان زنة الرصاص على سقف قبة الصخرة بلغت ثلاثين ألف قنطار بالدمشقي.

وكرر ذكر أبواب المسجد، مما يدل على أن ذلك منقول من أكثر من كتاب.

وقال ان بعض المزورين ذكر لهم أن عدد السواري المحمول عليها المسجد الأقصى من أسفله تحت الأرض ثلاثة آلاف قائمة.

وذكر أن الصخرة الشريفة يتفتت منها التراب لطول المدة فيأخذه فيجمعه الموكلون بها كل جمعة ويعطوه للأعيان والزوار ليحملوه (بركة) فيثيبونه عليه (الترجمانة الكبرى ص 265 ـ 275).

12) أحمد بن المامون البلغيثي الفاسي رحمه الله المتوفى في 1348 هـ :

بعد كتابة ما تقدم وطبعه، تذكرت أن شيخنا العلامة الكبير القاضي الكبير القاضي أحمد بن المامون البلغيثي رحمه الله كان قد حج حجته الثالثة (حوالي 1345 هـ) ونظم حوادثها في : (النحلة الموهوبة النجازية، في الرحلة الميمونة الحجازية).

ـ وما انسانيه إلا الشيطان أن أذكره ! ـ ولم أرد بعد تذكره أهمله. فالحقته معتذرا ويكون أحمد الهواري هو رقم 13 قال عن رحلته للقدس :

وفي الصباح قمت أبغي القدسا
إذ فضله في الدين ليس ينسى
إذ كان فيه المسجد الأقصى الذي
كم من نبي كان فيه يحتذى
قد أنزل الإله فيه قوله
وبارك الله تعالى حوله
وصلته في مركب القطار
إذ هو في أمن من الأخطار
وكان فيه أمد السير
أربع ساعات على تيسير
قدم في السير بطول كرم
فاللدفا لرملة حيث يرمي
نزلت في القدس على مفضال
من علماء الغرب ذي افضال
إذ كان كتبه إلى الشام سبق
يقول : اني بسروره أحق
ءاثرته بذاك دون صاحب
لنا هناك من قديم صاحبي
قام لنا بكل ما نريده
في حسن سمت دينه يفيده
كان مقامنا لديه سبعا
من الليالي يستفيد نفعا
به رأينا علما فحولا
قد ضبطوا الفروع والأصولا
أخص منهم ذاكرا نحريرا
لقد أجاد الحفظ والتحريرا
جاب البلاد كلها وجالا
وعرف الكتب والرجالا
ذاك (خليل الخالدي) الرحالة
اجللته لما عرفت حاله
٥ + ٥
لله ما أفدت واستفدت
في السبعة الأيام إذ أقمت
قد زرت في خلا لها (الخليلا)
كللت من زورته إكليلا
به أتانا علماء فضلا
وشعراء نبهاء نبلاء
جرت لنا معهم مذاكرة
واخذوا عنا الطريق الباهرة

13) أحمد الهواري :

ونختم هذه الجولة مع الرحالين المغاربة. بارتسامات أحمد الهواري، رئيس تحرير جريدة (السعادة) وعضو بالمحكمة العليا الشريفة، وعضو جمعية أحباس الحرمين الشريفين.

فبعد حجه في 1353 هـ ـ 1934، زار فلسطين من بيروت، فمر في الحافلة بعكة وحيفا. وبعد زيارتها واصلوا السير فمروا على مدينة نابلس الجميلة بموقعها في أعلى الجبال، وما يحيط بها من الجنان، وهي تلك المدينة الشهيرة بمدارسها وعلومها، وكان بها إذ ذاك بعض التلامذة المغاربة من أبناء تطوان لم يتمكن من زيارتهم مع الاسف لضيق الزمن. ووصلوا بعد العصر الى مدينة القدس الشريف، التي اشرفوا عليها عند الدخول وقد برزت بكثرة مناراتها، وتكاثف أبنيتها الفاخرة في حلة جميلة يشعر معها الإنسان انها تلك البلاد العربية التي لم يفارقها ذكر

العرب كلما ذكرها التاريخ قبل المسيح أو بعده. وأنها مأوى الصخرة المشرفة. وأحد المساجد الثلاثة التي لاتشد الرحال إلا إليها.

قال : وقد وجدناها أخذت حظها من الحضارة العصرية في مختلف مواطنها. وبلغت فيها المدارس والكليات والصحافة والطباعة ما جعلها في صف الممالك الشامخة الانف بازدهار العلوم والمعارف فيها. اما الصناعة والتجارة الوطنية فشيء يبعث على عظيم الارتياح. إذ صادف الحال أن وجدنا فيها المعرض العربي الثاني لعام 1353 هـ وقد فتح أبوابه في محفل عظيم وزينة فاخرة...

ولما كان أهم ما جئنا لأجله هو زيارة المسجد الأقصى فقد بدأنا به وتوجهنا إليه في نفس اليوم الذي وصلنا فيه إذ هو موجود داخل المدينة...

ولقد أبهرنا (كذا) ما وجدناه عليه من العظمة والأسرار الربانية. وبالأخص ما هي عليه قبة الصخرة المشرفة من الابداع في الزخرفة والبناء مما يحير العقول. ويجعلها من أقدس الآثار الإسلامية وأقدمها في العالم واثبت برهان على براعة العرب في الهندسة.

وحرم المسجد الأقصى هو عبارة عن بسيط واسع الأرجاء جدا. يحيط به سور من البناء. وفي جهة منه يوجد مسجد به الصخرة الشريفة. المترفعة عن أرضية المسجد بنحو المتر ويحيط بها دربوز من النحاس على نحو الخمسة أمتار من الجهات الأربع يراها الناس منه. ويتبركون بها. وعليها تقام القبة المشار إليها وقد فرش هذا المسجد بأفخر الزرابي وعلقت به الثريات العديدة من البلور الرفيع.

وفي نفس الحرم يوجد منبر أثري . هو ثالث المنابر القديمة في العالم . وفي الوسط يوجد صهريج وحنفيات للوضوء تظللها بعض الأشجار . وبجهة أخرى يوجد مسجد آخر للصلاة غير مسجد الصخرة المذكور يسمى جامع الجاونية. وبجهات أخرى توجد عدة قبب وقبور بعض عظماء الإسلام. منها مقام سيدنا اسماعيل عليه السلام. وهناك أيضا محل يعرف بسجن العقاريب لسيدنا سليمان (الخ)...

وفي هذه الزيارة وقفنا على عين محل المبكي. وهو عبارة عن درب صغير متصل بالبراق. فيما وراء قسم من السور المذكور الحائط بالحرم. ويفصله عنه بعلو نحو عشرة أمتار. والحجر المبني منه حائط المبكي يبلغ طول الواحدة منه نحو المترين على نحو متر واحد علوا. وقد وجدنا هناك عددا من اليهود يبكون وهم في مواجهة الحائط المذكور. والناس يمرون من هناك إلى الدرب المذكور. ممر عمومي للمسلمين. يوصل إلى زاوية سيدنا أبي مدين الغوث والمباني التي أوقفها هناك للمغاربة. حيث يسكنها الآن نحو 54 منهم. ورأوا هناك الحد الذي بني للفصل بين المكان الخاص باليهود للبكاء، والمكان الذي هو بداية أوقاف المسلمين من الزاوية المذكورة حسبما انتهى عليه الخلاف المفضي الى الملاحم المعروفة. لا أعادها الله. فأصبحت المادة التي يستغلها اليهود اليوم من الجدار المذكور 15 مترا. واثبت صورة للمبكي والمسجد الأقصى المبارك زيادة للوصف المقرب الى المشاهدة وإتماما للفائدة.

من القدس الشريف إلى دمشق الشام :

قال : لما تممنا ـ بفضل الله ـ زيارة المسجد الأقصى. وتبركنا فيه بموقع وطئته أقدام نبي كريم. خصه الله تعالى من بين الأنبياء بمعجزة الاسراء اليه. صلى الله عليه وسلم. خرجت بنا السيارة المرافقة لنا إلى زيارة بعض المشاهد والمقامات الكائنة خارج مدينة القدس فتوجهنا إلى مدينة بيت لحم الواقعة على نحو ثلاثين كيلومتر من هناك. فزرنا مأثرها القديمة. ومعاهدها الدينية الشهيرة ومحلات صنائعها

الرقيقة. من النقوش على العاج وغيره. وقد وجدنا في احد مخازنها غشاء كتاب مصنوع من العاج. ركب من عشرين ألف قطعة صغيرة . صنع خصيصا فيما سبق لأحد ملوك الروس بسبعة آلاف ليرة انجليزية بعد أن قضى في عمله أربع سنوات. وزرنا أيضا هناك في جملة ما زرناه ـ قلعة سليمان العجيبة.

ثم نزلنا إلى **مدينة الخليل** في احشاء الجبـــال. فتبركنا فيها بقبر الخليل وقبر السيدة سارة. وقبر سيدنا اسحاق الغيور. وقبر سيدتنا رفقة. ومقام سيدنا يعقوب بن اسحاق. وسيدنا يوسف الصديق. وغيرهم.

ومما رأيناه من لطف بعض الشبان الذين كانوا يرافقوننا في هذه الزيارة. انهم بينما كانوا يوقفوننا على مثل هذه القبور. كانوا يرددون في بعض الأحيان قول ابن حجر :

ولم تعلم مقابرهم بـــأرض
يقينا غير ما سكن الرسـول
وفي حبـرون أيضا ثم غار
به رسـل كرام والخليـــل

أما مسجد مدينة الخليل فهو مسجد عظيم. محمول على المغارة الشريفة المعروفة بمغارة المكفلة. والتي طولها 55 مترا وعرضها 33 وعمقها 7 أمتار . وقد اغلقت منذ سنة 600 سنة. وهي تنار لحد الآن بقنديل من الزيت ينزل لوسطها من فرجة بأعلاها.

وفي الحرم الإبراهيمي منبر عربي بديع الشكل يرجع عهده إلى زمن الدولة الفاطمية. صنع بمدينة عسقلان من أعمال فلسطين ونقله إلى هناك صلاح الدين الأيوبي. وهو أيضا أحد المنابر الثلاثة القديمة في العالم : منبر الخليل. ومنبر المسجد الأقصى. ومنبر في مدينة حلب.

ثم عدنا إلى القدس. وفي نفس الغد بارحناها في نفس السيارة المذكورة التي لازالت معنا كما ذكرنا وقصدنا مدينة دمشق الشام. وعلى طريق أخرى بعد اجتياز قسم صغير من الأولى.

فمررنا على مدينة رام الله الأهلة بالمسيحيين. ثم على مدينة نابلس.. فمدينة عفولة المحدثة الآهلة باليهود. ثم شققنا ولجة واسعة الأرجاء اشتراها اليهود لحراثتهم. ثم على مدينة الناصرة في سفح الجبال.

ومن هناك تفرعت طريق ذاهبة إلى حيفـا. وأخـرى إلى الشام. فذهبنا مع هذه الأخيرة إلى أن وصلنا قمة جبل مرتفع اشرفنا منها على بحيرة واسعة. كأنها بحر صغير. تكتنفها الجبال من جميع الجهات. والأجنة قد انتشرت على سواحلها. فكان ذلك أول منظر من نوعه نظرناه. وقد جمع بين صور من البحر والجبال والأراضي الزاهرة بالفلاحة. فذكر لنا انها بحيرة طبرية وهكذا بقينا مشرفين عليها حصة طويلة من الزمان ونحن ننزل إليها شيئا فشيئا مع انحدار سفح الجبال المحيطة بها. إلى أن وصلنا إلى مدينة طبرية الجميلة. فنزلنا بها بمطعم متصل بالماء. على ساحل البحيرة وتناولنا فيه الفطور.

ثم اقلعت بنا السيارة وسرنا في طريق تخترق أحشاء الأجنة وتنعرج مع البحيرة على انعراج ساحلها. وصرنا نتركها ونحن نصعد شيئا فشيئا مع الجبال من جهة أخرى. إلى أن أشرفنا عليها أيضا من أعلى قمة. ثم غابت عن الأبصار. وأشرفنا على جهة أخرى كأنها زراب مبثوثة قد وشحت بالربيع والأزهار. حتى وقفنا بدائرة جمرك الجاعونة ـ الديوانة الفلسطينية ـ (دليل الحج والسياحة ص 230 ـ 236).

وأخيرا :

وبعد هذه الجولة الطويلة ـ وغير المستوفية ـ لنماذج من أقوال الرحالين المغاربة عن القدس الشريف والحرم الإبراهيمي وكثير من المدن الفلسطينية، على امتداد نحو من ألف سنة يستطيع القارئ ملاحظة متانة وعمق هذه الروابط الروحية والحضارية والثقافية والبشرية القوية التي تربط المسلمين عموما والمغاربة خصوصا، بهذه البقاع الطاهرة وأهلها على تعاقب العصور والأجيال. الأمر الذي كان يعبر عنه كل رحالة أصدق تعبير، كل واحد بأسلوبه الخاص.

فإذا نحن وجدنا الأمة المغربية اليوم بجميع فئاتها المتنوعة، تعتبر قضية تحرير فلسطين وخصوصا القدس الشريف والحرم الخليلي، وعودة الفلسطينيين إلى أرضهم، وتكوينهم لدولتهم الفلسطينية المستقلة، قضية المغاربة الأولى، التي يتحد فيها الرأي وتجتمع حولها الكلمة، فما ذلك إلا استمرار لما جبل الله هذه الأمة عليه، لا تبديل لخلق الله.

ونظرا إلى مافي كلام بعض الرحالين المغاربة من اعجاب كبير بقبة الصخرة، الأمر الذي ربما حمل بعض القراء الذين لم تتح لهم فرصة مشاهدتها على توهم أن في كلام الرحالين المغاربة غلوا مفرطا، فقد رأيت أن أختم بكلمتين للدكتور غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب) عن هذه القبة التي يسميها ـ كما سماها الأوروبيون ـ جامع عمر وان انتقد هو نفسه هذه التسمية.

((ولم تكن قيمة (جامع عمر) بما يثيره من الذكريات فقط، **بل هو من أهم ما شاده الإنسان من المباني** وهو أعظم بناء يستوقف النظر في فلسطين) (ص 174) (وقد يفكر القارئ أحيانا في القصور التي يراها في منامه فيتمنى لو كانت موجودة حقا، ولكن جامع عمر وروعته مما لا يصل إليه خيال الإنسان (ص 176).

محمد ابراهيم الكتاني



كاتب هذه السطور والمرحوم محمد المدور، والأستاذ عبد الرحمان الدكالي، والأستاذ حسن بوعياد، في ساحة المسجد الأقصى

القدس العربية

توشك الدخول في طور الاحتضار

للأستاذ: قاسم الزهيري
الأمين العام المساعد (سابقا)
لمنظمة المؤتمر الإسلامي

هو ذا الواقع المرير.. والحدث المفجع الذي يجري على مرأى ومسمع من العالم، في هذا العصر الذي استيقظ فيه وعي الإنسانية وتنبه ضمير العالم. وفي هذا الوقت الذي اكتمل فيه للعرب من أسباب الثروة والمنعة ما لم يظفروا به في أى وقت مضى، وفي هذا الزمان الذي تخطى فيه المسلمون قرنا ودخلوا قرنا جديدا أودعوه كل آمالهم وطموحاتهم ؛ في هذا الظرف بالذات نشاهد القدس العربية الإسلامية وقد أوشكت على الدخول في طور الاحتضار تحت سنابك ورثة جنكيز خان وتيمور لنك وغيرهما من السفاحين والطغاة.

وهل من حاجة إلى تكرار ما تعانيه مدينة القدس من عدوان شرس يستهدف تهويدها والقضاء على طابعها العربي - الإسلامي ؟ فسلطات الإحتلال الاسرائيلية لم تعد تخفي أيا من نواياها أو تتردد في وضع أعتى مشاريعها موضع التنفيذ في الأرض المحتلة. والأخبار متواترة عن زرع المستعمرات وتشييد الوحدات السكنية اليهودية لتطويق القدس، وعن الاستمرار في عمليات الحفر بجوار المسجد الأقصى الذي بدأت أركانه تتصدى لاستكشاف هيكل سليمان بغية اعادة بنائه على أنقاض ثالث الحرمين، والجهود متواصلة دون انقطاع لتعفية عروبة القدس وربما اسلاميتها بعد عقد من الزمان أو أقل !

ولم تنفع قرارات جامعة الدول العربية ولا قرارات منظمة المؤتمر الإسلامي من تخفيف ما تعانيه القدس وفلسطين أو تغيير أيّ مظهر من مظاهر محنتها، لقد تعاقب على أمانة منظمة المؤتمر الإسلامي - وقد نشأت على إثر حريق المسجد الأقصى المبارك - أربعة أمناء وانعقد اثنا عشر مؤتمرا لوزراء خارجية الدول الإسلامية بالإضافة إلى المؤتمرات الإستثنائية؛ وكذلك شأن الجامعة العربية التي لاتني تعقد المؤتمرات وتتخذ من القرارات ما تنوء رفوفها بحمله، ناهيك بالأمم المتحدة التي استبدت بتقرير مصير فلسطين وعوضتنا الأرض بقرارات ظلت حبرا على ورق. وهكذا لم يتقدم تحرير القدس خطوة واحدة.. بل بالعكس !

بعد احتلال القدس، رصدت السلطات الإسرائيلية اعتمادات تبلغ ستة ملايير دولار لتهويدها. فأنشأت لحد

الآن اثني وعشرين ألف وحدة سكنية وطنت فيها اثنين وعشرين ألف عائلة يهودية، وهي الآن بصدد انشاء أربعين ألف وحدة أخرى ستطوق القدس العربية الإسلامية من كل جانب لتخنقها، ولا تتكتم سلطات الاحتلال في ابراز أهدافها من وراء ذلك. فهذا وزير الزراعة ومخطط سياسة الاستيطان الإسرائيلي شارون يصرح بمنتهى الوضوح :

«لقد أقمنا مدنا استيطانية ومستعمرات في منطقة القدس وأقفلنا الطريق بذلك أمام كل توسع عمراني عربي. إننا بسبيل إقامة خمس وثمانين مستعمرة.. ونحن نسابق الزمن وننفذ مخطط الأجداد والآباء ! يجب أن تضم القدس وحدها مليون مستوطن يهودي، كما يجب أن يصل عدد المستوطنين اليهود في الضفة الغربية مليون نسمة خلال بضع سنوات. ان هذا التوسع الاستيطاني هو الذي يدعم أمن اسرائيل عشرات السنين. ان عدد سكان اسرائيل الآن ثلاثة ملايين وثلاثمائة ألف نسمة. وقد عقدنا العزم على مضاعفة هذا العدد مع ايجاد جيش ضخم من القوات الاحتياطية يمكننا دفعه كاملا إلى المعركة في مدة تتراوح بين 26 و70 ساعة على الأكثر. إننا لا نترك مستعمرة واحدة دون تسليح سكانها وبناء مستودعات تضم أسلحة ثقيلة. أما مشاريعنا المستقبلة بخصوص الاستيطان فتتلخص في المزيد من اليهود في قلب المناطق العربية.

هل بعد هذا البيان من مزيد وضوح عن نوايا اسرائيل وأهدافها ؟

فماذا أعد العرب والمسلمون لمواجهة هذا التحدي السافر ؟ ماذا هيأوا لمنع تهويد القدس وباقي أراضي فلسطين السليبة ؟ قبل ست سنوات قرر مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية في اسطنبول انشاء صندوق للقدس، وقدر لهذا الصندوق ميزانية أولى تبلغ خمسين مليون دولار تجمع من مساهمات طوعية تقدمها الدول الإسلامية. ثم رفعت ميزانية الصندوق إلى مائتي مليون. فلم يجمع خلال هذه الفترة كلها سوى أربعة وعشرين مليونا !.. من دول تعد على رؤوس الأصابع. مع ان المسلمين لا يعوزهم المال، ولا يعوزهم العدد، لكنهم ـ كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم ـ غثاء كغثاء السيل...

ان مطلع القرن الهجري الخامس عشر يشاهد ازدياد نكبات القدس وفلسطين السليبتين، ومحنة أبنائهما الصامدين بالرغم عن الضربات الموجعة التي يسددها لهم العدو من كل جانب، لكنهم محتاجون إلى الدعم الكافي. والعرب والمسلمون في غفلة، لاهون بخلافاتهم وحرب بعضهم بعضا أمام الشامتين من الخصوم والاعداء.. وكان الأمل ان يقترن اهلال القرن الهجري الجديد بنبذ الشقاق ومضاعفة الجهد العام أمام الخطر الذي يتهدد الجميع لتحرير القدس قلب فلسطين السليبة كي تعود إلى العروبة.. وتغدو أرض سلام حتى يطابق اسمها مسماها.

جنيف في يوليو 1981 ـ قاسم الزهيري



القدس والمغرب

في أطوار التاريخ

للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله
عضو أكاديمية المملكة المغربية

بيت المقدس هو الجزء الأقدس من فلسطين العربية ولكنه الجزء الذي لا يتجزأ منها وان الصراع الذي خاضه المسلمون عبر التاريخ قد استهدف حفظ هذا الكيان العربي المقدس في مجموعة من القدس الى بيت لحم الى الخليل وإذا كان القدس قد انفرد بالتنصيص في مصادر التشريع الاسلامي فما ذلك الا أنه رمز لهذه الكتلة المتراصة التي أشار اليها الرسول عليه السلام كما أشار الى المجاهدين حولها عندما قال : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله» فقد وقع في حديث أبي أمامة عبد الرحمن أنهم ببيت المقدس وللطبراني من حديث النهدي نحوه وفي حديث أبي هريرة في الأوسط للطبراني : «يقاتلون... على أبواب بيت المقدس وما حوله لا يضرهم من خالفهم ظاهرين الى يوم القيامة» وقد لا حظ ابن حجر أنه يمكن الجمع بين الأخبار بأن المراد قوم يكونون ببيت المقدس تكون لهم قوة في جهاد العدو وحدة وجد واتفق الشراح على أن معنى من خالفهم أن المراد علوهم عليهم بالغلبة» ومؤدى ذلك نذارة الرسول عليه السلام بنشوب حرب حول القدس وبشارته بانتصار المسلمين فيها على عدوهم فكل من أسهم في هذا الجهاد من قريب أو بعيد ناله نصيب من هذه البشارة المحمدية التي هي بشارة لكل من كافح عن الحق حيث كان ودافع لنصرة الحرية حيث كانت.

فالقدس حاضرة عربية وستبقى حاضرة عربية كما كانت منذ سبعة آلاف من السنين.

لقد تبين من الحفريات (1) أن بيت المقدس لا يرجع تاريخه الى نبي الله داود الذي عاش منذ ثلاثة آلاف من السنين بل الى الألف الخامسة قبل الميلاد على يد قبائل كنعانية هاجرت الى فلسطين من شبه الجزيرة العربية فهي اذن حاضرة عربية كانت عاصمة لبناتها هؤلاء من الجيبوزيين Jebusèens قبل مجيء بني اسرائيل الى

×) بحث قدم إلى أكاديمية المملكة المغربية عبر احدى جلساتها حول (القدس).

1) راجع ما كتبه في الموضوع الأخ الأستاذ أحمد سوسة وقد نص جوهن كراي John Cray أستاذ العبرية واللغات السامية في جامعة (ابيردين) Abredeen في كتابه «تاريخ بيت المقدس» حسب وثائق عثر عليها في الأقصر في صعيد مصر أن الحديث عن بيت المقدس يرجع إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد وان تاريخ بنائها يرتفع إلى خمسة آلاف تقريبا قبل ظهور السيد المسيح عليه السلام على يد قبائل كنعانية.

أرض كنعان بألفين من السنين وقد تعاقبت الغزوات على بيت المقدس ست عشرة مرة كانت دائما تهدم وتحطم ولكن سكانها ظلوا عربا كنعانيين في أغلبيتهم وما كان لسيدنا داود أن يستهدف تهويد المدينة بفرض أقلية من اليهود على الأغلبية من العرب وكذلك ولده نبي الله سليمان الذي لم يزد على اقامة المعبد الذي يحمل اسمه وبعد وفاة سيدنا سليمان عليه السلام عام 931 ق.م. تعاقب الغزاة على (بيت المقدس) من أشوريين وفارسيين وغيرهم الى أن ظهر السيد المسيح فانطلقت دعوته من المدينة التي ولد بها وكذلك دعوات عشرات الأنبياء الذين قتلهم بنو اسرائيل وقد تركزت في القدس معالم الكنيسة الشرقية ستة قرون قبل أن يأتي الاسلام ليربط حاضر المدينة العربي بماضيها العربي دون أن يسعى الى اضفاء طابع احتكاري على المدينة كما يفعل اليهود اليوم وقد ظل العرب الكنعانيون يكونون السواد الأعظم في (القدس) تعايشهم طائفة اسرائيلية تقالت أعدادها بهجرة فلول منها الى افريقيا الشمالية عامة والمغرب الأقصى خاصة حيث اندرجت منذ عام 588 ق.م. في قبائل بربرية مثل جراوة ونفوسة وفندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وفازاز (2) وذلك بعد أن استولى (نبو ختنصر) على (بيت المقدس) وخربه ونهبه في ثلاث دفعات (أعوام 606 و596 و588 ق.م) وشرد اليهود فلجأوا الى بني عمومتهم الكنعانيين الذي كانوا قد استوطنوا المغرب الكبير وأسسوا فيه منذ 1101 ق.م. مدن ليكسوس بالمغرب الأقصى و(أوتنيك) بتونس و(هيبو) (بنزرت وعنابة) و(ليبتيس ماكنة) بطرابلس حيث أصبحت اللغة البونية لغة قرطاج (أي قرية حداش أو القرية الحديثة) هي لغة المغرب العامية التي استمرت الى يومنا هذا وهي لا تختلف كثيرا عن الفصحى (3) وقد انحدرت الى المغرب فئات جديدة من اليهود عام 70م فرارا من تعسفات الرومان الذين خرب امبراطورهم تيتوس (Titus) مدينة (اورشليم) (أي القدس) للمرة الثانية وكان المغرب يفتح أبوابه دائما لاحتضان النازحين من اليهود وغير اليهود في مختلف العصور.

فقد لاحظ ليون كودار L. Godard (كتاب وصف تاريخ المغرب ج 1 ص 19) أن معظم يهود المغرب منحدرون من الاسرائيليين المطرودين في العصور الوسطى من انجلترا (عام 1290م/689 هـ) وجنوب فرنسا (عام 1395م/798 هـ) وخاصة من اسبانيا (عام 1492م/898 هـ) كما أشار (رينو) (4) الى اليهود الذين نزحوا عن ايطاليا عام (640 هـ/1242م) وعن هولندا عام (751 هـ/1350م) والبرتغال (881 هـ/1476م). وقد عارض بعض المؤرخين (5) فكرة انتماء اليهود لأصل فلسطيني ملاحظين أنهم قصدوا من وراء ذلك تخويل أنفسهم وتخويل المهودين من البرابرة رسائل شرف «توراتية» واستغلوا في آن واحد الوصلة القائمة بين اللغة البونية ولغة الأفارقة الشماليين زاعمين أنهم دخلوا الى المغرب مع العرب الكنعانيين الفينيقيين واستعملوا لغتهم ومهما يكن فان اليهود حاولوا نشر دينهم بفضل انتشار اللغة والثقافة البونيتين في اطار محلي فهم يرون ان ارتكازهم بالشمال الافريقي راجع لتشبثهم بانتمائهم الاقليمي الذي يفصلهم عن الفكر الروماني الاغريقي حيث ان المسيحية فشلت في المنطقة لأسباب شتى منها سيرها في ركاب الغزو الروماني بينما عمل اليهود على نشر دعوتهم متخذين من بلاد البربر مجالا جديدا لنشاطهم وجاعلين من اليهودية دينا محليا في حين دعا الفيلسوف

---

2) ابن خلدون بنقل الاستقصا ج 1 ص 32.

3) راجع بحثنا في الموضوع في كتابنا «تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث» . ط معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة (1969م).

4) دراسة حول حفظ الصحة والطب بالمغرب» (رينوص 6).

5) المغرب بقلم دي اميسيس De Amicis ص 236 والكتاب مترجم عن الإيطالية من طرف بيل H. Bille باريس 1882.

اليهودي الاسكندراني (فيلون) الى عالمية اليهودية وإذا صحت هذه النظرية فمعناها الانفصال منذ البداية عن كل حركة شبيهة بالحركة الصهيونية الداعية الى هذه الشمولية العالمية وربما كان هذا الاتجاه مشتركا بين يهود الشمال الافريقي قاطبة وقد أبرز (دافيد كوهن) (6) وحدة فكر اليهود في تونس واختلافهم مع اتجاه اليهودية العالمية.

وكان العامل الذي يربط اليهود الافارقة الشماليين بفلسطين هو حنينهم (الى زيارة بيت المقدس) ولكن تجربتهم المرة بعد هجرة نحو الأربعمائة ألف منهم خارج المغرب على أثر قيام (دولة اسرائيل) وتحيز يهود أوروبا ضدهم في (تل أبيب) كل ذلك عزز النظرية القديمة لأغلبهم في خصوص طابعهم الافريقي وحداهم الى التفكير في العودة الى مساقط رؤوسهم بالمغرب الأقصى خاصة على أن معظم المهاجرين لم يتجهوا الى فلسطين وانما لجأوا الى أوروبا وكندا ولعل من الحوافز التي دفعتهم الى الهجرة خوفهم من حركة اقتصاص اسلامية ضدهم ثأراً لما يلاقيه العرب من محن واضطهاد في أرض فلسطين المحتلة ولكنهم كانوا واهمين في ذلك وقد شعروا بخطئهم الفادح لأنهم لم يقدروا منذ البداية مدى تمسك المسلمين عامة وفي المغرب الأقصى خاصة بفكرة اللا مسؤولية الجماعية المنصوص عليها في قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وقد أكد «لاطري» (Latrie) في معاهداته (7) ان القانون المغربي ينص منذ العهد المرابطي على المسؤولية الفردية ويجرد مواطني المتهم الأجنبي من كل تبعة في أوروبا تحت إسم (المسؤولية الجماعية) وقد أوضح (لاطري) أن تاريخ المغرب لا يعرف سوى حالة واحدة من المسؤولية الجماعية (المحدودة مدنيا) بخصوص الامتياز المخول من طرف السلطان ابي عنان المريني لأهل (بيزة ، Pise) عام 760 هـ/1358م) برضى منهم.

وقد كان لموقف الإسلام من بيت المقدس والطارئين عليه من اليهود أثر قوي في ابراز تسامح الاسلام وعدالة مراميه فقد ظل المسلمون في القدس أربعة عشر قرنا منذ عام 638م (عدا فترة استمرت مائة وثلاث سنوات احتل الصليبيون خلالها بيت المقدس) وعندما استولى المسلمون على المدينة المقدسة كانت تحت حكم البيزنطيين الذين كانوا يمنعون اليهود من السكنى بها وفي عام 125م عفى الرومان على كل أثر لليهود بالمدينة التي أصبحت بعد الفتح الاسلامي حاضرة مفتوحة للديانات السماوية الثلاث.

وهكذا يطفح تاريخ الاسلام عموما والمغرب خصوصا بالأدلة الدامغة على أن اليهود وهم أهل ذمة قد تمتعوا في ظل الإسلام بأكمل الحريات والاضطراب الذي طرأ أخيرا على فكر الكثير من المسلمين ناتج عن انبثاق الصهيونية العالمية التي جعلت من أهدافها اقناع اليهود بأن الاسلام اضطهدهم وأنه آن الوقت لأن يستردوا «مجدهم» بالتجمع على صعيد واحد وقد شعر اليهود بهذه الاغلوطة الصارخة فصار اليهود المشارقة والمغاربة على السواء وبعض الأفارقة منهم على الخصوص يفرون الى أوروبا وأمريكا من سياسة العسف التي عاملتهم بها (دويلة اسرائيل) ولذلك نعتبر نحن المسلمين من مخططاتنا في محاربة اسرائيل الصهيونية الدعوة الى التمسك بهدي الاسلام في مجال التسامح في نطاق الذمة التي أصبحت مواطنة حقيقية وقد حرر الاسلام في هذا الصدد أعظم دستور يمكن أن نتحدى به الانتفاضات المفتعلة المعاصرة. وقد قال عليه السلام : «حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج» وكان عليه السلام يسمع عنهم معارفهم في الطب والقصص وممن كان يروى

(6 P. 243, André Adam – Kes peris (1-2) 1952.

7) في كتابه حول (اللهجة العربية عند يهود تونس).

عنهم (محمد بن اسحاق بن يسار) المتوفى عام 151 هـ صاحب (السيرة) الذي وصفه شعبه بأنه أمير المؤمنين في الحديث والذي قال عنه (الزهري) بأنه لا يزال بالمدينة علم ما دام بها محمد بن اسحاق فانه كان يقول : «حدثني الثقة ومراده يعقوب اليهودي».

وكان ابن قتيبة (276 هـ/889م) ينقل عن العهدين القديم والحديث كما نقل الطبري (311 هـ/923م) المؤرخ والمفسر عن العهد القديم في تفسيره وهنا يجب أن نبرز بعض الأسباب التي تحدو يهود المغرب القاطنين في الخارج (أوروبا - امريكا - اسرائيل) الى الحنين لمساقط رؤوسهم تواقين للعودة اليها. ومنذ القديم كان اليهود القلائل الذين سكنوا بيت المقدس يزورون المغرب بكامل الحرية ففي عام 1150 هـ/1737م/5497 عبرية وصل الى فاس الحبر (حاييم بن عطار) وألقى دروسا في بيع المدينة حول (القانون الموسوي) ثم رجع الى (بيت المقدس) حيث توفي عام 1156 هـ/1743م/4503 عبرية (8) وقد شعر اليهود - طوال تاريخ المغرب والأندلس بمدى الحرية التي تمتعوا بها في ظل الحكم الإسلامي.

فقد كان اليهود يشكلون بالأندلس في العهد الأموي عنصرا هاما من سكان الحواضر بالاضافة الى المسيحيين فكانت لهم حياتهم الادارية والقانونية الخاصة يتمتعون بحريات واسعة استقطبت عددا من يهود الشرق أو سواحل المتوسط والواقع أن اليهود عرفوا حياة رغيدة تحت الحكم الاسلامي بالأندلس حيث استقبلوا جيوش الفتح الاسلامي كمحررين (9) على ان المجامع الكنسية قلصت في طليطلة عامي 589 و633م قانون الأحوال الشخصية لليهود بينما حرمهم ملوك (طليطلة) من شغل مناصب عمومية أو من حق استخدام العبيد فانضموا الى صفوف المسلمين وأصبحوا يساعدونهم ضد الاسبان (10).

وقد كان للغة العربية عبر العصور تأثير قوي من خلال عامية المغرب والأندلس على العبرية حيث لم يستطع رجالات الفكر اليهود من شراح التلمود فهم الكثير من نصوصه الا استعانة باللغة العربية. فإذا كانت النبطية والعبرية لهجتين من لهجات العرب القديمة كما يقول الأستاذ الكبير المرحوم عباس محمود العقاد فان الاسرائيليين قد طعموا بعد الاسلام كثيرا من المعطيات العبرية بعناصر عربية اذ أن فلول اليهود التي دخلت الى المغرب مع البربر النازحين من فلسطين ثم بعد ذلك بقرون عندما تم اجلاؤهم من الجزيرة العربية اثر (وقعة خيبر) قد انضم عدد منها الى الجيش العربي الفاتح بقيادة (طارق بن زياد) خلال زحفه على الأندلس وقد حمى الادارسة اليهود طوال قرنين (13) حيث انتقلوا الى فاس منذ اعتلاء المولى ادريس الثاني أريكة العرش المغربي متواردين من القيروان ومصر وبابل وفارس. وانبثقت في القيروان قبل ذلك حركة فكرية تلمودية مالبثت أن ازدهرت بفاس في عهد المرابطين والموحدين.

وقد أصبحت فاس - كما يقول البكري - (14) أكثر بلاد المغرب يهودا يختلفون منها الى جميع الآفاق «واستعمل اليهود اللغة العربية في كتاباتهم ومحاوراتهم منذ القرن الثالث الهجرى في مجموع افريقيا الشمالية كما

(8) راجع كتابنا Les grands courants de la civilisation du Maghreb P.33. Edit. Rabat 1957.

(9) وثيقة 28 - مجلة هسبريس 1949.

(10) Condition légale des juifs sous les rois. Wisigaths, études affertes à P.F Girard – Paris 1913. T. 2 – P. 275 – L'espagne musulmans aux Xème siècle. Lèvi. Provençale – Paris 1932 (P. 38).

(11) (دولة الإسلام في الأندلس - محمد عبد الله عنان القاهرة 1943 ص 224 / الأدب العربي وتاريخه محمود مصطفى - القاهرة 1937 ج 3 ص 43.

(12) كما اعترف بذلك حبر الجزائر الأكبر موريس ايزانبيت

(13) المسالك والممالك ص 115.

(14) ماسينيون مجموعة البحوث والمحاضرات - مؤتمر مجمع اللغة العربية 1959 - 1960 (ص 218).

أصبح كتاب سيبويه في النحو مثلا منطلقا لتجديد النحو العبري بفاس (15) منذ القرن الرابع.

وقد ألف (يهودا بن قريش) كتاب «فقه اللغة المقارن» باللغة العربية ولفت نظر يهود الشمال الافريقي الى وجوب المزيد من العناية بالعربية تعزيزا لفهم أسرار العبرية والعهد القديم ووضع قاموسا عبريا لم يصلنا. بينما وضع معاصره (داود ابراهيم الفاسي) قاموسا سماه «أجرون» يحمل نفس الاسم ويتسم بنفس القيمة مع شرح بالعربية للألفاظ العبرية وكان يهودا بن قريش يستشهد في مؤلفاته بالشعر العربي (16).

أما اسحاق بن يعقوب الكوهن الملقب بالفاسي الذي ولد عام 404 هـ/1013م) في (قلعة ابن أحمد) قرب فاس وتوفي بالوسينة بالأندلس عام 497 هـ/1103م فله (شرح على التلمود) في عشرين مجلدا يعتبر لحد الآن من أهم كتب التشريع التلمودي وله أيضا ثلاثمائة وعشرين فتوى محررة كلها بالعربية وقد أسس بالوسينة قرب غرناطة عام 1089م معهدا للدروس العليا التلمودية كان الطلاب يؤمونه من كل الجهات.

وكان خلوف المغيلي اليهودي هو شيخ التعاليم بفاس نزل عند الآبلي العبدري شيخ ابن خلدون قبل أن يرتحل الى (ابن البنا) بمراكش (نيل الابتهاج ص 244/ طبقات الشعراني ج 2 ص 215).

ولكن في خضم روح التسامح التي طبعت سياسة المغرب منذ أعرق العصور فان الحملة الصليبية اضطرته الى التدخل القوي لحماية كيانه فقد شبت نار المجاذبات بين الاسلام والصليبية في شقي البحر الأبيض المتوسط وكان المغرب أول من واجه غلواء الحملة الصليبية في الشق الغربي لهذا البحر حتى بدأت هذه الصليبية تتحرك من الأندلس للايقاع بالاسلام فانبرى القائد المرابطي يوسف بن تاشفين (عام 479 هـ/1086م) أي قبل الحرب الصليبية الأولى بعشر سنوات 490 هـ/1096م) في معركة (الزلاقة) ضد (الفونس السادس) ملك (قشتالة) مما حدا العالم الاسلامي الى الاعتراف للقائد المغربي الظافر بزعامة امارة المسلمين في الغرب مع استمرار دعوة أمير المسلمين المرابط لدار الخلافة وقد تزعم العباسية دعما للوحدة الاسلامية صلاح الدين الأيوبي الحركة التحريرية في الشق الشرقي للبحر الأبيض المتوسط حيث انتصر في معركة (حطين) ضد الصليبيين بعد ذلك بقرن كامل أي عام 1187م/583 هـ/ فكأنما كانت الانتفاضة الاسلامية في أرض فلسطين ذكرى مئوية لانتصار (الزلاقة) وقد شعر الصليبيون بقوة الضغط المرابطي الموحدي غربا فاختاروا ميدانا جديدا للصراع في قلب القارة الافريقية بزعامة (لويس التاسع) أو (القديس لويس) St. Louis الذي نزل في دمياط عام 1249م/647 هـ فاندحر فاشر بالمنصورة في العام التالي وقد ختم لويس التاسع حياته المغامرة في أرض فلسطين بوفاته عام 1270م/669 هـ أمام عاصمة تونس

---

15) أبو سعيد بن يوسف الذي يعتبر واضع الفلسفة اليهودية في العصور الوسطى، وقد صنف ترجمة عربية للعهد القديم واستكمل قانون الميراث اليهودي مستعينا بالشريعة الاسلامية.

16) قال ابن خلدون «وكانت لهم في المائة الخامسة الكرة بهذا البحر أو (الرومي) وضعف شأن الأساطيل في دولة مصر والشام إلى أن انقطع ولم يعتنوا بشيء من أمره لهذا العهد بعد ان كان لهم به في الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد فبطل رسم هذه الوظيفة هنالك وبقيت بافريقية والمغرب فصارت مختصة بها وكان الجانب الغربي من هذا البحر لهذا العهد موفور الأساطيل ثابت القوة لم يتحيفه عدو ولا كانت لهم به، ولما استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد وكان قائد أسطولهم أحمد الصقلي.. إلى أن قال : «وانتهت أساطيل المسلمين على عهده في الكثرة والاستجادة إلى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه..» وهنا أشار إلى أن صلاح الدين الأيوبي ملك مصر والشام تتابعت أساطيل النصارى ضد ثغور الشام لم تقاومهم أساطيل الاسكندرية فأوفد الأيوبي ليعقوب المنصور عبد الكريم ابن منقذ من بيت بني منقذ ملوك شيرز الخ استنجادا بالأسطول المغربي.

فكانت آخر ضربة من بحبوحة المغرب العربية ضد الحرب الصليبية الثامنة والأخيرة وكان ذلك نتيجة لصمود المغرب الذي امتدت امبراطوريته انذاك الى حدود طرابلس الغرب في وجه الحركة الصليبية حيث جمد الاسطول المغربي بعض جيوشها وأساطيلها في أقاليم الأندلس والشواطىء الاسبانية خلال وقعة الأرك (عام 591 هـ/1195م) (أي بعد وقعة حطين بنحو عقدين من السنين ثم وقعة العقاب عام 609 هـ/1212 م مما حقق انتصار الجيوش الاسلامية المرابطة بأرض فلسطين حيث بدأ المسيحيون يندحرون منذ الحرب الصليبية الخامسة عام 212 هـ/ 1219م بطردهم نهائيا من الأماكن المقدسة بعد معركة (غزة) عام 642 هـ/1244م.

وكان الأسطول المغربي في البحر الأبيض المتوسط خلال القرن السادس الهجري أول أسطول له وزن دولي في منطقة تعتبر أعظم منطقة بحرية في العالم وكان المغرب يشعر أنذاك بجسامة المسؤولية التي يتحملها كدولة تخولها قوتها رسالة تطهير المنطقة من الشوائب التي كانت من جملتها (القرصنة البحرية) فلذلك شكل الموحدون (مليشية ملاحية) لايقاف التيارات الجارفة التي بدأت تعصف بحبل الطمأنينة والهدوء في أعظم مسار بحري رسمي تركزت في مياهه المبادلات الاقتصادية وعناصر التلقيح الفكرية والحضارية وكانت (الحروب الصليبية) تلطخ الشواطىء الشرقية للبحر الأبيض المتوسط حيث تجمع مرتزقة من بقع مختلفة في أوروبا لتقويض كيان السلام الذي حفظه الإسلام منذ ظهوره. وجاء (صلاح الدين الأيوبي) فرد المياه إلى مجاريها بعد فترة من الفوضى فجرت في المنطقة بركانا من الدماء وقد أحس الخليفة الأيوبي بفضل روحه العسكرية الوثابة بمدى خطورة الموقف وبضرورة تكتل شقي العروبة في شرق البحر الأبيض المتوسط وغربه ولمس قوة الأسطول المغربي كدعامة حتمية للحفاظ على التراث الإسلامي والعربي في المنطقة فاستنجد بالخليفة الموحدي الذي كانت مجرد أصداء أسطوله العتيد في المتوسط تثير الرعب في قلوب المرتزقة الذين تشتتت فلولهم قبل أن يهب الأسطول المغربي لإنجاد شواطىء فلسطين (17).

وقد خلدت أغنية رولان نشاط المرابطين في البحر وتحدث (الفونسو السابع) عن وصول غارات الأسطول المرابطي للدفاع عن بلاد الشام (18).

وذكر اندري جوليان في (ص 413) أن يوسف البربري) الذي استخدمه (روجير الثاني) ملك صقلية على سفنه قد عين أميرالا من طرف الأمير أبي يعقوب يوسف الموحدي فجعل من أسطول الخليفة الموحدي أعظم أسطول في البحر المتوسط إلى القرن السابع وعندما حدث الخلاف بين يعقوب المنصور المريني وابن الأحمر عام 273 هـ - 1279م تجمعت بمرفأ سبتة أساطيل منها خمس وأربعون قطعة لأبي حاتم العزفي واثنتا عشرة لابن الأحمر انطلقت من (المنكب) و (المريني) و (مالقة) وخمس عشرة قدمت من (بادس) وسلا وأنفا التحمت مع أربعمائة قطعة للعدو فملكتها وأسرت قائدها (الملند) الذي نقل أسيرا إلى فاس (19).

اما الاسطول السعدي فقد كان وجوده يشكل وسيلة ضغط على إسبانيا والبرتغال اللتين كانتا تذكران ما قام به الأسطول في عهود المرابطين والموحدين والمرينيين مما

17) (دوزي تاريخ الإسلام).
18) (الاستقصا ج 2 ص 25).
19) في كتابه تاريخ المغرب

عزز شعور الملوك السعديين بأن تعزيز وضعهم في إفريقيا والبحر المتوسط لا يمكن أن يتم بدون أسطول إذ بفضل هذا الأسطول اضطر البرتغاليون إلى الجلاء 957 هـ - 1550م عن مراكز قوية في الساحل الغربي مثل أصيلا والقصر والكبير وهكذا ظهر عنصر جديد منذ أوائل القرن السادس عشر استهدفت إعادة الكرة لا حتلال فلسطين ببسط نفوذ الصليب من الخليج العربي إلى البحر المتوسط فقد حاول البرتغاليون سد البحر الأحمر في وجه السفن العربية للاستيلاء على مداخله تمهيدا لغزو الخليج العربي وكانوا قد أنشأوا عام 1482م / 887 هـ في (ساحل الذهب) أول مستعمرة لهم في إفريقيا وهنا برز دور المغرب الأقصى من جديد في إيقاف هذا الزحف الهادف الذي كان يرمي إلى وصل الخليج بالشام كما وقع في عهد الفينيقيين حيث أنقذ المغرب أرض فلسطين العربية بإنقاذه الخليج من ضغط الاستعمار البرتغالي ففي عام 1540م / 947 هـ دخل (سليمان القانوني) إلى الخليج العربي من الشمال ونازل البرتغاليين في معركة ميناء (مصوع) على الساحل الإفريقي من البحر الأحمر حيث اندحر البرتغاليون أمام الأسطول العثماني غير أنهم لم يكفوا عن مهاجمة المراكز العربية في الخليج مضاعفين ضغوطهم على المغرب الذي انكفأوا إليه بعد أن قضوا على آخر من تبقى من العرب في الأندلس تقتيلا وتشريدا ولكن رد فعل المغرب الأقصى كان عنيفا ففي عام 986 هـ / 1578م هاجم البرتغال بقضه وقضيضه شمال المغرب بقيادة ملكه الشاب الدون سبستيان Don Sebastien وبلغ جند البرتغال أنذاك مائة وخمسين ألفا (حسب بعض المراجع الأجنبية وقطع أسطولهم الرابضة في مينائي أصيلا والعرائش (847 قطعة) وزحف الجيش البرتغالي إلى (وادي المخازن) في متم جمادى الأولى من نفس السنة أي رابع عشر 1578م وكانت هجمة صليبية عززت فيها البابوية الزحف المسيحي على العالم الإسلامي غربا (بعد أن حاولت ذلك شرقا) باستنفار الدول الكاثوليكية وتعبئة شباب (الفاتيكان) وكانت الحملة لاحتلال المغرب منسقة اقتصاصا من الوجود العربي بالأندلس وتعويضا للمسيحية عن فقدان (روديس) وجزء من هنغاريا والبابا الاسكندر السادس هو الذي أصدر آنذاك مرسوم تقسيم العالم إلى مناطق نفوذ موزعة بين إسبانيا والبرتغال عام 900 هـ / 1494م غداة الكشف عن أمريكا ولكن أبى الله إلا أن ينتصر المغاربة ضد التكتلات الصليبية فقتل ملك البرتغال وأسر جيشه وفر أسطوله فكانت هذه المعركة - كما يقول المؤرخ الفرنسي هنـــري طيراس - (20) المعركة الفاصلة في تاريخ الصراع المفتعل وغير الطبيعي بين المسيحيين والمسلمين أنزلت ضربة بالطموح البرتغالي وفككت أوصال مملكة البرتغال لأن (الدون سبستيان) مات بدون وارث فخلفه عمه (فيليب الثاني) ملك إسبانيا التي اندمجت فيها البرتغال طوال ستين سنة ظلت خلالها خاضعة هي نفسها للإسبان.

وكان (محمد المسلوخ) من جملة الملوك الثلاثة الذين ماتوا في هذه المعركة وكان اليهود يبغضونه نظرا لتعسفاته وقد كان انتصار مولاي عبد المالك عليه مثار ابتهاج اليهود الذين أقاموا حفلات صادفت اليوم الثاني من ستهلال (شتمبر 5338) من التاريخ العبري وقد تعهد الأحبار منذ ذلك بالنسبة إليهم وإلى سلالتهم إلى ظهور المسيح أن يحتفلوا بهذا اليوم كيوم خلاص (بوريم) بالصدقة على الفقراء (وثيقة يهودية عربية رقم 5 - بقلم ساموبل بن سيدنا ابن دنان - هسبريس (عام 1948).

ولذلك تم ابان هذه الفترة اجلاء البرتغاليين عن (منطقة البحرين) التي احتلوها قرنا كاملا عام 1032 هـ / 1622 كما طرد البرتغاليون من مجموع مستعمراتهم على

[20] الحركة التي هدفت عام 1806 إلى إقفال جميع الموانىء في وجه انجلترا لتضييق الخناق عليها اقتصاديا.

الشط العربي (عام 1649م / 1059 هـ) وبذلك تحرر العالم العربي من هيمنة البرتغال التي امتدت أربعة قرون وباستئصال شأفة الغزو البرتغالي في الخليج وتقليص ظلمهم في سواحل المغرب شمالا وغربا تمكن العرب من الانتصار في السلسلة الثانية للحروب الصليبية التي أججت أوروبا نيرانها ضد العرب في القرنين السادس عشر والسابع عشر لتنطلق في حلقات أخرى من هذه الحرب بقيادة الهولنديين والانجليز والفرنسيين في كل من المغرب والخليج العربي وكان الكشف عن العالم الجديد عام 898 هـ / 1492م قد شغل أيضا المغامرين الذين اتجهوا إلى مجاهل أمريكا للبحث عن مصادر الثراء ولكن المغرب ظل يواجه جانبا من هذا الضغط وكذلك الامبراطورية العثمانية التي كانت تسير في طريق الأفول تحت ضربات الاحلاف الأوروبية وخاصة «الحلف المقدس» عام 1815 / 1231 هـ التي أدت إلى تجريد السلطان المولى سليمـــان (1238 هـ / 1820م) من أسطوله بدعوى مساندته للقراصنة وحاول (نابليون آنذاك الضغط من جهته على المغرب للانضمام إلى كتلة الحلف القاري (21) Blecus continental وكانت خاتمة المطاف تكاثف الكتل الأوروبية التي أدت في البحر الأبيض المتوسط إلى بسط نفوذ الاستعمار الغربي ابتداء من 1830م / 1246 هـ على الجزائر ثم على تونس عام 1299 هـ / 1881م والمغرب عام 1331 هـ / 1912م.

وكانت البحرية الملكية تتوفر عام 1793 م / 1208 هـ عند اعتلاء المولى سليمان أريكة العرش على عشر حراقات (أو فرقاطات) وأربع قلعيات (أي سفن شراعية ذات قلوع) وأربعة عشرة غليونا (أي سفن شراعية صغيرة) مثل التي كان الهولنديون يستعملونها للصيد وتسعة عشر (22) من زوارق الانقاذ المجهزة بالمدافع كل ذلك بتعزيز من ستة آلاف بحار من الملاحين ذوي الشهرة والصيت (23) وقد اعترض الأسطول المغربي عام 1217 هـ / 1803م الأسطول الأمريكي المحاصر لطرابلس ففك هذا الحصار ثم بدد اسطولنا عمارة ثانية (34) راجع رسالة المولى سليمان لأمير ليبية يوسف باشا (محمد المنوني - دعوة الحق - عدد 4 العام الثاني عشر).

وكان المغرب قد فرضت عليه قبل ذلك بزهاء قرن اتفاقية فتحت الباب على مصراعيه لتجنس اليهود وحتى المسلمين المغاربة الذين أصبحوا يشكلون عنصر اضطراب حدا المخزن (أي حكومة السلطان) إلى تقليص حرية المغاربة في التوجه إلى الخارج حيث كان في وسعهم التجنس والاحتماء بسهولة فشمل هذا القرار اليهود الذين قضت هجرتهم إلى خارج المغرب وربما مس ذلك هجرتهم إلى خارج المغرب وربما مس ذلك هجرتهم إلى بيت المقدس بالتبع لهذا القرار العام وفي عام 1767م / 1181 هـ وقع المغرب معاهدة (بروئيون) Breugnon ثم اتفاقية 1856م / 1273 هـ مع انجلترا وثالثة مع فرنسا عام 1863م - 1280 هـ أعقبتها اتفاقات مختلفة مع دول أوروبية انتهت باتفاقية مدريد (1880م / 1298 هـ خلقت فئة من المغاربة المحميين. وبذلك أصبح الأجانب يتدخلون في الحياة اليومية للسكان مثيرين اضطرابات مفتعلة لم يكن للمخزن أمامها حول ولا قوة ومع ذلك أصبح يتهم بالتعصب والتحيز والظلم والحيف ذريعة لتدخل سياسي أخطر.

وقبل ذلك ورد روتشيلد وهو تاجر بريطاني يهودي عام 1280 هـ / 1863م من لندرة على المولى محمد بن عبد الرحمن بمراكش يطلب الحرية ليهود المغرب وكانوا

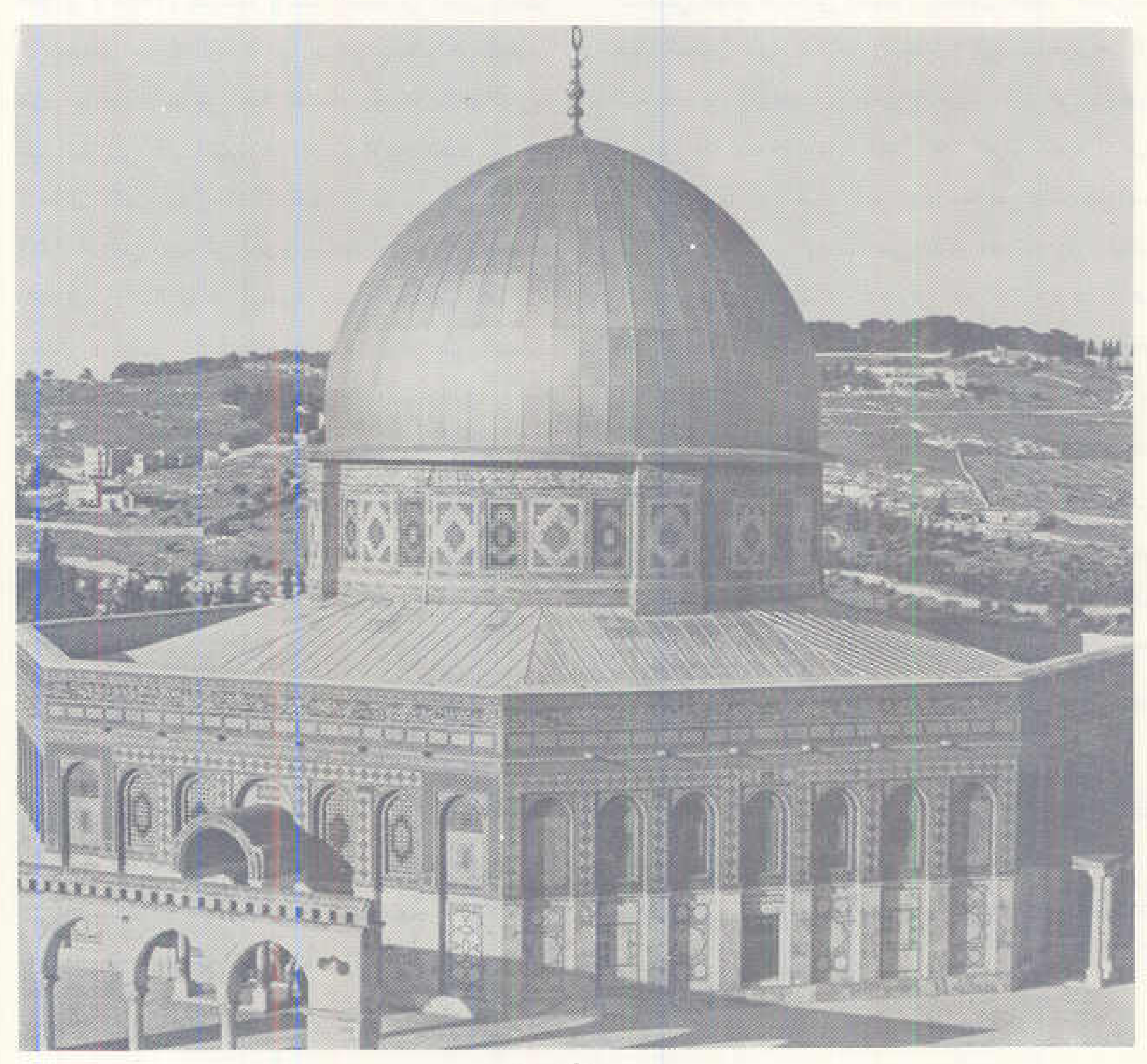
(21) نفس المصدر ص 156.

(22) محمد بن علي الدكالي - جريدة المغرب رقم 346).

قد كتبوا يتعلقون به بعد هزيمة تطوان فأصدر السلطان ظهيرا لم يزد فيه على ما ورد من صريح الشرع وما أوجب من حفظ الذمة وعدم الظلم والتعسف وتوفيتهم حقوقهم والضرب على أيدي من ظلمهم وقد ورد في الظهير، «وهذا الأمر الذي قررناه وأوضحناه وبيناه كان مقررا ومعروفا محررا لكن زدنا هذا المسطور تقريرا وتأكيدا ووعيدا في حق من يريد ظلما وتشديدا ليزيد اليهود أمنا إلى أمنهم» فظهر منهم تطاول وطيش وأرادوه أن يختصوا في الأحكام فيما بينهم لا سيما يهود المراسي فأصدر السلطان ظهيرا جديدا بين فيه المراد وأن ذلك الايصال إنما هو في حق أهل المروءة.

(الاستقصاء ج 4 ص 228).

وبعد ظهور بوادر الاستعمار واتضاح النوايا السيئة لبعض الأجانب خاصة أواخر القرن الماضي أصدر الحسن الأول أمره إلى أمناء الديوانة بشراء الأملاك التي اقتناها الأجانب مهما كان الثمن (طنجة وناحيتها في سلسلة مدن المغرب وقبائله ج 7 ص 128) ولم يشعر اليهود الأجانب النازحون إلى المغرب في مختلف العصور بأية مضايقة في هذا المجال لأنهم كانوا يندمجون ضمن الرعايا اليهود.





للأستاذ عجاج نويهض

كان حرص (دعوة الحق) شديدا على أن يشارك الأستاذ الكبير عجاج نويهض في هذا العدد الخاص عن القدس. وقد كاتبت المجاهد الفلسطيني الكبير في الموضوع، وما كان منه ـ عافاه الله وشفاه ومتعه بالصحة ـ إلا أن بادر بالرد الجميل الذي ضمنه عواطف نبيلة ومشاعر طيبة نحو المغرب وأهله.

وننشر فيما يلي رسالة الكاتب الفلسطيني الكبير عجاج نويهض مترجم الموسوعة الإسلامية الكبرى التي نشأت عليها أجيال على مدى نصف قرن وكان لها في المغرب الوقع العميق والأثر الباقي ونعني بها كتاب (حاضر العالم الإسلامي).

4 شعبان 1401 هـ ـ 6 حزيران 1981م

ه = ه

حضرة صاحب السيادة والمعالي وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية الافخم الرباط ـ المغرب.

خير افتتاح ، السلام على مولانا الإمام جلالة الملك الحسن الثاني ورحمة الله وبركاته وتأييده.

والسلام على معالي الوزير ورحمة الله وبركاته.

في 30 / 5 / 1981 تشرفت بكتابكم الكريم المؤرخ في 12 رجب 1401 وفق 18 مايو 1981 في موضوع المساهمة في عدد خاص من مجلة **«دعوة الحق»** عن القدس الطيبة الحبيبة وقد سكنتها 20 سنة آخرها سنة الانهيار 1948.

إني مريض في الفراش منذ سنتين، وقد استعنت بالله وحمدته وصليت على رسوله وآله وكتبت هذا الفصل عن القدس، كما تركتها 1948 إلى عمان. كتبت هذا المقال ودموعي تنهل وقلبي خفاق والقلم يرتعش بين أصابعي، وإني أقدمه بالبريد المسجل لآمن على وصوله، وأشكر لمعاليكم حسن الظن بهذا الضعيف العاجز.

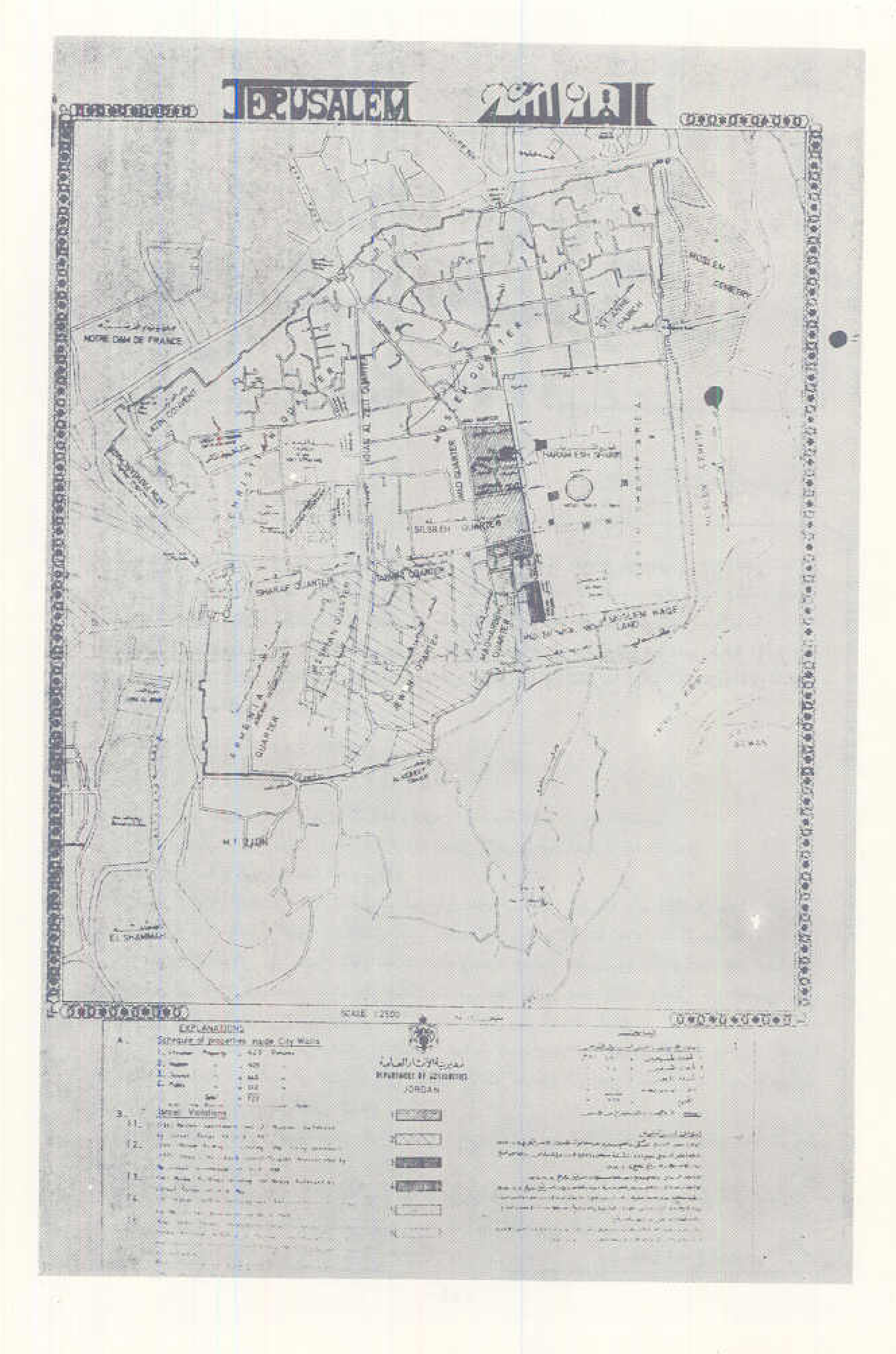
وإني أعلم كما يعلم كل عربي ومسلم ان اضطلاع مولانا الإمام أيده الله، بجهوده العظيمة في سبيل القدس، سيؤدي مع تضافر العالم الإسلامي إلى استرداد أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وبلد الاسراء والمعراج ومربط البراق، من الغاصب الدخيل والعدو العاتي المسلح بالباطل.

وإني أشكر لمجلة **«دعوة الحق»**، وهي كوكب مضيء، على تجردها لهذا العدد الخاص الذي سيلقى صداه الموقظ في نفوس العرب والمسلمين.

وأشكر معاليكم على هذه العناية الفائقة، جمع الله الإسلام والعروبة في عروة وثقى لا انفصام لها في هذا السبيل.

واحترامي وسلامي لسعادة الكاتب العام الأستاذ محمد المرابط، والله ولي التوفيق.

المخلص، **عجاج نويهض**



JERUSALEM
NOTRE DAM DE FRANCE
MOSLEM CEMETERY
HARAM ESH SHARIF
SILSILEH QUARTER
SHARAF QUARTER
MOSLEM WAQF LAND
ARMENIAN QUARTER
MT ZION
EL SHAMMAH
SCALE 1:2500
EXPLANATIONS
DEPARTMENT OF ANTIQUITIES
JORDAN

مرادي أن أصف القدس وصفا عاما، ليكون من ذلك صورة في ذهن القارىء، والقارىء الذي أعنيه هو ابن العروبة والإسلام، من شمال العراق إلى الرباط، ومن حلب إلى عدن، مع قلب إفريقيا وغربها وشرقها، أو بعبارة أخرى من المحيط إلى الخليج باصطلاحنا اليوم واني كعربي مسلم أشكر جلالة الملك الحسن الثاني رئيس لجنة القدس نصره الله وأيده، المضطلع بهذا العبء العظيم المحقق بعون الله إلى إنقاذ القدس وتحريرها من الأعداء الغاصبين. وأشكر لمجلة «دعوة الحق» عزمها النافذ على إصدار عدد خاص منها يتعلق بالقدس يساهم فيه عدد من كتاب المغرب والمشرق فتشتد بذلك عرى العروبة والإسلام المتكاثفة على هذه الغاية. ومع أني مريض منذ سنتين لا أقوى على المشي فإني قد استعنت بالله عز وجل وكتبت هذا الفصل وانا في الفراش آملا أن يكون منه شيء من الفائدة، وخاصة لمن لم يسبق له أن عرف القدس أو زارها وصلى في المسجد الأقصى أو مسجد الصخرةالشريفة. وهؤلاء في ظني هم القسم الغالب من القراء. وقد سكنت القدس ثلاثين سنة آخرها سنة الانهيار 1948 أي مدة الانتداب البريطاني المشؤوم، ثم سكنت عمان بعد ذلك عاصمة الأردن عشر سنين ثم عدت إلى لبنان وطني العروبي الأول، 1959.

× – ×

لما تولى السلطان سليمان القانوني من بني عثمان السلطنة وجه مزيد عنايته بأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، بلد الاسراء والمعراج ومربط البراق الشريف، عاملا بتفسير الآية الكريمة ««سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصىالذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير» فبنى السلطان سليمان القانوني سورا للقدس في القرن السادس عشر (م) لم يزل إلى هذه الساعة بجداره العالي وحجارته الضخمة وأبوابه التي هي آية في الإبداع، كسنة فرغ من بنائه، لم ينقض منه حجر واحد. يحيط بالقدس القديمة احاطة السوار بالمعصم، وهو شبه دائرة من حولها، وله أربع بوابات عظيمة كل بوابة تفتح إلى جهة من الجهات الأربع، ولم تزل هذه البوابات هي مداخل أهل المدينة ومخارجهم منها، ولعل القدس هي المدينة الوحيدة في العالم الإسلامي باق سورها حولها كما بني في الأصل باتقان وإحكام.

× – ×

لما زار الامبراطور غليوم الثاني ملك ألمانيا فلسطين ودمشق سنة 1898 زمن السلطان عبد الحميد الثاني العثماني، فقد أراد عبد الحميد بلوغ أقصى الغاية في تكريمه تنمية للصداقة بينهما وقتئذ، فأمر أن يهدم جانب من سور القدس على حافة عشرات الأمتار . قرب احدى البوابات المذكورة، وهي بوابة باب الخليل ومنها الطريق إلى داخل المدينة وكنيسة القيامة، وقبر السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام مما يريد الامبراطور زيارته، ولم يشأ عبد الحميد أن يعلو رأس الامبراطور شيء وهو يدخل السور وهذه الفجوة لم تزل على حالها، فصمت من حلقة السور مسافة عشرات الأمتار، ومن هناك سار غليوم ماشيا على قدميه هو والامبراطورة إلى داخل المدينة. وزيارة الامبراطور هذه للقدس وفلسطين ودمشق تحتاج إلى تفصيل ليس هنا، ولكن لا بأس إيجاز هنا إيجازا حبا لمزيد الفائدة ولارتباط الأمور بعضها ببعض ، فإن غليوم كان في ذلك الآن يطمع في أن يحصل على إنشاء سكة حديد برلين - بغداد، الأمر الذي جنت منه بريطانيا، وتمكن غليوم من ايصال هذا الخط إلى استنبول، وفي نيته ايصاله إلى بغداد، وكان غليوم في تلك السنوات مهتما بأن ينشىء أسطولا بحريا، وهذا كله مع تفاصيله مما أدى

إلى أسباب الحرب الأولى 1914 وكان شعار برلين في تلك الأيام «ألمانيا إلى الشرق».

× - ×

ولما زار غليوم دمشق بعد القدس سنة 1898 كان يشيد في خطبه العامة في فلسطين والشام بعظمة السلطان عبد الحميد. وكان إذا أتى على ذكر عبد الحميد يشير إليه بقوله : «والدي جلالة السلطان عبد الحميد الثاني» وفي احتفال رسمي في دمشق وعلى قبر صلاح الدين الأيوبي أعلن غليوم صداقته لثلاث مئة وخمسين مليونا من المسلمين. وكان لهذا ضجة كبيرة في العالم الإسلامي. وزار غليوم وهو في دمشق قبر السلطان الغازي الفاتح صلاح الدين الأيوبي زيارة خاصة وحياه تحية الملوك للملوك. ووصفه بأنه من أعدل الفاتحين في العالم. ووضع اكليلا من البرونز على القبر (1). ففي ملاحظة مجاري الأمور السياسية ينبغي للعرب والمسلمين أخذ العظات والعبر. نعم ليس هذا الاستطراد إلى ما يتعلق بغليوم ليس هنا موضعه في هذا المقال. وإنما أدى إليه الفجوة التي احدثت في سور القدس حتى إذا مر من خلال الفجوة إلى المدينة فلا تعلوه إلا السماء .

× - ×

للقدس أربع بوابات هي المداخل والمخرج للمدينة. وهي «باب الخليل» المتجه لجبال الخليل وبعده عن القدس نحو 25 ك م. وهو سرة القدس. واعمر أحيائها في التجارة والصنائع والمصارف والفنادق والمقاهي والحركة والأخذ والعطاء. فباب الخليل هو القدس عمليا باختصار وهو لصق السور تماما وامام السور المتاجر والأبنية.

الباب الثاني «باب العمود». وكان على الغالب تقف هنا السيارات القادمة من شرق الأردن. وهنا في هذا المكان تجارة الحبوب والأغذية وله ساحة بقربها دار حاكم القدس. وبالانكليزية يسمى باب العمود باب الشام أو دمشق لأن من هنا الطريق إلى نابلس فشمال فلسطين ثم إلى دمشق.

الباب الثالث هو باب الزاهرة أو باب الساهرة وقربها تلة عليها مقبرة إسلامية. وحي باب الزاهرة حي عامر بالمساكن الجميلة كأنه مدينة صغيرة. والمسافة بين باب العامود وباب الزاهرة نحو مائة متر. نأت إلى باب «ستنا مريم» وهو شرقي السور والمدخل إلى المدينة ومن باب «ستنا مريم» تبدأ طريق شرق الأردن أو الغور. أو أريحا وكلها في انحدار.

وكما أن الطريق من باب الخليل المتقدم الذكر . وخليل الرحمن في الجبل جنوبا في 25 ك. م تقريبا. فهذه المسافة هي عينها أي 25 كم إلى أريحا التي هي تحت سطح البحر بمآت الأقدام. وكما يصح عن جبل الخليل. أن يكون مصيفا عاليا وفيه مياه جارية وينابيع. كذلك أريحا تصح أن تكون مشتى تحت سطح البحر لا نظير لها في العالم العربي. وفي أريحا فاكهة ولا سيما البرتقال الذي هو طبيعي الحلاوة وتنسلخ قشرته بسهولة. ويوجد أبواب تاريخية بين الحرم والأحياء الإسلامية ولكن هذه الأبواب بين الحرم وداخل المدينة.

× - ×

فالمسافة بين القدس وخليل الرحمن جبلا جنوبا. تطرد جنوبا إلى غزة وبئر السبع فالصحراء فخليج العقبة. والمسافة بين القدس ومرفأ يافا المسمى «عروس البحر».

(1) هذا الاكليل الذي وضعه غليوم بيده سنة 1898 بقي مكانه عشرين سنة أي إلى خريف 1918 فلما احتلت القوات العربية والبريطانية في ثورة الحسين بن علي دمشق.ذهب لورانس الكولونل الانكليزي المشهور في ثالث ليلة فتسلل سرا ومعه ثلاثة جنود ونزع الاكليل وبعث به إلى لندن فهو في المتحف البريطاني اليوم.

ونابلس نحو 70 كلم. فإذا كنت في القدس وأردت السفر إلى بيروت فطريقك بالسيارة طبعا إلى «نابلس» في وسط البلاد ثم إلى «جنين» وهي على كتف السهل المشهور بمرج بن عامر أو مرج بني عامر، ثم إلى حيفا المرفأ والميناء ثم إلى «النافورة» على الشاطىء وهي الحدود الدولية بين فلسطين ولبنان. وإذا كنت تريد الذهاب من القدس إلى دمشق بالسيارة أيضا فعند وصولك إلى مرج بن عامر تأخذ طريق الناصرة الجبلية ومن الناصرة الجبل تهبط نحو «الغور» كما هبطت من القدس فأريحا. فتصل إلى طبريا تحت سطح البحر ومن طبريا إلى «جسر بنات يعقوب» وبعد الجسر تدخل الأراضي السورية إلى دمشق مارا بالجولان. هذه الطرق حتى سنة 1948.

× – ×

الحرم الشريف حيث المسجد الأقصى وقبة الصخرة. هو في المساحة خمس مساحة المدينة التي داخل السور. ويصبح سور القدس الذي تكلمنا عنه هو سور الحرم من الجهة الشرقية والقبلية. فليس معنى «الحرم القدسي» انه مقصور على المسجد الأقصى ومسجد الصخرة. كلا. بل هناك مساحة واسعة تبلغ عشرات الافدنة. لا الدونمات كلها بسيط جميل من الأرض. وتلقى الشجر في أماكن وفي الربيع تلقى الزهور الطبيعية وبعض الحدائق البستانية. قال أمين الريحاني العلامة الفيلسوف سنة 1924 بحضوري في المجلس الإسلامي الأعلى. وقد زار الحرم وتمشى فيه. وشاهد ما في المسجدين (الأقصى والصخرة) من فنون الفسيفساء. انه لم يشعر في حياته ان بقعة من الأرض تشعل الروحانية في الصدر بين الخالق والمخلوق كما شعر وهو يطوف في تلك البقاع التي يطلق على مجموعها الحرم الشريف. ثم ان لمشاهدة السماء والنجوم والكواكب في ليالي البدر من ليالي القمر تحت تلك السماء الصافية والآفاق الرائقة شيء كان يدهش منه الانكليز. فكانوا يطلبون الرخصة من المجلس الإسلامي الأعلى أن يسمح لهم بزيارة الحرم الشريف والقمر بدر في ليالي الصيف. ومنظر هذا الحرم من الطيارة أروع وأروع. اخبرني صديقي السياسي العروبي الأستاذ أسعد داغر انه رأى الحرم من الطيارة في السماء وهو مسافر جوا إلى بغداد. فرأى جمال هذه البقعة يفور فورانا.

× – ×

الرحالة بنيامين بن يونة التطيلي النباري الأندلسي في منتصف القرن السادس الهجري. قام برحلة من الأندلس إلى البلقان إلى استنبول فالاناضول فبلاد الشام. متبعاالشواطىء والمدن الساحلية لسوريا ولبنان وفلسطين ثم زار العراق وغير بلاد في المشرق وقصده في هذه الرحلة مشاهدة العالم والكشف عن أحوال اليهود الراهنة الموزعين أشتاتا وحفنات. ثم وضع بنيامين هذا كناشته مدونا فيها بعبارة وجيزة مشاهداته وخواطره وأحوال اخوانه اليهود المبعثرين بين المسلمين والنصارى. وهذا الكتاب يستفاد منه كثيرا وأصل لغته العبرية. فقام الأديب اليهودي العراقي عزرا حداد بترجمة كناشة بنيامين إلى العربية وطبعه في بغداد سنة 1264 هـ ـ 1945م وقدم له مقدمة نفيسة المؤرخ العراقي الأستاذ عباس العزاوي عضو المجمع العلمي العراقي. وفي الكتاب حواشي تحقيقات جمة مفيدة. لما وصل هذا الرحالة إلى القدس كانت القدس في حكم الصليبيين وكان في مدينة القدس نحو 200 يهودي لاغير يمتهنون الصباغة وما أشبه.

وبعد عشر سنوات من رحلة بنيامين هذا. كانت رحلة يهودي آخر ووصل إلى القدس واسمه ابن «فتاحية». فالمئتان من اليهود الذين علم بأمرهم بنيامين. تناقصوا في خلال هذه المدة عشر سنوات إلى واحد مفرد فقط. اسمه ابراهيم يعمل صباغا. ومعلوم لنا تاريخا ان في فتح القدس الفتح العمري طلب النصارى من سيدنا عمر بن الخطاب

أن يخرج ويبعد اليهود من «ايلياء» ـ القدس ـ فاستجاب سيدنا عمر لهذا الطلب. وكان السبب في ذلك ان كان الجيش الفارسي قبيل ذلك قد فظع في النصارى شر تفظيع على يد اليهود. فكانوا عيونا وأعوانا للجيش الفارسي ومحرضين له.

× - ×

واليهود الذين كانوا في المدينة داخل السور في الزمن الحديث حفنة صغيرة ولهم كنيس منه يرون الحرم. ولم يكونوا يملكون بيوتا ومنازل داخل المدينة إلا شيئا قليلا. وإنما كانوا يستأجرون المساكن من المسلمين استئجارا. وكان لهم بعض التجارة الخفيفة في المدينة القديمة لاتذكر. ولما وقعت ثورة البراق الشريف سنة 1929 وفتك باليهود فتكا ذريعا وسيما في صفد في الشمال وفي الخليل في الجنوب. خرجت هذه الفئة القليلة من المدينة القديمة إلى الأحياء اليهودية خارج السور. وفي هذه السنة أي 1939 بدأ العرب في المقاطعة الاقتصادية لليهود. بل ان اليهود الذين لهم في حي باب الخليل تجارة هجروا كل هذا وابتعدوا إلى صميم أحيائهم خارج السور حي «ميشوريم» وامثاله. هكذا استصفت ثورة البراق اليهود من مدينة عمر المقدسة.

× - ×

إلى سنة 1870 كانت البوابات أو الأبواب الكبرى تغلق في الغروب وتبقى مقفلة إلى صباح اليوم التالي. فإذا جاء أحد غريب أو حتى إذا كان من سكان المدينة. نام خارج البوابة. وكانت القدس قبل 111 سنة إنما تفعل هذا لتكون المدينة في مأمن تام. وقد كان يقع أحيانا شيء من الإخلال له بالأمن أو اضطراب قروي أو عشائري قريب من المدينة فلكي لايتسرب أي خوف إلى نفوس الأهالي رتب أمر إقفال البوابات مساء.

ومن يزور القدس سنة 1948 يجد أن جميع تلك الأحياء الكبيرة المنبسطة في منبسطات تلك الأرض. وهي تفوق بالكم والحجم المدينة التي داخل السور. ومن عادة اليهود أن يتمردوا وحدهم منعزلين عن بقية السكان. وهذا شأنهم التاريخي منذ شتتهم الرومان. فإذا كانت أحياؤهم هذه تسمى في أوروبا «الغيتو». ففي العالم العربي أو في كل حاضرة أو مدينة عربية حارة تسمى «حارة اليهود» وهم يؤثرون سكنى المدن لا القرى والأرياف. لأن لهم في المدن مجالا أوسع وأرحب لامتصاص المال بالربا وغيره. ولما وضع شكسبير رواية «تاجر البندقية» العالمية الشهرة. فهو انما بناها على الواقع لامن مستبطنات الخيال. ثم ان الحقيقة الكبرى في قضية اليهود على ممر الأجيال إلى هذه الساعة. وحتى يوم القيامة. انهم إما أن يكونوا خارج نطاق الحضارة التي يعيشون في أكنافها واما أن يكونوا مفسدين للحضارة. متآمرين عليها. ولا ترتفع كفة موازينهم شيئا أن يخرج منهم أحيانا أشخاص مثل «سبينوزا» أو «انشتين». وشأنهم هذا ليس جديدا في فلسطين. فهم إذا كانوا محكومين لجأوا إلى المشاركة والعصيان. وإذا كانوا حاكمين كانت منهم وقائع «دير ياسين» غربي القدس وطبريا وكفر قاسم وناصر الدين. 1948.

× - ×

الأمان في فلسطين : في القرن الماضي نشطت جهود تبشيرية واستعمارية لألمانيا في فلسطين. وقد مر بنا حديث غليوم وعبد الحميد فما جاءت 1914 إلا وكان لهم في فلسطين ما يلي :

أولا : لهم في حيفا حي مزدهر البناء والحدائق والطرق. «نموذجي» في إنشاء الأحياء العصرية. يضج ترفا في كل باب من أبواب الحياة المنظمة. هذا في حيفا. فكان العربي ابن حيفا أو قادما من غير مكان. يروق له

أن يستظل بظل تلك الأشجار ويستمتع بافيائها والنظر إلى التفنن في بستنة الحدائق.

ثانيا : كان لهم مستوطنة اسمها «سارونا» قرب يافا وكانت هذه المستوطنة آية. نعم على غرار حيفا ولكن تفوق مستوطنة حيفا تفننا في زراعة الزهور والخضروات والعنب على اختلاف أنواعه. فلما مر «بارونا» غليوم والامبراطور في زيارتهما للقدس . كما تقدم الكلام عن عبد الحميد والفجوة في سور القدس. احتفى بهما الألمان سكان المستوطنة بشكل انيق. وتقدم فريق من السيدات من أهل «سارونا» من الضيف الامبراطوري وقدمن له كأسا من النبيذ وقلن له : «هذا نبيذ عصرته أيد ألمانية» وقدمن للامبراطورة باقة من أجمل زهر وقلن لها : «هذه باقة من زهر سارونا تعهدتها أيد ألمانية».

× – ×

أما في القدس فقد كان لهم مستوطنة انشأوها في الربع الأخير من القرن الماضي. وهي على غرار مالهم في حيفا ومنازلها كلها على الطراز الألماني والعرب يقولون «الكولونية الألمانية» وبعد الحرب الأولى امتد العمـــران العربي فأحاط بنطاق الكولونية ثم راح يمتد ويتسع حتى أصبحت الكولونية نقطة في دائرة وهذه الكولونية لمـــا بنيت أو بدىء في انشائها منذ قرن تقريبا كانت فارغة الآفاق من العمران العربي. أما في سنة 1948 فقد أحاط بها العمران العربي من كل جهة دون أن ينتقص ذلك شيئا من محاسنها الذاتية وجمالاتها الفياضة. فالكولونية تخرقها الطريق العامة الرسمية مع الأرصفة وشجر الفلفل الأحمر والطرق الفرعية.

× – ×

وبالقرب من الكولونية الألمانية، أنشىء حي عربي كامل اسمه «حي الطالبية» وكله على الطراز الحديث والحي كله محض عربي. وأعلى مكانا من موقع الكولونية. فإذا قلت ان كولونية العرب إي «الطالبية» لاتقل نظاما وأناقة عن أختها الألمانية فليس في قولنا هذا أي غلو.

فلنكمل قصة الألمان : ولهم في القدس على طريق يافا غربي حي اليهودي وشماله. حي لهم فيه مطبعة عربية ومدرسة للتعليم وتعلم هنا لاولاد العرب عدة صناعات كالنجارة وغيرها. وكان يعرف هذا الحي الألماني «حي شتلر» وخريجو مدرسته كانوا نشئا بل جيلا يحسب حسابه.

وجاءت التصفية : اما حيفا وسارونا وشتلر فقد بيعت اكراها لليهود.

اما المستوطنة أو الكولونية الألمانية فلا أدري اليوم من مصيرها شيئا. وإنما الذي أعلمه ان مؤسسة شتلر بعد أن بيعت لليهود انتقلت إلى قرية «قنفار» في البقاع الغربي من لبنان.

× – ×

نعود إلى المدينة داخل السور

إلى سنة 1948 كلها كانت عربا في السكان مسلمين ونصارى في حياة متلاحقة. ولكن على الجملة يقال هذا حي إسلامي وهذا حي مسيحي. وكنيسة القيامة في وسط الأحياء المسيحية وفي المدينة القديمة بعض الأسواق التجارية المسقوفة منذ القديم على غرار ماترى في دمشق وحلب مثلا. فإذا بدأت تنزل إلى المدينة من باب الخليل تقول : ننزل إلى المدينة. وإذا كنت في منطقة الحرم الشريف تقول : نصعد إلى باب الخليل. وشكل المدينة داخل السور شكل مدينة شرقية صغيرة بمظاهرها وطرقها المستقيمة أحيانا المنعرجة أحيانا أخرى. وذات الدرج في بعض الأماكن. فأعلى ناحية هي حيّ النبي داود غربا وأوطأ ناحية هي الحرم الشريف. فالأحياء العربية خارج السور تفوق الأحياء العربية داخل السور. والأحياء العربية

خارج السور هي من الشمال والغرب، والغرب الجنوبي. والحي اليهودي مترام على جانبي «طريق يافا» فبعد أن تجتاز مآت الأمتار من باب الخليل الذي هو سرة البلد يبتدىء الحي اليهودي (حي شتلر الألماني وقد مر ذكره واقع هنا وبينه وبين الحي اليهودي سكة طريق يافا الفاصلة بينهما).

أسماء حارات المدينة القديمة أسماء قديمة. ولكن معظم العرب في المئة سنة الأخيرة أنشأوا أحياءهم خارج السور من الجهات الثلاث الشمالية والغربية والجنوبية ، حي باب الزاهرة. حي الشيخ جراح، حي سعد وسعيد. حي باب الخليل. حي المسكوبثه (نسبة إلى المسكوي الروس) حي المصرارة حي مأمن الله (في جانبه مقبرة إسلامية فيها قبور كثيرة من أمراء صلاح الدين) حي الطالبية. حي البقعة التحتا حي البقعة الفوقا. تفصل بينهما سكة الحديد. حارة التمامرة حارة القطمون. حي طريق بيت لحم حي أبو ثور. حي جورة العناب.

× – ×

فالأحياء العربية المنشأة في خلال مدة 14 سنة الأخيرة هي مظهر حضارة العرب في القدس ومنبسط عمرانهم خارج السور في هذه الأحياء التي تعتبر حديثة. ومواقع هذه الأحياء هو المعصم الذي يحيط بالمدينة المسورة. فنجد هذه الأحياء تابعة لطبيعة تكوين الأرض، من علو هنا وانخفاض هناك وانبساط هنالك. وكلها يتخللها الشجر وتقطعها الطرق الحديثة. ولا بأس أن نذكر أسماء بعض الأسر العربية فمن الإسلامية الحسيني والخالدي والنشاشيبي وقطينه ونسيبه والأنصاري والإمام والعارف وعويضه وغيرها. ومن الأسر المسيحية سلامة وفريج والسكاكيني وبيدس وعطاء الله وسعيد ومشحور وشحاذه وغيرها.

والمسيحيون روم ارثو ذكس وكاثوليك (اولاتين) وأنساب الأسر المسيحية غالبها عربي غساني ولم يوجد رقعة عربية أخرى في العالم العربي يتحد فيها العنصران الإسلامي والمسيحي اتحاد العرب مسلمين ومسيحيين في فلسطين. وحركة فلسطين الوطنية لغة من العنصرين حافظت على وحدتها وعروتها الوثقى لم تنفصم يوما، رغم محاولات الانكليز الصيد في الماء العكر مرارا. وأقول للتاريخ ان الفضل في هذه الوحدة الوطنية عائد إلى محمد امين الحسيني مفتي فلسطين ورئيس مجلسها الإسلامي الأعلى رضي الله عنه وكانت وفاته في بيروت 1974 ودفن في مقبرة الشهداء.

× – ×

ذكرنا ما يتعلق بالمدينة داخل السور، وبالأحياء العربية خارج السور عن الجهات الشمالية والعربية والجنوبية. وذكرنا أسماء هذه الأحياء وأسماء العديد البارز من الأسر العربية. ومن هذا علمنا أن القدس ليست مؤلفة في مجملها من أرض سهلة على نحو ما ترى في دمشق وبيروت. بقي علينا أن نذكر محطة سكة الحديد وهي بالأصل لشركة فرنسية مدت خطا في العقد الأخير من القرن الماضي بين يافا الميناء البحرية والقدس وهو أول خط حديدي أنشىء في فلسطين. طوله نحو 70 كلم. ولما انشأ الجيش البريطاني (2) في خلال الحرب الأولى خطا حديديا من مصر وجعله يتبع تقدم الجيش البريطاني نحو فلسطين بقيادة الجنرال اللنبي وبالتالي وصل خط الجيش البريطاني إلى يافا عبر الصحراء وسواحل فلسطين ، وبهذا اتصلت القدس بالقاهرة منذ الحرب العالمية الأولى.

---

(2) من عادة الانكليز أن يسموا مشروعاتهم الحربية والاقتصادية في العالم العربي بأسماء مضللة. فالجيش البريطاني هذا الذي زحف على فلسطين سموه الحملة العسكرية المصرية وسموا البنك العثماني وهو شركة فرنسية بريطانية.

فكان القطار يتحرك من محطة القدس صباحا فيصل القاهرة ليلا ويتحرك من القاهرة غروبا فيصل القدس صباحا.

× – ×

ولما أنشىء خط يافا القدس في العشر الأخير من القرن الماضي كانت المستوطنة الألمانية (الكولونية) التي سبق الكلام عليها في دور الانشاء أو في المراحل الأخيرة. لم يكن العمران. عمران الأحياء الحديثة. خارج السور. قد نما بعد نموه الشامخ المتسع. فلذلك جعلوا وقتها محطة خط يافا القدس يبعد عن باب الخليل نحو كيلومتر وهذا قرب المستوطنة الألمانية ويفصل بين المستوطنة ومحطة سكة الحديد. الطريق الرسمية بين القدس «وبيت لحم» جنوبا.

× – ×

القطمون ، هو بالأصل مبان وعمارات عائدة إلى دير الروم الارتوذكسي في محلة واقعة بعد الكولونية اليونانية إلى الغرب اليوم من (الطالبية) و(البقعة التحتا) و(البقعة الفوقا) بعد الكولونية الألمانية تجاورها للغرب منها اليونانية. ولكن شتان بين الكولونيتين. فالألمانية كما وصفناها روضة غناء. واليونانية كناية عن منازل ومساكن وبيوت في فسحة من الأرض فسطة. وهناك كان ملعب لكرة القدم كان يستعمله الانكليز في ألعابهم الرياضية. ولكن حي القطمون كان مشهورا قبل حرب 1914 بكونه منتزها للجلوس فيه أو السكنى. فالسكنى في القطمون قبل 80 سنة كانت تعد متعة وبهجة. وكلمة «دير الروم» في القدس كان معناها حكومة صغيرة ضمن «المتصرفية» العثمانية. والقدس «متصرفية» ممتازة مربوطة رأسا باستنبول بوزارة الداخلية مثل متصرفية «جبل لبنان». «وبطرك» الروم الارثوذكس في القدس يوناني التبعية. ومثله جميع كبار رجال الكهنوت الارتوذكسي. ولذلك شبه «دير الروم» في القدس «بحكومة صغيرة». وروسيا القيصرية كانت دائما وراء دعم النفوذ اليوناني في استنبول منذ استقل اليونان عن الدولة العثمانية في الثلث الأول من القرن الماضي. و«دير الروم» في القدس لكي يخدم مصالحه المختلفة صار ينعم على كل «متصرف» (3) بأن يقدم له سكنا أو منزلا مجانا في «القطمون» مع عربة تجرها الخيول من منزل هذا «المتصرف» إلى السراي في المدينة داخل السور حيث يعمل الموظفون. فكان الموفق الفائز من المرشحين لمتصرفية القدس في استنبول من يكون نصيبه القدس. واشتهر هذا الأمر في وزارة الداخلية في استنبول فصار من المعلوم ان صاحب الحظ الاوفى من المرشحين هو الذي يعين لمتصرفية القدس وهذا يدلنا على مابلغته «الرشوة» من شيوع وذيوع وكماد وفساد في جسم الدولة العثمانية. وما قصة «دير الروم» هذه الا نموذجا وقس عليه الباقي. وانما زد على هذا ان في استنبول نفسها كان الفساد منتشرا والرشوة سيدة الموقف.

× – ×

كان «لدير الروم» في القدس وفلسطين من الأملاك والعقارات مقدار عظيم. بل كان يبني البنايات الفخمة ليستغلها بالاجارة. فنفوذ «بطرك» الروم الارتوذكس في القدس كان أقوى من نفوذ «المتصرف» الحاكم نفسه. ولما كان البطرك يونانيا. في الجنس هو وجميع من واكبه

3) في الإدارات العثمانية زمن الترك كانت الأجهزة الادارية على درجاتها ولكل حاكم مسؤول لقب رسمي. ولنبتدىء من الأدنى فالأعلى. فكل مجموعة معينة من القرى. مع مراعاة المناسبات الجغرافية. عليها مسؤول إداري يسمى «المدير» ، وكل عدة مجموعات من «المديريات» عليها حاكم يسمى « مقام» وفوق القائمقام «المتصرف» وفوق الوالي ثم الوزير في استنبول.

4) كان مقر بطركية الروم الارتوذكس في القدس في المدينة القديمة داخل السور فإذا دخلتها فكأنك داخل سراي حكومة وهي في كخلية النحل ولكن، كلهم من اليونان كهنة وعلمانيين. وكثيرا ما تسنى لي زيارة هذه البطركية فأجدها تعج بالكهنة اليونان كأني في اثينا لا في بلاد عربية.

والتف حوله. فأصبح رجال الكهنة العرب مسلوبي الحقوق وعبثا يطالبون بانصافهم. وبعد إعلان الدستور العثماني سنة 1908 ذهب وفد من ممثلي الروم الارتوذكس العرب في فلسطين إلى استنبول يبسط شكواه ويطالب بالانصاف. ثم جاءت الحرب 1914 وويلاتها أربع سنوات عجاف فالشدائد أخذت تتزايد عليه ورأى من الضيق أشده. فبعد الحرب ومجيء الانتداب البريطاني وجدت حكومة فلسطين أمامها مشكلة «دير الروم» المعقدة. أشبه بشركة تجارية على وشك أن تعلن افلاسها. فألفت حكومة فلسطين لجنة مالية رسمية لبحث مشكلة دير الروم وتسويتها بالتي هي أحسن. وقد كان ذلك.

× - ×

نورد حادثة دليلا على ماتقدم كله. كان يوسف العيسى الصحافي المسيحي العربي الارثوذكس يصدر جريدة «الف باء» في دمشق بعد سنة 1920 ودخول فرنسا سوريا. وكان العيسى صحافيا ماهرا ويعرف من أين أو كيف تؤكل الكتف. وهو من آل العيسى من يافا فلسطين وكان بارعا في علاج الموضوعات السياسية ويستخدم النكتة البارعة في مقالاته اليومية القصيرة. فمما أورده يوما ان «متصرفا» تركيا عين للحجاز فذهب حتى وصل ثغر جده ونزل من الباخرة ومعه صناديق امتعته. فلما جاء الحوذي لنقله إلى حيث يريد قال للمتصرف. إلى أين تأمر أن أخذك؟ فقال له المتصرف إلى قطمون دير الروم الارتوذكس في جدة.

× - ×

المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى والحاج محمد أمين الحسيني رئيسه ومفتي فلسطين

لاتكون اية كتابة عن القدس مستوفية أقل شروطها إذا كانت خالية من موجز ما يتعلق بالمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى. المنشأ سنة 1922 ورئيسه الدائم سماحة الحاج محمد أمين الحسيني ومفتي فلسطين في الوقت نفسه. هذا المجلس ينبغي أن يعالج معالجة تاريخية قائمة برأسها ولكننا ونحن نكتب عن القدس المقدسة الحبيبة. نرى الكلام ناقصا إذا لم نتناول موضوع المجلس مدخلينه في هذا النطاق. لأن مجلة «دعوة الحق» في سعة انتشارها في العالم الإسلامي تعد مجلة كل عربي ومسلم. زادها الله انتشارا وذيوعا. وعموما وشيوعا. وجعل كل أيامها في مضمار النضال ربيعا. وجعل العروبة المحض والإسلام الصحيح في منهجها جميعا. وكان الله قديرا عليما بصيرا سميعا.

× - ×

في حجرة حجرية متينة البناء قرب المسجد الأقصى ومسجد الصخرة. كان الإمام الغزالي «صاحب إحياء علوم الدين». يجاور في أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ويؤلف ويصنف . والعلماء في القدس يطلقون على هذه الحجرة حجرة الإمام الغزالي إلى اليوم. حتى ولا تعرف بغير هذا الاسم. وهذه الحجرة في الحرم الشريف الذي تقدم وصفه. لاتبعد كثيرا . من الابنية الضخمة. ذات العقود الحجرية من طابقين أو ثلاثة التي كان يشغلها المجلس الإسلامي الأعلى مع دواوينه ودوائر الأوقاف المركزية. وهذه المباني كلها حول الحرم من بناء دولتي المماليك. وهي بالحصون والقلاع أشبه . لم تؤثر فيها الزلازل والهزات الأرضية. رحم الله الأسلاف وأسكنهم فراديسه.

× - ×

كانت الأوقاف الإسلامية في فلسطين إلى نهاية الحرب العظمى الأولى تابعة لوزير الأوقاف في استنبول. وقضاة المحاكم الشرعية تابعين لمشيخة الإسلام. ومعلوم أن المذهب الفقهي الحنفي كانت عليه وتعتمده الدولة العثمانية. فلما جاء الانتداب المشؤوم بعد الحرب. وجاء

ماكان يسمى بوعد بلفور (إسرائيل اليوم)، كانت حكومة فلسطين ملزمة، وعليها أول مندوب سام، يهودي صهيوني السيد هربرت صموئيل، بأن تجرى في قضية الأوقاف الإسلامية في فلسطين وفي مسألة المفتين وقضاة الشرع على ما كان عليه الأمر زمن الدولة العثمانية.

أما الافتاء الحنفي فمنذ قرن ونصف القرن محصور بعلماء آل الحسيني في القدس الذين منهم الحاج أمين، فبعد وفاة أخيه المفتي السابق الشيخ العلامة كامل الحسيني، رشح العلماء في فلسطين وانتخبوا أخاه الحاج أمين مفتيا خلفا لأخيه. والحاج أمين درس في مصر بالأزهر ومدرسة «دار الدعوة والارشاد» للسيد المصلح رشيد رضا صاحب مجلة «المنار» وتلميذ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، وحج الحاج أمين سنة 1914 وتجند برتبة ضابط احتياط في الجيش العثماني، ولكنه كان على يد استاذه السيد رشيد قد استعد للقضية الإسلامية، وللقضية العربية التي كانت تجتاز من 1909 ـ 1914 أوسع نشاطها. وشرب الحاج أمين من استاذه السيد رشيد ماكان السيد رشيد قد شربه من الأستاذ الإمام (5) الشيخ محمد عبده وهذا شرب من كوثر معينه السيد جمال الدين الأفغاني.

× – ×

ولكن لما انتخب الحاج أمين مفتيا ، كان ممسكا بمقود الحركة الوطنية فظهر وعد بلفور والصهاينة، ثم جاءت قضية قضاة الشرع وذهبت مشيخة الإسلام ووزارة الأوقاف، وكانت فلسطين قد وضعت في شرك وعد بلفور وجها لوجه، وماتت قضية العرب والترك وحل محلها جماعة هرزل مؤسس القضية الصهيونية.

فنظرت حكومة لندن في قضية هذه الأوقاف والمحاكم الشرعية في فلسطين، فرأت أن خير ما تعالج به الحال، بعد زوال الحكم العثماني، ان ينشأ مجلس شرعي إسلامي أعلى ويكون انشاؤه بالانتخاب بموجب قانون الانتخاب النيابي العثماني لا بالتعيين من حكومة فلسطين، فوضعت حكومة فلسطين نظاما لهذا المجلس ومن مقتضى هذا النظام أن يكون للمجلس رئيس دائم هو المفتي، اما الأعضاء فيجدد انتخابهم بعد كل دورة والدورة أربع سنين.

ولكن المندوب السامي، اليهودي الصهيوني، وقع في ورطة، أو أنه مادرى إلا وهو واقع فيها، والورطة هي أن رئيس المجلس نص النظام الذي له على أن الرئيس ينبغي أن يكون دائميا والحاج أمين الذي اختاره العلماء والمفتون، هو القوة في الحركة الوطنية، فيعين للمجلس رجلا خصما لوعد بلفور، ولكن هربرت صموئيل، طلع ونزل، ودرس وفحص، ووازن وقارن، لكي يخرج الحاج أمين من هذا المضمار، فلم يجد بدا من السير على مالا يريده ويرغب فيه، بل ان هربرت صموئيل قد اختار اهون الشرين له، وهو أن يكون الحاج أمين في المجلس ورئيسا دائما له، خير من أن يكون خارجه، فرياسة المجلس قد تحد من نشاطه الوطني المعادي للانتداب ووعد بلفور والسياسة الصهيونية جملة وتفصيلا، فصار الحاج أمين رئيس المجلس وأجريت انتخابات لأعضاء المجلس وهم أربعة يمثلون فلسطين، وبعد أن كان الحاج أمين قبل سنتين أو ثلاث، ذلك اليعسوب الذي لا يهدأ في دمشق قبل دخول فرنسا سوريا، وهو وثاب إلى واجباته الوطنية، فإذا به اليوم في

---

5) لما هاجر السيد رشيد من بلده (قلمون) طرابلس الشام سنة 1898 الى مصر واتصل بالشيخ محمد عبده وشرع ينشيء «المنار» وجعلها لسان استاذه الشيخ محمد عبده، وينشر في «المنار» دروس التفسير لأستاذه، كان السيد رشيد هو أول من جعل يطلق على الشيخ محمد عبده لقب «الأستاذ الإمام».

راي العلماء بالعمامة، وأطلق لحيته وارتدى الجبة. فقد تغير منه ذلك المنظر القديم بلباسه العلماني النظيف. إلا شيئا واحدا لم يتغير فيه. وهو قلبه وإيمانه. أو ضميره ووجدانه. عواطفه وشعوره. أماله وأمانيه. فقد بقي هذا كله فيه. والآن آفاق جديدة تستدعي العمل.

وصار المجلس الإسلامي ينعقد ويسير على مشعله. فتسلم إدارة الأوقاف من الحكومة وانتقلت إلى المجلس إدارة المحاكم الشرعية وهي 17 محكمة في فلسطين على رأسها محكمة استئناف في القدس.

× – ×

المجلس يواجه افاقه الجديدة وأولها دار الأيتام والمسجد الأقصى

كانت الحرب العالمية الأولى التي انتهت في خريف 1918 قد زرعت الويلات في البلاد أربع سنوات متوالية. فاشتدت المجاعات واختفى «رغيف الخبز» تقريبا. وصارت الطرق العامة في المدن هي الفراش (الرصيف) الذي يموت فيه الجائعون. وكاتب هذه السطور قد شهد بأم عينه هذه المشاهد المؤلمة في بيروت التي تبعد منها بلدتي «رأس المتن» نحوا من 45 كلم. وفلسطين لم تكن بمنجاة من هذه الكروب والموت جوعا. ومن استطاع الحياة فريق من الناس هم الذين لهم اتصال بالمؤسسات الاجتماعية ودور الخير والاديرة المسيحية. ولم يكن للمسلمين في فلسطين أي نوع من المؤسسات الخيرية والاجتماعية تعين الجائع البائس المشرد المسكين. فوقعت حوادث كثيرة إذ تنصر بعض من اليتيم المسلم من أجل أن يأكل فيبقى حيا مجرد حياة.

× – ×

ولما أنشيء المجلس الإسلامي الأعلى سنة 1922 كان أول ماوجهته هذه الحالة. فقرر جمع أولئك الفتية الأيتام.

والتقاطهم وإيواءهم واطعامهم. وتعليمهم مبادىء علوم بتدائية مع عدة صناعات يعتاش منها. وخصص من (جميع أموال الأوقاف الخيرية ما مكنه من العمل والسير في هذه الطريق. فأنشأ «دار الأيتام الإسلامية الصناعية» في القدس. واتخذ مكانها سراي الحكومة التركية داخل البلدة القديمة أي داخل السور. وفي موسم افتتاحها ألقى شاعر العراق الكبير معروف الرصافي قصيدة عامرة مثبتة في دواوينه. ولكن المحرك من وراء هذا كله والعامل الفعال هو رئيس المجلس الحاج أمين حسيني. كان في شرخ شبابه المثوبت في السادسة والعشرين وجعل مخطط «دار الأيتام الإسلامية» بعيد المدى يقبل النمو في الصناعات المختلفة.

ففي بضع سنين صارت «دار الإيتام» تحتوي على مطبعة عصرية عربية لطبع الصحف والكتب والاشغال التجارية. وأنشئت فيها صناعة التجارة الحديثة والخياطة وصنع الموبليا من الخيزران وغيرها. وضمت من الأيتام واليتيمات عدة مآت. هذا كله بالإضافة إلى تدشين الأعمال العلمية والصناعية. فقد ازدهرت الدار وأصبحت ركنا صناعيا علميا في فلسطين. وتقيم المهرجانات في الأعياد الإسلامية والمناسبات القومية وصار زائر القدس كأنه لم يزر القدس إذا لم يفعل شيئين أولا أن يزور دار الأيتام الإسلامية هذه. وثانيا أن يتناول أكلة «الكبة» في مطعم سليم الحداد في باب الخليل.

وألقى شاعر سوريا خير الدين الزركلي صاحب كتاب «الاعلام» في احدى مناسبات المهرجانات القومية كقصيدة الرصافي.

وهذه الدار (6) تقدمت في الطباعة الانيقة حتى استطاعت أن تخرج طبعة فاخرة من القرآن الكريم. وصار خريجو هذه الدار يعدون بالمآت في البلاد وتوزعوا في المدن ومارسوا صناعاتهم ومهنهم ونجحوا النجاح كله. ومنهم من صار رئيس غرفة التجارة. ولهم حسابات في البنوك والمصارف. وصار منهم تجار كبار ذوو اعتبار كبير. هذا شأن هذه الدار في السنة العاشرة من حياتها. بلغ هذا المبلغ. وكان هؤلاء العرب المسلمون. الصناع التجار. والصناعيون وأهل الأعمال الاقتصادية . قبل عشر سنوات ايتاما هائمين على وجوههم يسعون. وأحيانا استجداء. إلى لقمة العيش. فكان المجلس الإسلامي الأعلى يقوم وقتئذ بما تقوم به وزارات الشؤون الاجتماعية في دولنا الحديثة علي أن أكرر القول أن قوة النبض في دار الأيتـــام هـــو الحاج أمين الحسيني. أولا وأخيرا. هذا مع سهره الدائم على سير الحركة الوطنية. وتحسين أوضاع الأوقاف .والمحاكم الشرعية.

× – ×

ولا يكون القول وافيا إذا لم نأت على ذكر ناحية خيرية اجتماعية في دار الأيتام وتقدمها في الخير والبر. فانشأت فرعا تعليميا صناعيا للمكفوفين. على الطرق الحديثة. بحيث صار بوسع المكفوف التعلم على طريقة «برايل». وفي الصناعة اليدوية بوسعه صنع كراسي الخيزران على فنونها المتعددة.

وانشأت فرقة موسيقى كبيرة تعزف في المهرجانات واللقاءات الكبرى. وطار صيت هذه الفرقة في البلاد. بل لم يكن في فلسطين فرقة موسيقية تضاهيها.

× – ×

اما زوار دار الأيتام فقد ندر ان جاء القدس ضيف كبير لم يجعل من مقاصده زيارة دار الايتام. حتى من وزراء الدول العربية وأهل المكانة الكبرى. وكان الزائر الثري يتبرع للدار بالمال. وسنة 1955 أصدرت الدار مجموعا (البوم) حافلا بالصور وأخبار الخريجين ووصف بعض مشروعاتهم الاقتصادية في البلاد واني لن أنسى قصة الشهيد سعيد اليماني وولده الذي أصبح يتيما. فان الشهيد سعيد اليماني هو من اليمن أصلا وجاء سوريا ولما فتقت نيران ثورة جبل العرب على يد سلطان الأطرش سنة 1925 تطوع سعيد في الثورة مجاهدا واستشهد تاركا ولدا ناشئا ولا من يعينه فأتى كتاب من الثورة بشأن العناية با بن الشهيد سعيد. فأتى بالولد الناشيء وادخل دار الايتام وكان هذا غاية ما يمكن عمله فيتعلم صناعة ما يعتاش منها. وفي 1944 دعيت من دار الايتام لالقاء محاضرة على الطلاب وعندهم عدد كبير من الخريجين الضيوف وكان هناك مشروع لاستنداء الأكف أتيت في محاضرتي على ذكره وبعد المحاضرة شرع في التبرع فلاحظت أن هناك متبرعا من الخريجين تبرع بمبلغ سخي حوالة على أحد البنوك. فلفت نظري سخاء التبرع فسألت عنه فقيل لي هذا هو ا بن الشهيد سعيد اليماني الذي ادخل الدار سنة 1925 وتخرج وهو اليوم من رجال الأعمال والصناعيين في فلسطين.

× – ×

(6) صديقنا البناء العربي الكبير الأستاذ جميل وهبة من بررة أبناء القدس. كان مدير «دار الأيتام الاسلامية» أكثر من ثلث قرن شوطا واحدا حتى لقب «بابي الايتام» فاتقن ادارتها كليا وجزئيا ولم يتوان عن الأخذ بالتجديد في كل باب وإلى سنة 1954 كان قد بلغ عدد خريجي دار الايتام فوق الالف ما عدا الخريجات. توفي الاستاذ جميل وهبة منذ عدة سنوات رحمه الله وأسكنه الجنات.

المسجد الأقصى المبارك وقبته الفريدة ومن معنى مشروع اصلاحه مدة ستة سنوات من 1922 ـ 1929

كل مسلم على وجه الأرض يحفظ أول سورة الاسراء في القرآن الكريم : «**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه آياتنا انه هو السميع البصير**» وبعض المفسرين يقول ان معنى باركنا حوله تشمل كل فلسطين لا الجوار المحيط به فقط. والخليفة الأموي عبد الملك بن مروان هو الذي بنى المسجد الأقصى ومسجد الصخرة وبينهما مسافة قصيرة في الحرم القدسي. ويقال ان عبد الملك بن مروان انفق على ذلك ما يضاعف خراج مصر سبع مرات. وكانت دولة بني العباس والفاطميين ودولة صلاح الدين يسارعون إلى ماينبغي إصلاحه وترميمه اثر كل زلزال أو هزة أرضية. فالقبة الكبرى للمسجد الأقصى هي درة فنية ثمينة في الحضارة الإسلامية بل احدى هذه الدرر لأن فنون الفسيفساء في قبتي المسجد الأقصى ومسجد الصخرة عجيبة من العجائب فلو راح الناظر يستمتع بمشاهدتها، وتغليب النظر في تعاريشها النباتية وتعاريجها البهجة الباهرة. فلا يزداد إلا إعجابا ويتمنى لو تسنى له أن يراها كل يوم بل الا يفارقها نظرة.

× – ×

تكلمنا عن مشروع دار الايتام الإسلامية العلمية الصناعية ما اطلع عليه القارىء. والآن نتناول مشروع الأقصى الذي اقتضى من الوقت ست سنوات من 1923 ـ 1929. وبعث من الوفود إلى العالم الإسلامي ولا سيما الهند مانبه المسلمين إلى خطورة المشروع واستنداء اكفهم في سبيله. فكان أول الملبين لهذا المشروع الملك حسين بن علي ملك الحجاز، فانه قد تبرع بثلاثين ألف جنيه ذهبا لاورقا. وأرسل هذا المبلغ على يد رسول خاص من قبله حضر إلى القدس وأطلع على تفاصيل المشروع ونقل هذا إلى الملك حسين لما عاد إلى مكة المكرمة.

ولكن لم تذهب وفود إلى شمال إفريقيا والمغرب كما ذهبت إلى مصر. لضيق عطن الاستعمار الفرنسي واستعداء فرنسا ضد العرب. ولما تم المشروع احتفل بانهائه بمهرجان إسلامي كبير في القدس حضرته وفود من سوريا ولبنان والأردن والعراق والخليج ومصر والحجاز ولا بد من كلمة حول هذا المهرجان فانه استمر اسبوعا كاملا. والقيت فيه المحاضرات (7) الإسلامية والندوات التاريخية عن فلسطين. فكان المهرجان كأنه مؤتمر إسلامي لنصرة فلسطين وشد عضدها وقلق اليهود من هذا المهرجان قلقا عظيما وراحوا يتآمرون ويشيعون الأكاذيب حوله. وفي سنة المهرجان هذه 1929 عقد الصهاينة مؤتمرهم المعتاد في سويسرة ونشروا في جميع أرجاء الصهيونية العالمية للتحريض على منع مثل هذا المهرجان الداعي إلى اليقظة الإسلامية وكان من نتائج ذلك التحريض وقوع ثورة البراق الشريف 1929.

× – ×

الخلل الذي لاحظه المهندسون المعماريون في بناء المسجد الأقصى. يتعلق بالأركان الأربعة التي تقوم عليها القبة. قبة المسجد السابقة الوصف. وأجمع المهندسون الذين درسوا الوضع على هذا. وكان أمر هذا الخلل ليس طارئا. بل هو نشأ بالتدريج على ممر الحقب والأجيال والدول

---

7) كاتب هذه السطور عمل في المجلس الإسلامي لرئيسه زعيم فلسطين العربي المطاع الحاج محمد أمين الحسيني رضي الله عنه. عشر سنوات متوالية. فكل ما يذكره هنا من مشروعات المجلس الإسلامي راه بعينه وساهم فيه. وثورة البراق دامت أسبوعا كاملا قطبت البلاد واحضرت حكومة فلسطين قوات عسكرية من الخارج حتى تمكنت من اطفاء نيرانها.

والخطر في استمراره والمخاوف كلها هنا. لذلك لما انشيء المجلس فانه بادر إلى هذه القضية وأخذ يعمل لها جهده وخصص مبالغ من موارد الأوقاف لهذه الغاية.

وانقلب المجلس يبحث عن أكفأ وأجدر مهندس في المعمارية الإسلامية في العالم الإسلامي مستشيرا كثيرا من المراجع الحكومية في الشرق الإسلامي. والمعاهد الكبرى والجامعات العلمية الأكاديمية حتى توصل في النهاية إلى أن أشهر مهندس معماري إسلامي هو كمال بك التركي في استنبول فتثبت المجلس من هذا. فبدأ في مراسلته وتقديم جميع المعلومات المثيرة فنيا عن الخلل في الأركان القائمة عليها القبة. وطلب المجلس بالمراسلة البريدية من «كمال بك» ان يجيب بأن يكون هو المهندس المسلم الذي يضطلع بالقيام بهذا المشروع العزيز على الإسلام وكل مسلم على أن يكون حرا في اختيار أعوانه من المهندسين المعماريين. فإذا رضي بهذا فالمجلس مستعد للتعاقد معه عند حضوره إلى القدس فحضر «كمال بك» (8) وتعاقد مع المجلس. ومما اتفق عليه أن يختار مهندسين مساعدين له على ما يرى وكان ذلك فدخل معه أعوان من أخواننا الأتراك المهندسين قدر ما يريد وكانوا كما أذكر أربعة أو خمسة.

× – ×

وقرئت الفاتحة وبدئ في العمل متكلين عليه تعالى. ولكن أيمكن أن نضع بين يدي القارىء وصف المشروع الفني العظيم ببضع عبارات عادية لمشروع استغرق من الوقت ست سنوات ؟

اننا نحاول هنا. لكي يستطيع كل قارىء أن يستوعب جوهر المشروع فتتجلى عبقرية كمال بك ونبوغه مما هو فخر للعلم والفن أولا. ومما هو فخر لعبقرية كمال بك نفسه ثانيا. وما هو فخر للإسلام أن يبرز فيه مثل كمال بك ثالثا. ولم يخطر في بال عبد الملك بن مروان وقت كان يبني هذه الأركان. انه بعد ممر القرون والدولة والأجيال سيتطرق إليها الخلل. فينتقل خطر الأركان إلى القبة . لاسمح الله. ولكن عبقرية مهندسي عبد الملك لا أعتقد انهم كانوا ابرع واحذق. وأكثر تغلغلا في فلسفة الفن المعماري من كمال بك.

× – ×

النظرية بسيطة معقولة. ولكن المهم هو تنفيذها فقرر كمال بك أن يبدل الأركان كلها بأركان من الأسمنت المسلح جديدة تحل محل القديمة. ولكن ماذا يطرأ على القبة من جراء تبديل الأركان. افتبقى القبة بلا أركان. غير معقول . إذن ينبغي للفن أن يتمكن من تبديل الأركان مع بقاء القبة محمولة على الأركان. فكيف السبيل إلى هذا ؟



(8) يلاحظ القارىء أن مناداة «كمال بك» كان هكذا أي اسمه الشخصي مقرونا بلقب «بك» التركي مع العلم ان الألقاب التركية ملغاة اليوم في البلاد العربية ولا سيما بعد ثورة مصر سنة 1952. فنذكر اسم «كمال بك» كما كنا نناديه به وقتئذ. وجاءت كلمة «السيد» فحلت كثيرا من مشكلة الألقاب. وصارت «السيد» كأنها تعني «مستر» بالانكليزية و «مسيو» بالفرنسية و «هر» بالألمانية.

الآن قد انتهت الأعمال في تبديل أسس الأركان التي تحت الأرض. ولكن تبديل الأركان معناه تبديلها كلها من قعرها الضارب في الأرض إلى أعاليها التي تتركز عليها القبة. فقام كما بك بالعمل نفسه والطريقة نفسها. وانما العمل صار أهون لأنه فوق سطح الأرض. فبدلت الأركان العليا ابتداء من مستوى أرض المسجد إلى أن بلغ اكتاف الأركان العليا. وبهذا استمر العمل على يد هذا المهندس الجراح ست سنين. وحق للحاج محمد أمين الحسيني رئيس المجلس. وحق للمجلس وحق للملوك والأمراء والشيوخ. ان يجعلوا مهرجان الاحتفاء سنة 1929 يستمر أسبوعا وكأن المهرجان مؤتمر اسلامي. وكأن ثورة البراق في تلك السنة من المهرجان. هذا هو مشروع إصلاح الأقصى وهذه صفته وهذا هو المهندس المعماري النابغة كمال بك. الجراح البارع.

هذا هو المسجد الأقصى المبارك الذي بناه عبد الملك بن مروان وأصلح أسسه وصان قبته المجلس الإسلامي الأعلى بعبقريات كمال بك. والعبقريات ضرب من الخلود يدخلها هذا النابغة المفرد العلم. وعلى رأسه «اكليل» من غار النصر إذ جاز التعبير في هذا العصر. هذا المسجد هو الذي حاول يهود «خيبر» إحراقه. منذ سنين احرقهم الله بنار جهنم. والمنبر الذي في الأقصى كان في حلب فنقل إلى القدس زمن صلاح الدين وهو تحفة فنية.

موسم النبي موسى والقدس :

موسم النبي موسى في الألوية الثلاثة ، القدس ونابلس والخليل. مع أرياف هذه المدن. تبدأ تقاليده من عصر صلاح الدين أو عصر المماليك. مرورا بالعصر العثماني أربع مائة سنة. واستمرارا في عهد الانتداب إلى سنة 1927. وهو كناية عن حركة «ميليشيا» شعبية لمواجهة غارات القرصنات الصليبية والأوروبية.وهذه القرصنات كانت تقصد فلسطين خاصة. وغالبا على عيد الفصح الغربي ولتحريك الروح العامة في الشعب. فقد قيل أن لسيدنا موسى أثرا في دخول فلسطين. وحقق المؤرخ المسلم أحمد زكي باشا «شيخ العروبة» ـ كما كان يعرف بهذا اللقب في مصر ـ في منشأ عيد النبي موسى فانتهى إلى أن بدايته في العصر الصلاحي أو المماليكي ويقع حساب هذا العيد أو الموسم لاعلى الحساب الهجري بل على الحساب الغربي لعيد الفصح عند النصارى. وخلاصة العيد أن تجتمع في خلال أسبوع أولا وفود جبل القدس ثم وفود جبل الخليل ثم وفود جبل نابلس.. وكانت الحكومة العثمانية تشترك رسميا في تقاليد هذا الموسم. ويوم الجمعة تجتمع جميع الوفود في الحرم الشريف وبعد الصلاة في المسجد الأقصى تنزل جماهير من الناس إلى مقام النبي موسى الواقع جنوبي أريحا قرب البحر الميت. وتمكث الجماهير في المقام أسبوعا والاوقاف الاسلامية تقدم الطعام والمأوى وبعد الأسبوع تصعد الجماهير إلى القدس فتصلي في الأقصى ثم يرجع أهل البلد إلى بلدهم. والقصد من هذا الموسم الاستعداد لرد غارات القراصنة كما قلنا. ولما بطلت القرصنات بقي الموسم يحتفى به على تقاليده حتى 1927 ولم تتعرض الدولة الاسلامية له بل كانت على العكس تشارك في احيائه وعلى طول الزمن اكتسب صبغة دينية. مع انه لم يذكر في التاريخ (9).

× - ×

19 في التوراة أن موسى عبر الأردن إلى فلسطين بل توفي في مكان ما في شرقي النهر. هذا الموسم في جبل القدس وجبل الخليل وجبل نابلس. وفي مدينة غزة في الجنوب موسم يشبه موسم النبي موسى وفي الشمال في صفد كذلك موسم من هذا النوع وهذا دليل على انه كان يراد تعبئة شعبية أو «ميليشيا» بالتعبير العسكري اليوم لتكون فلسطين وسطا وجنوبا وشمالا على استعداد للزحف إلى السواحل لرد القرصنات التي كان مجالها بين عكا وغزة. فنسأل الله تعالى أن يلهم العرب والمسلمين أن ينقذوا القدس «بميليشيات» حديثة فيها الصوارخ والسلاح الحديث.

ومن المفيد أن أذكر أعلام القدس في الادب والاجتماع والحركة الوطنية ممن عاصرت في الثلاثين سنة التي سكنت فيها القدس آخرها سنة الانهيار 1948 وفي أول هذا القرن كان قد ظهر في آل الخالدي شخصيتان علميتان سياسيتان خدمتا الدولة العثمانية أجل خدمة نوجز ذكر كل واحد منهما ثم نأتي إلى المعاصرين فتكون الصورة المرادة أكمل في نظر القارىء الكريم.

يوسف ضياء الخالدي :

هو من رجال القرن الماضي وتوفي في مسقط رأسه في القدس سنة 1906 قبل إعلان الدستور العثماني بسنتين. وقد اشتهر بالتأليف ودراسة الآداب العربية ومولده 1829. وكان له مواهب غزيرة جدا في تعلم اللغات الشرقية والغربية وهو على ما نعلم أول عالم عربي اشتغل بقواعد اللغة الكردية. ولما كان يدرس العربية في جامعة ڤينا طبع ديوان الشاعر العربي لبيد بن ربيعة العامري أحد رجال المعلقات المخضرمين. وكان سفير قومه إلى الملوك والأمراء. وأسلم عندما وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد من قومه وكان لطبع الخالدي يوسف ضيا لهذا الديوان ضجة في عالم الاستشراق. أما المناصب التي شغلها في الدولة العثمانية فعديدة. أغلبها علمي.

روحي الخالدي :

هو نسيب ضيا المتقدم الذكر وحياته (1864 ـ 1912) وهو من كبراء ساسة العرب وعلمائهم وكانت وفاته في استنبول. ولما انتقل إلى استنبول كان قد استوعب العلوم العربية والشرعية في المسجد الأقصى في القدس. ثم ازداد ثروة علمية بتحصيله القانون والعلوم السياسية في استنبول وباريز. وكان من أخص أصدقائه المخلص. الامير امين أرسلان قريب الأمير شكيب. وقد جمع بين الصديقين العلم والسياسة. فكل منهما كان قنصلا للدولة العثمانية في عواصم أوروبا. وكلاهما كانا بارعين في تشخيص أمراض الدولة ويطلبان الإصلاح لها. ولكن لما توفي روحي الخالدي سنة 1912 كانت القضية العربية (التي تتناول الأقطار العربية التابعة لتركيا) قد أخذت أبعادها داخل المملكة وخارجها. ولروحي الخالدي رسالة قيمة ثمينة عن الصهيونية مخطوطة لم تطبع بعد. ومن كتبه «أسباب الانقلاب العثماني» طبعته مجلة «الهلال» في مصر ووزعته (10).

أدباء أعلام في القدس المعاصرة
حتى سنة 1948

أ ـ اسعاف النشاشيبي : ويطلق عليه «أديب العربية». تحصيله بعد فلسطين كان في بيروت وهو من تلاميذ شيخ العربية الشيخ عبد الله البستاني. أولع اسعاف بعد تخرجه بالمتون العربية وتسهيل تحفيظها للنشء فكان معجما سيارا. قوي الذاكرة. سريع التقاط النوادر الأدبية والتاريخية وحفظها. كان إلى أول احتلال فلسطين 1917 يعيش في كنف أبيه الميسور الحال ومنه يأخذ رشحات لا تروي غليلا. فلما وقعت الحرب العامة. وانشأ «السفاح» جمال

(10) هدية لقرائها وذلك خير ما كتب في بابه. وله كتاب «علم الادب عند الافرنج والعرب» في غاية النفاسة وعمق المقارنات. وله على هذا الغرار كتاب «المقدمة في المسألة الشرقية» وكتاب «رحلة الى الأندلس» يشبه في بعض معانيه كتاب «الحلل السندسية» للأمير شكيب.

باشا. كلية صلاح الدين الأيوبي (11) في القدس لتخريج دعاة إلى العالم الاسلامي. وحشد أرهاطا من علماء العرب وكبار أدبائهم ليكونوا الأساتذة في الكلية. كان اسعاف أستاذا يعلم العربية. وبعد الحرب. ومضايقها نالت من اسعاف كثيرا لضيق ذات يده ولعدم انسجام الحال بينه وبين والده. قبل عملا وهو منصب «مفتش العربية» في مدارس الحكومة للعرب (لليهود مدارسهم ومناهجهم الصهيونية ولا سلطة للحكومة على تلك المناهج) فتيسرت حاله قليلا. ولكن انفجرت حاله وانبسطت يده بعد وفاة أبيه وهو أكبر وارث له فابتنى قصرا في أجمل ضواحي المدينة ودخل في عيشة الترف ولم يتزوج . ثم استقال من وظيفة «مفتش العربية» ولما كنت اصدر مجلة «العرب» الأسبوعية من 1922 ـ 1924 كان يزورني كل يوم تقريبا في مكتبي وطبع كتابه «الإسلام الصحيح» في مطبعة «العرب» ووزع الكتاب على أصدقائه. وكان لاسعاف لهجة قحطانية خاصة في خطبه. وهو يعشق التعابير القديمة. ونشأت بينه وبين أحمد شوقي أمير الشعراء صداقة واشجة وأحيانا يدعوه شوقي ليأتي إليه يوم «شم النسيم» فذهب وقضى لبانته مع شوقي. سيرة إسعاف تنطوي على الكثير من نوادر الوقائع. ولكن لا محل لها هنا. وعندي من بضاعته شيء كثير. وسنة 1948 والجو يربد بالسحب الدكناء آثر الانتقال إلى القاهرة ليحيد عن مهب العاصفة. أما قصره فقد دهمته أيدي الرعاع فنهبوه وصارت مكتبة اسعاف تباع في الدروب والطرق العامة وتتناهبها الأيدي. توفي في القاهرة ومررت عدة مرات بقصره المنهوب. وكان زينة الضيوف والأصدقاء، رحم الله اسعاف النشاشيبي فقد كان بحق عربيا مسلما من قمة رأسه إلى أخمص قدميه.

× – ×

خليل السكاكيني :

أديب متعمق. كثير المروءات. أبي النفس. خلق للتربية والتدريس وتخريج النشء على صلابة في الخلق. ووضع عدة كتب لتعليم النشء الصغير «الألفباء» والقراءة الصحيحة على الأساليب الحديثة. شخصيات القدس في الادب ليست كثيرة العدد. ولكنها شواهق وأبراج. والسكاكيني أحد هؤلاء. كان يعشق المتنبي ويحفظ ديوانه. فإذا جئت تحصي رجال التربية الوطنية في العالم العربي. كان السكاكيني من أصحاب رقم 1 كان له ابن تخرج من معاهد كبيرة في أميركا اسمه «سري» وعاد إلى فلسطين. وكان يرجى لسري مستقبل مشرق وضاء. ولسري أختان. فماتت أم سري ومتى ماتت ؟ السكاكيني خدم النشء بكتبه الحديثة الأسلوب. وتجمع له من ريع كتبه هذه شيء من المال فابتنى دارة جميلة في «البقعة التحتا» قرب «القطمون» وسكن الدار الجديدة هو وزوجته وسري وأختاه. فما كادوا يشعرون بلذة الشمل المجموع تحت سقف بيت جديد مملوك. (12) حتى توفيت أم سري فانقطع ظهره وشعر بتفاهة الحياة وكتب على بطاقة الزيارة الخاصة به «خليل السكاكيني ـ إن شاء الله إنسان» وقبيل 15 / 7 / 1948 انتقل بأسرته

---

(11) جمال باشا هذا كان قائد الجيش الرابع ومن أعظم حملة النظرية الطورانية التي تقول بإنشاء امبراطورية تركية تضم جميع عناصر طوران التركي من البلقان وشرقي أوروباضاربة في احشاء اسيا إلى حدود الصين وكانت ألمانيا تشجع تركيا على هذا. فانشاء كلية صلاح الدين في القدس خديعة للعالم الإسلامي لأن الطورانية لاتقول باسلام إلا بمذهب طوران هذا.

(12) لم يملك السكاكيني بيتا قبل أن بنى البيت الذي ذكرناه وقضى حياته السابقة في دار قديمة في المدينة القديمة داخل السور. وسكن. أين ؟ «لدي الروم» في القدس طاحونة يدير الهواء دواليبها. ولكن في داخل الطاحونة غرفتان صغيرتان مهجورتان فاستأجر هذين المخدعين في «دير الروم» وسكنهما وأول زيارة لي لخليل السكاكيني سنة 1922 كانت في هذه الطاحونة ومعي صديقي هاني أبو مصلح.

إلى القاهرة مكرها لامختارا اختيارا مثل اسعاف النشاشيبي فتوفي فلذة كبده سري في القاهرة فجمد جمود الصخر على فراق سري ولكن قلبه من لهب ونفسه تتيه في الأقطار الأربعة، ثم وهو على هذه الحال أدركه المرض فلزم الفراش وهو لايدري صباحه من مسائه. وان يضرب عن تناول الدواء. وحم القضاء فلحق خليل سري وأمه اما شقيقتا سري فاخر علمي انهما عائشتان في «رام الله» الغربية من القدس وبينهما 16 كلم. للسكاكيني مذكرات ولكنها غير تامة وما طبع منها يعطيك صورة عن شخصية السكاكيني. عزيته بسري وهو في القاهرة فأخذت جوابا بخط السكاكيني فوجدت اني أستطيع أن أرى. وانا في عمان. ارتعاش يده واهتزاز أصابعه. رحم الله السكاكيني ففي سنة 1955 وأنا في عمان كتبت عنه في جريدة «فلسطين» فصولا بقيت تتوالى شهرا كاملا ولعلي أطبعها في كتاب على حدة إن استطعت وإلى الله المصير وهو الحي الباقي.

×–×

3 ـ خليل بيدس :

متخرج من المدرسة الروسية القيصرية في الناصرة ومولده في القدس في الربع الأخير من القرن الماضي. أديب بالفطنة وهو أول ناشر للقصة والرواية في فلسطين بادئا شوطه منذ إعلان الدستور العثماني باصداره مجلة «النفائس العصرية». وهو خير مترجم عن الروسية التي يتقنها. وهو مرب قضى كهولته كلها في التعليم في الكلية الانكليزية في القدس يدرس العربية (13). وعن طريق مجلته «النفائس العصرية» يعد صحافيا. هو في القصة «محمود تيمور» فلسطين. وكان له مكتبة خاصة عامرة آل أمرها للصهاينة سنة 1948 سنة الانهيار. وهو لم يشأ أن ينزح من بيته في «البقعة الفوقا». بل آثر أن يبقى في بيته وحده لكي تسلم مكتبته ويسلم بيته. واذا بالعصابات الصهيونية تهاجم الحي الذي فيه بيته وتعمل ايديها في النهب والسلب. فذعر ذعرا شديدا ورأى بينه وبين شراذم اليهود مسافة قصيرة. حينئذ صمم على الهيام على وجهه في البرية طالبا النجاة بروحه ولا يدري أين صارت عائلته. فاضطر إلى أن يقطع واديا موصلا إلى قرية «سلوان» العربية. فوصل القرية بقدمين داميتين، اشعث أغبر. وهو فوق السبعين من عمره. فلقي من أهل القرية سندا واهلا. فاستراح بعد شروده في الوادي ساعات مرة شائكة محرقة مخيفة. ولم يكن له بد من قطع هذه المسافة إذ أقرب عمران يصل إليه هو عمران سلوان. ولكن هذا التيه انتهى به إلى هنا. ووجهته صارت الوصول إلى عمان التي تبعد من القدس. أو من سلوان لأن هذه القرية قريبة من سور القدس الشرقي. عدة ساعات بالسيارة.

×–×

هنا خليل بيدس التقط أنفاسه وشكر أهل سلوان على عروبياتهم ومروءاتهم وأجروا له مقعدا في سيارة تقل ركابها إلى عمان. فوصل عمان ونزل ضيفا عند احد اصدقائه وثاني يوم أو ثالث يوم انتقل من عمان إلى بيروت عن طريق دمشق واستراح في بيت ابنه من مديري «بنك انترا» ثم توفي في بيروت بعد قليل.

×–×

خليل بيدس يعمل في التربية الوطنية مثل السكاكيني وله جيل من المتخرجين وله فضل كبير على الادب. فإذا قلت في القدس اسعاف النشاشيبي فكأنك قلت السكاكيني. واذا قلت السكاكيني فكأنك قلت خليل

(1) لما توليت ادارة القسم العربي في دار الاذاعة الفلسطينية في الحرب الثانية إنما توليتها على شروط منها الا يدخل القسم العربي يهودي على الاطلاق وليس للسلطة تدخل في البرامج ولا اوافق على إذاعة أية مادة تمس كرامة العرب والمسلمين ومشيت على هذا قرب 4 سنين من 1940. وكنت بحاجة إلى أديب متمكن يراقب لفظ البرامج من حيث العربية وحسن الاداء. فكلفت خليل بيدس بهذا بحيث يستمع الى البرامج وهو جالس في بيته على أن يصلني منه في صباح اليوم التالي تقرير بملاحظاته فقام بهذا العمل خير قيام ولذلك كان القسم العربي الأول بين خمس اذاعات.

بيدس. هؤلاء الثلاثة عاصرتهم عن كتب وصلتي بكلّ منهم شديدة. ولكن الواشجة بيني وبين اسعاف هي أقوى من أن تحد أو توصف. رحمهم الله جميعا.

4 ـ الأديب الشاعر اسكندر الخوري البتجالي :

البتجالي نسبة إلى بلدة «بيت جالا» قرب بيت لحم في الطريق من القدس إلى الخليل. على بعد نحو 9 كلم من القدس. واسكندر الخوري المترجم عربي غساني الارومة دخل في خدمة القضاء في حكومة فلسطين وطال أمره هذا. فرقي إلى حاكم منفرد يقال له «حاكم الصلح» وهذا القانون وضعه الأتراك وقت الحرب العالمية الأولى وجعلوا يطبقونه في خلال الحرب. وفي القضاء البريطاني مثل هذا القانون ولذلك جروا عليه. وكان في فلسطين وقت الانتداب قضاة صلح. هذا بريطاني وذاك عربي أو يهودي. فاسكندر الخوري وصل في نهاية حياته في خدمة القضاء الفلسطيني إلى أن يكون حاكم صلح عربيا.

وهو من الذين في مهنتهم جمعوا بين الأدب والقضاء. فكان في كل آونة يصدر ديوانا من الشعر الاجتماعي الناقد. بدأ الشعر. كما تدل على هذا دواوينه. وليس على مستوى رفيع. ولكن مثابرته على النظم جعلت تصقل شعره فبدأ الفرق بين أول دواوينه وأحدثها. حتى صارت لـه قصائد تسمع ولها منزلتها. فجاء المطران يزور بيت جالا فمدحه اسكندر مدحا جميلا. ولأن لقب اسكندر هو «الخوري» فبعد المرح أراد أن يتواضع فجعل آخر أبيات القصيدة. هذا البيت :

فلأنك المطران والداعي رعاك الله خوري

وبقي في القضاء إلى أن أحيل على ما يسمّونه «التقاعد» ثم جاءت سنة الانهيار 1948 وله أقرباء مهاجرون (15) في أقطار أميركا اللاتينية فذهب إليها ليزور الأقرباء والأهل فلم يطب له العيش هناك فذهب آملا ورجع عاطلا. كنت استعذب مجلسه وحديثه وملاحظته ونكته والآن لا أدري من أمر أسرته شيئا. بعد أن توفاه الله.

× ـ ×

5 ـ أحمد سامح الخالدي :

هو من الأسرة الخالدية في القدس. ومن هذه الأسرة لم يتوقف دور العلماء والادباء قرنا فقرنا منذ التاريـخ الهجري الأول إلى الآن. وقد ذكرنا منهم يوسف ضياء الخالدي وروحي الخالدي. وكانت وفاتهما قبل الحرب العالمية الأولى. فأدركنا آثارهما في القدس وفلسطين عامة. ويوسف ضيا كان صديقا حميما للسيد جمال الدين الأفغاني وأطلعت في القدس في مكتب العلامة المحامي مؤرخ فلسطين عمر الصالح البرغوتي على رسم لجمال الدين والى جانبه يوسف ضيا وهذا الرسم من أجل آثار الأعاظم بناة الديار.

أحمد سامح الخالدي : وهو موضوعنا الآن. خريج الجامعة الاميريكة في بيروت وكان يدرس الصيدلة فتحول إلى العلوم ونال رتبة ماجستر فيها وهو خلق ليكون بحاثا ناخلا مؤلفا. وهو من فلسطين كساطع الحصري من سوريا والعراق. وهو رأس الطليعة التي بعد الحرب الأولى نشرت المدارس والتعليم في فلسطين. بل هو حامل اللواء وقائد الرعيل العلمي الجديد. ومشى في هذه الطريق من أول

---

14) أهل بيت لحم وبيت جالا وبيت ساحور والثلاث متجاورات، تكاد تؤلف مدينة واحدة من ثلاثة أحياء. معظم أهالي هذه البلدان مهاجرون في أقطار أميركا اللاتينية ولعل الذين في المهاجر أوفر عددا من الذين هنا. ومهاجروهم موصوفون بالصدق والامانة. مع النضال في العمل التجاري. ومثلهم في هذه الخصلة أهل «رام الله» و «البيرة» على بعد 16 كلم شمال القدس.

الانتداب ووعد بلفور إلى يوم الانهيار وشهد مأساة 1948 وتوفي سنة 1951

نبوغه كان في تخريج النشء العربي المؤمن. وسلاحه العلم والتعليم. فتولى مديرية «دار المعلمين» التي انقلبت بجهوده إلى «الكلية العربية» وثابر مدة الانتداب كله 20 سنة على هذا شوطا واحدا فتخرج من هذه الكلية الجيل العلمي الجديد كله. فصاروا أساتذة مصانعهم تعليم النشء وتخريجه. ولم تكن العوامل السياسية الانتدابية حائلا بينه وبين واجباته الوطنية. فلما جاء بلفور سنة 1925 إلى القدس ليساهم في مهرجان افتتاح الجامعة العبرية على جبل الزيتون. المشرف بعلوه على مدينة القدس داخل السور وأضربت البلاد كانت الكلية العربية أول معهد علمي رسمي شارك في الإضراب ثم تبعته مدارس فلسطين الرسمية.

× − ×

ولما أخذت النكبات تشتد بفلسطين وتتتابها الثورات فكثر عدد الأيتام. قام أحمد سامح الخالدي بإنشاء مستوطنة «دير عمرو» غربي القدس. وقريبة من قرية «دير ياسين» التي ارتكبت فيها العصابات اليهودية أفظع الوحشيات. من بقر بطون النساء الحوامل وقتل العجزة والأطفال وذبح الأهالي. كل هذا في هجوم صهيوني مباغت. كما حدث سنة 1956 في قرية «كفر قاسم» ليلة الهجوم على مصر. وجعل أحمد سامح يجمع في هذه الدار. «دير عمرو» الأيتام من جميع أنحاء فلسطين. وأخذ الكرماء من العرب يساعدون الخالدي في هذا المشروع الذي من نوعه وجنة المستوطنة العربية التي أنشأها قرب مدينة أريحا العربي البناء المنشىء الأستاذ موسى العلمي. والخالدي والعلمي من أبناء القدس.

× − ×

والخالدي أحمد سامح. من كبار المحققين والمؤلفين وترك كتبا محفوظة عديدة تحتاج إلى الخروج إلى النور. ونذكر هنا كتابا واحدا من كتبه القيمة وهو «أهل العلم والحكم في ريف فلسطين» وهو فريد في نوعه. فقد لاحظ أحمد سامح أن الصهاينة راحوا ينشرون في كتبهم وعن طريق معاهدهم في العالم أن فلسطين في العصور الإسلامية كانت قفرة جافة في اخراج العلماء. فعمد أحمد سامح إلى وضع هذا الكتاب ليثبت به ما أخرجت قرى فلسطين. لامدنها. من علماء خدموا الدولة الإسلامية في مصر والشام قرونا فقرُنا. وجمع لهذا الكتاب مادته من عشرات المخطوطات الثمينة في «المكتبة الخالدية» في القدس. وسنتكلم عن هذه المكتبة بعد قليل إن شاء الله.

وهذا الكتاب تركه مخطوطا. فبعد وفاة أحمد سامح سنة 1951 رحمه الله قام أبر تلاميذه به محمود العابدي سنة 1968 بطبع هذا الكتاب ووزعه على الأصدقاء والمعاهد العلمية في العالم العربي وعلى فريق من المستشرقين وكان المؤلف أحمد سامح قد فرغ من هذا الكتاب سنة 1946 ووضع له مقدمة نفيسة. ومن المفيد أن أنقل إلى قارىء **«دعوة الحق»** فقرة من هذه المقدمة :-

«وما دمنا في مقام المسجل للشأن العظيم الذي قام به ريف فلسطين في الحركة الفكرية والحكم منذ القرن الأول فيكفي أن نذكر هنا أبا محمد حسن اليازوري. رئيس وزراء الدولة الفاطمية وقاضي قضاتها. وداعي دعاتها. وهو من أبناء قرية يازور على طريق يافا. بل ماقولك بموسى بن نصير فاتح قبرص وقائد معاوية. وفاتح الأندلس. الذي شبي والده من جبل الخليل وهو اللخمي الفلسطيني الريفي. أو الربيع بن يونس إبي فروة حاجب المنصور العباسي. باني بغداد. ووزيره فهو من جبل الخليل أيضا.

ولا ننسى عبد الحميد الكاتب (القيسراني نسبة إلى قيسارية) الوزير الأموي. والكاتب المنشىء القاضي الفاضل البيساني (نسبة إلى بيسان على الأردن قرب طبريا) مستشار صلاح الدين. المؤرخ المنشىء البليغ. والمصلح العمراني الاجتماعي الذي قال صلاح الدين عنه : «انه لم يفتح البلاد إلا بعلمه».

× - ×

المكتبة الخالدية في القدس الشريف والشيخ طاهر الجزائري

المكتبة الخالدية هذه في القدس هي المكتبة الظاهرية في دمشق. والشيخ المصلح البناء المنشىء الشيخ طاهر الجزائري الذي انشأ المكتبة الظاهرية في دمشق وجاء القدس هو الذي وضع أساس المكتبة الخالدية في القدس على الطريقة نفسها من جمع الكتب المذخرة في المنازل والبيوت وتحويلها إلى مكتبة عامة ذات فهارس منظمة وعلى المكتبة قيم من آل الخالدي. ولما كنت في القدس فقد زرتها مرارا. والفضل في هذا كله يعود إلى الشيخ طاهر صديق الوالي مدحت باشا في دمشق في الربع الأخير من القرن الماضي. وباذر بذور اليقظة في دمشق.اليقظة العربيةالإسلامية المحض. .هو الشيخ طاهر المتوفي حوالي 1920 بدمشق ووضع في سيرته عدة رسائل وكتب ورعيل الحركة الإصلاحية في دمشق جميعهم من تلاميذ الشيخ طاهر وأولهم محمد كرد علي المشهور رئيس المجمع العلمي للغة العربية.

× - ×

6 ـ نخلة زريق :

أصله من لبنان ولكنه جاء فلسطين مدرسا العربية فكان من مقامه العلمي اللغوي وتوغله في آداب العرب وتاريخهم. هو جبر ضومط في الجامعة الاميريكة في بيروت أو عبد الله البستاني في البطريركية. توفي نخلة زريق بعيد السنة 1920 أو 1921 في القدس. وقد اجتمعت به مرارا في مطعم السيد سليم الحداد اللبناني وكنت استفيد من حديثه كثيرا . وجميع من ذكرنا من أعلام أدباء القدس كاسعاف النشاشيبي وخليل السكاكيني وخليل بيدس كلهم يعترفون بإمامة نخلة زريق في العربية. وصنع في لباسه الوطني ماصنع من قبل المعلم بطرس البستاني. فلم يغير نخلة زريق «الغنباز» والمعطف المنسدل إلى ما تحت الركب. و«الطربوش» الأحمر. ولم يتزوج فليس له عاقبة. ولكن الجيل الذي تخرج على يديه يذكره بكل خير وثناء وهو الجيل الذي شهد الانهيار سنة 1948. وانطوى معظمه ولم يبق منه إلا القليل. كان نخلة زريق يوقعك في الحيرة : اعلمه اللغوي الجامع لكل شتات الجامع الصفوة واللباب. أم حديثه العذب المغذي الموقظ المنبه.

× - ×

علماء اخرون

علماء آخرون في القدس أدركناهم في الثلاثين سنة التي أقمناها في هذه المدينة المقدسة. منهم الشيخ خليل الخالدي رئيس محكمة الاستئناف الشرعية في القدس. الرحالة الجواب الآفاق في سبيل المخطوطات وتقييمها وهو الذي وصفه عبد الرحمن عزام بأنه مكتبة سيارة. والشيخ موسى البديري القاضي الشرعي في القدس والشيخ حسام الدين جار الله وكان لمدة سنوات بعد إنشاء المجلس الإسلامي الأعلى مفتش المحاكم الشرعية. والحاج خليل رصاص وكان دوره زمن العثمانيين. وأبو عاشور سيد حي البقعة الفوقا وجاري سنين عديدة. وهو من أول منشىء حي «البقعة الوقا» قرب سكة الحديد.

وعرفت في القدس من رجال القضاء العربي معرفة تامة الشيخ عليّ جار الله (هو أخو الشيخ حسام المتقدم الذكر) وفرنسيس خياط وهما من قضاة المحكمة العليا التي فيها عرب ويهود ويرأسها قاضي بريطاني، وعلي جار الله من أساتذة معهد الحقوق في القدس. والبديري (غير الشيخ موسى) ومصطفى الخالدي وعلي حسنا. وكان المحامي المؤرخ عمر الصالح البرغوثي من أعز أصدقائي وله كتب تاريخية وهو أول الصف من مؤرخي فلسطين وله كتاب في تأريخ فلسطين اشترك معه في تأليفه خليل طوطح من رام الله وهو من خيرة الكتب في بابه. وأحب أن أشير إلى عالمين اثنين من أصدقائي من خريجي الجامعة الاميركية في بيروت وهما محمد يونس الحسيني ومحمد عبد السلام البرغوثي. (نسيب عمر الصالح) والعجيب من أمرهما أنهما عاشقان البحث في التاريخ الإسلامي ومن حيث التخصص فقد تخصصا في علوم الاقتصاد وعملهما كان في «البنك العربي» المشهور في العالم العربي لمؤسسه عبد الحميد شومان من قرية بين رام الله والقدس. وكانا ينشران أبحاثهما التاريخية في مجلتي «العرب» الأسبوعية. وكانا على جانب عظيم من رجاحة العقل والحكمة ولما كنت أتولى إدارة القسم العربي في دار الإذاعة الفلسطينية في خلال الحرب الثانية. دعوت المؤرخين العرب لبحث عدة مواضيع إسلامية تاريخية . وكان هذان المحمدان الحسيني والبرغوثي من جملة من دعوت . فكانت أبحاثهما بارزة جدا تحقيقا وتنقيبا. ونشر معظم هذا في كتاب «حديث الإذاعة» الذي أصدره القسم العربي سنة 1942 في القدس. وقد توفيا إلى رحمة الله كما توفي جميع من ذكرت أعلاه.

وسبق في هذا الفصل أن اتيت على ذكر فريق من أسر القدس، واني أضيف إلى ذلك هنا ما فاتني هناك :

الجاعوني ، ولورنس، وأبو القيلاد. ووهبه. وبركات. والدقاق. وعاشور. والقباني. والفتياني. والغوري. والعوري.

اما الغوري فأسرة مسيحية . وأما العوري فاسلامية نسبه إلى قرية بيت عور في قضاء رام الله ومن آل العورى العلامة الشيخ أمين العوري «أمين الفتوى» على المذهب الحنفي كما سبق بيانه.

× – ×

شخصيات اسلامية بذلت في سبيل القدس وفلسطين

أول صلة أنشئت بين فلسطين والعالم الإسلامي هي الصلة بالهند (قبل قيام باكستان) على يدي وفد إسلامي من فلسطين سنة 1922 ثم عززت هذه الصلة على يد وفد الخلافة الهندي ووفد فلسطين إلى المؤتمر الإسلامي العالمي الذي دعا إليه الملك الإمام عبد العزيز آل سعود. إثر استيلائه على الحجاز 1925 وكان عقد هذا المؤتمر سنة 1926 في مكة المكرمة. وكانت الجهود مبذولة لنصرة فلسطين في الهند على يد لجنة الخلافة التي تمثلت بوفد خاص إلى المؤتمر . ولجنة الخلافة في الهند حزب إسلامي هندي غرضه شد أزر تركيا والمحافظة على الخلافة وتقاليدها ويمثل وفد الخلافة هذا. الاخوان مولانا شوكت علي الحر وأخوه مولانا محمد علي الحر الذي توفي في لندن في أثناء مؤتمر المائدة المستديرة ونقل جثمانه إلى القدس ودفن بجوار المسجد الأقصى. وشعيب قرشي الذي كان سفير باكستان في العراق بعد قيام باكستان. والشيخ سليمان الندوي العلامة الإسلامي المشهور.

ومن أصدقاء فلسطين منذ 1922 زعيم تونس الشيخ عبد العزيز الثعالبي فكان يتردد على فلسطين أونة بعد أونة. وهو رحالة جواب أفاق. لا أعلم زعيما إسلاميا توفر

على دراسة شؤون العالم الإسلامي توفره وهو جمع السياسة إلى الفلسفة الإسلامية فكأنك إذا سمعته يتحدث فلسفيا سمعت ابن خلدون في بسط الآراء وسوق البراهين.

والسيد ضياء الدين الطباطبائي من إيران - وكنت أود أن يتأخر الزمن أو يتقدم به قليلا ليدرك السيد جمال الدين. فما شيء كان يلذ لي في هذه الدنيا من اصغائي إلى الحديث الذي كان يدور بين الثعالبي والطباطبائي حول الشؤون الإسلامية. وكلاهما ممن رزقهم الله عليا المواهب. وحديث العظيم للعظيم غير حديث الفرد العادي إلى أخيه العادي. جميعهم الآن في رحمة الله.

× - ×

الصحافة في فلسطين من 1876 - 1948

× + ×

نختتم هذا الفصل عن الصحافة في فلسطين منذ 1876 - 1948 ذاكرين اسم الجريدة واسم صاحبها مع مواعيد صدورها وشعاراتها، ومصدرنا لهذه المعلومات الدقيقة كتاب «الصحافة العربية في فلسطين»، أعده الدكتور يوسف خوري أمين مكتبة الجامعة الأميريكية في بيروت، وأخرجته مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت سنة 1976 ولبنان في أشد مخاضه من الحوادث المؤسفة. والدكتور يوسف خوري ببيليوغرافي من الطراز الأول في هذا الباب. ولنا بعض الملاحظات على هذا الجدول وأهم هذه الملاحظات أنه لم تظهر الصحافة العربية في جميع مدن فلسطين بل حصر ظهورها في القدس العاصمة، وفي يافا وحيفا؛ وقد اقتصرنا على الصحف العربية، دون العبرية والأجنبية، وأهملنا الصحف أو النشرات الدينية الغاية كالتبشير وامثاله. وكتاب الدكتور يوسف خوري هذا، هو المصدر التاريخي العلمي لهذا الموضوع. وأدرجنا أسماء جميع الصحف العربية حتى ولو كان صدورها أما لفترة يسيرة ثم توقفت نهائيا، فكان صدورها قضاء لبانة موقتة، واما انها مشت شوطها ثم توقفت. ولهذا وجب علينا أن نشير الى أهم الصحف التي كان صدورها وانتشارها وتأثيرها في الرأي العام شيئا يحسب له حساب، وهذا في مدة الانتداب 20 سنة اخرها 1948 فنقول : هذ الصحف هي «فلسطين» وقد بدأت تصدر من قبل الحرب الأولى، في يافا واستمرت بعد 1948 تصدر في القدس الى أن توقفت نهائيا أخيرا، وجريدة «الكرمل» في حيفا وهي أسبوعية وبدأت تصدر قبل الحرب الأولى وبقيت مستمرة في حياتها الى 1948، وجريدة «الجامعة الاسلامية» في يافا. وجريدة «الجامعة العربية» في القدس، وجريدة «الدفاع» في يافا ثم في القدس وعمان، و«مراة الشرق» في القدس، ومجلة «العرب» الأسبوعية في القدس و«الصراط المستقيم» في يافا و«اليرموك» في حيفا و«الصباح» في القدس. و تنقسم الحياة الصحفية العربية في فلسطين الى الأدوار التالية :

1 - الدور العثماني من 1908 - 1918.

2 - دور الاحتلال العسكري من 1917 - 1920.

3 - الدور الانتدابي من 1920 - 1948.

4 - دور ما بعد الانهيار، وانتقال الصحف إلى القدس ثم إلى عمان حتى 1967 وبعد ذلك صارت آخر صحيفتين تغالبان الصعاب حتى اقتربت نهايتهما وتوقفتا نهائيا وهما «فلسطين» و«الدفاع» وبهذا يكون قد انطوى بساط الصحافة الفلسطينية التي بدأت حياتها سنة 1908 سنة إعلان

«الدستور العثماني وحلت اليوم صحف الأردن في عمان محل الصحف الفلسطينية التي أدت رسالتها في العالم ثم انطوت.

× – ×

الجـــــــدول

1876 : «القدس الشريف» يحرر القسم العربي فيها الشيخ علي الرعاوي وهي رسمية.

1907 : «الشرقي» لعادل جبر أدبية اجتماعية تصدر مرتين في الشهر.

1908 : «الأصمعي» لحنا عبد الله العيسى أدبية اجتماعية.

1908 : «القدس» لجرجي حبيب حنانيا علمية أدبية إخبارية تصدر مرتين في الأسبوع.

1908 : «النفائس» مجلة ثم «النفائس العصرية» لخليل بيدس أدبية تصدر مرتين في الشهر.

1908 : «الديك الصياح» مجهول اسم صاحبها.

1908 : «الإنصاف» تصدر مرتين في الأسبوع سياسية علمية أدبية فكاهية.

1908 : «النجاح» للشيخ أحمد الريماوي أدبية علمية زراعية أسبوعية.

1908 : «البلبل» مجهول التفاصيل.

1908 : «جراب الكردي» لمتري حلاج. سياسية هزلية أسبوعية.

1908 : «الكرمل» لنجيب نصار . اجتماعية اقتصادية مرتين في الأسبوع.

1908 : «النفير» لايليا زكا. تبحث في مختلف المواضيع.

1909 : «الأخبار» لحنا غرابي سياسية فنية فكاهية كاريكاتورية غير منتظمة الصدور.

1910 : «الاعتدال» لبكري السمهوري سياسية.

1910 : «الحرية» لتوفيق السمهوري أدبية اجتماعية فكاهية قصصية.

1910 : «الدستور» لخليل السكاكيني، ثم جميل الخالدي. علمية ثقافية أسبوعية.

1910 : «رائد النجاح» كلية الفرير يحررها موسى العلمي.

1911 : «فلسطين» لعيسى العيسى، ويوسف العيسى. سياسية أدبية. مرتين في الأسبوع.

1911 : «عمارة القاهرة» لخليل زفوت. ونجيب جانا. فكاهية أدبية. مستقلة.

1912 : «المناوي» لسعيد جاد الله ومحمد موسى المغربي أدبية اجتماعية سياسية. اسبوعية .

1912 : «المحبة» لفضل فارس أبو حلقة. أسبوعية.

1912 : «أبو شادوف» لوهبه تماري. أدبية انتقادية مستقلة. أسبوعية.

1912 : «الصاعقة» لجميل رمضان. سياسية أدبية. مستقلة أسبوعية.

1913 : «المنهل» لمحمد موسى المغربي. أدبية تاريخية اجتماعية. شهرية.

1913 : «القدس الشريف» جريدة رسمية.

1914 : «صوت العثمانية» للدكتور شمعون موبال (يهودي) ملحق بجريدة عبرية.

1914 : «الاعتدال اليافي» لبكري السمهوري. سياسية (لم يذكر مواعيد صدورها).

1916 : «الصحراء المصورة» يشرف عليها جمال باشا قائد الجيش الرابع ويعرفه العرب بالسفاح.

1919 : «سورية الجنوبية» لعارف العارف. ومحمد حسن البديري. سياسية أدبية أسبوعية.

1919 : «بيت لحم» ليوحنا خليل ذكرت وعيسى البندك. أسبوعية ثم شهرية تنقل أخبار الوطن إلى المهجر.

1919 : «مرآة الشرق» ليونس شحاذة، سياسية مرتين في الأسبوع.

1919 : «بيت المقدس» لبندلي مشحور، سياسية أدبية مرتين في الأسبوع.

1919 : «القدس الشريف» لحسن صدقي الدجاني سياسية مستقلة أسبوعية.

1919 : «الأقصى» لصالح عبد اللطيف الحسيني سياسية أدبية اجتماعية، أسبوعية.

1919 : «حيفا» لايليا زكا عمالية (الشغيلة) زراعية أسبوعية.

1921 : «زهرة الجميل» لجميل البحري، أدبية مرتين في الشهر.

1921 : «لسان العرب» لإبراهيم سليم النجار سياسية أدبية يومية (16).

1921 : «الصباح» لمحمد كامل البديرى سياسية تعاقب على تحريرها يوسف ياسين وهاني أبو مصلح وهي لخدمة القضية الفلسطينية السياسية وتناوىء «لسان العرب» للنجار.

1921 : «الطبل» لإبراهيم كريم فكاهية أسبوعية.

1922 : مجلة «روضة المعارف» تهذيبية وطنية، تابعة لكلية «روضة المعارف» الوطنية.

1922 : «الزهرة» لجميل، أدبية، واعية فكاهية.

1922 : «صوت الشعب» لعيسى البندك، ويوسف أبو العراج، للعرب خاصة والشرق عامة.

1922 : «الأردن» لخليل نصر، وباسيلا الجدع، أسبوعية.

1922 : «الحقوق» لفهمي الحسيني، قضائية شرعية بوليسية عملية، شهرية.

1924 : «الجزيرة» لحسن فهمي الدجاني، ومحمد كامل الدجاني، سياسية، أسبوعية.

1924 : «اليرموك» لكمال عباس، ورشيد الحاج إبراهيم، وهاني أبو مصلح، سياسية وطنية تصدر خمس مرات في الأسبوع.

1925 : «الاتحاد العربي» لسليم عبد الرحمن الحاج إبراهيم، سياسية أسبوعية.

1926 : «الاقدام» لسليم الحلو وطانيوس نصر سياسية أسبوعية.

1927 : «الزمر» لخليل زفوت المجلي، سياسية انتقادية فكاهية، أسبوعية.

1927 : «الزهور» لجميل البحري، وحنا البحري، أدبية مرتين في الأسبوع.

1927 : «الجامعة العربية» لمنيف الحسيني، وطاهر القتياني، سياسية أسبوعية.

1927 : «صوت الحق» لفهمي الحسيني ، سياسية مستقلة، يحررها حمادي الحسيني.

1927 : «إلى الأمام» الحزب الشيوعي الفلسطيني.

1928 : «المعاد» لميشال سليم النجار مجلة أدبية أسبوعية.

1929 : «النهضة» جاك سويدان، وقيصر أبيض، مجلة أدبية أسبوعية.

1930 : «الحياة» لعادل جبر ، وخالد المزدار ، ثم خير الدين الزركلي، سياسية وطنية يومية.

1931 : «الأخلاق» لداود الكرري مجلة أدبية اجتماعية تاريخية فكاهية شهرية.

1931 : «كشاف الصحراء» لعاطف نور الله، ومطلق عبد الخالف، مصور شهرية.

1932 : «العرب» **لعجاج نويهض** مصورة تبحث في شؤون العالم العربي والإسلامي، أسبوعية.

1932 : «الجامعة الإسلامية» للشيخ سليمان الناجي الفاروقي سياسية 6 مرات في الأسبوع.

1933 : «الصراط المستقيم» للشيخ عبد الله الفلفيلي، سياسية دينية مرتين في الأسبوع.

1933 : «المطرقة» للدكتور خليل أبو العافية . انتقادية اجتماعية أسبوعية.

1933 : مجلة «فلسطين الشرقية» للدكتور توفيق كنعان، دورية.

1933 : «أخبار دار الايتام السورية» (الألمانية) بالقدس، شهرية.

1933 : «الوحدة العربية» لامين الخولى سياسية اقتصادية اجتماعية لإبراهيم الشنطي، وشوكت حماد، سياسية 6 مرات في الأسبوع.

1934 : الدفاع «الشباب» لأمين الخوري سياسية مرتين في الأسبوع.

1934 ، مجلة «الاقتصاديات العربية» لفؤاد صالح سابا، مرتين في الشهر.

1934 : «الفجر» للدكتور اسكندر خلبي، مرتين في الأسبوع.

1935 : «الأوقاف العربية» لعلي الحسيني، سياسية مرتين في الأسبوع، بالعربية، والانجليزية.

1935 : «الجيل» لإبراهيم الشنطي، سياسية تهذيبية، مرتين في الأسبوع.

1935 : «الصاعقة» لعبد الغني الكرمي، سياسية نقدية، اسبوعية.

1935 ، «اللواء» لجمال الحسيني سياسية يومية باللغتين العربية، والانجليزية.

1935 : «الكفاح» لمصطفى الرشيد، سياسية زراعية وشؤون مختلفة.

1937 : «الحقيقة المصورة» لمحمد مصطفى الغندور، وكمال أحمد عباس، أسبوعية.

1938 : «اللهب» للأديب خوري، أدبية نقدية سياسية، يومية.

1938 : «الحياة الرياضية» لجميل عبد الغني شلالي، أسبوعية.

1938 : «آخر ساعة» ليوسف عازار سلوم سياسية أدبية، يومية.

1938 ، «الفجر» لأسعد عبود، ومحمود سيف الدين الإيراني، أدبية سياسية إخبارية مصورة تصدر مرتين في الأسبوع.

1939 : «الجهاد» لمحمد عبد الله المسلمي، إخبارية يومية.

1944 : «الاتحاد» لاميل جبرائيل توما، اتحاد نقابات العمال أسبوعية.

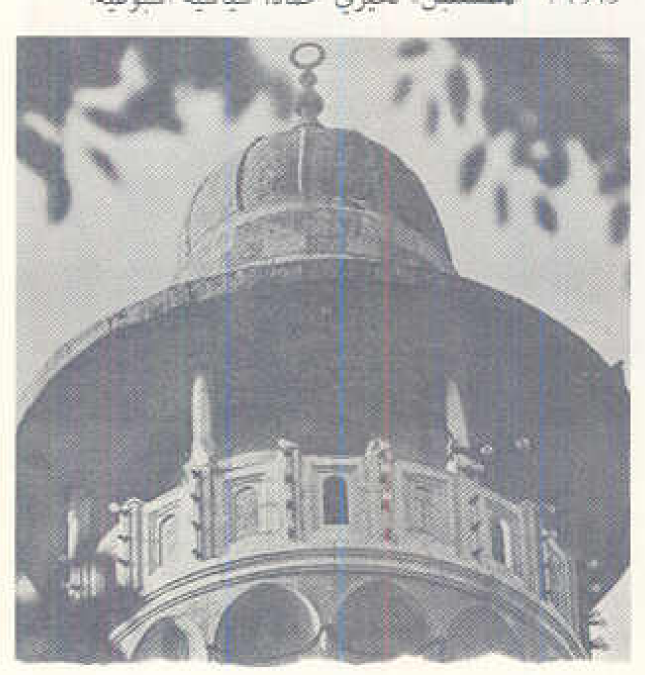
1945 : «الوحدة» لإسحاق عبد السلام الحسيني سياسية ثقافية يومية.

1945 : «الغد» لعيسى شاكر، في حي شنلر الألماني، متنوعة المواضيع، أسبوعية.

1945 : «المجلة الطبية العربية» الفلسطينية، للدكتور محمود طاهر الدجاني.

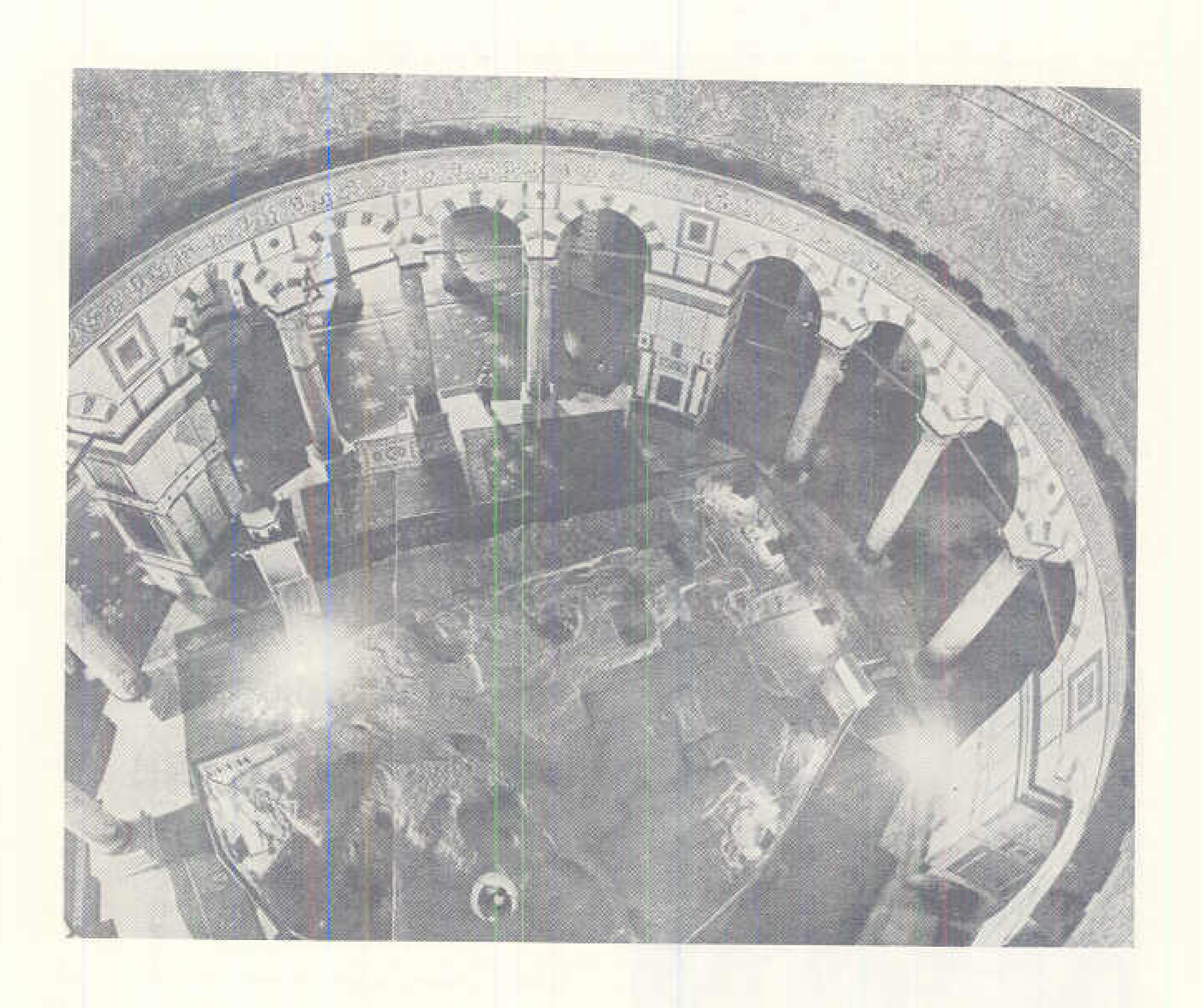
1945 : «الهدف» لجبرائيل ذيب كشفية متنوعة أسبوعية بالعربية والانجليزية.

1945 : «المستقبل» لخيري حماد، سياسية أسبوعية.



هذه آخر جريدة عربية صدرت برخصة رسمية من حكومة فلسطين واسمها «المستقبل» ثم صارت الحال في البلاد قتالا بين العرب واليهود في جميع الأنحاء حتى جاءت سنة 1948 والغليان على اشتداد والمعارك ضارية. والانكليز يتحيزون للصهاينة علنا ودخلت الجيوش العربية «السبعة» لإنقاذ فلسطين فكانت النتيجة ماعرفه كل عربي ومسلم في المشرق والمغرب. فعسى يكون العدد الخاص من مجلة «**دعوة الحق**» الحرة باعثا على إلتقاء الصفوف جراحا وكفاحا وسلاحا. والله ولي التوفيق.

رأس المتن (لبنان) ـ عجاج نويهض



صليت في القدس.. الحمد لله

للدكتورة آمنة اللوه

ترجع بي الذاكرة إلى صيف 1963 يوم غادرت الوطن ووجهتي بيروت.. بيروت 1963، ضمن وفد مغربي للمشاركة في دراسة صيفية بالجامعة الأمريكية اللبنانية.. وكانت بيروت يومذاك تنعم بالأمن والسلام وتبدو مصايفها وجبالها الخضراء جنة الناظرين .. رغم سحب دكناء كانت تتراءى في أفقها وتنذر بأشياء لا محالة آتية.. إذ من السهل أن يلاحظ المرء، بين الهيآت المتساكنة تحرشات وتحركات مريبة لا تخفى على أحد.. يكفي أن يتحدث أحدهم عن الآخرين ليعلم ماتضمره كل طائفة لأخرى..

وكان المقام بالجامعة الامريكية نفسها، تلك القلعة العتيدة الرابضة على تل مشرف على البحر، وهي تمثل عالما قائما بذاته ومملكة أمريكية في قلب بيروت بمبانيها الفخمة وكلياتها العديدة وداخلياتها وميادينها الرياضية وحدائقها الغناء.. وبكل مرافقها ومصالحها التي تنحدر من التل إلى السفوح حيث مبنى السفارة الامريكية.. اما رعيتها فهي هذا الحشد الهائل من أبناء العرب الذين ينتمون إلى مختلف الدول العربية.

وقد أتاحت لنا هذه الدراسة التعرف على أساتذة أجلة من النخبة العربية أفاضوا علينا من علمهم وسمو أخلاقهم ما أحلهم في نفوسنا محل التقدير والإعجاب فبقيت ذكراهم لاتنمحي من أذهاننا..

وكانت فرصة أخرى للقاء إخوة عرب جاءوا لنفس الغاية من مختلف الأقطار العربية.. فكانت مناسبة للتعارف وتبادل الآراء وتصحيح بعض المفاهيم التي تسربت إلينا وإليهم .. إذ كانت فرصة لمعرفة الاتجاهات والتيارات التي كانت تجتاح العالم العربي يومذاك بعنف وجعلت المنطقة في حالة غليان... وبالأخص القضايا الكبرى التي شغلت الرأي العام العربي : فلسطين، واليمن، والقومية العربية...

ففي تجمع عربي كتجمعنا كانت القضية الفلسطينية هي قطب الرحى وبجانبها قضية اليمن التي كانت الحرب الأهلية تستعر فيها.. وكان إخوة يمانيون لا ينفكون يجلون لنا أخبارها ويذكرون أهوالها ويشهرون بالأيدي الخارجية التي كانت تزكيها فكنا نسمع منهم ما يوقظ مشاعرنا ويزيد من همومنا.. وكاد يصرفنا عن الدرس والغايات التي جئنا من أجلها..

فالذي ما زال يمثل أمام عيني ويملأ نفسي ذكريات أليمة هو ما كنا نسمعه من أستاذ عظيم الشأن من أصل فلسطيني ووراءه ماض مشرق من العلم والخبرة فلقد كان مراقبا للتعليم القروي ثم خبيرا فيه قبل أن يسطو شذاذ الآفاق على فلسطين.. فكان حديثه يصدر عن حكمة بالغة.. ويعقب كل نظرية يطرحها بمثال واقعي من تجاربه السابقة.. وكنت لشدة ولوعي بالتعليم القروي حريصة أشد الحرص على حضور محاضراته لأنه كان حجة في فنه ومعبرا عن حالة موطنه يوم كان عاملا في حقوله التربوية والفلاحية.. وكان لا يفتر عن التحدث عن فلسطين واتخاذها أمثولة لما يعرضه من نظريات.. فالأمثلة دائما من هناك..

مرة فاجأنا الأستاذ الفلسطيني باعتذاره عن التغيب في حصة الغد ـ وهو الذي لا يغيب قط ـ مضيفا أن الداعي لتغيبه أمر هام جدا. ولم يزد على ذلك شيئا.. وعندما حضر لاستئناف محاضراته بادرنا بقوله وقد أشرقت أسارير وجهه : «لأول مرة بعد خمس عشرة سنة سمح اليهود للفلسطينيين المقيمين بلقاء أهاليهم وأقاربهم.. من وراء الأسلاك الممتدة على الحدود وتحت فوهات الرشاشات.. وزاد الشيخ : ان لي أختين هناك لم أرهما منذ وقوع النكبة وفعلت بنا الأحداث ما فعلت. أسرعت لرؤيتهما وكان الوقت المسموح به خمس عشرة دقيقة.. إنهم اختصروا خمسة عشرة سنة في خمسة عشرة دقيقة. كان اللقاء مؤثرا. كان لحظة درامية.. تبادلنا العبارات والعبرات.. قال : هذا هو سبب غيابي فاغفروا لي كتماني ذلك عنكم لأمور لاتخفى عليكم..! واغرورقت عينا الشيخ بالدموع..!

وران على القاعة صمت أليم فقد اتسعت صورة المأساة امامنا بكل أبعادها وكل أحزانها.. كانت كل نبرة من صوت الشيخ سهما يخترق قلوبنا ويدمي نفوسنا ويترك في جوانحنا جروحا لاتندمل.

وفي جلسة مع أخوات فلسطينيات انبرت واحدة منهن تتحدث عن محنة أبيها قالت : كان شخصية مرموقة في فلسطين وكان له مركز هام في الدولة.. وعندما وقعت المأساة طرد كما طرد الآخرون.. وكان مصيره مخيمات اللاجئين وعليه أن يقف في الطابور الطويل ليتسلم نصيبه من فتات صدقات الأمم .. فهاله الأمر.. ولم يتحمل طعنة مد يده لتناول حظه من الطعام.. فانقلب إلى أبنائه يندب حاله ويرثي لهم ولم يطب له العيش بعد ذلك ابدا لقد فقد وطنه وفقد هويته وكرامته وعزته...

هي قصص واقعية سمعتها من أفواه أصحابها وهي من الكثرة لاتسعها مجلدات بله أن تعبر عنها هذه الكلمات.

احتككت بأصحاب القضية وشاهدت المأساة عن كثب .. وأنا على بعد كيلومترات من أرض فلسطين مهد الأنبياء ومهوى أفئدة المومنين.. وكل ذلك يغرى بأن أشد إليها الرحال وأتجشم كل العقبات.

وكان في النفس شوق قديم أن أزور أرض الاسراء والمعراج وأن أسير على ثراها المقدس وأعفر جبهتي بترابها العبير وأصلي في قدسها وألثم أعتاب بيتها وأطوف بجنباتها ومزاراتها..

وكان من سخرية الأقدار أن الحدود بين سوريا ولبنان كانت مقفلة في ذلك الحين لأحداث طارئة.. فصرنا نضرع إلى الله أن ينعم علينا بفتح الحدود مع سوريا قبل نهاية الدورة الدراسية ليتسنى لنا السفر إلى الاردن .. فجاءت عناية الله وانفجرت الأزمة مع حلول عطلة عيد المولد النبوي الشريف... فبادرت بالتوجه إلى سوريا وهي واقفة على فوهة بركان.. وكانت السيارة تمرق بين المصفحات والجيش الرابض على جنبات الطريق بملابس الميدان.. ونحن نتعرض لتفتيش دقيق مع احترام وأدب جم وترحيب متواصل.



دخلت عاصمة الأمويين وهي في حالة طوارىء وبدت لي دمشق غير دمشق التي كنت زرتها وعرفتها منذ عدة سنوات يوم حللت بها في وفد رسمي برياسة الأميرة عائشة سنة 1957م للمشاركة في مؤتمر الاتحاد النسائي العربي. وأذكر فيما أذكر ذلك الاستقبال المشهود الذي خصص للأميرة وكان شعار القومية العربية يومذاك يلعب بالعواطف ويؤججها وتتصاعد الهتافات في عنان سماء دمشق.. وكان ميشيل عفلق من وراء هذه الشعارات وينظر إلى الطاقات الشابة ببسمته العريضة..

أقول وجدت دمشق 1963م غير دمشق 1957م فالاهمال باد على كل مرافقها.. ومرد ذلك بلا شك عدم الاستقرار الذي يعصف بسوريا.. وعدم الاستقرار عدو الأمم ومعولها الهدام.. وسألت عن أسر كنت أعرفها فقيل لي أنهم رحلوا وتركوا الديار..!

زرت في اليوم التالي أهم مآثر دمشق : الجامع الأموي ومقام سيدنا الحسين وقبر صلاح الدين الأيوبي وقصر آل العظم وسوق الحامدية.. فتركت في نفسي أثرا حميدا.. وتجدد لي معها لقاء ثالث سنة 1974 حين عودتي من حجتي الأولى..

ثم واصلت سفري إلى الأردن في طريقي إلى بيت المقدس والطريق صحراوي شديد الحرارة إلى حد الاختناق.. والارض قاحلة جدباء لا عشب ولا شجر.. لا طائر يطير ولا إنسان يسير.. وانما هي موماة يضل فيها القطا.. وأما منطقة البحر الميت فهي قطعة من النار.. والجبال تنثال بالرمال والكثبان..

طوينا المسافات والشوق يحدونا.. اقتربنا من البلد المبارك وترآى لنا بيت المقدس على علو من الجبال كأنه معبد للزاهدين..

وصلنا ليلا.. وكانت الليلة ليلة عيد المولد النبوي ! يالها من صدفة كريمة ! ويالها من ليلة غراء...!

وجدنا أهلها يتحدثون عن مهرجانات دينية أقاموها بالمناسبة.. ولم تتح لنا فرصة مشاهدتها لتأخرنا في الوصول .. ولكن صداها أدركناه ما زال يرن.. ويدور في الأفواه والاسماع..

وجدت نفسي في القدس.. في ليلة المولد النبوي.. لحظة من لحظات العمر.. تأتي بدون أجل ثم تذهب على عجل..!

لحظات تمر بالإنسان.. يأتي بها الزمان ولا يمحوها النسيان..!

ليست من حسان هذه الدنيا فهي نفحة من النفحات العليا.. وهي كالبارقة الآتية من وراء الغيب كحكمة ربانية لا يداخلنا فيها شك ولا ريب..!

لحظات لا يستطيع الإنسان إدراك أسرارها ولا احتواء عظمتها فلا يجد إلا كلمة : الحمد لله..!

هكذا كانت مشاعري عندما حللت بالبلد المبارك.. فكانت أولى مهماتي السعي إلى المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله.. فزرت أول ما زرت المسجد القديم الذي

صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم بالأنبياء.. ثم طفت برحاب المسجد الأقصى.. بعد أخذ ورد مع سدنته. وكان اسم محمد الخامس مفتاح ما أغلق.. (إشارة إلى أنهم سمحوا لي بالدخول رغم أنهم لا يسمحون بدخول النساء وقت صلاة الجمعة. وذلك عندما عرفوا أني من المغرب).

كان يوما مشهودا.. كان يوم جمعة ويوم عيد المولد النبوي.. أقبل الناس من كل صوب فاكتظ بهم المسجد.. فما تجد موضعا لقدم.. امتلأ الصحن على سعته وما حوله..

أويت إلى جذع شجرة أحتمي بظلها وأتامل أروع مشهد رأيته في حياتي وأستمع إلى صوت ملائكي يرتل آيات الذكر الحكيم.. صوت المقرىء الأردني أبو شوشة يتردد بين جنبات المسجد وثنيات الحرام.. فتتجاوب معه أفئدة المومنين بالتكبير والتهليل والصلاة على النبي الحبيب.. فيتحول المكان كله إلى قدس الأقداس !

انتهت الصلاة وانتشر الناس وانصرفت بدوري وأنا أعبيء العين والنفس بما رأيت وأختزنه في الذاكرة .. فمن يدري أتكتب لي العودة مرة أخرى إلى هذا المقام الإلهي العظيم..! وكلي امال أن أعود بإذن الله ويعود معـــي الآخرون.

وكان علي أن أسرع إلى زيارة ما يمكن زيارته من المآثر فليس في وقتي متسع فزرت قبة الصخرة (وكانت الإصلاحات بها جارية) وقبر سليمان وجدار المبكى وكنيسة الجثمانية وكنيسة القيامة ثم زرت مدينة الخليل حيث مقام سيدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وزوجاتهم جميعا.. ثم عرجت على بيت لحم حيث مهد المسيح عليه السلام.

ورجعت إلى القدس فجلت شوارعها وأحياءها ومنها حي المغاربة أولئك الذين عمروا القدس بمأثراتهم وأوقافهم وموساتهم الخيرية الدينية.

وكان أعظم شيء حز في نفسي ذلك الجدار الرهيب الذي يشطر المدينة شطرين. وقد رأيت كيف يرتع اليهود في الجزء الغني من الوطن السليب.. كان الجدار مبكـــى آخر.. ولكنه مبكى للفلسطينيين وللعرب أجمعين ! وحوله كان ينتشر كثير من الاخوة النازحين وما إن عرفوا هويتنا حتى أقبلوا علينا يفضون إلينا بهمومهم.. كانوا يقولون بلسان واحد : لانريد من أحد الدفاع عنا.. نريد فقط أن يسمحوا لنا بممارسة هذا الحق عن طريق حمل السلاح والعمل الفدائي ورفع الحصار المضروب علينا (لم تكن الثورة الفلسطينية المسلحة قد اندلعت بعد).. وقد عرفت منهم كيف حظرت عليهم الأعمال المهمة فلا يمارسون إلا أعمالا بسيطة وفلاحية.. وقد تجلى لنا ذلك من مخيماتهم التي لم تكن تخلو من أحزمة خضراء غرستها سواعدهم التي لوحتها شمس المنفى..!

لم تطل إقامتي بالقدس وما هي إلا ليلتان ولكنها كانت لحظات غنية بما شاهدته.. وأغنى مافيها إني صليت في القدس !

ودعت البلد المبارك وواصلت سيري عائدة إلى بيروت عبر الأردن فمررنا باريحا وبها يوجد قصر هشام بن عبد الملك ومررنا بعمان وآثار مدينة جرس القديمة. فدمشق فبيروت حيث انتظم العقد مرة أخرى...

وقد حمدنا للجامعة الامريكية تلك الرحلات الأسبوعية التي كانت تنظمها لنا باستمرار فتسنى لنا الوقوف على أهم مآثار لبنان ومناظرها الطبيعية الخلابة.. حيث زرنا صيدا الشهيرة بقلعتها وجزيرتها وحلوياتها الشرقية. وخيزران وقرية جزين الرائعة بشلالها المتدفق المنهمر ومصايف حمدون وعاليه وراحلة ومغارة جعيتا ونهرابراهيم والجبيل ونهر الباروك ونبع الصفا وحصرون

وطرابلس وقصر بيت الدين وآثار بعلبك ومثوى خليل جبران مع متحفه ورسومه.

وعلى هامش هذه الرحلات تم اللقاء مع شخصيات لامعة.. لقاء مع الصحفي الفلسطيني الشهير علي طاهر في ڤيلا (دارة) الأستاذ حسن الزين بالجبل الذي أقام لنا حفل غذاء.. وقد سجلت يومها في مذكرتي عن علي طاهر أنه رجل مسن ولكنه يتدفق حيوية ونشاطا وأنه تاريخ حي للحركات الوطنية العربية يعرف شخصياتها واحدا واحدا. وهو يستحوذ على المجلس فلا يتكلم أحد إلا بكلمات الإعجاب أو الاستفسار عن بعض خبايا الأمور...

وزاد صاحب الدار في إكرامه لنا، فدعانا في سيارته إلى جولة عبر الجبال كظهر المتن وظهر الشوير وغيرها ولا أنسى أن أسجل أن الأستاذ الزين ديوان شعر لم يفتر أثناء التجوال ينشدنا من محفوظه الشعري الشيء الغزير مع تذوق وحسن القاء.. وانتهى بنا المطاف مع الزين إلى فندق العامرية حيث تناولنا العشاء على مائدة نفس مضيفناالزين الكريم العربي الأصيل.. وفندق العامرية في موقع سياحي جذاب تحف به الجبال الشامخة تبدو منه بيروت في جنح الليل متوهجة بالأنوار كأنها السماء في نجومها أو على حد من قال : السماء مقلوبة بنجومها..

أراني وقد استغرقتني الذكريات كأني مازلت بالقدس أصلي وأدعو الله تعالى أن يطهرها من الاقدام المدنسة لها ويعيدها إلى المسلمين في أقرب الآجال وتحقق الآمال بإقامة الصلوات فيها جماعة وأفرادا تحت شعار : الله أكبر - والحمد لله رب العالمين.

الرباط - د. أمنة اللوه

أعضاء لجنة القدس

- المملكة العربية السعودية.
- جمهورية بنغلاديش.
- جمهورية غينيا الشعبية الثورية.
- جمهورية اندونيسيا.
- جمهورية إيران الإسلامية.
- الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.
- المملكة الأردنية الهاشمية.
- الجمهورية اللبنانية.
- المملكة المغربية.
- جمهورية باكستان الإسلامية.
- منظمة التحرير الفلسطينية.
- جمهورية السنغال.
- جمهورية السودان الديمقراطية.
- الجمهورية العربية السورية.



للأستاذ الشاعر محمد الحلوي

سلام على القدس والعتبات ومهد الرسالات في الحقب

سلام على ملتقى الأنبياء ومولد عيسى ومسرى النبي

يسبح فوق رباها الحمام ويسبح في عطرها الطيب

منائرها الزهر فوق القباب ، عرائس تختال في موكب !

تظللها المعجزات الكبار، وتعبق بالرسل والكتب.

تجلجل أجراسها داعيات بنيها إلى الحب والقرب.

وترتفع الله أكبر في فضاها بإيقاعها الملهب ..

هنا عاش عيسى وأنصاره   ومنها ارتقى للسماء النبي..

كاني بفاتحها عمر   يطل على جمل أشهب..

يسير وصاحبه راكب   ومن يفتح المدن لا يركب !.

يصلي ويلثم حصباءها   ويبني بها المجد للعرب .

سلام على القدس شامخة ترابط كالمعقل الأشيب...

تصد الصليب بأسوارها   كما حفت العين بالهدب

فكانت ملاحمه الرائعات طلائع للنصر والغلب

ودارت عليهم دوائرها ... ولا ذوا من الموت بالهرب
إذا انتسب القدس كنا له ... كأكرم جد، وخير أب
سقيناه ثراه دما ثائرا ... وكنا له الحصن في النوب
نشد الرحال إلى أرضه ... ونحثو لديه على الركب
وتهفو القلوب إلى طهره ... كمكة في القدس أو يثرب !

٥ ٥ ٥

سألت الزمان وبي غصة ودمع عيوني لم ينضب
عن القدس والعرب الفاتحين، وماذا دهاهم فلم يجب ؟
وما أخرس الدهر إلا مصاب توالى على الشرق بالكرب
أذابت بنيه خلافاتهم ... وضاعوا مع الحزب والمذهب!
تقتل صهيون أبناءنا ... وتفتك بالطفل والاشيب
وتنسف في القدس أقداسنا فتصبح كالهيكل الخرب
ويحتشد العرب في محفل ... لتمطر صهيون بالخطب
ويجتمع الأمن في مجلس ... ليصدر حكما على المذنب
فيبلغ صهيون إنكاره ... جرائمها السود، في أدب !
وتعصف بالعرب أهواؤها ... فتسعى إلى الحرب في عصب
إذا اشتعلت بينهم فتنة ... تعهدها الغرب بالحطب !
ملايين نحن ؟ ولكننا ... صقور تصول بلا مخلب !
فيا أمة أثقلتها الهموم، وظلم الأباعد والأقرب
علام الخلافات في باطل ... وفيم الحروب بلا سبب ؟
وماذا تركتم لأعدائكم ... سماسرة الحقد والشغب ؟
ويا سارق القدس من أمتي خسرت الرهان ولم تكسب !!
فما وحد العرب غير الخطوب، ولا اجتمعت في سوى النوب
ومن هيج الأسد في غابها ... وأغضب جامحها تغضب !
ويا يوم قدسي حان الاوان، ويا شمس يعرب لا تغربي
غدا يلتقي الشرق فوق رباك ويجتمع فيها مع المغرب !!

محمد الحلوي

المغاربة والقدس

للدكتور عبد الهادي التازي
عضو أكاديمية المملكة المغربية

دعيت منذ أكثر من عشرة أعوام إلى المساهمة في مجموعة : (موسوعة العتبات المقدسة) بحديث عن صلة المغاربة بالقدس الشريف. وقد ظهر فصل «حول الموضوع نشرته الموسوعة المذكورة عام 1771» (مجلد 1 ص 95) ولم يلبث هذا المقال أن نشر في عدد من الدوريات كان منها - في جملة من نشرته - مجلة مركز الدراسات الفلسطينية (غشت 1972) وقد قدمته أخيرا لأكاديمية المملكة المغربية وأعيد نشره اليوم، في «الدعوة»، بعد تغييرات وإضافات وتعليقات جديدة وسيبقى البحث قابلا لكل التعديلات والاستدراكات التي تدعو إليها أمانة البحث العلمي.

د. عبد الهادي التازي

ارتبط تاريخ المغاربة بالقدس الشريف منذ اللحظات الأولى التي اعتنقوا فيها الإسلام كمذهب. ولهذا فقد شدتهم إليه نفس الوشائج التي شدتهم إلى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة. فكان جلهم يمر بالشام عند مقفله من الحج حتى ينعم برؤية مسرى النبي العربي ويحقق الأجر في الرحلة إلى المساجد الثلاثة...

عرج عليه عشرات الاعلام الأفاضل ممن كانوا نبراسا يهتدي بهم في الديار المغربية فكانوا يعطرون بذكره المجالس وكانوا يروون عن الأئمة الذين صادفوهم هناك من أمثال أبي بكر الطرطوشي وابن الكازروني اللذين اجتمع بهما فخر المغرب القاضي أبو بكر ابن العربي الذي رافق والده الإمام عبد الله في سفارته سنة 490 (1097) إلى المستظهر بالله العباسي من قبل يوسف بن تاشفين (1). ومن أمثال الشيخ سيدي صالح حرزهم (حرازم) المتوفى بفاس أواسط القرن السادس. ومن أمثال القاضي بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد ابن جماعة الذي حضر مجلسه الرحالة المغربية النقاد العبدري 686 (1290 - 1291) (2). وأمثال محمد بن سالم الغزي وعماد الدين

1) ابن خلدون / المقدمة ص 229 العبر ص 5، 246 الدكتور أحمد مختار العبادي / دراسات من تاريخ المغرب والأندلس طبع بالأسكندرية 1968 ص 101 - 471. الدكتور عبد الهادي التازي - تاريخ المغرب الديلوماسي.

2) نشر الرحلة الأستاذ محمد الفاسي أخيرا ضمن سلسلة الرحلات التي ينشرها المركز الجامعي للبحث العلمي بالمغرب الأقصى.

النابلسي وشهاب الدين الطبري ومحمد بن مثبت الغرناطي ممن كانوا على صلة بالرحالةالمغربية الشهير ابن بطوطة. ومن أمثال أبي الحسن الواسطي وأبي عبد الله محمد ابن سالم الكناني وأبي البركات زين الدين وعلي بن أيوب المقدسي وشمس الدين الخولاني ومحمد ابن نباته الذين اتصلوا بالكاتب المغربي خالد البلوي (3). وأمثال الشيخ المقري التلمساني صاحب النفح الذي ترك هنا عددا من التلاميذة (4).

لقد كانت الرحلة في سبيل العلم مما يفتخر به وكان من العبارات التقديرية التي تقال عن العلماء : «لقد سافر كثيرا وأخذ عن عدد من الشيوخ في البلاد النائية...»

ولم يكن هذا فقط هو الباعث للوجود المغربي في بيت المقدس. ولكن هناك سببا آخر يتجلى في رغبة المغاربة الملحة للمشاركة في الجهاد دفاعا عن هذه البقعة الطاهرة.

ولما كانت سمعة الأساطيل التي كان المغرب يتوفر عليها قد وصلت إلى الديار المشرقية وبخاصة أيام دولة الموحدين الذين انشأوا لهم «دار الصنعة» المختصة بإنشاء الأساطيل البحرية والمراكب الجهادية (5). وبما أن الفرنج ملكوا سواحل الشام وملكوا معها بيت المقدس. فقد صارعهم صلاح الدين الأيوبي وافتتح البيت حوالي سنة 583 هـ (1187 ـ 1188م). وعندئذ انقضت أمم النصرانية من كل جهة على سواحل الشام شأنها في المغرب عندما تحالفت على الاجهاز على الوجود الإسلامي بالأندلس...

لقد اعترضوا أسطول صلاح الدين في البحر ولم تتمكن أساطيل الأسكندرية آنئاك لصد الغزو الصليبي نظرا لضعفها وقلة عددها...

ومن هنا وردت فكرة الإستغاثة بأسطول المغرب الذي كان يهيمن على مسالك البحر المتوسط والذي كان يخطط لفتح القسطنطينية العظمى قبل العثمانيين بقرنيين وربع القرن على ما ترويه المصادر التركية (6).

وكان أن بعث القائد صلاح الدين إلى السلطان أبي يوسف يعقوب المنصور سنة 586 هـ (1190 ـ 1191 م) يطلب إعانته بالأساطيل لمنازلة عكا وصور وطرابلس الشام بعد كسرة حطين وفتح بيت المقدس.

وقد أوفد على رأس هذه البعثة الهامة (7) قائد الجيش الأمير أبا الحرث عبد الرحمن ابن منقذ الشيزري (8) طالبا أن تحول القوات المغربية في البحر بين أساطيل الفرنج وبين أمداد النصرانية بالشام من الجهات الأخرى.

وقد بعث صلاح الدين بهديه تشتمل على مصحفين كريمين منسوبين ووزن مائة درهم من عطر البلسان. وعشرين رطلا من العود القماري وستمائة مثقال من المسك والعنبر. وخمسين قوسا عربية بأوتارها وعشرين من النصول الهندية مع عدة من السروج المثقلة...

وقد وصلت السفارد فعلا إلى الديار المغربية فصادفت المنصور بالأندلس في عملية عسكرية لقمع (ابن الريق) وصد الاعتداءات التي أخذت تتوالى على المدن

---

3) توجد نسخة مخطوطة بالمكتبة العامة رقم 1288 / د ورقم 5803 بالمكتبة الملكية بالرباط.
4) المقري / نفح الطيب، نشر الدكتور إحسان عباس ص 1، 57.
5) ابن صاحب الصلاة ـ تاريخ المن بالإمامة، نشر التازي ص 214، ابن أبي زرع ـ روض القرطاس، طبعة حجرية، ص 164، المقدسي / ص 2، 170، 172، المقري نفح الطيب ص 1 444 تحقيق الدكتور إحسان عباس، بيروت 1968.
6) بيري رايس : كتاب بحرية.
7) الروضتين 2 و 170 ـ 72، النفح 1 و 419 ـ الاستقصاء 2 و 163، الشبيبي / أدب المغاربة والأندلس ص 36 ـ 37، جمال الدين الألوسي / أسامة بن منقذ ص 163 ـ 341.
8) صبح الأعشى ج 6 ص 7 ـ 8.

الأندلسية وجعل حد للزحف الصليبي الذي أخذ يستفحل بعد انكسار وبذة عام 567 (9).

وقد وصلت السفارة المشرقية إلى مدينة فاس في النصف الثاني من عام 586 ـ 191 وهذا ما تعطيه إفادة شهادة معاصرة. ويتعلق الأمر بما أورده صاحب الإستبصار الذي قال بعدما تكلم على السفارة الأيوبية : « وهم الآن في مدينة فاس حرسها الله مستمعين للأوامر المطاعة. ونحن الآن في رجب الفرد من سنة سبع وثمانين وخمسمائة ».

ونظرا لمكانة السفير وجريا مع تقاليد المغرب الدبلوماسية فقد عينت لمرافقة الأمير ابن منقذ شخصية مغربية سامية عرفت بأدبها وتمكنها حتى لا يشعر السفير بوحشة أو غربة. ولم تكن هذه الشخصية غير شاعر الخلافة الموحدية أبي العباس أحمد بن عبد السلام الجراوي... قال ابن سعيد : « ولما احتيج لرجل عاقل يجالس ابن منقذ رسول صلاح الدين بن أيوب الواصل من المشرق، وقع الاختيار على أبي العباس الجراوي مما أتيح لأحد مجالسة سواه (10).

وهكذا انتظر السفير ابن منقذ بمدينة فاس عودة السلطان المنصور الذي طير إليه الخبر عن طريق الرقاصة المغاربة (11).

وقد كان يوم استقبال الوفد يوما مشهودا بفاس العاصمة الإسلامية الأولى للدولة المغربية .

هناك تسلم العاهل المغربي الرسالة الأيوبية التي كانت من إنشاء الأديب عبد الرحيم البيساني المعروف بالقاضي الفاضل (12).

وقد تضمنت رسالة الاعتماد التي رفعها الأمير ابن منقذ إلى الخليفة المنصور ـ بعد التحلية الفخمة ـ تهنئة المنصور الموحدي بفتح بيت المقدس وتبشيره بما ناله من أدعية المسلمين في تلك المشاهد. ويعتذر عن التأخير في المكاتبة بما انشغل به من مقارعة المهاجمين متخلصا من هنا لما أقدم عليه ملوك الصليبيين وخاصة ملك الألمان من جمع العدة والعدد للتمكن من بلاد الإسلام...

وهنا يتوجه للعاهل المغربي الذي ينعته « بسلطان الإسلام وقائد المجاهدين إلى دار السلام » راجيا أن يمد غرب الإسلام « المسلمين بأكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين فيملأها عليهم جوارى كالأعلام... وتختتم الرسالة بتقديم سفير الملوك والسلاطين أبي الحزم عبد الرحمن ابن منقذ... واحياء للتاريخ نورد النص الكامل فيما يلي :

عنوان الرسالة : (بلاغ إلى محل التقوى الطاهر ومستقر حزب الله الظاهر من المغرب. أعلى الله به كلمة الإيمان ورفع به منار البر والإحسان).

« بسم الله الرحمن الرحيم. من الفقير إلى رحمة ربه يوسف ابن أيوب أما بعد فالحمد لله الماضي المشية. الممضي القضية. البر بالبرية. الحفي بالحنفية. الذي استعمل عليها من استعمر به الأرض. وأغنى من أهلها من سأله القرض. وأجزل أجر من أجرى على يده النافلة والفرض وزان سماء الملة بدراري الدراري التي بعضها من بعض. وصلى الله على سيدنا محمد الذي أنزل عليه كتابا فيه الشفاء والتبيان. وبني الإسلام بأمته التي شبهها صاحبها بالبنيان. وعلى آله وصحبه الذين اصطفاهم وطهرهم فظاهروه وناصروا رسوله صلى الله عليه وسلم فنصرهم

9) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن، نشر عبد الهادي التازي ص 501 سنة 1964 بيروت .

10) عبد الله كنون : ذكريات مشاهير المغرب العدد 6 ـ ص 19 محمد الفاسي شاعر الخلافة الموحدية... ص 16 ـ 17.

11) الرقاصة ج رقاص وهو يعني في الاصطلاح المغربي ساعي البريد، وكان المغرب يتوفر منذ ذلك التاريخ على أنواع من البريد فيها العادي وفيها السريع الذي كان مضرب المثل في إيصال الأخبار من أقصار طريق.

12) كان صلاح الدين يقول «لا تظنوا اني ملكت البلاد بسيوفكم، بل بقلم القاضي الفاضل» وقد توفيي القاضي بالقاهرة عام (596) ابن خلكان ج 1 ص 284.

واظهرهم ويسر بهم السبيل ثم السبيل يسرهم. وان الله لذ وفضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون. ربنا اغفر لنا ولا خواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا. ربنا إنك رؤوف رحيم.

وهذه التحية الطيبة الكريمة الصبية الواجبة الرد الموجبة للقصد. العذبة الورد. المتنفسة عن العنبر والورد. وقادة على دار الملك. ومدار النسك. وجل الجلالة. وأصل الإصالة. ورأس الرياسة. ونفس النفاسة. وحكم الحكم وعلم العلم. وقائد الدين وقيمه. ومقدم الإسلام ومقدمه. ومقتضي دين الدين. ومثبت المتقين على اليقين. ومعلي الموحدين على الملحدين. أدام الله له النصرة. وجهز به تيسير العسرة. ورد له الكرة. وبسط له باع القدرة. وأوثق به حبل الألفة. ومهد له درجات الغرفة. وعرفه في كل ما يعتزمه صنعا جزيلا جميلا. ولطفا حفيا جليلا. ويسر عليه في سبيله كل ما هو أشد. وطأ وأقوم قيلا. تحية أستنير منها الكتاب. واستنيب عنها الجواب. وقد حفز لها حافزان ، أحدهما شوق قديم كان مطل غريمه ممكنا إلى أن تتيسر الأسباب. والآخر مرام عظيم ما أكره إذا استفتحت به الأبواب.

وكان وقت المواصلة وموسم المكاتبة هناءة بفتح البيت المقدس. وسكون الإسلام منه إلى المقيل والمعر وما فتح الله للإسلام من الثغور. وما شرح لأهله من الصدور. وما أنزله عليهم من النور. ولم يخل المسلمون فيه من دعوات أسرار ذلك الصدر. وملاحظات أنوار ذلك البدر. ومطالعات تلك الجهة التي هي وان كانت غربية فإن الغرب مستودع الأنوار وكنز دينار الشمس. ومصب أنهار النهار. ومن جانبه يأتي سكون الليل ومتروح الأسرار. وعنه يقلب الله الليل والنهار. إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار. ولم تتأخر المكاتبة إلا ليتم الله ما بدأ من فضله. وليفتح بقية ما لم ينقطع بتقطع يد الشرك من حبله. والمفتن بيد الله من الشام مدن وأمصار. وبلاد كبار وصغار. وثغور وقلاع كانت للشرك معاقل. وللإسلام معاقر ولتبني الكفر مصانع. ولتبني الإسلام مصارع. والباقي بيد الكفر منها ثغرا طرابلس وصور. ومدينة انطاكيا يسر الله أمرها. وفك من يد الكفر أسرها. وإذا أمن المؤمن على هذه الدعوة رجى إيجابها. وما يتأخر من الله سبحانه جوابها. فالدعاء أحد السلاحين. ومع النية يطير إلى وكره من السماء بجناحين . بعد أن كسر العدو الكسرة التي لم يجبر بعدها. وألجيء إلى حصونه التي للحصر أعدها. وكان يومها كريما. ولطف الله فيها عظيما. قضت كل حاجة في النفس. وأغنت المسلمين فأما العدو بعد يومها فكأن لم يغن بالأمس. وكانت على اثر غزوات قبلها فما الظن بالمجهزة بعد النكس. ولم يؤخر فتح البلاد بعدها إلا أن فزع الكفار بالشام استصرخ بأصل الكفار من الغرب. فأجابوهم رجالا وفرسانا. وشيبا وشبابا. وزرافات ووحدانا. وبرا وبحرا. ومركبا وظهرا. وركبوا إليهم سهلا ووعرا. وبذلوا عونا وذخرا وما احتاجوا ملوكا ترتادهم. ولا أرسانا تقتادهم. بل خرج كل يلبي دعوة بطركه. ولا يحتاج إلى عزمة ملكه. وخرجت لهم عدة ملوك اقفلت العجمة على أسمائها. وأتت العزيمة بحمد الله على أشخاصها عند لقائها. ومنهم ملك الألمان خرج في جموع برية. من الله تعالى برية. ملأت الفجاج. لينصر دينا مشبه الزجاج يقبل الكسر ولا يسرع إليه الجبر. وراكب ذلك الدين كراكب البحر بلا ساحل سلامه. والى قاع كفر وجلب الكفار إلى المحصورين بالشام كل مجلوب. وملأوا عليهم ثغريهم من كل مطلوب. ما بين أقوات وأطعمة وآلات وأسلحة وشلة وجنة وحديد مضروب وزيرة. ونقدى ذهب وفضة.

إلى ان شحنوا بلادهم رجالا مقاتلة وذخائر للعاجلة. من حربهم الآجلة. لا تشرق شارقة إلا طلعت على العدو من البحر طالعة. تعوض من الرجال من قتل. وتخلف من الزاد ما أكل. فهم كل يوم في حصول زيادة. ووفور مادة. وقد

هان عليهم موقع الحصر. واعلاهم البحر ما منعهم البر. وبطروا لما كثروا ونظروا. فإنهم لا يستطيعون أن يلقوا ويناجروا ويستطيعون أن يحصروا على أن لا ينحصروا. ونزلوا على عكا بحيث يمدهم البحر بامداده. ويصل إلى المقاتل ما يحتاجه من أسلحته وازواده. وبمن يكثر به من مقاتلته واجناده. فانقطعت مادة عكا من البحر. وحصرنا منازلهم من العدو من جانب البر. فحدقوا على أنفسهم. وحثوا التراب على رؤوسهم. وعقدت عدتهم مائة وألف أو يزيدون كلما أفناهم القتل أحيتهم النجدة. فكأنهم قبل الممات يعودون. فاتممنا بعمارة بحرية لقينا عمارتهم بها. فنفذت عمارتنا إلى الثغر وأوصلت إليه الأقوات التي حمل منها البحر مالا يحمله الظهر. والأسلحة التي أمضاها الله عز وجل بيد الإسلام في صدور الكفر. وما لقينا عمارة العدو بأوفر منها عدة. فعدد مراكبهم كبير. ولكن لقيناهم بأصدق منها عزمة. **والقليل مع العزم الصادق كثير**، واستمر مقام العدو محاصرا للثغر . محصورا منا أشد الحصر. لا يستطيع قتال الثغر لأنا من خلفه. ولا يستطيع الخروج إلينا خوفا من حتفه. ولا نستطيع نحن الدخول إليه لأنه قد سور وخندق. وحجز من وراء الحجرات واغلق. ولما خرج ملك الألمان بحشده وسمعته التي هي منه أحشد. وعاد جيشه الملعون على رسم قديم إلى الشام. فكان العود لأمة أحمد صلى الله عليه وسلم أحمد. قويت به نفوسهم. وجمحت به رؤوسهم. وظنوا انه يزعجنا من مخيمنا. ويخرجنا من خيمنا. فبعثنا إليه من يلقاه بعساكرنا الشمالية. فسلك ذات الشمال متوعرا فيها محتجزا عن لقائها. مظهرا أنه صريع داء وما به غير دائها. وكان أبوه الطاغية ملك الألمان شيبة اللعن اللعين قائد جيشه إلى سجن سجين. قد هلك في طريقه غرقا. وخاض الماء فخاضه الماء شرقا. وبقي له ولد هو الآن المقدم المؤخر. وقائد الجمع المنكس. وربما وصل بهم إلى عكا في البحر تهيبا أن يسلك البر. ولو سبق أصحابنا إلى عساكر الألمان قبل دخولها إلى انطاكية لاخذوه أخذا سريعا. وسبق بحر سيوفهم إلى أن يكون الطاغية فيه لا في النهر صريعا. ولكن لله المشيئة في البرية. والطاغية إنما يمشي إلى البلية . فانه لولا احتجاز مقيمهم بالخنادق. واجتياز أوصلهم بالمضايق. لكان لنا ولهم شأن. وكان ليومنا في النصرة الكبرى بحول الله ثان لا يثنيه من العدوثان.

ولما كانت حضرة سلطان الإسلام وقائد المجاهدين إلى دار السلام. أولى من توجه إليه الإسلام بشكواه وبثه. واستعان به على حماية نسله وحرثه. وكانت مساعيه ومساعي سلفه في الجهاد الغر المحجلة المؤمرة الكاشفة لكل معضلة. الكاسفة لكل مشكلة. والأخبار بذلك سائرة. والآثار ظاهرة. والصحف عنه باسمة. والسير به معلمة وعالمة. وكل بجهاده قد سكن إلا السيوف في أغمادها. وقد أمن إلا كلمة الكفر في بلادها. لا يزال في سبيل الله غاديا ورائحا. ومواجها ومكافحا. ومماسيا ومصابحا ومصالحا يجوز لجة البحر بالمجاهدين ملوكا على الأسرة. وغزاة تصافح وجوهها السيوف فلا يخمد نور الأسرة. يذود الفرق الكافرة. ولو ترك سبيلها لملأ قراره كل واد. وكلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله. ولولاه لأخمد شراره كل زناد. كان المتوقع من تلك الدولة العالية. والعزمة الغادية مع القدرة الوافية. والهمة المهدية والهادية. أن يمد غرب الإسلام المسلمينَ بأكثر مما أمد به غرب الكفار الكافرين. فيملأها عليهم جواري كالاعلام. ومدنا في اللجج سوائر كأنها الليالي مقلعة بالأيام. تطلع علينا معشر الإسلام امالا. وتطلع على الكفار اجالا. وتردنا إما جملة وإما ارسالا. مسوقة تمدها ملائكة مسومة ومعلمة. تقدم حيازيمها اقدام حيزوم تحت أصحابه وإنما هي منه عزمة. كانت تعين أصحاب الميمنة على أصحاب المشأمة. وكلمة كانت تنفخ الروح في الكلمة. ولما استبطأت ظن أنها توقفت على

الاستدعاء فصرحنا به في هذه التحية. فقد تحفل السحاب ولا تمطر. إلى أن تحركها أيدي الرياح. وقد تترك النصرة فلا تظهر إلى أن تضرع إليها السنة الصفاح. وسير لحصن مجلسه الأطهر ومحله الأنور. الأمير الأجل المجاهد الأمين الأصيل شمس الدين نفير الإسلام والمسلمين سفير الملوك والسلاطين أبو الحزم عبد الرحمن بن منقذ كتب الله سلامته وأحسن صحابته وما اختير للوفادة إلا من هو أهلها. ولا حمل الوديعة إلا من هو محلها ولا بعث لنهج الصلة إلا من هو مفاتحها ولأداء الأمانة إلا من هو قفله.

ومهما استوضح منه وسئل عنه فإنه على نفسه بصيرة. ومن البيان ذو ذخيرة. وفي العربية ذو بيت وعشيرة. والمشاهدة له أوصف. على أن تلك الجلالة ربما ذعرت البيان فاخلف. وما أجدره بأن يصادف بسطه على بساطه. ونظرا يأذن له في القول على اختصاره وتوسطه وإفراطه. فكل هو به واف. وكل هو للفهم الكريم كاف. والله تعالى يجعل هذه العزمة منا في استنهاض العزمة منه بالغة مبلغا يسر أهل دينه. ويوزعهم بها اقتضاء ديونه من الذين اتخذوا إلها من دونه. والسلام الصادر عن القلب السليم والود العظيم والعهد الكريم. على حضرة الكرم الغاية. وسدة السيادة الجلية. سلام مودة ما وفد الغرب قبلها مثلها. ورسالة ما خطرت إلى أن انفذت وراءها المحبة رسلها. وليصل السلام ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته إن شاء الله تعالى. وكتب في شعبان سنة ست وثمانين وخمسمائة. والحمد لله وحده وصلاته على سيدنا محمد نبيه وآله وسلامه.

وكان السفير ابن منقذ مدح السلطان بقصيدة طويلة كذلك من أربعين بيتا كان من جملة أبياتها :

سأشكر بحرا ذا عباب قطعته ... إلى بحر جود ما لاخراه ساحل !

إلى معدن التقوى إلى كعبة الدنى ... إلى من سمت بالذكر منه الأوائل

إليك أمير المؤمنين ولم تزل ... إلى بابك المأمول تزجى الرواحل

قطعت إليك البر والبحر موقنا ... بأن نداك الغمر بالنجح كافل

وحزت بقصديك العلا فبلغتها ... وأدنى عطاياك العلا والفواضل

فلا زلت للعلياء والجود بانيا ... تبلغك الآمال ما أنت آمل

وقد ابتهج السلطان المنصور بسفير صلاح الدين وحمله على «مباهج البر والكرامة» كما تقول المصادر المغربية. وأعجب بشخصية الأمير ابن منقذ وأكرمه بأربعين ألف دينار.

وبالرغم من بعض المواخذات التي كانت للخليفة أبي يوسف يعقوب المنصور علىالسلطان صلاح الدين بسبب تسريح هذا الأخير مولاه قراقوش وأبا زيان لبلاد المغرب سنة 568 هـ (1172 ـ 1173) لمحالفة خصوم الموحدين والتشغيب عليهم (14) بالرغم من ذلك جهز له

14) ليس صحيحا أن سبب المواخذة هو تجافي صلاح الدين عن خطاب المنصور بأمير المومنين واكتفائه بنعته بأمير المسلمين فإن مثل هذه الألقاب مما لم يحفل به القادة المغاربة سيما في ظروف الشدة التي كانت تستدعي وحدة الكلمة. ويدلنا على ذلك انهم أي المغربيين كانوا لا يجدون غضاضة في أن يرددوا أسماء خلفاء بغداد على منابر مساجدهم. كما أنهم كانوا ينقشون أسمائهم على السكة إلى جانب أسمائهم... الأمر الذي يؤكد أن بواعث المؤاخذة كانت أعمق من هذا وأبعد... والحقيقة أن تسريح «أبو زيان» وقراقوش للديار المغربية والايعاز لهما بمحالفة ابن غانية وعرب إفريقية كان مما سبب للموحدين متاعب جمة لولاها لكان للموحدين في بلاد الأندلس فتوحات عظيمة لا تقدر. وقد كشفت «التوجيهات» التي وردت رسالة تكليف صلاح الدين لابن منقذ عن هذا السر في العبارات التالية : «وان سأل عن المملوكين أبوزيان وقراقوش. وذكر ما فعلا في أطراف المغرب بمن معهما من نفايات الرجال الذين نفتهم مقامات القتال فيعلمه أن المملوكين ومن معهما ليسوا من وجوه المماليك والأمراء ولا من المعدودين من الطاوشية والأولياء...

بعد ذلك بمائة وثمانين أسطولا كان لها أثر قوي على منع النصارى من سواحل الشام كما يقول بن خلدون (15).

ولعل أحسن تعبير أدته الشام اعترافا بجميل المغرب هو ذلك المشهد الذي أقامته للمنصور على مقربة من دمشق على ما عند ابن خلكان (16) وابن بطوطة.

ومعلوم أن ذلك العدد من المراكب لم يأخذ طريقه دون عسكر مدرب ودون متطوعين ومرشدين ومجاهدين. وبهذا نفسر التحاق عدد من المغاربة بالشام كان فيهم الصناع والعمال والفقهاء من أمثال أبي الحجاج يوسف بن محمد المعروف بابن الشيخ الذي غزا بالمغرب مع الموحدين وبالشام مع صلاح الدين (17).

وعندما حقق صلاح الدين آماله في إبعاد الخطر عن بيت المقدس اذن لمن يريد من المغاربة بالعودة إلى ديارهم، لكنه كان بحاجة إلى بعض منهم ممن كانوا يفضلون بدورهم البقاء بالشام استعدادا للطوارىء.

ويتسأل بعض الناس عن تاريخ إنشاء حي المغاربة بالقدس...

وللجواب عن هذا السؤال لا بد أن نرجع لإفادة شاهد عيان هو الرحالة ابن جبير الذي زار بلاد المشرق ثلاث مرات كانت أولاها بين عامي 578 ـ 581 وهي التي ألف فيها رحلته. فقد ذكر ان المغاربة من أهل الأندلس وشمال إفريقيا تطوعوا في جيش نور الدين الشهيد وابلوا في القتال بلاء حسنا واستدلوا على حصون كثيرة وقلاع مديدة حتى ازعجوا الصليبيين وعندما كان الصلح يقع في فترات بين المسلمين والصليبيين. كان هؤلاء يصرون على أن يدفع كل مغربي يمر بالأرض المحتلة ضرائب باهضة ويعفون غير هؤلاء المغاربة من الضرائب. وكان المغاربة يدفعون هذه الضرائب وهم لا يبالون بها لأن لها ـ كما يقول ابن جبير سببا من الذكر الجميل في نكايتهم بالعدو...

وقد مرض نور الدين الشهيد مرضا خطيرا ونذر إذا ابل (شفى) من مرضه فداء عدد من الأسرى المغاربة. فلما شفى من مرضه وفى بنذره فجاءه مع المغاربة الذين افتداهم عدد من أهالي حماة كانوا هم أيضا أسرى فرد نور الدين الحمويين إلى الأسر. واستبدل بهم عددا مساويا لهم من أهل المغرب وقال : هؤلاء يفكهم أهلوهم وجيرانهم أما المغاربة فهم غرباء لا أهل لهم...

فإذا ما أضفنا إلى هذه الافادات ما ورد في المصادر التاريخية الأخرى من أنه بعد خمس سنوات من الفتح الصلاحي خلف الملك الأفضل والده صلاح الدين على ملك دمشق والقدس. وهنا وقف الملك الأفضل وبالذات سنة 589 البقعة التي اعتاد المغاربة أن يجاوروا عندها في

= الاستقصاء ج. 2 ص 164 ـ الشبيبي، أدب الأندلسيين والمغاربة ص 36 ـ 37، المقدسي الروضتين 17، بروفنصال : رسائل موحدية سنة 1941 (رسالة بتاريخ 2 رمضان 583).

15) من غريب ما يروى، مما يدخل في نشاط مقصات الرقابة، ان بعض نسخ ابن خلدون المغربية المخطوطة تحتفظ بهذا النص في الوقت الذي نجد فيه النسخ المطبوعة بالمشرق تخلو من الاشارة لنجدة صلاح الدين، وعلى النسخة المغربية اعتمد الناصري صاحب كتاب الاستقصاء ـ ولا بد أن أوكد هنا في الهامش أيضا أن المنصور الموحدي خطط لفتح القسطنطينية ووصل الى جزر اليونان قبل العثمانيين بقرنين وربع القرن كما سبق أن قلنا... الاستقصاء 2 ص 123 ـ 164، د. التازي : بلاد الشام في الوثائق الدبلوماسية المغربية.

المؤتمر الدولي الأول لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية 1974، ص 431.

16) هذا ما يوجد عند ابن خلكان وهو أن المشهد ينسب لأبي يوسف يعقوب اما ابن بطوطة فينقل عن المشارقة أن صاحب المشهد هو أبو يعقوب يوسف، ومن المعلوم أن هذا الأخير أصيب بجروح مميتة عند محاصرته لشنترين بالبرتغال عام 580 = 1184 وهو مدفون في تيشمل. فاذا ما نقله ابن بطوطة نقل غير صحيح...

هذا ولا بد أن نقول كلمة هنا عن ضريح يعقوب المنصور الذي وجد في مقبرة شالة بالرباط، وقد نقل إليها بوصية منه بعد أن أدركه أجله بمدينة مراكش... الحسن الوزان : وصف افريقيا عند الحديث عن شالة. ابن بطوطة 1، 133 ـ 134 ـ 135 ـ 136 ـ 137 الاستقصاء 2، 138 ـ 139.

17) صلة الصلة رقم 218.

بيت المقدس بقرب الزاوية الجنوبية الغربية لحائط الحرم وفي أقرب مكان للمسجد الأقصى. وقفها عليهم ذكورا وإناثا «ليسكنوا في مساكنها وينتفعوا بمنافعها» وانشأ لهم في الحارة نفسها مدرسة عرفت بالأفضلية... وحدود الحارة هذه كما وردت في حجة الوقف، هي من الجنوب سور المدينة ومن الشرق حائط الحرم الشريف ومن الشمال طريق باب السلسلة المؤدي إلى الحرم الشريف ومن الغرب حارة الشرف حيث سكن الحكام والقضاة والوجهاء. ويظهر من نص الوقفية أن صحيفتها الأصلية قد ضاعت، فأعيد تقييد شروط الوقف بأمر القاضي الشرعي «بكتاب متصل الثبوت بحكم الشريعة» وقد تم ذلك مرتين . الأولى في سنة 666 = 1268، بعد نحو أربعين سنة من وفاة الملك الأفضل والثانية في سنة 1004 = 1596 بعد نحو ثمانين سنة من ابتداء الحكم العثماني. وبوجود نص الوثيقة في السجل رقم 77 ص 588 في المحكمة الشرعية وهي تختلف عما أورده مجير الدين قاضي القدس في القرن الثامن بالرغم من أسلوبها **(الملحق رقم 1)**.

لكن كل هذا لم يكن كافيا لتمركز المغاربة بالقدس، فقد كانوا يشعرون سواء على المستوى الشعبي أو المستوى الرسمي بضرورة القيام بأول محاولة من نوعها في سبيل تملك العقار بتلك الديار، وكأنهم تنبهوا لما يهدد بيت المقدس من غزو آخر يكون على شكل اقتنائه أراضي من أصحابها، وبهذا نفسر وجود عدد كبير من العقارات في مدينة القدس وخارجها، أصبحت منذ العصور الأولى تابعة للمملكة المغربية...

ولعل من المفيد أن نسجل هنا «للتاريخ» مضمون وثيقة للعالم العارف أبي مدين شعيبا ابن المجاهد أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام بركة المسلمين حجة الله بقية السلف الصالحين أبي مدين شعيب المغربي العثماني المالكي (تلميذ سيدي حرازم ودفين تلمسان 594) فقد حررت «في اليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة عشرين وسبعمائة» (2 نونبر 1320) في حياة العالم العارف أبي مدين (الحفيد) حجة وقف تثبت انه حبس مكانين إثنين كانا تحت ملكه وتصرفه وكان يتولى هو نفسه الإشراف عليهما / أولهما قرية تعرف بقرية عين كارم من قرى مدينة القدس الشريف، وتشتمل على أراضي فيها المعتمل والمعطل وفيها العامر والدائر، والأوعار والسهول والصخور... كما تشمل على آثار دور برسم سكنى فلاحيها، وآثار بنيان بأراضيها وبساتين ذات أشجار رمان وغير ذلك مما يستقى من عين مائها، وأشجار زيتون رومي وخروب وتين وبلوط... بجميع حقوقها ومرافقها ومزروعها ومفلحها واندرها ودمنها والابار ودوالي العنب العتيقة الرومية وجميع ما ينسب للقرية المذكورة داخلها وخارجها ما عدا مسجد الله تعالى وطريق المسلمين ومقبرتهم...

وقد حددت الوثيقة قرية عين كارم من الجهات الأربعة، فالناحية القبلية منها تنتهي إلى المالحة الكبرى، والناحية الشمالية تنتهي إلى بعض أراضي عين كاووت وقلونية وحارش وصاطاف وزاوية البختياري، والناحية الغربية تنتهي إلى عين الشقاق... والناحية الشرقية تنتهي إلى بعض أراضي المالحة الكبرى وبيت مرميل...

أما ثاني المكانين / فإنه يقع بمدينة القدس نفسها بالخط الذي يعرف بقنطرة (أي ساباط) ام البنات بباب السلسلة وهو يشتمل على ايوان وبيتين وساحة ومرفق خاص ومخزن وقبو يقعان سفلي ذلك.

وإذا كانت الوثيقة قد حددت جهات المكان الأول فإنها لم تهتم بذكر ما يجاور المكان الثاني من بقاع مكتفية بأن الجهات الأربعة التي تحيط بالايوان «معلومة» لدى الخاص والعام.

ومن المهم أن نعرف أن الحد الشرقي لوقف أبي مدين يعرف بحائط البراق، لأن البراق الذي حمل رسول الله (ص) من مكة إلى بيت المقدس ليلة الإسراء ربطه جبريل هناك. وجزء من هذا الحائط له مكانة دينية عند اليهود الذين يعتقدون أن المداميك الستة السلفى منه هي بقية سور الهيكل الذي دمره الرومان سنة 70 للميلاد.

وتمضي الوثيقة مؤكدة أن هذا الوقف «لا يبطله تقادم دهر ولا يوهنه اختلاف عصر. كلما مر عليه زمان أكده. وكلما أتى عليه أوان بينه وسدده».

وبعد هذا تنص على أن كلا من قرية عين كارم والايوان حبس على المغاربة المقيمين بالقدس الشريف أو القادمين إليه. على اختلاف أوصافهم وتباين حرفهم. ذكورهم واناثهم. كبيرهم وصغيرهم. فاضلهم ومفضولهم. لا ينازعهم فيه منازع ولا يشاركهم فيه مشارك. ينتفعون في ذلك بالسكن والايجار وسائر الانتفاعات والمقاسمة والمزارعة... ويقدم في ذلك الواردون على المقيمين. والاحوج. والادين فالادين...

وتهتم الوثيقة بعوائد الوقف في حالة ما إذا انقرض المغاربة من القدس. فتنص على أنها تعود إلى المغاربة المقيمين بمكة المكرمة والمدينة المنور. فإذا لم يبق أحد من المغاربة هناك فإن الفوائد ترجع إلى الحرمين الشريفين...

كما تهتم الوثيقة بناظر تلك الأوقاف وانه في حالة وفاة العالم العارف أبي مدين يختار (الناظر) من المغاربة المقيمين بالقدس ممن يشهد بالرشد والتقوى وممن يتعهد الوقف بعمارته وإصلاحه وصيانته مما يحفظ بقاء عينه ويزيد في ريعه.

وتوضح حجة وقف أبي مدين (الحفيد) وجه النفع من (الايوان) المحبس في مدينة القدس. فتذكر انه أي الايوان اعد ليكون (زاوية 18) يسكن فيها من توفرت فيه الصفتان. أن يكون ذكرا وأن يكون مجرد عابر.

وهكذا فليس من حق إناثهم السكن به. كما ليس ذلك من حق المقيمين بالقدس الشريف وتوضح الوثيقة شروط الانتفاع من قرية عين كارم. وانه لا ينبغي أن تؤجر لأكثر من سنتين وأن لا يستأنف عقد إلا عندما ينتهي العقد الأول. وذلك حتى لا يتهددها سطوا وادعاء...

وقد اهتم الواقف رحمه الله بما يفضل من الأحباس من الفائض فخصصه للترفيه على المحتاجين من المغاربة

---

18) بالنظر لكون المؤسس لهذه الزاوية هو العالم العارف أبو مدين بن محمد بن أبي مدين شعيب بن الحسن المعروف (بالغوث)، فقد التبس على بعض الناس امر هذه الزاوية، فاعتقد قوم انها من أوقاف أبي مدين، الجد، مع أنها ـ كما نرى من الوثيقة ـ إنما ترجع لحفيده ومعلوم أن (الغوث) أخذ العلم عن رجالات مدينة فاس من أمثال الشيوخ أبي يعزى وابن حرزهم وابن غالب. كما أخذ بالمشرق عن جماعة منهم الشيخ عبد القادر الكيلاني الذي لقيه بالحرم الشريف وجبل عرفة وأخذ عنه. وقد تخرج على أبي مدين الغوث نحو من ألف طالب كان منهم الشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش (ت 626). ويوجد جامع بمدينة فاس بحومة الرميلة يحمل اسم أبي مدين إلى الآن. كان متعبده ومدرسته كذلك... وقد كان أبو مدين ملاذ لرجال الفتوى على مذهب الإمام مالك إلى جانب انه كان معدودًا من الشعراء. وقد تعرض للاسر من قبل الروم أثناء جهاده مع جماعة من المسلمين. توفي سنة 594 على مقربة من تلمسان حيث يوجد له مشهد مقصود...

هذا، وقد كان لأبي مدين الغوث ولد من جارية حبشية سماه محمدا رباه تلميذه الإمام عبد القادر الجزولي دفين الاسكندرية. وكان محمد هذا قوي الشكيمة نعتقد انه هو الذي تنحه وثيقة الوقف المشار إليها بالمجاهد ، ونفترض انه توفي حوالي سنة 243 مخلفا ولده أبا مدين الذي سماه على والده. وهذا هو صاحب الزاوية في القدس ، وقد توفي بالقدس نفسه بعيد تاريخ الوقف سنة 720. وهكذا كان اتحاد الاسم بين الجد والحفيد سببا في نسبة ما للصغير إلى الكبير. وليس ببعيد أن يكون الجد نزل بذلك الايوان عند زيارته لبيت المقدس في طريق عود من حجته. وان الحفيد برورا منه بذكر سلفه اشترى الايوان وجعله زاوية فالزاوية للحفيد وليست للجد.

التادلي ، التشوف إلى رجال التصوف. نشر وتصحيح أدولف رفور. رباط 1958 ص 316 ابن أبي زرع ، روض القرطاس. طبعة فاس الحجرية ص 193 ـ ابن قنفذ ، انس الفقير وعز الحقير ـ نشر وتصحيح محمد الفاسي وادولف فور. الرباط 1965 ص 11 المقري ، نفح الطيب. تحقيق الدكتور إحسان عباس ص 7. 136. ابن بطوطة. مجلد 4 ص 332 ـ 481.

سواء منهم المقيمون بالقدس أو العابرون عليه وذلك طيلة الأشهر الثلاثة : رجب شعبان ورمضان بعد صلاة العصر.. كما خصص جانبا منه لتقديم الطعام بمناسبة عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد المولد الشريف.

وقد خصص الواقف بعض من الفائض أيضا لكسوة القادمين من المغرب ممن يشعرون بحاجتهم لما يقيهم من قسوة الطقس.

وإخيرا فإن الوقف يضمن للذين أدركهم أجلهم في هذه الديار من المغاربة المحتاجين أن يجهزوا إلى مثواهم الأخير.

وقبل أن تأتي الوثيقة على النهاية تنذر المعتدين على هذا الوقف بمسؤوليتهم بهذه العبارات : «ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الاخر ويعلم انه إلى ربه العظيم صاير، من أمير أو مأمور وذي سلطان جائر، أن يبطل هذا الوقف... ومن فعل ذلك وأعان عليه فالله تعالى طليبه وحسيبه ومواخذه ومجازيه، ومن خالف ذلك فقد عدل عن أمر ربه وتمرد عليه واستحق لعنته.

وختم الرسم بسرد التاريخ هكذا : «وذلك في اليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة عشرين وسبعمائة (19) (**الملحق رقم 2**).

٥ ٥ ٥

ولم تكن أوقاف الشيخ أبي مدين أول لائحة ولا آخرها، فإن عدد الأوقاف المغربية المتكاثر على هذه الديار فرض من جهة وجود حارة بكاملها تعرف بحارة المغاربة. كما أنه من جهة أخرى كان يحرك باستمرار اريحية القادمين من المغاربة على تنمية هذه الأوقاف واغنائها. وهكذا نجد وثيقة وقف أخرى للشيخ العابد المجاهد عمر المجرد بن شيخ الشيوخ القدوة عبد الله بن عبد النبي المصمودي المغربي المالكي... ويتعلق الأمر بثلاث دور تقع بحارة المغاربة مع جميع ما تعرف به وينسب إليها خارجا عنها أو داخلا فيها (20).

وإلى جانب الدور الثلاث حبس المجاهد السيد عمر المصمودي جميع الزاوية الأخرى التي انشأها هو بأعلى حارة المغاربة من جهة الغرب والتي كانت تشتمل على عشر حجرات بجميع مرافقها داخلا فيها وخارجا عنها...

وكما كان من الامام أبي مدين. فقد كانت أوقاف المجاهد المصمودي على المغاربة المحتاجين سواء منهم المقيمون بالقدس أو العابرون.

وقد جعل الانفاق على الزاوية من مداخيل الدور الثلاث وجعل الفائض مصروفا على الضعاف طيلة الشهور الثلاثة، رجب وشعبان ورمضان.

وقد كان المجاهد المصمودي يشرف بنفسه على الأوقاف شأنه في ذلك شأن العالم العارف أبي مدين.. وقد اشترط لمتولي أوقافه في حالة وفاته ـ أن يكون من جنس المغاربة المختارين من ذوي التقى والصلاح.

---

19) أصل الوثيقة محفوظ في سجل أوقاف المغاربة الموجود بقلم المحكمة الشرعية تحت س 1 ـ 2 وقد زودنا بصورة طبق الأصل زميلنا سعادة السيد كمال الحمود سفير المملكة الأدرنية الهاشمية ببغداد سابقا بمساعدة رئيس بلدية القدس السيد روحي الخطيب، وقد كان أول من تحدث عن هذه الوثيقة عام 1931 (جريدة الكلية ببيروت، عدد 3 و 4) الأستاذ عبد الله مخلص أمين المجلس الإسلامي الأعلى، وعضو المجمع العلمي بدمشق انذاك... وقد كان ممن اهتم بهذه الوثيقة زميلنا الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي في كتابه بالإنجليزية عن المؤسسات الإسلامية الخيرية في القدس لندن 1978، وفي مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق أكتوبر 1979.

20) يظهر أن الدور الثلاث كانت من الشهرة بحيث جعلت كاتب الوثيقة يقول : إن شهرتها كافية عن ذكر حدودها الأربعة.

وقد ندّدت الوثيقة كسابقتها بكل من يحاول ابطال الوقف أو تفويته. وختمت هكذا : في اليوم الثالث المبارك من شهر ربيع سنة ثلاثين وسبعمائة (21) **(الملحق رقم 3)**.

ونحن على مثل اليقين من أن هناك عشرات بل مئات الحجج الوقفية التي لا تقل أهمية عن الحجتين السابقتين مما حررها المحسنون المغاربة واختفت مع مرور الأيام وتوالي الأحقاب.

وعلى ضوء هذا ندرك جيدا معنى وجود مدرسة للمالكية ومساجد تنسب للمغاربة مما تحدث عنه الرحالة خالد البلوي الأندلسي وابن بطوطة الطنجي في النصف الأول من القرن الثامن (22) والعلامة المقري في أوائل القرن الحادي عشر (23) والوزير أبو القاسم الزياني في مطلع القرن الثالث عشر (24).

ه ه ه

لكن كل هذا لم يكن كافيا لتمركز المغاربة بالقدس. فقد كان على دولة بني مرين التي ورثت دولة الموحدين أن تقوم بعمل أوسع وأكبر في سبيل تملك العقار حماية لتلك الديار من دنس المتسللين والانتهازيين. وهكذا نجد السلطان أبا الحسن عليا بن عثمان يخصص عام 738 (1337 ـ 1338) ستة عشر ألفا وخمسمائة دينار ذهبي لشراء الرباع في القدس والحرمين الشريفين...

وحتى يعرب الملوك المغاربة عن تعلقهم بتلك الرحاب قاموا أنفسهم بنسخ ثلاثة مصاحف كبرى بخط أيديهم ليجعلوها في خزائن تلك العتبات المقدسة تذكيرا بأهمية التربة وتعبيرا...

وكما كان الشأن في مصحف مكة عام 738 ـ 1338، ومصحف المدينة عام 740 (1339 ـ 1340). فقد قام السلطان أبو الحسن عام 745 = (1345 – 1346) (25) بانتساخ المصحف بيده وجمع الوراقين لتنميقه وتذهيبه، كما أحضر القراء لضبطه وتهذيبه، ووضع له ظرفا مصنوعا من الابنوس والعاج والصندل مغشى بصفائح الذهب ومغلفا من فوق برقاع من الحرير والديباج...

وقد وهم ابن خلدون عندما ذكر أن أبا الحسن أدركته وفاته قبل الفراغ من نسخها. فقد بعث بهذا المصحف الجميل إلى أبي الفداء اسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون. بواسطة أحد سفرائه اللامعين : هو أبو الفضل بن أبي عبد الله بن أبي مدين (26).

وقد ذكر المقري صاحب نفح الطيب. انه رأى المصحف الذي ببيت المقدس ورأى ربعته (يعني ظرفه) وهي في غاية الصنعة (27).

---

21) اخرجت الوثيقة من سجل أوقاف المغاربة المحفوظ في قلم المحكمة الشرعية بالقدس كوثيقة وقف أبي مدين، ولعل من أمانة البحث العلمي أن نؤكدها على أن وقف المصمودي يرجع لتاريخ ثلاثين وسبعمائة وليس لتاريخ ثلاثة وسبعمائة كما يذكره الزميل الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي في كتابه (بالإنجليزية) عن المؤسسات الإسلامية الخيرية في القدس (لندن 1978) ص 10 وكذلك في بحثه القيم عن القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام المنشور في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد 54 ـ ج 4 تاريخ ذي القعدة 1399 = أكتوبر 1979...

وقد حصل نفس التساهل في البحث الجليل الذي قدمه الزميل الدكتور عبد العزيز الخياط إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) الذي انعقد بالجامعة الأردنية في أبريل 1980 ص 28، وبهذا تكون وثيقة أبي مدين تسبق وثيقة المصمودي.

22) ابن بطوطة ج 1 ص 125 طبعة باريز 1968 ـ محمود العابدي : بيت المقدس 1969 ص 29 ـ د. عبد العزيز الخياط : أوقاف القدس. أبريل 1980.

23) نفح الطيب، ص 1 و 17 طبعة بيروت.

24) الترجمانة الكبرى للزياني، نشر وزارة الأنباء المغربية، تحقيق عبد الكريم الفيلالي ص 268.

25) يذكر الأستاذ الطيباوي تاريخ 753 وهو يحتاج إلى تصحيح.

26) لا يظهر أن هناك صلة بين أبي الفضل بن محمد بن أبي مدين هذا وبين صاحب الوقف عام 720، العالم العارف أبي مدين شعيب بن المجاهد أبي عبد الله بن بركة المسلمين أبي مدين...

27) المقري : نفح الطيب نشر د. إحسان عباس، مجلد 4 ، ص 400.

وقد استمر هذا المصحف ببيت المقدس إلى السنوات الأخيرة حيث وقفت عليه بالمتحف الإسلامي يوم الأربعاء 28 صفر الخير 1371 الموافق لـ 2 شتنبر عام 1959.

إن المصحف المريني **يتكون من ثلاثين جزءا** ويدعى بالربعة المغربية وهو على ما يؤكد الأستاذ السيد مروان أبو خلف (28) من أروع المصاحف التي يحتضنها المسجد الأقصى. حيث إن جميع اجزائه مكتوبة على ورق الغزال وكل منها مجلد بجلد سميك أيضا من رق الغزال وعلى كلا الوجهين هناك زخارف هندسية وكتابية. وكل وجه محاط بشريط زخرفي عبارة عن خيوط ذهبية وفضية متداخلة محددة من الخارج والداخل بزوجين من الخطوط الفضية. أما الوسط ففي داخله دائرتان فضيتان متحدتا المركز. وان كلا من الشريط والدوائر يحتوي على زخارف كتابية. وقد كان مما كتب في الشريط الزخرفي ما يلي : «كتب هذه الربعة المباركة بخطه ووقفها على التلاوة فيها ببيت المقدس شرفه الله. عبد الله علي أمير المسلمين بن أمير المسلمين أبي سعيد بن أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق. وكملت في أواخر ذي الحجة خمسة وأربعين وسبعمائة... وقد نصت الكتابة التي على الصفحتين الأخيرتين على ما يلي : «كمل الجزء الأول. الثاني. الثالث إلخ من هذا المصحف الكريم المجزأ ثلاثين جزءا وكتب جميعها بخط عبد الله علي أمير المسلمين ابن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ملك المغرب نفعه الله ووقفها على التلاوة فيها بالمسجد الأقصى شرفه الله... وذلك في أواخر ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبعمائة بحاضرته فاس حرسها الله...

واستمرت صلة الدولة المغربية بتلك البقاع ليس فقط لما تتمتع به من قداسة. ولكن لأن عددا مهما من المواطنين المغاربة ارتبط بهذا البيت الشريف. فكان جسرا شريفا يربط بين مغرب الإسلام ومشرقه. ولهذا فلا عجب أن نجد السلطان أبا العباس أحمد المنصور السعدي يستقبل في قصره بالمغرب عددا من علماء مكة والمدينة **وبيت المقدس** وهكذا نجد الفقيه امام الدين بن محمد بن يوسف بن علاء الدين بن قاسم البطائحي الخليلي الأشعري يتعلق ببيت المقدس لدرجة تجعله ـ بالرغم مما لقيه في بلاط أبي العباس من كرم الضيافة ولطف المعشر ـ يعبر عن شوقه إلى تلك الرحاب :

أهلي بأرض القدس ينتظرونني
قد مسهم ألم النوى ببعادي
لي طفلة كلف الفؤاد بحبها
وتشتت لفراقها أكبادي !
جبت الأراضي واختبرت ملوكها
ولقيت من فيها من الأمجاد
ما شاهدت عيناي مثلك في الورى
تتبين الأشياء بالاضداد
بل جودكم عم الانام وقدركم
أربى على المأمون في بغداد (29)

وكما كان الشأن في العهود السابقة فإننا نجد الأمر كذلك بالنسبة للعصور اللاحقة حيث ظل القدس نزار المغاربة يقصدونه جيئة وذهابا يقدسون ويتخللون سواء كان اتجاههم نحو الحجاز مع ركب الحج أو نحو اسطنبول في مهمات سياسية. كما ظلت فكرة تملك العقار بتلك البقاع في صدر اهتمام المغاربة كيفما كانت درجتهم.

---

28) قدم أبو خلف بحثا مهما بعنوان : (المتحف الإسلامي بالحرم الشريف. تاريخه ومحتوياته) إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) الذي انعقد بالجامعة الأردنية ـ جمادى الثانية 1400 = أبريل 1980.

29) المقري : روضة الاس العاطرة الأنفاس (مطبوعات القصر الملكي 1964 ص 14 و 15).

وقد استمر اهتمام الملوك العلويين بأمر القدس الشريف فوجه السلطان المولى عبد الله بضعة وعشرين مصحفا بخطوط جميلة. كان منها ما نال ثالث الحرمين (30).

وهكذا كان المسجد الأقصى بمثابة مزارة من صميم المغرب لا تختلف عن مشهد المولى ادريس الأكبر بمدينة زرهون أو ادريس الأزهر بمدينة فاس الأمر الذي يفسره الاهتمام بنشر قرارات الدولة على جدران تلك المراكز على نحو نشرها بالديار المغربية لما ان الجاليات المغربية تتواجد بكثرة في تلك البقاع...

٥ ٥ ٥

ومن هناك كثر المغاربة وأخذوا يجدون لهم فروعا في شتى جهات فلسطين. ومع انهم امتزجوا بباقي الأسر هناك فانهم ظلوا ملتفين بعضهم بعضا محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم. في المطعم والملبس والمذهب كذلك.

وبهذا نفسر اتساع (حي المغاربة) واكتظاظ جوانبه. حيث أصبح يكون القلب النابض للقدس الشريف.

ومن توالي الزمن توجهت الأنظار بصفة خاصة إلى هذا الحي الذي يحده شرقا كما سبق أن قلنا (حائط البراق). وقد أمسى هذا الحائط معروفا عند اليهود بحائط المبكى. حيث انطلقت المشاكل ونصبت الحبائل...

لقد احتل محمد علي باشا والي مصر فلسطين سنة 1831 عند ثورته على السلطان محمود. وكان من أهم نتائج ذلك في القدس تأسيس (مجلس شورى) دخله ممثلون عن النصارى واليهود لأول مرة. وأسست في القدس أول قنصلية بريطانية. كان مما اهتمت به فتح حمايتها لعدد من اليهود. حيث وجدنا أحدهم يقدم طلبا بواسطة القنصلية ليسمح له بتبليط «مبكى اليهود» على نفقته. وكان هذا المبكى زقاقا غير نافذ أمام حائط البراق الذي يحد الأوقاف المغربية...

ونظر (مجلس الشورى) في الطلب وأوصى برفضه فأصدر محمد علي أمرا بالسماح لليهود بزيارة المكان «على الوجه القديم» لكن منعهم من تبليطه لأنه وجد انه غير جائز شرعا... فهو ملاصق إلى حائط الحرم الشريف ومحل ربط البراق وداخل في وقفية أبي مدين وما سبق لليهود تعميره...» .

لقد صدر الأمر فعلا من حاكم الشام محمد شريف باشا إلى السيد أحمد آغا الدز دار متسلم القدس وتاريخه 24 ربيع الأول 1256 = 28 مايه 1840 **(الملحق رقم 4).**

ولما كثر اليهود بالقدس بعد عام 1882 وكثر بينهم الصهاينة والمحميون كذلك والذين تقنعوا بالدين للوصول إلى أهداف سياسية اخذ بعضهم في التطاول على «الحالة الراهنة» فكانوا يجلبون معهم كراسي للجلوس عليها وستارا يضعونه بين الرجال والنساء فتسد بذاك طريق سكان البيوت المجاورة على أرض الوقف. وهذا كان خلافا للعرف القديم ودون إذن متولي الوقف. فكتب هذا شكوى إلى مفتي القدس والمحكمة الشرعية فكان الرأي ان ما حاوله اليهود **بدعة قد يتخذونه سببا لادعاء شيء من الملكية في الرصيف أو الحائط.** ورفعت الأوراق إلى المتصرف قدرسها المجلس العمومي في 12 نونبر من السنة المالية 1328 = 1911 وأمر بإبقاء القديم على قدمه ومنع اليهود من تغييره ويوجد النص الكامل لقرار متولي أوقاف المغاربة الذي كان يدرك أبعاد المؤامرة في السجل الشرعي بالقدس **(الملحق رقم 5).**

---

30) الزياني ـ الروضة (مخطوط) ص 91 (ب).

وقد ظلت جميع تلك الأوقاف معروفة بأعيانها محفوظة مصونة عبر الدهور والسنين. وظلت الدول المتعاقبة على الحكم وفية لتلك الأوقاف وخاصة أيام الفتح العثماني عام 922 (1516م) وحتى بعد الاحتلال البريطاني سنة 1335 (1917م).

ولم يجرؤا أحد ممن تقدم ـ كما أسلفنا ـ على انتهاك حرمة تلك البقاع التي تملكها الاقدمون بوجه صحيح، وصرفوها في وجه صحيح... إلا عندما كان العدوان الصهيوني الصارخ على فلسطين عام 1367 (1948م) هناك فقط سطت عصابات العدوان على جانب مهم من أوقاف العارف أبي مدين. وهو الجانب الذي يقع خارج القدس الشريف بقرية عين كارم. حيث الأراضي الخصبة والأشجار الثابتة والثمار اليانعة والعيون والآبار. مما يرجع عهده ـ على ما أسلفنا ـ لأوائل القرن الثامن الهجري (أوائل القرن الرابع عشر الميلادي).

ونظرا لظروف المغرب السياسية آنذاك (1948) فإنه لم يكن ليملك غير تسجيل موقفه الذي تجلى في مظاهر الاحتجاج التي شملت بلاد المغرب بمدنه وقراه. سهوله وجباله.. عندما التجأ الوطنيون إلى بيوت الله... لقد كان المغاربة يشعرون بأنهم مشدودون إلى تلك الأراضي بالرغم من بعدها مسافة عنهم. وهكذا فإنهم ما انفكوا يذكرون أوقاف عين كارم كما يذكرون عكا ونابلس والرملة...

٥ ٥ ٥

ولما كان عدد أفراد الجالية المغربية في تزايد مستمر. ولما كانت مصالحهم وأعمالهم كثيرة فكر رجال الجالية في فصل الأوقاف المغربية عن شؤون الأوقاف الإسلامية. ونجحوا في ذلك مطلع عام 1954. وهكذا أصبحت الأوقاف مستقلة ماليا وإداريا. وقد عينت الأوقاف بالاتفاق مع لجنة مغربية الشيخ الحاج محمد المهدي متوليا للوقف يحمل اختاما خاصة ويشرف على تصريف شؤون أوقاف المغاربة داخل القدس وخارجه. وكانت الجالية المغربية تعتبره بمثابة «المختار» (أي النقيب). ولما كان الشيخ المهدي قد طعن في السن كثيرا اجتمع رجال الجالية وانتخبوا الحاج على النقيب ليخلف الشيخ المهدي. وبعدها قررت الجالية انتخاب السيد محمد ابراهيم عبد الحق الفگيگي وعيسى هاشم السوسي.

وبعد أن تسلم الوقف كل من المتوليين محمد عبد الحق وعيسى هاشم قاما باتصالات مع المملكة المغربية نفسها. بعد نيل المغرب لاستقلاله. وشرحا الوضع الذي توجد عليه الأوقاف...

ولم تلبث الحكومة المغربية أن توصلت بتصاميم دقيقة لكل المباني التابعة لأوقاف المغاربة بالقدس فاستجابت حكومة صاحب الجلالة لحاجات أولئك المواطنين وأخذت تبذل عطاءات سخية ومنتظمة لحماية تلك الأوقاف التي يرجع تاريخها إلى العهد القديم على ما عرفنا.

ومن جهة أخرى فقد رفض المغرب رفضا باتا أن يتعامل مع الصهاينة حول الدعوى التي كانت وزارة الخارجية الفرنسية إقامتها على إسرائيل عام 1953 إبان الحماية الفرنسية... وقد كان منطلق المغرب من شجبه للعدوان الإسرائيلي على الأرض العربية وعدم اعترافه بالكيان الصهيوني.

٥ ٥ ٥

ولعل من الطريف أن نستمع إلى دعوى يقيمها المتوليان المذكوران على مديرية الاوقاف العامة الأردنية التي كانت سجلت خطأ بعض العقارات المغربية منذ عام 1938 ضمن عقارات مأمور الأوقاف الأدرنية مع أنها أي تلك العقارات معدودة من الأوقاف المغربية الخاصة.

ومن الأطرف كذلك أن نجد المحكمة الشرعية في القدس تصدر حكما باسم جلالة الملك حسين تنصف فيه المتوليين للأوقاف المغربية معتمدة في ذلك الحكم على خطاب سماحة قاضي القضاة الموجه إلى مدير الأراضي والمساحة بتاريخ 1 / 8 / 1960، والمتضمن طلب تسجيل تلك العقارات لفائدة المغاربة أصحابها الأصليين.

ويتعلق الأمر بما ينيف على أربعين عقارا فيه الديار والمخازن والمتاجر والأراضي، سواء منها ما يوجد في محلة المغاربة أو في محلة باب حلة أو محلة الواد أو محلة الشرف (31)...
(الملحق، رقم 6).

وإذ عرفنا دفاع المغاربة عن أوقافهم بالقدس أمام المحكمة الشرعية، وعرفنا مع ذلك انصاف العدالة لهم فيما يتوفرون عليه من تراث، تصورنا إذن فداحة الشعور بالأسى والمرارة وهم أي المغاربة يرون أن القدس برمته بما فيه محلتهم التي عاش فيها أسلافهم وجدودهم وآباؤهم ونشأوا هم فيها على مقربة من المسجد الأقصى تقع جميعها بحكم سلاح الغدر تحت هيمنة الصهيونية على نحو ما تم منذ عشرين سنة بعين كارم وما قبل وما بعد عين كارم ـ !

لقد صادرت الصهيونية الغاشمة في يونيه 1967 تلك البقية من الأوقاف وضمتها إلى أملاكها واخلتها من سكانها مستعملة لتحقيق ذلك وسائل الضغط الاقتصادي وقطع شبكات المياه وأخيرا استعمال القوة والعنف حيث قامت بنسف الحي المغربي وتسويته بالأرض مستعيضة عنه بساحة عامة قريبا من حائط المبكي. **وكأن الحرب الإسرائيلية إنما كانت نقمة من حي المغاربة !**

لقد تمت عملية إجلاء سكان الحي المغربي مساء يوم 10 / 6 / 1967 وصباح يوم 11 شرع في هدمها مباشرة في نفس اليوم والأيام التالية (32).

وقد قامت الهيئة الإسلامية في القدس بواجبها عندما اكتشفت أن تنفيذ نسف حي المغاربة سيتبعه هدم باقي الأبنية العربية القائمة بين باب المغاربة والزاوية الجنوبية الغربية للحرم والملاصقة للمسجد الأقصى من جهة الجنوب، وكذلك هدم عمارة المحكمة الشرعية القديمة وباب السلسلة من جهة الشمال، وهكذا سارعت الهيئة المذكورة إلى تقديم مذكرة احتجاج إلى السلطات المحتلة بتاريخ 9 / 8 / 1967 تطالب فيها بإيقاف أي إجراء تعسفي جديد (33).

وأتت معاول البغي والعدوان في ظرف بضعة أيام على **مائة وثمانية وثلاثين بناية** فيها جامع البراق الشريف وزاويته و (جامع الأفضلية) وزاويته ومقام الشيخ حسن ومقام الشيخ عيد ومكتب إدارة الأوقاف ومخازنها. وكان فيها مسكن الزواوي والجربي والدكالي والمراكشي والشاوي والفيلالي والسباعي والطيب والفاسي، والدراوي، والتواتي والجريدي والسرغيني وعبد الحق، والسويسي والتازي والتيجاني والمديوني والحلفاوي والشنجيطي والفكيكي وغير هؤلاء من العوائل المعروفة (34).

ولم تمض سنة على هذه الكارثة المهولة حتى عمدت إسرائيل إلى إصدار قرار جائر آخر يهدف إلى استملاك عدد من الأراضي والعقارات كان فيها ما تعود ملكيته لوقف الشيخ مدين وأوقاف المحسنين المغاربة بالقدس !

---

31) الإشارة إلى القضية رقم 56، 61 رقم الاعلام 121 عن المحكمة الشرعية في القدس جلد 555 ص 56 عدد 121.

32) روحي الخطيب ، العدوان الإسرائيلي على المقدسات الإسلامية في القدس ص 7.

33) روحي الخطيب ، العدوان الإسرائيلي ص 8.

34) نحيل على لائحة وقف المغاربة بالقدس وخاصة جرد العقارات التي هدمت بحي المغاربة الذي يتضمن أسماء ساكني العقار وأوصافه وعدد غرفه وما يقوم به بالدنانير الأردنية.

وبمجرد ما ظهر ذلك في الجريدة الرسمية الصهيونية بتاريخ 18 / 4 / 1968 اعترض متوليا الوقف الشرعيان السيدان عيسى هاشم السوسي ومحمد ابراهيم عبد الحق الفجيجي على القرار اليهودي محتجين في عريضتهم بتاريخ 26 مايه 1968 بأن القوانين والشرائع الدولية لاتجيز للدولة المحتلة أن تستملك أي قطعة أرض من الأراضي المحتلة.

وان هذه العقارات هي أوقاف خيرية إسلامية ولها قيمتها التاريخية ومكانتها المقدسة وحرمتها الشرعية والقانونية. وشروط الواقفين وأحكام الشريعة الإسلامية الغراء تنص صراحة على الحفاظ على عينها ومواقعها والانشاءات المقامة عليها وعدم التفريط فيها لأي سبب...

ومحتجين بأن بيع العقارات الوقفية غير جائز في الشريعة الإسلامية وأحكامها. وكذلك لا يجوز الإقدام على أي عمل يتفرع على البيع أو التنازل أو قبول وضع اليدا والهبة أوالهدم وما إلى ذلك . وحيث إن الموافقة على قبول وضع اليد أو السكوت عليها هي من قبيل البيع ومشتقاته وحيث أننا - تقول عريضة الاحتجاج - ممنوعان شرعا من ذلك فإننا نعترض على وضع اليد عليها.

وتمضي العريضة مذكرة بما يستعرض له الكثيرون من فقدان مساكنهم وأملاكهم وحقوقهم التي هدف إليها الواقف أو الواقفون من هذه المؤسسات الخيرية من الانتفاع والاستفادة بالوقف وعينه وغلته التي تصرف على الفقراء والأرامل والأيتام والعجزة من المغاربة بصورة دائمة وعلى مر العصور والأيام منذ سبعمائة وعشرين هجرية (720).

وتضيف وثيقة الاحتجاج إلى هذا أن معظم عقارات وممتلكات الوقف موضوع الاعتراض هذا والواقعة في حي المغاربة بالقدس بالبلدة القديمة داخل السور. قد جرى هدمها وإزالتها يوم 11 / 6 / 1967 واليوم الذي يليه بحيث بلغ عدد العقارات التي هدمت 138 دارا ومخزنا بما في ذلك جامع البراق وزاويته الخ... وان هناك ستة عشر عقارا من أملاك الوقف معرضة للزوال ووضع اليد عليها. وهذه العقارات معدة للاستغلال لجهة الخير والبر. وأن زاوية المغاربة (الملجأ الخيري) التي تقع في أعلى حارة المغاربة من جهة الغرب والتي وقفت منه سبعمائة وثلاثين هجرية (730) والتي تشتمل على جامع للصلاة وضريح لواقفها الشيخ المجاهد عمر المجرد المصمودي المالكي. هي مشمولة أيضا بوضع اليد عليها وغير مستثناة من ذلك الأمر المخالف للقانون والأصول ....

وتطالب الوثيقة بإعادة النظر في قرار وضع اليد على الأوقاف المغربية على الأقل إسوة بممتلكات وأراضي ومقدسات الجاليات اليهودية في بلاد المغرب...

وتختم وثيقة الاحتجاج بإعلان احتفاظ المغاربة بحقهم في اتخاذ اية إجراءات قانونية لدى المحاكم والجهات المختصة لإبطال قرار الاستملاك وإلغائه من غير تساهل مع أي كان في السطو عليها...

٥ ٥ ٥

وقد كانت (إدارة وقف أبي مدين وأوقاف المحسنين المغاربة في القدس وخارجه) أعدت بتاريخ 5 / 5 / 1968 جردا مدققا للعقارات الواقعة ضمن منطقة الاستملاك الجائر. وكانت تبلغ زهاء الستين عقارا يوجد ضمنها عدد «من البيوت يسكنها مغاربة أو يؤجرها منهم عدد من المسلمين والمسيحيين...» وهي تقع في حي المغاربة بالذات أو حوش الغزلان أو حارة السريان أو سوق الحصر... فيهم أسرة المصلوحي والجبلي والخطيب... وان من أبرز هذه العقارات أرض مدرسة المسجد الأقصى وهي من المدارس التي أسدت للنشيء المقدسي هناك جلى الخدمات في تربيته وتعليمه.

كما أن من أقدم هذه العقارات وأهمها (زاوية) أبي مدين نفسها والشيخ عمر المجرد على ما سلف القول، وتحتوي على خمسة وعشرين غرفة، وتضم مثل هذا العدد من الفقراء المغاربة والعجزة وبها مقام الشيخ عمر المجرد ومسجد للصلاة...

وعبثا كانت الصيحات المدوية. فإن العصابات الصهيونية دأبت على التمادي في استفزازاتها لكل الأوضاع والقوانين والقيم، متناسبة كل مظاهر التسامح والتكريم التي لقاها اليهود في شتى جهات البلاد العربية والإسلامية، ومنها بلاد المغرب التي تفرض احترام المؤسسات والمواقع الأثرية والمراكز الثقافية التي ترجع للطائفة الموسوية...

ولم يلبث العالم الإسلامي أن صدم بالحادث المؤلم الذي وقع يوم 21 أغسطس 1969 والذي سبب الحريق فيه أضرارا فادحة للمسجد الأقصى بالقدس الشريف، الأمر الذي اثار أعمق القلق في قلوب أكثر من ثمانمائة مليون من المسلمين في سائر أنحاء العالم.

وهكذا رأينا الملك الحسن الثاني يدعو **لأول مؤتمر قمة إسلامي** احتضنته مدينة الرباط العاصمة في رجب 1389 = شتنبر 1969، تحت رئاسة جلالته . كانت المناسبة الأولى التي اجتمع فيها المسلمون على طاولة واحدة وأصدروا توصيات في منتهى الأهمية.

وقد عرف المؤتمر حياة دائمة، وأصبح هيأة متصلة الجوانب محكمة الحلقات، تجتمع في كل فصل وتنتقل عبر القارات لاستقطاب كلمة المسلمين والهاب مشاعرهم لتحرير القدس الشريف واسترجاع الأراضي المغتصبة.

في أثناء هذا تضايقت إسرائيل من صنيع أصحاب الحي المغربي، وهكذا وفي هذه المرة كان النسف والهدم تحت ستار الحفريات واستكشاف الآثار بين أوقاف المغاربة حسبما أعلنته الصحف الصهيونية «دافار بتاريخ 14 / 7 / 1971 و 2 / 8 / 1971 و «هارتز» بتاريخ 19 7 1971 و 5 / 3 / 1971.

ولا بد أن أعرب عن ابتهاجي - كمواطن مغربي يجد المتعة في ربط حلقات التاريخ، بانتفاضة المغرب قمة وقاعدة للوقوف إلى جانب اخوته في المشرق على نحو مافعله يوم تعرض الشام للغزو الصليبي والتتري والنابليوني...

وبالرغم من الفوارق والعوائق، رأينا «وحدات القوات المسلحة الملكية تلتحق باللاذقية أو الأسكندرية. وهي كاملة التجهيز والعدة مؤلفة من كتائب دبابات وأفواج للمشاة إضافة إلى المواد المقدمة على شكل هدايا»...

وقد شهدت لاهور انعقاد القمة الإسلامي الثاني عام 1394 = يبراير 1974 واستمر المؤتمر الإسلامي في طريقه.

وان من أجمل المصادفات التاريخية أن يشهد هذا المؤتمر العاشر لوزراء الخارجية الذي انعقد بفاس عام 1399 = 1979 إنشاء لجنة القدس كما يشهد قرار بمناشدة جلالة الملك الحسن الثاني الذي ينتسب إلى مملكته حي المغاربة بالقدس ناشدوه أن يقبل رئاستها من أجل تنفيذ برنامج سياسي وإعلامي في العالم غير الإسلامي لدعم قرارات المؤتمر الإسلامي على أعلى مستوى محافظة على اسلام وعروبة القدس الشريف.

وقد أصبحت الآن لجنة القدس حقيقة ماثلة حيث رأينا مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بالطائف بالمملكة العربية السعودية (ربيع الأول = 1401 = يناير 1981، رأيناه يزكي بالاجماع رئاسة المغرب للجنة القدس...

د. عبد الهادي التازي

الملحق الأول

وقفية حي المغاربة بالقدس

من طرف الملك الأفضل 589 = 1193

شرط وقف محلة المغاربة قيد بإذن مولانا... شجاع الدين اقتدى قاضي القدس الشريف... وهذا الكتاب متصل الثبوت والتنفيذ بحكم الشريعة إلى يومنا هذا. وقيد في اليوم السادس والعشرين من شهر شعبان سنة ألف وأربع.

بسم الله الرحمن الرحيم. يشهد من اثبت اسمه وشهادته آخر هذا المحضر، وهم يومئذ من الشهود الأمناء الأحرار العقلاء المسلمين الذكور الأخيار من أهل علم وخبرة بما يشهدون به شهادة عرفوا صحتها وتحققوا معرفتها... لا يشكون فيها ولا يرتابون... ويلقون الله بأدائها انهم يعرفون جميع الحارة المعروفة المسماة **بحارة المغاربة** الكائنة بمدينة القدس الشريف...

الحد الأول وهو القبلي ينتهي إلى سور مدينة القدس الشريف وإلى الطريق المسلوكة إلى عين سلوان.

والحد الثاني وهو الشرقي ينتهي إلى حائط الحرم الشريف.

والحد الثالث وهو الشمالي ينتهي إلى القنطرة المعروفة بقنطرة أم البنات.

والحد الرابع وهو الغربي ينتهي إلى دار الإمام....

شمس الدين قاضي القدس الشريف، ثم إلى دار الأمير عماد الدين بن موسكي، ثم إلى دار الأمير حسام الدين قايماز.

ويشهد شهوده أن هذه الحارة المعينة أوقفها السلطان الملك الأفضل نور الدين علي بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي، رحمهما الله تعالى، على جميع طائفة المغاربة على اختلاف أوصافهم وتباين حرفهم ذكورهم وإناثهم كبيرهم وصغيرهم فاضلهم ومفضولهم، ليسكنوا فيها في مساكنها وينتفعوا بمرافقها، على قدر طبقاتهم وما يراه الناظر عليهم وعلى وقفهم من ترتيب ذلك وتفضيل من يفضله وتقديم من يقدمه، بحيث لا يتخذ شيء من المساكن ملكا ولا احتجازا ولا بيعا، وقفا مؤبدا شرعيا، ماضيا جاريا على هذه الطائفة المغاربة...

ويشهد شهوده أن النظر في ذلك، وفي كل جزء منه، وفي ترتيب أحواله ووظائفه وأموره راجع إلى من يكون شيخا قدوة من المغاربة المقيمين في كل عصر وأوان بالقدس الشريف، يتولى ذلك بنفسه وله أن يولي من اختار وآثر، ويستنيب عنه من يقوم مقامه، وله عزله إذا أراد...

ويشهدون به وبذلك كتبوا شهاداتهم في اليوم الرابع والعشرين من شهر الله رجب الفرد سنة ست وستين وستمائة...

الملحق الثاني

نص وثيقة وقف أبي مدين

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وكفي وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فهذا كتاب وقف صحيح شرعي، وحبس صريح مرعي، اكتتبه الفقير إلى الله سبحانه، الراجي عفوه وغفرانه، الشيخ الإمام العالم الفاضل الورع الزاهد الخاشع السالف العارف القدوة أبو مدين شعيب بن سيدنا الشيخ الصالح العالم العامل المجاهد أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام بركة المسلمين حجة الله بقية السلف الصالحين أبي مدين شعيب المغربي العثماني المالكي نفع الله ببركته وفسح بمدته، وأشهد على نفسه الزكية وهو في صحته انه وقف وحبس وسبل وابد وتصدق وحرم وحرر وأكد جميع المكانين الآتي ذكرهما ووصفهما

وتحديدهما فيه الجاريين في يد الواقف المذكور وملكه وتصرفه وحيازته إلى حين هذا الوقف. يشهد بذلك من يعينه في رسم شهادته بآخر هذا الكتاب المبارك. واحد المكانين المذكورين وهو قرية تعرف بقرية عين كارم من قرى مدينة القدس الشريف وتشتمل على أراضي معتمل ومعطل وعامر ودائر وأوعار وسهل وصخور ساد الاتراب عليها ولا ينتفع بها بزرع وتشتمل على اثار دور برسم سكنى فلاحها وبنيان بأراضيها وبستان صغير وأشجار رمان وغير ذلك يستقى من عين مائها. وأشجار زيتون رومي وخروب وتين وبلوط وقيقب. **ولها حدود أربعة تجمعها** وتحصرها وتحيط بها ، الحد القبلي منها ينتهي إلى المالحة الكبرى. والحد الشمالي ينتهي إلى بعض أراضي عين كاووت وقلونية وحاراش وصا طاف وزاوية البختياري. والحد الغربي ينتهي إلى عين الشقاق. والحد الشرقي ينتهي إلى بعض أراضي المالحة الكبرى وبيت موميل. بجميع حقوقها ومرافقها ومزرعها ومفلحها واندرها ودمنها والعين الموجودة بها والنزازات والأشجار الثابتة بها والآبار الخربة وقرامي العنب العتيقة الرومية وما ينسب للقرية المذكورة وبكل حق هو من حقوقها داخلة فيها وخارجا عنها منسوب إليها خلا ما في ذلك من مسجد الله تعالى وطريق المسلمين ومقبرة لهم فإن ذلك خارج عن هذا الوقف وغير داخل فيه.

وأما المكان الثاني الموقوف فيه فإنه بالقدس الشريف بخط يعرف بقنطرة أم البنات باب السلسلة. المشتمل على إيوان وبيتين وساحة ومرتفق خاص. وسفلي ذلك مخزن وقبو. ولذلك حدود أربعة معلومة. وقفا صحيحا شرعيا قاطعا ماضيا صريحا مرعيا وحبسا دائما سرمدا وصدقة جارية ومعروفا مؤكدا وسبيلا خالصا لأهله مؤبدا والمستحقين على الدوام وقفا عليهم ولهم مرصدا محرما بحرمات الله العظيم ابتغاء لوجهه الكريم وطلبا لثوابه العميم يوم يجزي الله المتصدقين لا يباع ذلك ولا شيء منه ولا من حقوقه ولا من حدوده ولا يملك ولا يناقد ولا يحل عقد من عقوده. ولا يرجع هذا الوقف لغير أهله ولا يعوض على غيرهم ولا يتبدل محفوظا على شروطه المبينة لا يبطله تقادم دهر ولا يوهنه اختلاف عصر. كلما مر عليه زمان أكده وكلما اتى عليه اوان بينه وسدده ابد الابدين ودهر الداهرين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. إن شاء الواقف المذكور أعظم الله له الأجور وقفه هذا على السادات المغاربة المقيمين بالقدس الشريف والقادمين إليها من السادات المغاربة على اختلاف أوصافهم وتباين حرفهم ذكورهم واناثهم كبيرهم وصغيرهم فاضلهم ومفضولهم لا ينازعهم فيه منازع ولا يشاركهم فيه مشارك ينتفعون بذلك السكن والإيجار وسائر الانتفاعات والمقاسمة والمزارعة على الضيع المذكورة. ويقدم في ذلك الواردين على المقيمين والاحوج فالاحوج والادين فالأدين. فإذا انقرضت المغاربة ولم يوجد منهم أحد مقيما بالقدس الشريف سواء كان ذكرا أو أنثى فيرجع وقفا على من يوجد من المغاربة في مكة المشرفة زادها الله شرفا وعلى من يوجد منهم بالمدينة المنورة. فإذا لم يوجد أحد بالحرمين الشريفين فيرجع وقفا على الحرمين الشريفين وشرط الواقف النظر والتولية على هذا الوقف لنفسه مدة حياته ثم من بعده لمن يوجد رشيدا من جنس المغاربة المقيمين بالقدس الشريف ويشهد له بالرشد والتقوى. وقد أعد المكان الثاني المندرج في هذا الكتاب زاويةً سكناً للواردين الذكور من المغاربة وليس لاناث المغاربة الواردات ولا لذكور المغاربة المقيمين ولا لأبائهم السكن في المكان المذكور. وعلى كل من يتولى هذا الوقف أن يبدأ بعمارته وإصلاحه وترميمه وما فيه بقاء عينه ومزيد فعله وريعه وعلى الا تواجر القرية مع أماكن استغلالها والمقاسمة عليها أكثر من سنتين ولا يستأنف عقد حتى

ينقضي العقد الأول. وقد شرط الواقف أن بعد الفايض من التعميرات أن يعمل المتولي في الثلاثة أشهر وهم رجب وشعبان ورمضان خبزا ويفرقه في الزاوية على المغاربة لكل قادم من المغرب ومقيم من المغاربة بالقدس الشريف جوازي ؛ رغيفان ذكورا وإناثا عند تفريق الخبز بعد صلاة العصر يقرأ الحاضرون سبع فواتح والإخلاص والمعوذتين ثلاثا ويهدي ثواب ذلك إلى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ولأصحابه وأتباعه ولروح الواقف ولجميع ما ينسب بالخير.

في هذا الرقف وشرط الواقف اطعامية في عيد الفطر وفي عيد الأضحية وفي المولد الشريف لفقراء المغاربة وشرط الواقف أن يدفع المتولي لكل قادم من المغرب محتاجا ومقيما بالزاوية ثمن الكسوة تقيه من البرد وإذا مات مغربي ولم يكن عنده شيء فيصرف تجهيزه وتكفينه من غلة الوقف. فقد تم هذا الوقف المبارك بتمام شروطه وأركانه وفق قواعده وصحة بنيانه ونفذ حكمه وانبرام لوقوعه من أهله في محله على الوجه المرضي لجوازه وحله ولخلوه عما يؤدي إلى نقضه وحده لكونه صار وقفا مؤكدا وحبسا دائما محررا مسددا لا يملك ولا يتصدق به ولا يوهب ولا يرهن ولا يناقد به ولا يتعوض عنه ولا يسلب، ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ويعلم أنه إلى ربه العظيم صاير ؛ من أمير أو مأمور ذى سلطان جاير. أن يبطل هذا الوقف لاشيء منه ولا بغيره. ولا ينسى منه ولا يقدح فيه. ولا في شيء منه ولا يسعى في إبطاله. ولا في إبطال شيء منه جاهرا ولا بايما ؟ ولا بفتوى. ولا بمشورة ولا بتدقيق حيلة يعلمه بها الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور. فمن فعل ذلك وأعان عليه فالله تعالى طليبه وحسيبه ومؤاخذه بعمله ومجازيه بفعله ويلق الله وهو غضبان عليه غير راضي عنه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ومن خالف ذلك فقد عدل عن أمر ربه وتمرد عليه واستبان وعيده واستحق لعنته ولعنة الله لعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين. فالويل ثم الويل لمن خالفه وتعداه لقوله تعالى (فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبد لونه ان الله سميع عليم) وقد وقع أجر هذا الوقف على الله رب العالمين الذي لا يضيع أجر المحسنين وأشهد عليه أحسن الله إليه وأجرى الخيرات على يده بجميع ما نسب إليه في هذا الكتاب بعد ان قرىء عليه من أوله إلى آخره وتلفظ بوقف ما عين وقفه فيه على الحكم المشروح فيه في الحال والحال ولشرط الشروط والنظر كما عاينه وبين باعاليه وذلك في اليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة عشرين وسبعمائة أحسن الله تنظيمها في خير وعافية والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وعترته الطيبين الطاهرين.

قاضي القدس الشرعي

صورة طبق الأصل أخرجت من سجل أوقاف المغاربة. المحفوظ في قلم المحكمة الشرعية تحت صفحة (1 ـ 2) وان هذه الصورة معفاة من الرسوم والطوابع لأنها وقف خيري إسلامي



الملحق الثالث

نص وثيقة المصمودي بتاريخ 730 = 330

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنان والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما وبعد. فقد أشهد على نفسه الشيخ الصالح الناسك العابد الخاشع الزاهد المجاهد عمر المجرد المغربي المالكي بن شيخ الشيوخ القدوة الزاهد عبد الله المغربي ان الرجل الصالح عبد النبي المغربي المصمودي المجرد أنه وقف وحبس وسبل وتصدق وحرم جميع الثلاثة الدور الموجودين كنا بحارة المغاربة مع جميع ما يعرف بهم وينسب إليهم خارجا عنهم أو داخلا فيهم وشهرتهم كافية عن ذكر أربع حدودهم وجميع الزاوية التي أنشأها الواقف بأعلى حارة المغاربة من جهة الغرب وقدر عدة الحجرات التي بداخلها عشر حجرات بجميع حقوقها ومرافقها داخلا فيها وخارجا عنها وقفا صحيحا من جنس المغاربة وعلى الورادين من المغاربة لبيت المقدس الشريف فمن ذلك أعد الزاوية التي هي بأعلا الحارة للواردين من المغاربة وسكنا إليهم وأعد غلة الثلاثة دور المذكورين على مصالح الزاوية المذكورة وعلى إطعامه العيدين والمولد الشريف. وان فاض شيء يشتري به خبزا ويفرق في الثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان على المغاربة الموجودين بالقدس. وقد جعل التولية والنظر من بعده إلى الاتقى من جنس المغاربة المقيمين بالقدس الشريف وانه يتقيد المتولى والناظر على الوقف لخدمة الزاوية ولإصلاحها على حسب ما هو مشروط وأن هذا الوقف لا يرهن ولا يوهب. ولا يسلب ولا يحل لمؤمن بالله أن يبطل هذا الوقف فمن بدله بعدما سمعه فإنما اثمه على الذين يبد لونه ان الله سميع عليم. في اليوم الثالث المبارك من شهر ربيع سنة ثلاثين وسبعمائة والحمد لله رب العالمين.

قاضي القدس الشرعي

صورة طبق الأصل أخرجت من سجل أوقاف المغاربة المحفوظ في قلم المحكمة الشرعية بالقدس.

وهي معفاة من الرسوم والطوابع.

الملحلق الرابع

أمر حاكم الشام بعدم تغيير وقفية أبي مدين

عام 1256 = 1840

افتخار الأماجد الكرام ذوي الاحترام أخينا السيد أحمد أغا دزدار متسلم القدس الشريف حالا.

انه ورد لنا أمر سامي سر عسكري مضمنه صورة اراده شريفه خديويه صادره لدولته يعرب مضمونها العالي انه قد اتضح من صورة مذاكرة مجلس شورى القدس الشريف بأن المحل المستدعيين تبليطه اليهود هو ملاصق إلى حائط الحرم الشريف والى محل ربط البراق. وهو كائن داخل وقفية حضرة أبو مدين (قدس سره). وما سبق لليهود تعمير هكذا شيئا بالمحل المرقوم ووجد انه غير جائز شرعيا فمن ثم لا تحصل المساعدة لليهود بتبليطه وان يتحذروا اليهود من رفع الأصوات واظهار المقالات ويمنعوا عنها فقط يعطى لهم الرخصة بزياراتهم على الوجه القديم وصادر لنا الأمر السامي السر عسكري بإجراء العمل بمقتضى الإرادة المشار إليها فبحسب ذلك اقتضى إفادتكم بمنطوقها السامي لكي بوصوله تبادروا لا جرا العمل بمقتضاها المنيف يكون معلومكم.

في 24 را سنة 1256 = 28 مايه 1840

جرنال 367 نمرة 39

الختم

محمد شريف باشا

الملحق الخامس

قرار متولي أوقاف المغاربة عام 1327 = 1910

بعدم الخضوع لتغيير المعهود 1328 = 1911

إن متولي أوقاف أبي مدين الغوث شعيب قدس الله سره قد رفع استدعاء يبين فيه ان أفراد الطائفة اليهودية الذين جرت عادتهم بالذهاب إلى الحائط المعروف بالبراق الكائن خارج الحرم الشريف في القدس الشريف لجهته على أن يبقوا في أثناء زيارتهم واقفين على اقدامهم. أخذوا أخيرا خلافا للعادة يجلبون كراسي للجلوس عليها أثناء زيارتهم. **وبما أن البراق من أملاك الوقف المذكور** أعلاه ويؤدي إلى زقاق غير نافذ فقد طلب المتولي المشار إليه توقيف هذه الحالة حالا **تجنبا لادعاء اليهود في المستقبل بملكية المكان.**

وعند تقديم الاستدعاء السابق الذكر بين فضيلة المفتي ودائرة الأوقاف والمحكمة الشرعية في مطالعتهم على الاستدعاء المشار إليه بأن الوقف المذكور كائن داخل المسقفات المجاورة لحائط المسجد الأقصى الشريف من جهته الغربية وهو عبارة عن زقاق غير نافذ **عائد للوقف المذكور** وانه محظور بموجب الشرع من جميع الوجوه وضع كراسي أو ستار أو أشياء أخرى من هذا القبيل أو احداث أي بدعة مما يدل على الملكية. وانه ليس لأحد الحق في وضع أشياء كهذه أو احداث أية بدعة مما يؤول إلى احتلال موقع حائط المسجد الأقصى الشريف وانه يجب اتخاذ التدابير لمنعهم.

وبعد المذاكرة في الأمر قرر المجلس في عدم السماح بوضع أشياء تعتبر بأنها من دلائل الملكية سواء في الوقف المذكور أو عند الحائط الحرم الشريف وانه يجب أن لاتعطى فرصة لأحد بوضع أشياء كهذه ومن الضروري المحافظة على العادة القديمة.

وعليه نرفع هذا الاستدعاء المذكور مع ملحقاته إلى سعادة المتصرف لإجراء الايجاب.

الختم

مديرية أوقاف القدس

الامضاء

عارف حكمت



أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحضر فتح أرض فلسطين

ويعقد للسكان عهدا إسلاميا شريفا!

للأستاذ الحاج أحمد معنينو

جاء في كتب السير أن الصحابي الجليل القائد المغوار سيدنا أبا عبيدة عامر ابن الجراح بعد فتحه دمشق الشام وبعد الاستشارة توجه لفتح أرض فلسطين. وبعد معارك وحصار ضاق سكان «إيليا» ذرعا. فاقترحوا على البطريق صفرنيوس أن يسأل القوم عما يريدون، وشكوا له مما هم عليه من الشدة قائلين ان كان الطلب صعبا فتحنا الأبواب وتقاتلنا معهم حتى نقتل جميعا أو نتغلب عليهم وننتصر.

فاستجاب البطريق. لرغبة قومه وصعد السور وخاطب القائد. قائلا انكم لو تحاصرون المدينة عشرين سنة لن تصلوا لفتحها فماذا تريدون ؟

فأجابه القائد المحنك أبو عبيدة مطلبنا أن تسلموا فيصبح لنا مالكم. وعلينا ما عليكم حسب تعاليم الإسلام واما ان تدفع الجزية. فإن رفضتم صبرنا عليكم حتى الفتح بإذن الله. فقال «البطريق» ان كان الأمر هكذا حقنا للدماء ابعث إلى أميركم ليتسلم البلد نفسه. على أن نعطي الجزية بعهد.

فأمر القائد جيشه بالكف عن القتال وكتب إلى أمير المومنين عمر بالاتفاق الحاصل والشرط المطلوب.

ولما بلغ الكتاب لأمير المومنين جمع أهل الشورى والراي في المسلمين. وعرض عليهم الرسالة والشرط ولكن سيدنا عثمان أدلى برأي مخالف لرأي المستشارين قائلا، لا داعي لهذا الصلح. من المحقق ان اهل «إيليا» سيسلمون أو يدفعون الجزية. ولكن الرأي العام أيد مطلب القائد الفاتح البطل حقنا للدماء وقبول دفع الجزية عن طواعية واختيار. ركب عمر الخليفة بعيرا له ومعه غرارتان في احدهما قمح، وفي الأخرى تمر. وبيديه قربة ماء. وخلفه جفنة للزاد. وكساء من صوف يجلس عليه. إذا ركب. ويفترشه إذا نام وقد لبس مرقعة من صوف بها أربع عشرة رقعة بعضها من أديم. وأخذ الطريق حتى اشرف على مدينة «إيليا» المحاصرة فاستقبله القائد أبو عبيدة وكبار المجاهدين متهللين ومبتهجين يصافحونه ويعانقونه باكبار واجلال.

وعرض عليه رجال الجيش أن يستبدل ملبسه ومركبه. إظهارا لعظمة الدولة. ولتدخل الهيبة في صفوف سكان

«ايليا» فأجاب عمر : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب به بديلا. فتلطف القوم معه حتى اقتنع ولبس ثيابا بيضاء وركب فرسا روميا، قدم له، ووضع على كتفيه منديلا من كتان، وتقدم الجواد براكبه في تبختر وكبرياء، ونزل عمر قائلا للقوم أقيلوا عثرتي أقال الله عثرتكم يوم القيامة، لقد كاد أميركم أن يهلك بمادخله من العجب، وخلع الثياب ونزل عن الفرس وعاد للباسه ومركبه، لابسا المرقعة، وراكبا الجمل والقائد أبو عبيدة بين يديه حتى فتح الباب وتقابل مع السكان «والبطريق» وسالوه كتابة العهد لهم.

فأجاب رضي الله عنه، ارجعوا لبلدكم ولكم العهد، وكتب الوثيقة التاريخية لهم بالأمان والطمأنينة.

وها نص العهد حسب الروايات التاريخية :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل «ايليا» من الامان :

أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبرئها وسائر ملتها.

أن لاتسكن كنائسهم، ولا تهدم ولا ينتقص منها، ولا من غيرها، ولا من صلبانهم، ولا شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بايليا أحد اليهود.

وعلى أهل «ايليا» أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن : وعليهم أن يخرجوا منها الروم، واللصوص فمن خرج منهم فهو امن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو امن وعليه مثل ما على أهل البلد من الجزية، ومن أحب من أهل «ايليا» أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخل بيعهم وصلبهم، فانهم امنون على أنفسهم وبيعهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم.

ومن كان فيها من أهل الارض، فمن شاء منهم قعد، وعليه ما على أهل «ايليا» من الجزية، ومن شاء سار مع الروم ومن رجع لأهله فانه لايوخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، اذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، كتب سنة خمسة عشرة وشهد على ذلك خالد بن الوليد، عبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان.

سلا ـ الحاج أحمد معنينو





القدس

للأستاذ عبد الرحمن الكتاني

القدس، هي عاصمة فلسطين التي تهفو إليها قلوب مليار من المسلمين في كل حين، ونود أن نطير إليها في كل مناسبة سنحت لنا لنتملى بمآثرها الكثيرة، ونستعرض فيها الذكريات التاريخية التي شهدتها.

القدس، هي وطن أب الأنبياء سيدنا إبراهيم وشبليه سيدنا إسماعيل وسيدنا إسحاق وذريتهما عليهم الصلاة والسلام.

القدس، هي مجمع الديانات السماوية، ومهبط الوحي، وصلة الوصل بين الأرض والسماء آلافا من السنوات.

القدس اجتمع في مسجدها الأقصى ثاني مسجد أسس في الأرض بعد المسجد الحرام قادة الأنبياء والمرسلين قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فخطبوا فيه وتحدثوا بالنعم التي أفاضها الله سبحانه وتعالى عليهم وصلوا فيه وودعوا خاتمهم سيدنا محمدا صلى الله عليهم وسلم جميعا وهو على أهبة القيام بأعظم رحلة قام بها إلى الملأ العلوي.

القدس، نهاية إسراء خاتم الأنبياء والمرسلين وبداية معراجه الذي شاهد فيه عجائب عالم الملكوت وتزود أثناءه بالعلوم التي يستطيع بها إدارة عالم الملك ووضع الخطط لتسييره بعد التحاقه بالرفيق الأعلى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

القدس، قبلة المسلمين الأولى التي أراد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يختصر الطريق لسعادة العالم ويجمع شمل الديانات السماوية ويشذب ما فيها من عوج، ويجمع القلوب كلها على الله، ويوجه العالم كله الوجهة الصالحة التي تقضي على الشرك والظلم والفساد والاقطاعية والرشوة وعبادة أصنام المادة والروح التي لاتضر ولا تنفع، ويقيم حكومة عالمية تدين بالولاء لخالق الكون ومدبر شؤونه وممده بالحياة، وتسعد الإنسانية سعادة أبدية لم يتقدم لها نظير في تاريخ العالم المليء بالحروب والنزاعات والاضطرابات وتقديم المصالح الشخصية على المصالح الجماعية.

ولما لم يكن أهل الكتاب أهلا لهاته الوحدة وهاته المكارم طلب النبي صلى الله عليه وسلم من ربه أن يأذن له بتحويل قبلة المسلمين إلى المسجد الحرام فأذن له محافظة على الشخصية الإسلامية حتى لاتتأثر بغيرها

وتخصيصا لها بالوجود الحق والخلافة عنه في الأرض مع كتب الخلود للمسجد الأقصى والمحافظة على حرماته وارتباطه بالمسلمين ارتباطا أبديا.

القدس تشتمل على المسجد الأقصى الذي هو ثالث الحرمين الشريفين. ويكفيه فخرا النطق النبوي الكريم : لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد. المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى رواه أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه وغيره.

وكبرهان على قدسية هاته المساجد الثلاثة ضاعف الله فيها الصلاة بمقتضى الحديث الشريف صلاة في المسجد الحرام أفضل مما سواه من المساجد بمائة ألف صلاة وصلاة في مسجد المدينة أفضل من ألف صلاة فيما سواه وصلاة في مسجد بيت القدس أفضل مما سواه من المساجد بخمسمائة صلاة رواه ابن حزيمة عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

ومثل الصلاة جميع الأعمال الصالحة.

القدس شاهد أسعد فترات حياته في ظل الحكم الإسلامي منذ عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى بحر هذا القرن أي منذ سنة 638م ورغما عن كون المسيحيين عكروا صفو هذه السعادة أثناء القرن 12 الميلادي بما عهد فيهم من جبروت وغطرسة وقتل ونهب وتمثيل بالمسلمين الذين كانوا الكثرة الكاثرة من سكانه الأصليين فقد بعث الله صلاح الدين الأيوبي أمير المؤمنين والمجاهد في سبيل رب العالمين فطهر القدس وأرض فلسطين كلها من حكم المسيحيين وأرجعها إلى الحكم الإسلامي سنة 1187 ميلادية. ومثل أثناء جهاده كل المثل الاسلامية العليا.

القدس شاهد من جديد أخطر اعتداء عليه وعلى فلسطين في بحر هذا القرن من طرف اليهود الصهاينة شذاذ الافاق المغضوب عليهم والمحكوم عليهم بالتقطع في الأرض والذل والهوان من طرف رب العالمين نتيجة قتلهم الأنبياء ومخالفتهم أوامر الله.

وقد أوغى اليهم بهذا الاعتداء أسيادهم الانجليزيون والأمريكيون ليتخذوهم أداة طيعة للاستيلاء بواسطتهم على البلاد العربية وتسيير دوالب الحكم فيها كما يريدون واستغلال خيراتها الكثيرة والقضاء على الاسلام بها أخيرا بعد اقصاء اللغة العربية والثقافة الاسلامية عن ميادين التعليم وأبعاد أهلها عن ميادين الحكم وقيام دويلة اسرائيل الكبرى التي ظل اليهود يحلمون بها قرونا وقرونا.

وهكذا قامت معارك كبرى بين المسلمين واليهود في كل شارع وحي من القدس وفلسطين واستبسل المسلمون في الدفاع عن أوطانهم ومقدساتهم وأخيرا تغلبت القوة وأجلي المسلمون عن ديارهم وأموالهم وأنشئت دويلة اسرائيل وسيدنا اسرائيل براء منها براءة الذئب من دم سيدنا يوسف عليهما الصلاة والسلام.

وشاهد العالم أعظم مأساة عرفها التاريخ منذ عهد أبي البشر سيدنا آدام عليه الصلاة والسلام الى هذا القرن مأساة جديدة بوضع مئات المؤلفات والقصص والروايات عنها.

ومنذ كان اليهود وهم يحسدون المسلمين على ما أتاهم الله من فضله ويتسببون في اقامة المآسي بأوطان المسلمين.

وكان اغتيال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مؤامرة من الفرس واليهود انتقاما من فتوحاته الاسلامية التي أدهشت الدنيا أنذاك.

وكان اغتيال أمير المؤمنين عثمان بن عفان مؤامرة من اليهود ومن المتمسلمين وبعض المغرورين انتقاما منه على جمعه المسلمين على مصحف واحد والقضاء على

الاختلافات التي كانت ستقع بين المسلمين في القرآن لَوْ لَم يبادر الى الغاء المصاحف التي كانت مشتملة على آيات منسوخة لم يكن أصحابها على علم بها.

وشاء الله أن تكون هاته المأسي حافزا على مزيد من التشبث بالاسلام وسنة خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ورحم الله الشاعر العربي القائل :

اذا مات منا سيد جاء سيد   قئول لأقوال الكرام فعول

القدس وفلسطين تشاهد اليوم ومنذ خمسة عشر سنة انتفاضات شعبية لم يتقدم لها نظير تذكرنا بجهاد الصحابة وتفانيهم في الدول عن أوطانهم ومقدساتهم. وان شعبا هذا جهاده وهذه نضاليته لاشك أنه سيحرر وطنه ويقضي على المؤامرات التي تحاك ضد العالم العربي من الدول الاستعمارية الكبرى سواء منها القديمة أو الجديدة.

إن المسلمين مسؤولون أمام الله وأمام رسول الله وأمام أرواح المسلمين الذين سبقونا بالايمان وأمام الأجيال الصاعدة والأجيال اللاحقة عن فلسطين وشعب فلسطين ومقومات فلسطين واعلموا أن الحساب سيكون عسيرا لا يعلم الا الله مقدار عسره.

ان الشعوب الانجليزية والأمريكية والفرنسية والروسية لو علمت أن الحكومات الاسلامية ستقطع علاقاتها الاقتصادية والعسكرية والدبلوماسية معها لما تم وعد بلفور ولما قامت دويلة اسرائيل ولما وقعت هاته المجازر التي تشاهدها صباح مساء فوق ارض فلسطين والبلاد المجاورة لها على مرأى ومسمع من الأمم المتحدة التي تحمي الظلم وتشجع القتل والتشريد.

وإذا أعدم مئات من المجرمين بايران اثر محاكمات علنية، وأدينوا فيها من طرف القضاء ونفذ فيهم الحكم اقامت الدنيا وأقعدتها ونادت باحترام حقوق الانسان.

والمثل العليا موضوعة فوق الرف لا يحتاج اليها الا اذا أصيب نفر يمت اليها بصلة واذا لم يصابوا فشريعة الظلم والقتل هي السائدة.

ان الدول الاستعمارية لم تكتف باستعمار كثير من الدول واستعبادها واستغلالها ومحاولة القضاء على دينها ولغتها بل ما خرجت منها الا بعد أن مزقتها أربا أربا وأقامت في بعض أجزائها دويلة أو دويلتين ارتبطت معها ارتباطا أبديا بروابط قوية تجعلها طوع يمينها كلما احتاجت اليها ولا يعلم الا الله المآل الذي سينتهي إليه أمر هاته الدول وصدق الله وماربك بغافل عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم أن موعدهم الصبح. أليس الصبح بقريب. وكان حقا علينا نصر المؤمنين. ان الله لا يخلف الميعاد.

فعن قريب ستؤسس الدولة الفلسطينية ان شاء الله وترجع فلسطين الى حظيرة الاسلام. ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله.

عبد الرحمن الكتانـــي

شعب التيه والتوراة والتلمود والبروتوكولات

للأستاذ رضا الله إبراهيم الأليغي

ان من يمعن النظر في خريطة الشرق الأوسط يرى أنها من الناحية الجغرافية الطبيعية والبشرية يصدق عليها ما توصف به لدى الكثيرين من أنها سرة العالم وأنها مهد البشرية ومنبت الأنبياء ومهبط الأديان السماوية، ويزيد البعض أنها محشر الأمم ومبعث الخلق من جديد يوم يأتي الحشر الموعود.

نعم، ان الشرق الأوسط سرة العالم.. لأن به شرايين مائية برية وبحرية وخلجانا وشطآنا وموانىء ومرافىء تمد أقاصي العالم وأدانيه عبر المحيطات والسموات بما تحمله أساطيل السفن وأساطين الجو ذهابا وإيابا من أنواع البضائع وأصناف السلع وخيرات الأرض وكنوزها.. وأكبر شاهد على ذلك هذه الشرايين النفطية المدخرة في بطون أراضي المنطقة التي تستمد منها أطراف المعمور تلك الطاقة الجبارة التي أخرجها الله للناس في هذا العصر كمعجزة خارقة تحرك العجلات وتدير الآلات وتدفع بالمراكب وأدوات الحركة والنقل طيا للمسافات وربحا للأوقات..

وهو مهد البشرية أيضا لأن من الثابت أن النوع البشري الأول على وجه الأرض قد ظهر في جنبات الشرق الأوسط فيما قبل التاريخ العريق في القدم.. وبالأخص الجنس السامي المبثوث في أرجائه والمدافع عن كيانه وأوطانه الذين منهم العرب في جزيرتهم والكلدانيون فيما بين النهرين (بابل العراق) والآراميون والسريان في الأراضي السورية والفينيقيون بسواحل لبنان وجبالها والكنعانيون الفلسطينيون بفلسطين (سميت كذلك لنزول قوم بها يسمون فلسطين رحلوا إليها من جزيرة كريت من آلاف السنين) وهكذا تكتل الساميون في أقطار الشرق الأوسط ووقفوا في وجه الغارات ولم تستطع قوة ان تزحزحهم عن مواطنهم.. في حين أن فروعهم امتدت إلى السواحل الإفريقية الشمالية والشرقية واستوطنت أقطارا كثيرة حول الأبيض المتوسط .. وكانت خير نموذج وقدوة للشعوب الأخرى...

وهو كذلك منبت الأنبياء ومهبط الأديان السماوية، إذ إن من الشرق الأوسط ظهر أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي اختاره الله لأداء رسالة الإسلام الأولى وأورثها



لبنيه بعده موسى وعيسى ومحمد عليهم أفضل الصلاة والتسليم أصحاب الكتب السماوية الثلاثة والديانات الثلاث المنتشرات في العالم بمقادير متفاوتة وفي مقدمتها قرآن الإسلام الذي أظهره الله على الدين كله وكفى بالله شهيدا..

حيث بعث الله إبراهيم الخليل حوالي 2000 ق. م في قومه الكلدانيين عبدة الأوثان والأصنام فعادوه وكادوا يقتلونه ويحرقونه لولا أن نجاه الله منهم وأمره باعتزالهم هو ومن آمن معه من أهله فهاجر بهم يضربون في الأرض غربا وجنوبا إلى حيث شاء الله «اني ذاهب إلى ربي سيهدين...» ومعهم ماشيتهم وأجمالهم وأثقالهم يبحثون عن المراعي وعن المأوي ويدعون إلى توحيد الاله الحق.. اجتازوا ديار بكر ونزلوا زمنا طويلا يقدر بعشرات السنين بين الآراميين سكان سوريا الأقدمين.. إلى أن رحلوا عنها إلى أرض الكنعانيين بفلسطين.. ثم اجتازوها إلى مصر الفرعونية فطاب المقام فيها لابراهيم وزوجته سارة ومن معه من الأهل والاقارب والاتباع.. لبثوا فيها سنين عديدة بين احضان النعيم ومزاولة أسباب العيش من تربية المواشي واكتساب الأموال.. ثم رحل عنها ابراهيم وهو يسوق ماشيته الكثيرة وتصحبه زوجته الوفية سارة وزوجته الجديدة هاجر المهداة إليه هناك (من طرف فرعون كما تقول القصة) وقد رزق منها بولده البكر اسماعيل فذهب بها وولدها إلى أن انزلهما بأرض العرب عند بيت الله الأول بمكة المكرمة وأنزل زوجته الأخرى سارة في الأرض التي بارك الله حولها عند الكنعانيين.. ولم يلبث ان رزق منها هي الأخرى ولده الثاني إسحاق.. فظل يتردد بين الزوجتين والولدين وهو يدعو إلى الله ويؤدي رسالة ربه إلى أن توفاه الله وهو ينيف على المائة سنة ودفن بمحضر ولديه معا حيث قبره بمدينة الخليل.

هكذا تعددت المواطن التي نزلها إبراهيم حال هجرته وأحل بها أهله وأتباعه :

أولا : ديار بكر ومنازل الآراميين حيث تزوج بسارة...

ثانيا : بين الكنعانيين..

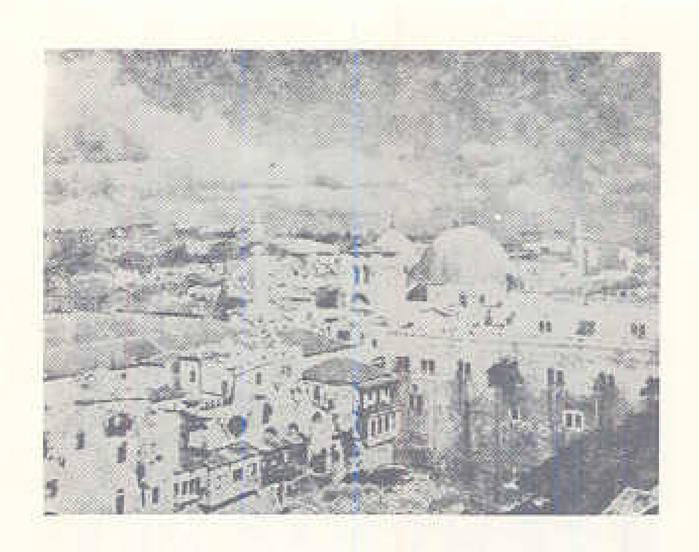
ثالثا : بين المصريين..

رابعا : بين العرب المجاورين لبيت الله الحرام... فأين هو الموطن الذي اختاره إبراهيم عليه السلام وطنا ثانيا له ولبنيه من بعده بعد أن ترك وطنه الأول ببابل.. هل هو أرض الآراميين حيث خئولة إسحاق وبنيه... وهل هو أرض مصر حيث خئولة إسماعيل وبنيه. وهل هو أرض العرب حيث أبناء إسماعيل. أم هو أرض كنعان حيث أبناء إسحاق... إن بيت إبراهيم موزع بين هذه المواطن كلها.. فهو لم يتخذ له موطنا معينا ومستقرا ثابتا يتعين معه اعتباره وطنا ثانيا له ولبنيه... وانما هي سنة الهجرة المكتوبة على سائر الأنبياء «فما من نبي الا وقد هاجر» (حديث شريف) وكذلك سنة انعدام التوراث بين الأنبياء

«نحن معشر الأنبياء لانورث» (حديث شريف) فلا يورث الأنبياء لبنيهم لا موطنا ولا منزلا ولا أي شيء مادي.. وإنما هي شريعة الله يتركونها لأتباعهم المومنين ويوصون بها أبناءهم بعدهم...

فيبقى أبناء إسماعيل وأبناء إسحاق.. تجري عليهم سنة الحياة والقانون الإلهي الطبيعي الذي يجري على الخلق جميعا في شئون الأوطان والمواطنة... فمن حافظ منهم على موطنه واستقر فيه بصفة دائمة مستمرة وراعى شروط المواطنة والمجاورة الحسنة صح له ولمن تعاقب منه أن يكون لهم الحق الكامل في الوطن الذي ارتضوه وارتضاه لهم آباؤهم وأجدادهم ـ كحال أبناء إسماعيل الذين ارتضوا المنزل الذي أسكنهم فيه جدهم إبراهيم وأقرهم فيه السكان الأصليون وعاشوا فيه أحقابا وأعقابا حتى عدوا من خيرة أهله ومن جملة العرب الخلص (المستعربين) وبعث منهم خير الخلق أجمعين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم...

وأما أبناء إسحاق فقد ساءت حالهم بعدا أبيهم إبراهيم سواء فيما بينهم وجيرانهم الكنعانيين الفلسطينيين وبينهم هم أنفسهم... فقد ظلوا في شغب دائم وفتن متواصلة مع جيرانهم وضد أبناء عمومتهم إسماعيل... يكيد بعضهم لبعض ويفسدون في الأرض.. وخاصة ما تواتر عن الأسباط أبناء يقوب من الكيد لأبيهم يعقوب ولأخيهم يوسف.. الأمر الذي استجوب ارتحالهم بصفة جماعية إلى مصر ليعيشوا في أرغد عيش بكنف أخيهم يوسف الذي كادوا له من قبل... ومكن الله له وجعله على خزائن مصر حسب قصته المشهورة.. فكان هذا هو جلاؤهم الأول عن منازلهم بفلسطين أو الجلاء الثاني باعتبار جلاء جدهم الأول عن بابل.. وهم بمصر لا ينتسبون إلى جدهم الأعلى إبراهيم ولا إلى جدهم الأدنى إسحاق وإنما أصبحوا يعرفون ببني إسرائيل منذ ذلك الحين نسبة إلى أبيهم يعقوب المكنى



بإسرائيل والوافد معهم إلى مصر.. وكانوا من قبل يدعون بالعبرانيين إشارة إلى أنهم قوم رحل لا يستقرون في مكان... أخذا من كلمة «عبر» المشتركة بين العربية والعبرية التي تعنى عابر سبيل وعابر الوادي... ومنها أخذت كلمة «العبرية» لأن لغتهم نشأت معهم وهم في حالة البداوة والترحال في البراري والقفار منعزلين عن العمران... بدليل أنهم لما أخذوا في الاستقرار ومساكنة أهل الحواضر تناسوا لغتهم شيئا فشيئا إلى أن اختفت ولم تعش إلا نحو ألف سنة... إذ ظهرت بينهم حوالي 1400 ق. م. ثم ماتت حوالي 200 ق.م. بفعل انتشار اللغة الآرامية والسريانية في المناطق التي يتقلبون فيها.. (كتاب اللغات السامية لفنسون).

وبعد أحقاب طويلة تقدر بما ينيف عن مائتي سنة قضوها بمصر بين يسر وعسر ورخاء وشقاء واستبداد حينا من جانبهم واستعباد أحيانا من جانب المصريين بعث الله فيهم موسى عليه السلام إليهم وإلى فرعون وملئه يدعوهم إلى توحيد الواحد القهار.. ولقى في ذلك عنتا شديدا... استطاع أثناءه أن يخرج بقومه بني إسرائيل حوالي 1210 ق. م. ويخلصهم من كيد فرعون وتعقبه إياهم بفضل معجزات من الله.. وسار بهم إلى أن وصل البراري الكائنة

لقد ظل بنو إسرائيل في أرض التيه بعد موسى إلى أن هلك منهم جميع أفراد الجيل الذين صعدوا من مصر حسبما تقول التوراة ولم يبق منهم إلا اثنان يوشع الذي استخلفه موسى وشخص آخر - وكان الجيل الجديد أشد شكيمة وأقوى عزما فقادهم يوشع واقتحم بهم أرض كنعان فلسطين التي قاومتهم وأبت أن تؤويهم مرة أخرى لما عرفت من كيدهم وخبث طواياهم... ولكن قائدهم يوشع استطاع أن ينتزع منهم مدينة أريحا وبعض القرى المجاورة لها في الجنوب الشرقي لفلسطين ولم يستطيعوا أن يصلوا إلى ما سوى ذلك لا غربا ولا شمالا.. وقد تحدثت التوراة عن هذا الانتصار الضئيل بشيء من الابتذال إذ ذكرت (سفر يوشع) ان دخولهم إلى أريحا كان بمساعدة امرأة زانية تدعى راحاب دبرت لهم من الداخل مكيدة الدخول.. وأن يوشع كافأها بتركها على قيد الحياة حين أباد جميع سكان المدينة ذكرهم واناثهم واستباح كل ما وجد فيها واجتاح كل مرافقها ومنافعها بطريقة وحشية فظيعة اتبعها في سائر القرى المجاورة وصارت سنة متبعة لمن أتى بعده من الغزاة العتاة زاعمين أنها تنفيذ لأمر إلههم بنص التوراة المشار إليه. لقد علق على ذلك المؤرخ ول ديورانت في كتابه (قصةالحضارة) بأننا لانعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الاسراف في القتل والابادة.. وان يوشع أقام حكمه على قانون الغاب (د. شلبي - كتاب - اليهود).

ولعل غزو يوشع هذا (المزعوم انه نبي مرسل) هو اول إسفين غرزه الإسرائيليون في جسم فلسطين الشهيدة والمهددة منهم باستمرار زاعمين ان الههم وعد جدهم إبراهيم بأن جعلها ضمن الأراضي التي قطعها له يوم خروجه من بابل المشمولة بما بين العراق ومصر حسب خريطة إسرائيل المثبتة على حائط الكينيست اليهودي.. كما هي مثبتة في نص التوراة الوارد في نسخة العهد القديم.. ولكن سيأتي في هذا البحث ان نصوص العهد القديم مشكوك فيها جملة



بشرقي سيناء وصحراء النقب.. فاستعصوا عليه بين خوف وهلع وجوع وظمأ.. وظلوا يتيهون هناك زهاء أربعين سنة وهو يدعوهم لقتال أعدائهم الكنعانيين فيقولون **«اذهب أنت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون»** ويقولون **«اجعل لنا آلهة كمالهم آلهة»** ويقولون : أطلعتنا من خيرات مصر لنموت في هذه البرية جوعا وعطشا.. ادع لنا ربك ليسقينا ويطعمنا.. فانفجرت حجارة هناك عيونا ونزل عليهم المن والسلوى.. وما شكروا بل ازدادوا كفرا باتخاذهم عجلا من ذهب يعبدونه من دون الله حينما غاب عنهم موسى ليلقى ربه على جبل الطور ويتلقى منه التوراة والألواح... فما وسع موسى إلا أن يدعو ربه **«رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي هارون فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين»** عقب ذلك توفاه الله هو وأخاه في وقتين متقاربين بعد أن استخلف عليهم يوشع بن نون أحد أتباعه المخلصين فكان هذا هو الجلاء الثالث لبني اسرائيل.. الذي انتهى بهم إلى أرض التيه الأكبر وليس الآخر.

وتفصيلا وان الحاخامات هم الذين كتبوها حسب أهوائهم وميولهم... وبالتالي فهم الذين كتبوا ونسبوا إلى الههم ما زعموه في شأن وعد الله جدهم إبراهيم بأن يستأثر وحده بسائر أراضي الخريطة المزعومة دون أن يكون الحق فيها لأحد من سكانها الأصليين ولا للحاليين.. ودون أن يكون لهم الحق في استبدالها ولا التعويض عنها... وإنما هكذا بجرة قلم يخسرون جميعا كل حق فيها.. وفي غيرها أبد الدهر إرضاء لطائفة باغية طاغية.. محصورة في بني إسرائيل أبناء يعقوب بن إسحاق دون أبناء إسماعيل بن إبراهيم.. ماهو هذا المنطق.. وما هذا الهراء الذي ما زال اليهود يرددونه عبر القرون والاجيال حتى صار يملأ الاسماع والاصقاع... وحتى إذا سلمنا جدلا بأن إبراهيم تلقى ذلك الوعد من ربه وهو منزه عن ذلك.. فإننا أسلفنا في هذا الحديث بأن الأنبياء قاطبة لا يورثون في شئونهم الدنيوية والمادية. فكل ما يتركونه يصير لأتباعهم عامة لا على وجه الارث المعلوم بل صدقة عمومية يستوي فيها الخاص والعام. زد على ذلك أن اولاد الأنبياء منزهون عن تناول الصدقات .. فهذا هو فحوى الشريعة الإبراهيمة والشريعة الإسلامية المؤكدة والمصححة لها وقديما كان أبناء إسحاق الاسرائيليون لا يسلمون أن يكون لأبناء اسماعيل المسلمين أي حق في ابراهيم ولا في شريعته.. فنزلت الآية : «**ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا**» من سورة آل عمران فقطعت الآية كل حجة لأبناء إسرائيل وأبطلت كل ما يدعون من خصوصيات ومزاعم لاسند لها لاعقلا ولا تاريخيا فلم يبق إلا أن حاخاماتهم افتروا على الله وعلى ابراهيم وكتبوا بأيديهم مازعموه من وعد الله لهم بفلسطين وما حولها من الأقطار.

وما أحسب هذا الوعد المكذوب على الله الا كوعد بولفور المشؤوم الذي صرح بن كريون زعيم اليهود المشهور في مذكراته بأنه هو الذي كتبه بيده وقدمه لكبير وزراء الانجليز بولفور فأمضاه على الفور ورده إليه ثم مضوا جميعا في تنفيذه تحت ضغط اليهود والصهيونية العالمية (انظر مذكرات بن جريون).

وماذا فعل يوشع بعد ان احتل جانبا صغيرا من رقعة فلسطين بطريقة الغشم الآنفة الذكر... انه نصب نفسه حاكما وقسم ما استولى عليه من الأرض بين عائلات اولاد الأسباط الاثنى عشر وحدهم لكون آبائهم هم الذين غادروا فلسطين أفذاذا وعادوا إليها جموعا غزاة.. وميز بينهم اولاد ليفي المعروفين باللاويين المتصدرين في الشئون الدينية.. وما أشبه الليلة بالبارحة .. وقد علق المؤرخ سميح على هذا الحادث بأن يوشع كون «شعبا» من اشتات العبيد الهاربين من فرعون. هذا فيما يخص التلال الداخلية وأما مدن الساحل كغزة ويافا وعكا فإنها بقيت في يد بني كنعان الفلسطينيين مما سهل عليهم مقاومة الغزاة بمعاونة سكان النواحي المجاورة من فينيقيين وسوريين ومصريين.. فكانت الحروب لاتنقطع بين الطرفين أحقابا طوالا إلى أن تولى داود ملكا لبني إسرائيل فاستطاع أن يقتل ملك الكنعانيين (جوليات في التوراة وجالوت في القرآن) ويستولي على بعض ممتلكاته ويتخذ أورشليم القدس عاصمة ملكه... وقد ترك ذلك لولده سليمان صاحب المعجزات والأعمال الباهرة ومنها بناء المعبد المعروف بهيكل سليمان.. ولكن مملكته لم تتعد نهر الأردن ولا وصلت إلى النقب والعقبة جنوبا ولا انها تجاوزت البحر الميت شرقا ولا ما بين غزة وعسقلان غربا.. وإنما هي شريط مستطيل يحاذي النهر والساحل إلى الجولان ولبنان بإسقاط بعض الأطراف التي ظلت على مقاومتها المستمرة.. وفي هذا الصدد كذب المؤرخون ما زعمه اليهود من ان ملك سليمان امتد إلى الأقطار المجاورة لفلسطين مبينين ان رقعة ملكه لاتتجاوز مساحة 27 ألف كيلومتر

المربع أي أقل من ثلث سيناء... وان ما تتحدث عنه بعض الكتب السماوية من سعة ملك سليمان فالمراد به سعة نفوذه المعنوي في النفوس أو سعته بالنسبة إلى بعض الملوك الصغار المجاورين له في المنطقة.. يقول ويلس في كتابه (معالم تاريخ الإنسانية) لم يكن سليمان في أوج عظمته إلا ملكا صغيرا يحكم مدينة صغيرة وان الكبرياء القومي هو الذي حمل كتابا متأخرين على إضفاء تهويلات وتصورات خيالية جعلت العالم المسيحي والإسلامي يعتقد ان عهد سليمان كان من الابهة والعظمة ماعز نظيره مع ان منشآت سليمان تعد من التوافه بالنسبة لمنشآت الاشوريين والمصريين.. وهي لم تقم بأيدي العبريين وإنما قامت على أيدي أهل الشمال الفينيقيين وحتى إذا وضعنا هيكل سليمان بجانب كنائس الأمم فإنه يبدو كإحدى كنائس الضواحي.. ويرى غوستا ولوبون نفس الرأي في كتابه عن تاريخ اليهود قائلا : لم تكن بنايات سليمان غير تقليد سيء لبنايات المصريين والكلدانيين.. (عن د. شلبي - اليهودية).

ويدل على صحة ما ذكره المؤرخون ان مؤسسات سليمان سرعان ما انهارت واندثرت بمجرد موته وقيام اولاده باقتسام مملكته الصغيرة إلى دولتين : مملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها شكيم (نابلس) ومملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها أورشليم (القدس) وقد ظلت المملكتان في حروب مستمرة بين فئات الأسباط ونيران الاحقاد.. إلى أن ذهبت ريحهما ودهمتهما القوات الأشورية بقيادة الملك الأشوري سرحون الثاني الذي قضى سنة 721 ق.م. على مملكة إسرائيل الشمالية وأسر أهلها جميعا وأجلاهم إلى بابل (موطنهم الأصلي) ثم لقيت مملكة يهوذا نفس المصير سنة 586 ق.م. على يد ملك بابل نبوخت نضر (بختنصر) الذي نهب أورشليم (القدس) ودمر هيكل سليمان وأسر أهلها جميعا فتم بذلك الأسر البابلي المشهور والقضاء المبرم على مملكة اليهود الوهمية التي لم تؤسس من أول يوم على أساس طبيعي وإنما أسست على جرف هار من الظلم والطغيان ـ فكان ذلك هو الجلاء الرابع بالنسبة للجلاءات السابقة.

ونشير إلى أن المدة التي قضاها الإسرائيليون بفلسطين هذه المرة هي زهاء خمسة قرون من أول دخول يوشع إليها حوالي سنة 1140 ق.م. إلى الأسر البابلي في التاريخ الآنف الذكر.. فقد علق غير واحد على هذه المدة القصيرة بأنها أشبه بالمدة التي قضاها الهولانديون في اندونيسيا والانجليز في الهند... وزاد بعضهم أن البابليين العراقيين الذين حرروا بالأمس فلسطين من اليهود ينتظر منهم كعرب مسلمين أن يحرروها من جديد من نفس الطائفة الطاغية ومع سائر العرب والمسلمين ـ ولكن الملاحظ ويا للأسف ان الفرس الوثنية المجاورة للعراق البابلية ،فقت إذ ذاك وقفة معاكسة تجاه البابليين لصالح اليهود الأسرى في بابل.. وهو نفس موقف الايرانيين اليوم في معارضة العراقيين ومناصرة الإسرائيليين..

وذلك ان ملك فارس قورش الطاغية تمكن من التغلب على ملك بابل وفتح الأقطار المجاورة بما فيها فلسطين فبادر بتحرير اليهود من اسر بابل وخيرهم بين المقام أو الرحيل إلى حيث يشاءون فاختار بعضهم العودة إلى فلسطين فعادوا إليها تحت رياسة أحد أحبارهم المعروف بعازر (عزير في القرآن) لكن قورش اشترط عليهم ألا يباشروا فيها عملا جماعيا يؤدي إلى إقامة دولتهم من جديد وإنما يقيمون فيها كأفراد وطوائف دينية تسمح لها ببناء معبد صغير مكان الهيكل المدمر ويبقون في جميع شئونهم خاضعين للسلطة الفارسية يؤدون لها الخدمات الثقيلة ويدفعون الضرائب والاتاوات الباهظة مما جعلهم يتململون من جديد ويتشوفون إلى من يخفف عنهم هذا العبء.. لذلك بادروا إلى الترحيب بالاسكندر الأكبر لما

زحف على فلسطين سنة 320 ق. م. كما رحبوا بالبطالسة بعده.. ثم بالرومان الذين اكتسحوا فلسطين سنة 63 ق. م. وحاولوا ترضية اليهود بأن سمح لهم القائد الروماني هيردوس ببناء- هيكل سليمان سنة 20 ق. م... غير أن اليهود قاموا بثورة ضد الرومان فأمر الامبراطور الروماني تيطس بتدمير أورشليم واحراق الهيكل مرة أخرى.. ولما لم يردع هذا الاجراء غلواء اليهود أمر أدريانوس سنة 125م. بازالة معالم المدينة ومحو الهيكل تماما وتسوية أرضهما وزرعها بالحبوب كما أمر سنة 135م. ليخلص من اليهود بتاتا بالقتل والتشريد... فقتل من قتل وهرب من هرب إلى الأقطار القريبة والبعيدة : الجزيرة العربية وشمال إفريقيا وبلدان البحر الأبيض المتوسط وأوربا واسبانيا وروسيا وسواها.. فكان هذا هو الجلاء الخامس وقطع دابر اليهود...

هذا وانه يحسن بنا أن نأتي هنا بآيات قرآنية كريمة أشارت إلى بعض أطوار اليهود الماضية التي حاولنا استعراضها واستخلاص بعض نتائجها الوخيمة.. كما أشارت إلى ما ينتظر منهم من التمادي في الضلال والافساد وإلى ما ينتظرهم إذا لم يرعووا من عقاب إلهي عاجل وآجل... وهي قوله سبحانه في سورة الاسراء : **«وقضينا إلى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا. إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها. فإذا وعد الآخرة ليسئوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا، عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا»... صدق الله العظيم.**

ويدل على خلو فلسطين من العنصر اليهودي أيام الحكم الروماني الأخير أن الفتح الإسلامي لما حل بفلسطين سنة 636م. وجدها خالية من اليهود مما سهل مهمة المسلمين بها.. وكذلك وجدوا أن السلطات المسيحية التي سلمت المدينة للفاتحين المسلمين وعلى رأسهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كانت أحرص ما تكون على بقاء المدينة المقدسة في أمان دائم من وجود اليهود بها ومن خوف عودتهم إليها تحت ظل الحكم الإسلامي.. لذلك اشترط بطريرك النصارى على المسلمين.. ألا يسمحوا لأحد من اليهود بسكنى المدينة... فقد حاول المسلمون الوفاء بهذا الشرط لولا أن الإسلام يقف من اليهود المسالمين غير موقف المسيحيين منهم إذ ذاك على أن الفتح الإسلامي لم يكن هو الذي جعل فلسطين عربية وانما أقر العروبة فيها من جديد لكونها عربية منذ استوطنها الكنعانيون العرب منذ أقدم العصور وظلوا يقاتلون اليهود وغيرهم عنها.. كما سيظل أحفادهم الفلسطينيون يقاتلون عنها أطماع اليهود إلى يوم يبعثون.

ان الآيات الكريمة أشارت ـ على ما قرره أكثر المفسرين ـ إلى حادثتين هامتين صدرتا من اليهود أيام طغيانهم وعتوهم واستبدادهم ببيت المقدس. وهما مرتان من مرات إفسادهم الكثيرة المتعددة.. ولكنه سبحانه خص المرتين بالذكر لأنهما كانتا سبب الدمار والبلاء الماحق الحال ببيت المقدس على أيديهم وبسبب إفسادهم..

المرة الأولى أتت من جراء الاضطراب والفتن وظلمهم السائد بعد موت سليمان وتقاتل أبنائه.. وتنازعهم حول المملكتين المنقسمتين مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل وما نتج عن ذلك من قسوة وطغيان وظلم .. فعاقبهم الله على ذلك بأن سلط عليهم ملوك بابل الذين جاسوا خلال ديارهم ودمروا المدينة المقدسة وما فيها من هيكل وعمارة تدميرا تاما ثم ساقوهم إلى بابل أسرى مذللين مذمومين.

والمرة الثانية جاءت بعد أن عفا عنهم الملك قورش الفارسي وسمح لهم بالعودة إلى فلسطين لا ليعودوا إلى سيرتهم الأولى من طغيان وكبرياء واستعلاء ولكن ليستكينوا ويلزموا جانب الطاعة ويبتعدوا عن أسباب الفتنة والافساد.. إلا أنهم عادوا سيرتهم الأولى المعهودة أيام الرومان فكثرت مخازيهم وفشا عنهم الفساد والظلم الكبير في أرجاء المدينة والإقليم.. فجاءهم العقاب العادل من الله مرة أخرى على أيدي الحكام الرومان الذين دمروا القدس والهيكل مرة أخرى ونزلوا فيهم بالقتل والتشريد حتى لم يبق أحد منهم بفلسطين..

وفي آخر الآية توعدهم الله تعالى بأنهم ان عادوا إلى فلسطين وأفسدوا فيها مرة أخرى فإن عقابه سبحانه لهم بالمرصاد.. فهاهم قد عادوا إليها كما تنبأت الآيات الكريمة .. ولا شك أن وعد الله سيحيق بهم ويحل بهم ان عاجلا وأجلا على أيدي قوم من عباده المؤمنين المسلمين .. وانه سبحانه يمهل ولا يهمل.. وان وعدا الله حق.. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

التوراة أو التورا بالعبرية ومعناها «الشريعة»!

لا يخفى ان هذا الجنس البشري - اليهود - معروف بأنه معقد تعقيدات شتى. وأن هذه العلة المزمنة ركبته منذ نشأته الأولى ولم تزايله مدى الأجيال وعبر القرون. ترى ذلك بارزا في نظرته إلى نفسه كعنصر ممتاز لا يوازيه أحد من البشر فهو سلالة الأنبياء الاعلين ومخلوق من طينة الهية خاصة لم يخلق منها أحد من العالمين وان الله تعالى جعل منه سيد المخلوقات عامة وفضله على من سواه في كل شيء لا في فترة من الفترات بل هو زعما منه السيد المطلق في ملكوت الله سخر له كل شيء ولأجله خلق كل شيء. فله الأمر والنهي والتصرف الكامل في رقاب البشر دون رقيب ولا حسيب. وأن سائر خيرات الأرض وأموالها هي كلها ملكه وحده لا يشركه فيها أحد وإذا كان منها شيء في يد الغير وجب عليه أن يستخلصها منه بأي وسيلة ممكنة ولو بالقوة والغش والخديعة. والغاية دائما تبرر الوسيلة في هذا السبيل.. وكذلك أفراد الأمم فهم جميعا عبيده وخدمه. والسيد يفعل ما يشاء في عبيده يملك عليهم كل شيء حتى الموت والحياة.. بل ان أكثر من ذلك أن اله العالمين ليس إله الناس جميعا وإنما هو إله الشعب اليهودي خاصة. وأما بقية الشعوب فلهم آلهة أخرى لاتقوى قوة إلههم لأنه في نظرهم استمد قوته من قوتهم وإرادته من إرادتهم وغناه من غناهم وحكمته من حكمتهم. وبالاجمال فإنه يسير في أفعاله وفق هواهم.. سبحانه وتعالى عما يصفون.

ولما أعوزتهم الدلائل على ما يزعمون ذهبوا يفترون على الله الكذب فيما كتبوه في التوراة من انه سبحانه قطع على نفسه عهودا ومواثيق بأن يخدمهم ويسخر لهم كل شيء ويخصهم بكل ما في الأرض وحدهم دون أمة من الأمم.. ولكن الآيات البينات جاءت تفضح مزاعمهم وتقول ، بل أنتم بشر ممن خلق.. وان الله هو الغني وأنتم الفقراء وان الله خلق مافي الأرض للبشرية جمعاء وان الله غني عن العالمين وأن اليهود أشربوا في قلوبهم العجل وكفروا بأنعم الله فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون.. وبما كانوا يفترون..

وهكذا توالت آيات الله فيهم تفضح معتقداتهم الفاسدة وتندد بسلوكهم المشين حيال الأمم وإزاء الشرائع الإلهية الماضية والباقية... وخاصة شريعة التوراة المنزلة عليهم التي حرفوها وغيزوها وشوهوها.. يخفون منها الكثير ولا يبدون إلا القليل.. وقد أتى عليهم زمن طويل كادوا ينسونها فيه أو كما تقول الآية ؛ ونسوا حظا مما ذكروا به منصرفين عنها

إلى ما أحدثوه من بدع وخرافات وإلى ما سولت لهم أنفسهم من مناكر وكفريات.. حيث عادوا بعد موسى إلى عبادة الأوثان وأنواع الضلال والبهتان رغم كثرة الأنبياء أو المتنبئين الذين يظهرون فيهم من حين لآخر حتى أنهم يعدون في بعض الفترات بالعشرات أو بالمئات، ما بين كاذب وصادق.. وقد قص القرآن بعضهم وسكت عن البعض «منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك» وأشار إلى ما أوحاه الله إليهم من الكتب والزبر والمزامير التي كانوا يتلونها ويدعون إليها بجانب التوراة الأولى المنزلة على موسى عليه السلام.

لذلك ظلت نصوص التوراة الأولى وما أضيف إليها من الزبر والمزامير تتناقلها أفواه الأحبار جيلا بعد جيل عبر مئات السنين دون أن يدون منها شيء يذكر.. إلا ما كان من بعض الألواح المكتوبة في عهد موسى وضمنها الوصايا العشر وبعض الشرائع ووضعها في تابوت العهد الذي تحدث عنه القرآن الكريم. وكان من جملة ما خلفه موسى ويحرص عليه بنو إسرائيل. يحملونه في حركاتهم ويقدمونه بين أيديهم أينما توجهوا دون أن يفتحوه ويقرءوا مافيه - وإنما كانوا يحملونه كبقية مما ترك آل موسى وآل هرون.. إلا أنهم لم يستطيعوا أن يحافظوا حتى على هذه البقية الباقية إذ ضاعت منهم تلك الألواح النفيسة كما ضاع التابوت من بعدها على ما قيل..

وقصة ذلك إجمالا أن نبي الله موسى عليه السلام صعد إلى جبل الطور وهو ما زال مع قومه في أرض التيه بسيناء وغاب عنهم أربعين ليلة يتلقى خلالها من ربه ما أوحاه إليه من نصوص التوراة التي من جملتهاالوصايا العشر والشرائع المنزلة عليه.. وأمره سبحانه أن يحفظها في ألواح حجرية مكتوبة وأن يضعها في تابوت صنع خصيصا بعناية كبيرة من طرف أصحابه لما عاد إليهم.. فكانوا يحملون التابوت وفيه الألواح المتضمنة لأصول التوراة أثناء تحركاتهم وتجولهم في صحراء التيه وكانوا يسمونه تابوت العهد.. وساروا على هذا المنوال في عهد موسى وأخيه هرون إلى أن توفيا في التيه ودفنا في مكان مجهول وبقي التابوت بين أيديهم مقفلا يتولاه الكهنة والأحبار من أبناء هرون المعروفين باللاويين أو السامريين بزعامة الحبر المعروف بيوشع الذي تمكن من الاستيلاء على جانب صغير من أرض فلسطين وتأسيس حكم طاغ وقاس.. إلى أن تولى سليمان عليه السلام وأسس هيكله العظيم وأمر الأحبار بإحضار تابوت العهد ليضعوه وما فيه من الألواح المتضمنة لنصوص التوراة في المكان المهيإ له داخل الهيكل.. ولكنهم لما فتحوا التابوت في مهرجان كبير وبين تهليل وتكبير لم يجدوا داخل التابوب إلا حجرين اثنين من الحجر الصلد فيهما بعض الوصايا..

فاختفت بذلك بقية الألواح أو على الأصح نصوص التوراة الأولى المنزلة على موسى عليه السلام - ضاعت فيما ضاع من توالي مئات السنين وتلاعب الأحبار بنصوص التوراة من أول عهدهم بها يخفون منها مالا يرضيهم ولا يبدون إلا ما يوافق أهواءهم بعد تبديله وتغييره.. «**مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله**».

هكذا ضاعت أصول التوراة الأولى ولم يدرك التاريخ منها أثرا ثابتا على وجه اليقين.. إلا ما كان من بعض الوصايا التي يرددها الأحبار في تراتيلهم على اختلاف بينهم في أعدادها وصيغتها.. إذ أنهم تناسوا اللغة التي نزلت بها فيقرأها بعضهم بالسريانية والبعض بالآرامية والمتأخرون منهم بالعبرية وحتى باليونانية واللاتينية..

وأما التوراة الموجودة بعد ذلك في أيدي الناس إلى يومنا هذا فلها قصة أخرى ربما كانت أغرب وأعجب. وذلك ان اليهود أنفسهم ذكروا في كتابهم المقدس أن أسلافهم نسوا التوراة تماما وانها لم يعد لها ذكر بعد الأحداث الفجيعة التي أتت بعد سليمان حيث مال اليهود إلى الفوضى والتمرد وإلى الزندقة والكفر بالله وإلى عبادة الأوثان.. ظلوا كذلك إلى أن آل أمرهم إلى الملك يوشيا (حوالي 598 ق. م.) الذي حاول أن يرد قومه إلى حظيرة الايمان والتمسك بالتوراة.. فأتاه أحد الأحبار واسمه حلقيا وادعى انه وجد نسخة التوراة في بيت المقدس.. فلم يسعهم إلا أن يصدقوه. وان كان العلماء المتثبتون يشكون في أمره ونسبوا إليه محاولة جمع أشتات التوراة مما تناثر منها وتناقلته الألسن وتضاربت فيه الروايات.. لأن بعض النصوص الواردة في نسخة حلقيا المزعومة لا يمكن أن تصدر من موسى كقولها في سفر التثنية «ومات موسى عبد الرب في أرض مؤاب ولم يعرف إنسان قبره إلى اليوم» وقولها «ولم يقم بعد موسى نبي مثله» إلى عبارات أخرى لا يمكن أن يقولها موسى عن نفسه مما جعل النقاد يتشككون حتى فيما يمكن أن يصدر عن موسى.. وكذلك الشأن في جل ما نسب في نسخة العهد القديم إلى الأنبياء أو المتنبئين الذين جاءوا بعد موسى فإن معظمه محض اختلاف لأن بعضهم لاوجود لهم في التاريخ ونسبت إليهم أقوال من طرف الأحبار والربانيين لأغراض دنيوية أو لغايات قومية أو لمراكز دينية يريدون الوصول إليها.. وتاريخ اليهود مشحون بهذه الافتراءات والادعاءات على الله سبحانه وعلى أنبيائه الكرام...

وأما تدوين التوراة المعروفة بالعهد القديم فإنه لم يتم عند جل الباحثين إلا أثناء الأسر البابلي أي بعد موت موسى بما يقارب ستة قرون وخاصة بعد عودتهم من ذلك الأسر الذي عاد عليهم بالخير وجمع الشمل ولم الشتات زيادة على ما اكتسبوه في بابل من التمرس على فنون الحضارة واقتبسوه من دراسة الكتب وتعلم القراءة والكتابة إذ كانوا فيما قبل أشبه بالبداة الجفاة الأميين.. وقد كان قائدهم في تلك الفترة هو المسمى عزار المذكور في القرآن باسم عزير والمكنى عندهم «ابن الله» - وقالت اليهود عزير ابن الله - تمجيدا له وتأليها على عادتهم في الإسراع بالشرك والكفر بالله لأدنى سبب.. إذ كان هذا الزعيم هو مخلصهم الحقيقي من الاسر والساعي إلى رد بعض الاعتبار إليهم وإلى جمع ما تفرق من كتبهم الدينية المنزلة على أنبيائهم موسى ومن أتى قبله أو بعده من الأنبياء الكثيرين.. وقد استخلص من ذلك ما عرف أولا بالتوراة أو بكتاب موسى ثم أضاف إليها كل ما عرف من الاسفار ونسب إلى حكمائهم وزعمائهم وسائر أنبيائهم المتقدمين عن موسى والمتأخرين عنه.. فجاء من ذلك كله ما عرف بالعهد القديم.. ولم يقف الأمر عندما جمعه عزار بل جاء آخرون بعده وأضافوا زيادات أخرى بدليل ان في التوراة أشياء أخرى حدثت بعد عزار.. مما يصح معه القول بأن كتاب التوراة بقي مفتوحا قابلا للتحوير والتغيير كلما دعت الحاجة إلى انتحال نص يقتضيه موقف سياسي أو هدف قومي من أهداف اليهود ومراميهم التي لاتكاد تنتهي.. ويصح كذلك أن يقال بأن التوراة «كتاب اليهود» أكثر من كونه كتاب الله.

حقا، انك عندما تقرأ أسفار التوراة تشعر انك تقرأ في كتاب خاص بأحوال بني إسرائيل وتاريخهم الطويل. فيه الشيء الكثير من كلام الأحبار والرهبان أكثر من كلام الله وكلام أنبيائه. ويعتني بسرد الأحداث وتقصيها مثلما تفعله الصحف اليومية ويتتبع شؤون المجتمع اليهودي وما تعرض له من نكبات وما خاض من حروب وما تقلب فيه من نعيم. وقلما يقيم وزنا للشؤون الدينية وبالأحرى ما يتعلق بما وراء الطبيعة من بعث ونشور وحساب وجزاء

وجنة ونار.. فهذه المغيبات قلما تتحدث التوراة عنها حتى قيل أن اليهود لا يؤمنون بالآخرة إطلاقا وإنما يعتقدون في الحياة الدنيا وان المرء يلقى جزاءه هنا قبل أن يموت وأن بموته ينتهي كل شيء بالنسبة إليه.. لذلك جاء الرد الفعلي من كتاب العهد الجديد الذي كتبه أصحاب عيسى عليه السلام وقد أولى أكبر اهتماماته للحياة الأخرى ودعا إلى التبتل والزهد والرهبنة ولذلك أيضا وقف القرآن الكريم من التوراة وما أضيف إليها موقف التحذير والتنبيه ـ ونَدد بتحريف اليهود لما أنزله الله عليهم وتعريضه للضياع ـ فوقف المسلمون منها نفس الموقف لا يروون من أسفارها وإصحاحاتها إلا ما أقره القرآن وأعاد صنعته وتقويمه وروايته من جديد.. وكذلك جل الباحثين فإنهم يتحرزون من الاستشهاد بما في التوراة إلا بعد أن يكون معها دليل آخر.. وقد قال أحدهم وهو من أهلها وهو ول ديورانت انه لم يصح عندنا من نصوص التوراة إلا الوصايا العشر..

وأخيرا فإن التوراة تتكون من أسفار وإصحاحات فالأسفار 39 وهي بمثابة السور.. والإصحاح كالآية..

وتوراة موسى الأولى تتكون من خمسة أسفار.

(1) سفر الخلق أو التكوين : قصة خلق العالم وقصة آدم أبي البشر وأولاده وقصة إبراهيم وأولاده..

(2) سفر الخروج : قصة خروج بني إسرائيل من مصر وما عانوه من فرعون وقاسوه في أرض التيه وفيه الوصايا العشر وتشريعات وفيه وصف تابوت العهد..

(3) سفر الأحبار اللاويين : فيه تشريعات ووصايا وحكم وأمثال وأحكام مثل كفارات الذنوب والأطعمة المحرمة والأنكحة المحرمة وطقوس وعبادات ونذر وطهارة وعبادات ..

(4) سفر العدد : فيه تقسيم الأسباط وترتيب منازلهم وفيه سيرة بني إسرائيل في برية سيناء وما بعدها وأخبار عن ثورة أصحاب موسى ضده لما قاسوه في صحراء التيه..

(5) سفر التثنية، سمي كذلك لأنه ثنى وكرر التشريعات والتعاليم السابقة كما تحدث عن الكهنة والنبوة وعن انتخاب يوشع بن نون خلفا لموسى.. وفي بقية الأسفار ذكر ماجرى بعد موسى أيام الأنبياء والأحبار المتعاقبين بأسلوب ينم في معظمه عن التذمر والكراهية والبغضاء والشحناء.. مما جعلها أبعد ما تكون عن كلام الرب الأعلى.. وان كان فيها بعض مما أوحاه الله على داود وسليمان ويحيى وزكريا وأيوب ويونس وأمثالهم من الأنبياء الصادقين ـ وقد جاء في القرآن الكريم ما يصدقه وتصح معه روايته واعتماده...

واتفق الرواة والنقاد على أن الوصايا العشر أو الكلمات العشر من أصح ما ورد عن موسى عليه السلام من ربه عز وجل في أسفار التوراة الخمسة الثابتة بالروايات وردت مكررة في سفر الخروج بصيغتين مختلفتين (الإصحاح 20 والإصحاح 34) وهي تتصل بالعقيدة والآداب.. خلاصتها :

ـ أنا الرب إلهك. أصنع ما أوصيك به.

ـ لا تسجد لإله آخر.

ـ لاتصنع إلها تمثالا.

ـ تعمل ستة أيام. والسبت للرب لا تعمل فيه شيئا. استراح فيه الرب بعد عمله ستة أيام في خلق السموات والأرض لذلك قدس الله السبت وبارك فيه.

ـ حافظ على عيد الفطر. تأكل فطيرا سبعة أيام في شهر أيب (أبريل) لأنك خرجت فيه من مصر.

ـ تقدم كل بكر من بنيك قربانا لبيت الرب تفديه وكل بكر من بهائمك.

- أكرم أباك وأمك.
- لاتقتل. لا تزن. لاتسرق.
- لاتشته بيت قريبك ولا شيئا مما لقريبك.
- لا تشهد على قريبك زورا.
- لا تذبح جديا بلبن أمه.

وهناك تشريعات كثيرة وردت في أسفار موسى الخمسة لا يتسع المقام للاقتباس منها...

التلمود : (ومعناه التعاليم)

يقول علماء اليهود - الفريسيون الربيون - ان التوراة ليست كل شيء في دينهم. إذ إن هناك تفسيرات إلى خامات وتأويلاتهم واجتهاداتهم يتناقلونها شفويا جيلا بعد جيل وهي المعروفة بالتلمود.. وأصله ما جمعه الحاخام المسمى يوضاس بعد ظهور المسيح بنحو 150 سنة في كتاب سماه المشنا ومعناه التكميل أو التكرار.. ثم أضاف إليه حاخامات آخرون زيادات وروايات في كتاب باسم الجمارا.. ومن هذين الكتابين يتكون أصل التلمود الذي يعتبره اليهود بمنزلة التوراة زاعمين أن الله أعطى التوراة لموسى كتابة وأعطاه التلمود شفاها مدعين أن أقوال الحاخامات من كلام الله.. ثم اشتط بعضهم وقال ان الله تعالى يستشير الحاخامات في المسائل المعضلة التي لا يمكن حلها في السماء..

وفيما يلي نقتبس عن الدكتور ستلبي نماذج من نصوص التلمود الخطيرة نقلا عن الدكتور روهلانج في كتابه بعنوان : الكنز المرصود في قواعد التلمود..

- مما يرويه التلمود على لسان الله سبحانه قول الله تعالى : تبا لي لأني أذنت بخراب بيتي واحراق الهيكل ونهب أولادي.

- وانه سبحانه استولى عليه الطيش يوم حلف بحرمان اليهود من الحياة الأبدية وانه ندم على ذلك حين هدأ غضبه.

وان أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أن الابن جزء من أبيه.

- وانه يجب على كل يهودي أن يمنع تسلط باقي الأمم في الأرض لتصير السلطة لليهود وحدهم.. لذلك يعيش اليهود في حرب مستمرة مع باقي الشعوب حتى يخلص لهم السلطان والثراء.

- ان الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة لأن اليهودي جوء من الله.

- وان الفرق بين الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهودي وغير اليهودي.

- وان الشعب المختار هم اليهود فقط.. أما باقي الشعوب فهم حيوانات.

وأن اليهود مالكون لكل ما في الأرض من ثراء نائبين عن الله لأنهم جزء منه.

- وأن ماجاء في وصايا موسى «تسرق قريبك» معناه لاتسرق مال اليهود وأما مال غيره فمباح لأنه استرداد لأموال اليهود من غاصبيها بأي وسيلة ممكنة سواء بالغش والربا وغير ذلك.

- وان على الأمميين أن يعملوا.. ولليهود نتائج هذه الأعمال.

- وإذا رأى اليهودي أحد الأمميين وقع في حفرة لزمه أن يشدها بحجر.

- من العدل أن يقتل اليهودي كل أممي لأنه بذلك يقدم قربانا لله.

- ان اليهودي لا يخطىء إذا تعدى على عرض الأجنبي لأن عقد نكاح الأجانب فاسد.

- ان المرأة الأجنبية كبهيمة.

- ان اليمين التي يحلفها اليهودي لأجنبي لاتعتبر يمينا.

- وفي حق المسيح يقول التلمود إن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم وأن أمه أتت به عن طريق الخطيئة..

إلى غير ذلك من التقولات والترهات التي ما زال اليهود يرددونها ويعملون لتأسيس دولتهم عليها...

البروتوكولات

وهي المعروفة ببروتوكلات حكماء وصهيون.. عبارة عن محاضر جلسات سرية لزعماء الصهيونية ودعاة العنصرية المتطرفة المتخذة سرا من لدن شخصيات يهودية عالمية.. ولكنها لحد الآن لا يعرف باليقين متى اتخذت ولا أسماء قادتها وزعمائها.. إلا أنه يرجح انها صدرت عن المؤتمر اليهودي المنعقد - بمساعي اليهودي هرتزل - ببال سويسرا سنة 1897م كرد فعل لما عاناه اليهود خلال القرن التاسع عشر في الأقطار الأوربية.. فكان مما تدارسوه وسائل الانتقام من البشرية جمعاء وطريقة التوصل إلى تنفيذ تعاليم التوراة والتلمود بين سائر الأجناس.

وقيل أن هذه البروتوكلات التي صيغت في قالب قرارات كانت مخبوءة في مكان سري لا يعرفه إلا خاصة اليهود.. الموكول إليهم أمر تنفيذها... إلى أن اكتشفت عن طريق الصدفة ونشرت سنة 1902م بروسيا القيصرية ثم ترجمت إلى مختلف اللغات وترجمها إلى العربية محمد خليفة التونسي.. وكانت نسخها تنفذ بسرعة وبطريقة محكمة غريبة لايخفى معناها ولا ما وراءها.

وهي 24 بروتوكلا كتبت في غير ترتيب ولا تنقيح كما تكتب عادة محاضر الجلسات المضطربة التي يكثر فيها اللغط والنقاش...

ومفادها أن أصحابها يرمون إلى إقامة وحدة عالمية تخضع لسلطان اليهود ولحكومة دولتهم العالمية المزمع إقامتها.. وذلك كالآتي :

توصي البروتوكلات بنشر مبادىء الشيوعية والرأسمالية والحرية والمساواة والاباحية والانحلال... والاستيلاء على الصحافة ودور النشر والاعلام.. والعمل على الوصول إلى القصور ومراكز القوة والحكم.. ثم السعي إلى إقامة حكومة في القدس تحكم العالم بطريق مباشر أو غير مباشر.. ثم تأسيس حكومة عالمية يكون مقرها بروما ويتولاها حكام من ذرية داود.

- ان حكم العالم ينتزع بالارهاب لا بالمناقشات الاكاديمية.

- ان السياسة لاتتفق مع الأخلاق في شيء.
- ان الغاية تبرر الوسيلة.
- كنا أول من صاح في الناس : الحرية. المساواة. الاخاء.. كلمات ما زالت ترددها ببغاوات جاهلة .
- الصحافة قوة نواجه بها الناس.
- ان قوة رأس المال أعظم من مكانة التاج.
- نزيد في أجور العمال ونرفع أثمان الضروريات كي تحرب صناعة الأمميين.
- نلهى الجماهير بالملاهي والملاعب.
- لن نسمح بدين غير ديننا.
- ستنهار الأديان ويصبح ملك إسرائيل بابا العالم.

واهتمت البروتوكلات بوضع برامج مفصلة للضرائب والقروض والبنوك والبورصة.. إلى غير ذلك مما يلزم لدولتهم اقتصاديا وإداريا وسياسيا وقرروا سلفا أن النظام

الملكي هو الأصيل في ذرية داود وأن النظام الجمهوري هو حكم الغوغاء.

وكنتيجة لتلك البروتوكلات.. أخذت تظهر في الأوساط الدولية مؤسسات مشبوهة مجهولة الهوية.. إلا أن طريقة تسييرها وسرعة انتشارها واقبال الاغرار عليها.. ينم عن حقيقة أمرها وانها من صنع أيدي الصهيونية ومن مشتقات البروتوكلات الموضوعة لإفساد المجتمعات وزرع بذور الدولة اليهودية العالمية.

الماصونية

ولعل أشهر وأخطر تلك المؤسسات المشبوهة هي ماعرف الماصونية التي أسسها الصهاينة حديثا وزعموا انها قديمة العهد جدا ترجع إلى أيام البابليين والفراعنة وانها كانت منتشرة في ربوع الشرق الأوسط باسم الماصونيين أي البنائين.. وأياما كان فإن أهداف الماصونية أو بالأحرى خطورتها تتجلى في صيغة القسم الغريب المفروض على المنخرطين فيها ان يرددوه على مسامع القائمين عليها.. وهو : أقسم بمهندس الكون الأعظم انني لا أفشي أسرار الماصونية ولا شعاراتها ولا أقوالها وتعاليمها وأن أصونها مكتومة في صدري إلى الأبد. أقسم بمهندس الكون الأعظم ألا أخون عهد الجمعية وأسرارها لا بالإشارة ولا بالكلام والحروف وألا أكتب شيئا منها ولا أنشره بالطبع أو بالحفر وبالرسم والتصوير.. وأرضى أن حنث في قسمي أن تحرق شفتاي بحديد ملتهب وان تقطع يدي ويحز عنقي وتعلق جثتي في محفل ما صوني.. ثم يحرق ويذري رمادها في الهواء (من كتاب الماصونية منشئة ملك إسرائيل لمحمد علي الزغبي.. نقلا عن د. شلبي) فهو قسم فظيع يكاد يفشي هو نفسه أسرار هذه المنظمة الخطيرة.. على أن العضو العادي لايقبل فيها إلا بعد اختبار شديد وامتحان عسير.. وأما العضو البارز فإنه لايكون إلا يهوديا أوتربى في أحضانها وبرهن على أنه لايكترث بدين ولا وطن.. وفوق هؤلاء فريق الحكماء يرأسهم الحكيم الأعظم الذي هو مصدر السلطة على جميع المحافل الماصونية.. بيد أن أعضاء هذا الفريق لا يعرفهم أحد ولا أين يجتمعون.

ونظرا لخطورة هذه المنظمة أصدر الباب مرسوما يحظر الاشتراك والانتماء إليها.. ولم يصدر مثل هذا المرسوم في جميع الدول العربية رغم قيام إسرائيل بين ديارها..

الرّوتاري

وزد على الماصونية الهيئة الأخرى المعروفة بأندية الروتاري.. وهي التي أسسها يهود أمريكا تحت ستار الاخاء الإنساني.. وهذه الأندية مبثوثة في سائر العواصم والمدن الكبرى . جعلوا من أهدافها الظاهرة التقارب بين الأديان والتآخي بين الشعوب ووراء ذلك أن يتسرب اليهود إلى البيوت ويندمجوا في الأوساط قصد جمع المعلومات وبث أسباب البلبلة والحيرة والشك وصرف الناس عن معتقداتهم وتقاليدهم وشغلهم بسفاسف الأمور عن القيام بأعمال هامة لخدمة البلاد.

وأندية الروتاري مثل الماصونية لايقبل فيها إلا الشخصيات التي لاتحوم حولها شبهة من أصحاب الأسماء اللامعة والألقاب الفخمة ممن يعتبرون قمة المجتمع من حيث الفكر أو المركز.

فهذا أحد مفكري الشرق العربي ـ أنيس منصور كتب في إحدى الصحف يقول : اشتركت على سبيل العلم بالشيء في إحدى جماعات الروتاري منذ أكثر من عشر سنوات.. في اليوم الأول كان حفل غذاء ـ والغذاء أهم حدث أسبوعي في جمعيات الروتاري.. وفي أثناء الغذاء أو بعده كان يقال لنا : جاءنا اليوم مستر كوكو من اليابان وهو

عضو الروتاري المركزي في طوكيو ويحمل إليكم تحيات السيد اكوما الرئيس الفخري.. ويعلو التصفيق ثم يتبادل الزائر الياباني ورئيس الروتاري المصري الأعلام. ومع التصفيق يجلس الزائر لنسمع عن زائر آخر.. وهكذا غذاء وتصفيق وأعلام.. ولا شيء بعد هذا..

ولهذا يمكن القول انه لامعنى لعضوية الروتاري إلا إذا كان الإنسان خاليا لاعمل له ولا دور له في أي مجال (من جريدة الأخبار ـ 20 ـ 5 ـ 1973).

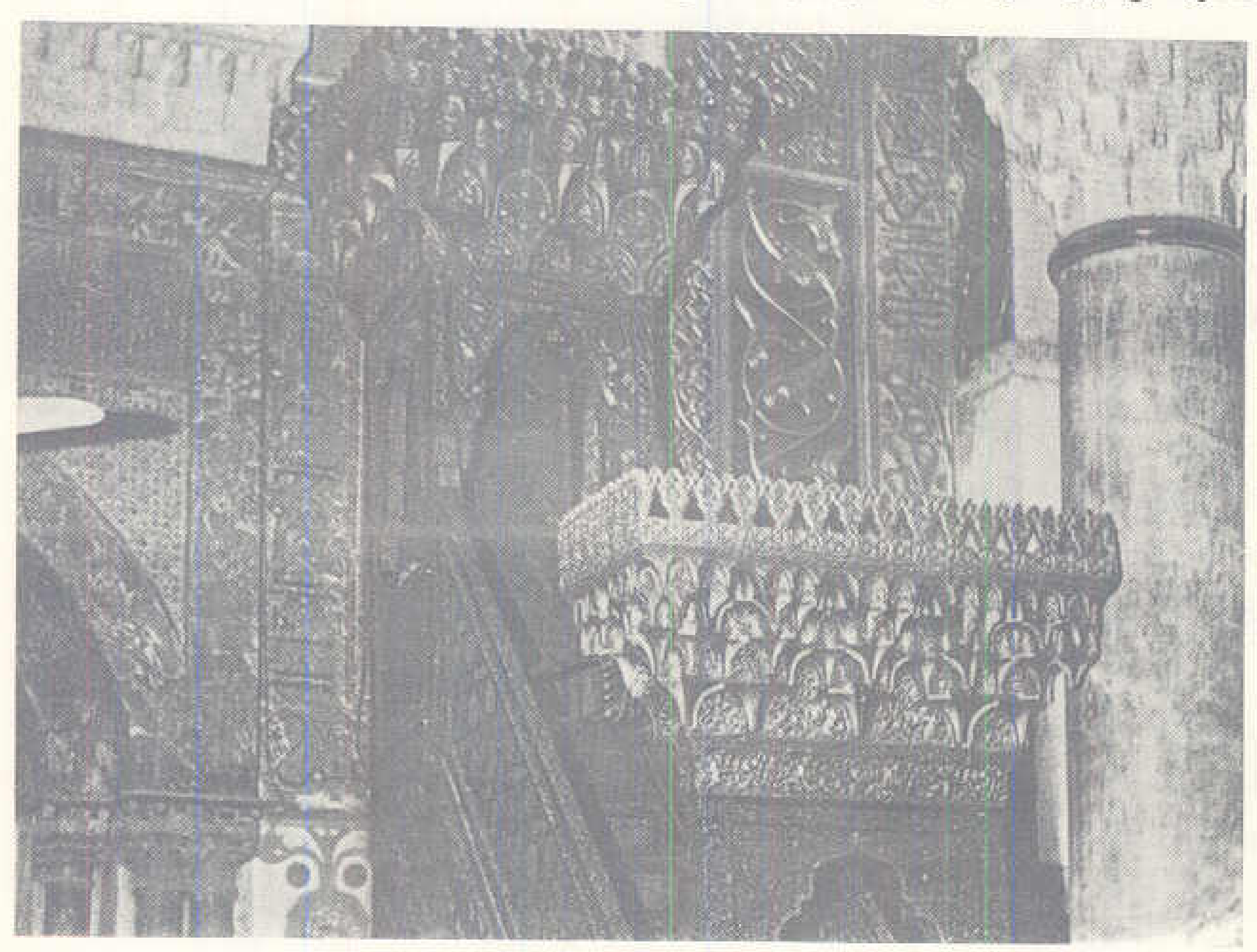
ولهذا بادر البابا وحرم في 20 ـ 12 ـ 1950 أندية الروتاري كما حرم من قبل الموصوفية لما يحيط بهما من الشبهات ولما فيهما من أخطار وأضرار...

ومع ذلك فإن الحصول على عضوية الروتاري أعز من الحصول على بيض الأنوق. فانها العضوية الوحيدة التي لاتسمح لأي إنسان أن يتقدم إليها بل الشرط الأساسي فيها أن يفاجأ المحظوظ بأنه مرشح إليها. حيث أن أصحاب النادي هم الذين يختارونه بعد التحريات والبحث الطويل.

ومن هذا القبيل توجد مؤسسات وجمعيات أخرى خطيرة يضيق المقام عن تتبعها وفضح أسرارها فليقس مالم يقل.

وبعد.. فهذا العرض ضئيل مما قصدت إليه في التذكير بآفات هذا الشعب اليهودي وعجره وبجره عبر تاريخه الطويل حيال الأجناس البشرية وإزاء الشرائع الإلهية والكتب السماوية.. وفي ذلك ذكرى لمن أراد أن يذكر وعبرى لمن أراد أن يعتبر...

الرباط ـ رضا الله ابراهيم الإلغي



اللقاء الإسلامي الأول من أجل القدس

للأستاذ زين العابدين الكتاني

النتيجة التي تأكدت للعالم الإسلامي، ولخصوم الإسلام أن الأمة الإسلامية وهي تعقد بمدينة الرباط بالمملكة المغربية أول مؤتمر لها يوم الاثنين 9 رجب 1389 الموافق 22 شتنبر 1969. قد اهتدت إلى سبيل اللقاء الإسلامي وانها مقبلة على وحدة لها أهميتها في عالم اليوم. وفي عصر التكتلات والتحالف. وأن قوتها ستصبح قوة تستطيع أن تلعب دورها في هذا المحيط الصاخب.. وبين هذه المعسكرات التي يجمعها فقط النفع المادي من جهة. والتكالب الاستعماري من جهة ثانية. وذلك ما يشير إليه العلامة هارولد سميث بقوله :

((ينبغي أن نذكر أن الأخوة الإسلامية تظهر أقوى ما تظهر عندما يهدد العالم الإسلامي، أو أي قسم من أقسامه مصدر غير إسلامي، وانها تجنح أن تنسى حين لا يهدد الجماعة خطر وشيك من الخارج. ومع ذلك فإن هذه الرابطة قوة حقيقية، وفي الإمكان أن تصبح عامل تقوية في العالم الإسلامي كله)).

والحقيقة أنه إذا كانت الأقدار الإلهية قد شاءت أن يفترق المسلمون طويلا أو يتباعدون. فإن هذه الإرادة وهي الأقدار شاءت أن يجتمع المسلمون في أقصر مدة. وعندما أصيب ثالث الحرمين الشريفين فتحققت بذلك المعجزة. وتأكد الاستعمار بكل صوره. والصهيونية بتحالفها أن الإسلام لا زال قوة قادرة. وأن المسلم لا زال قويا وقادرا على تحمل رسالته.. وإذا كانت (مائدة الرباط) قد جمعتهم ووحدت صفوفهم. فإن (لقاء الحرمين) يضع لبنة جديدة للإنطلاق الشامل.

• • •

وتؤكد كل الوقائع أنه منذ خامس يونيو 1967 والدول الإسلامية جميعها تتابع بكامل الدقة والحذر التطورات المحيطة بالشرق الأوسط والوضع الذي أصبح يعيشه.

وقبل أقدام الإستعمار الصهيوني المتحالف على إحراق المسجد الأقصى كانت المخالفات التي ارتكبها هذا الاستعمار بالخصوص في الأراضي المحتلة ترتكز على ما يلي :

ثانيا : على ضوء اجتماع مجلس الدفاع المشترك يبحث مجلس الجامعة موضوع اجتماع مؤتمر القمة العربي.

ثالثا : تأكيد أهمية عقد مؤتمر قمة إسلامي. وأن يعهد إلى المملكة المغربية والمملكة العربية السعودية بإجراء الإتصالات اللازمة من أجل عقد هذا المؤتمر.

رابعا : ضرورة العمل من أجل توفير كافة الإمكانيات المادية والسلاح اللازم للثورة الفلسطينية. ودعم قدرة الشعب الفلسطيني على الصمود في الأرض المحتلة.

هذا وقد أقر مجلس وزراء خارجية الدول العربية خطة موحدة للوفود العربية في الدورة المقبلة للجمعية العامة للأمم المتحدة ـ (2).

ولقد علق مختلف الملاحظين **((إن وزراء الخارجية العرب وجدوا أنفسهم في الجلسة الأولى أمام ثلاثة اتجاهات))** :

الأول : يدعوا إلى مؤتمر قمة عربي بأسرع وقت ممكن، تقدمت به القاهرة والأردن.

والثاني : يدعو إلى مؤتمر قمة إسلامي وبأسرع وقت ممكن أيضا وقد تقدمت به الرياض والرباط.

والثالث : يدعو لاجتماع قمة للدول العربية المحيطة بفلسطين المحتلة، على أن تقدم بقية الدول العربية والإسلامية كل ما تستطيعه من مساعدات ودعم في معركة تحرير المقدسات والأراضي المحتلة تقدمت به دمشق (3).

وأكد كل المقربين من الوزراء يومئذ أن الاجتماع كان يسوده جو من الرغبة في تجاوز الخلافات الجانبية. افتقدته اجتماعات الجامعة منذ عدة سنوات، مما جعل عملها يقتصر على عدة جلسات استمرت يومين فقط. لأن البحث انحصر فيما يجب عمله لمواجهة الاعتداء الإسرائيلي على المقدسات الإسلامية في القدس.

ونتيجة للتوصية التي أقرها وزراء الخارجية وهي تكليف المملكة المغربية والمملكة العربية السعودية للتحضير لهذا المؤتمر خصوصا **((وأن للمغرب علاقات وطيدة مع بعض الدول الإسلامية ولا سيما الافريقية منها))** (4) وتحركت الديبلوماسية العربية في الاتجاه الجديد وعقدت اللجنة التحضيرية اجتماعاتها بالرباط لوضع الترتيبات النهائية وصدر عقب انتهاء أعمالها البلاغ التالي :

((اتفقت اللجنة التحضيرية المكونة من ممثلي الدول الآتية : إيران ـ الباكستان ـ الصومال ـ المملكة العربية السعودية ـ ماليزيا ـ النيجر ـ المغرب ـ التي عقدت اجتماعاتها بالرباط يومي 8 و 9 سبتمبر سنة 1969 على أن تقترح على رؤساء دول أو حكومات الأقطار الإسلامية عقد مؤتمر قمة إسلامي بالرباط فيما بين 22 و 24 سبتمبر 1969 وذلك للتباحث في موضوع المسجد الأقصى، ومدينة القدس الشريف.

وقد أعرب أعضاء اللجنة التحضيرية عن امتنانهم وشكرهم لصاحب الجلالة الحسن الثاني وحكومته على الحفاوة البالغة والضيافة الكريمة التي خصصت لهم)).

وتحركت الديبلوماسية المغربية لتطبيق الاتفاق حيث أمكنها أن تسجل بكل اعتزاز تطبيقها الحرفي لمقررات وزراء الخارجية واللجنة التحضيرية.

---

(2) البلاغ بالنص الحرفي.

(3) مجلة (الأسبوع العربي) اللبنانية (عدد : 1 ـ 9 ـ 1969، ص : 21).

(4) نفس المصدر.

1 - لقد فقد الصهاينة كل شعور إنساني فضربوا المدينة المقدسة من الجو وبالمدفعية. وترتب عن ذلك الأضرار بالأماكن المقدسة.

2 - في شهر يونيو 1967 ضربت اسرائيل المسجد الأقصى وأصابت بابه الأوسط بمدفعيتهم حتى حطموه وأصابوا احدى مآذنه إصابة مباشرة وهي مئذنة (باب الأسباط). وأصابوا قبة الأقصى نفسه وقبة مسجد الصخرة المقدسة إصابات مختلفة.

3 - هدموا المسجدين الموجودين في ساحة المبكى أحدهما هو مسجد البراق الشريف.

4 - أزالوا تماما جميع الأبنية في المكان المعروف بحارة المغاربة وهي من أوقاف أبي مدين الغوث وغيره.

5 - انتهكوا حرمة جميع المقدسات بالدخول إليها في حالات منافية للآداب مما أثار السكان المسلمين، ودفعهم لتقديم مذكرات الإستنكار والإحتجاج وإعطاء صور عنها لقناصل الدول الموجودين في القدس العربية.

6 - قرروا ضم القدس العربية بما فيها من مقدسات إلى القسم الآخر المحتل سابقا من القدس. وبذلك خالفوا قواعد القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة التي تمنع المحتل من أن يضم إليه أية أرض احتلها.

7 - لجأوا إلى إعلان امتلاكهم لمساحة من الأرض هي الوحيدة التي بقيت للعرب في القدس وتصلح لإقامة ابنية عليها وقد استعملوها لاسكان آلاف المهاجرين اليهود.

8 - لجأوا أيضا إلى إخراج عدد من السكان المسلمين الذين يرون في وجودهم بالمنطقة المحتلة إزعاجا لهم وخطرا يهدد سلامتهم وأمنهم لعدم انصياعهم لإرادتهم. ولاستمرارهم في الدعوة للمقاومة بشتى أساليبها.

9 - أقدموا على حريق المسجد الأقصى عمدا لإقامة معبد يهودي مكانه.

10 - ولا زالت سلطات الاحتلال ممعنة في خططها الجهنمية التي تقضي على مظاهر الإسلام في المدينة، وإظهارها بمظهر المدينة اليهودية. ولا يزالون مستمرين في هدم مسجد الصخرة المشرفة لإقامة بناء الهيكل مقامه ولذلك فإنهم بواسطة سلطات الاحتلال أخذوا مفتاح أحد أبواب المسجد الأقصى وهو المسمى بباب المغاربة ووضعوا يدهم عليه (1).

ونتيجة لهذا الوضع الشاذ اتفقت دول الجامعة العربية لعقد اجتماع لوزراء خارجية دولها بالقاهرة يومي 25 و 26 غشت 1969 وتمخض من أعمالها صدور البلاغ التالي الذي يعتبر الوثيقة الأولى لعقد أول مؤتمر قمة إسلامي :

((اعقد مجلس وزراء الخارجية العرب دورته الطارئة يومي 25 و 26 من اغسطس سنة 1969 على إثر الجريمة النكراء التي اقترفتها اسرائيل باحراق المسجد الأقصى المبارك تلك الجريمة التي أثارت موجات من السخط والغضب في ارجاء العالمين العربي والإسلامي وانحاء الأرض. وقد تبين للمجلس أن اسرائيل المعتدية قدمت الدليل القاطع على ما تدبره ضد المقدسات الإسلامية والمسيحية والوجود العربي في الأرض التي تحتلها بقوة السلاح. ورأى المجلس أن طريق القوة والتنظيم والإعداد هو طريق التحرير وعلى هذا فقد قرر المجلس ما يأتي :

أولا : أن يوجه الأمين العام للجامعة العربية الدعوة إلى اجتماع هيئة الدفاع المشترك في الأسبوع الأول من نوفمبر القادم (1969) للنظر في الخطط اللازمة لحشد جميع القوة العربية ضد العدوان الإسرائيلي ودعم الثورة الفلسطينية مما يكفل لها الاستمرار والنمو لتحقيق النصر.

(1) ملخصة من دراسة أعدت بفلسطين حول انتهاك الصهاينة لحرية المقدسات (قدمت لأول قمة إسلامية سنة 1969 بالمغرب).

بوادر (معجزة القرن)

وكان انعقاد أول مؤتمر للقمة الإسلامي مجرد حلم. بل وكان الإعلان عنه يعتبر مجرد تخدير للأعصاب وتهريج. ولكنه أصبح بعد قليل وبمجرد الإعلان عن موعد انعقاده بالمغرب إعلانا قويا يوضح في جلاء انبعاث أمة أرادت أن تواجه التحدى. بالمعجزات وانها تستطيع كل شيء.

وانطلقت «قواعد الردع» في الغرب الاستعماري بالخصوص تقوم بالغارات التقليدية فكتبت (مثلا) :

1 ـ صحيفة «الكارديان» الإنجليزية تقول :

«انه من غير المتوقع أن ينتهي المؤتمر الإسلامي المنعقد في الرباط بقرارات رنانة فيما يختص بالنزاع العربي الإسرائيلي».

2 ـ وكتبت صحيفة «الفيغارو» الفرنسية تقول :

إن عقد مؤتمر قمة إسلامي هو في الحقيقة مؤتمر غريب. فنادرا ما تتم أعمال من هذا النوع بالرغم من التنافس وسوء التفاهم ومن الغريب أن نتصور أن حريق المسجد الأقصى يمكن أن يجمع على مائدة واحدة ثوريا جزائريا. وامبراطورا لإيران وملكا سعوديا وثائرا جديدا في ليبيا. وقالت : إن كل المراقبين حتى المعروفين بصداقتهم للقضية العربية يشكون في امكان عقد هذا المؤتمر».

3 ـ وعلقت وكالات الأخبار العالمية من جهتها على نفس القرار فقالت مثلا « يوينتد بريس» :

«إن خطر حدوث انقسام يخيم بظله فوق المؤتمر ـ قبل أن ينعقد ـ وأن الديبلوماسيين العرب تنبأوا. حتى قبل افتتاح المؤتمر بحدوث صدام بين الدول العربية الواقعة على خط المواجهة مع اسرائيل. والدول الأخرى التي ترغب في أن يقصر المؤتمر مناقشته على مستقبل الأماكن المقدسة».

4 ـ وقالت وكالة الأنباء الفرنسية من جهتها :

«إن المراقبين يتوقعون حدوث مواجهة بين «المتشددين» و «المعتدلين». وأن المتشددين يرون إعلان الجهاد المقدس. بينما يطالب المعتدلون بسياسة تضع في الاعتبار ظروف الموقف. ولا يستبعد المراقبون أن يحاول الملك الحسن الثاني التوفيق بين الاتجاهين بحيث يتم تعبئة العالم الإسلامي على أساس غير حربي. ويضيف المراقبون أن هناك شكوكا تساور بعض الأوساط العربية حول إمكان التوصل إلى نتائج عملية في مؤتمر القمة».

5 ـ وقالت وكالة اسوشيتد برس :

إنه ليس للمؤتمر جدول أعمال رسمي. وأن من المتوقع أن يتخذ قرارات ـ بأدانة ضم اسرائيل للقدس. وإحراق المسجد الأقصى. لكن دون أدانة شاملة لإسرائيل.

●●●

وشاء الله سبحانه وتعالى أن يتم النصر. وأن تتحقق المعجزة الكبرى معجزة القرن. فتم اللقاء كما تقرر «بوسفه التقاء الرباط أحلام الاستعماريين والساعين للتفريق بين المسلمين. وأقام الدليل على أن المسلم أبعد ما يكون عن العنصرية الضيقة والتزمت الديني الأعمى. بل أن المسلمين يشعرون عن جدارة ووعي بقوتهم السياسية والبشرية وإمكانية تسخيرها لخير شعوبهم. ولصالح الإنسان» (5).

وكانت أول دعوة وجهت لعقد مؤتمر قمة إسلامي انبثقت بعد الاجتماع الإسلامي الكبير الذي انعقد بموقاديشو بالصومال سنة 1964. وكانت آخر دعوة لنفس

(5) افتتاحية جريدة (العمل) التونسية (عدد : 26/9/1969 ـ ص : 1)

المؤتمر دعى إليها جلالة الملك الحسن الثاني بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف سنة 1969.

أما الظروف والأحوال المحيطة التي سارعت إلى هذا الإجتماع فتتمثل في السببين التاليين :

أولا : «دعوت أنا شخصيا - يقول جلالة الحسن الثاني - في وقت آخر إلى فكرة مؤتمر قمة إسلامي لا لتجمع لفقهاء الشريعة الإسلامية وأساتذتها. ولكن القادة السياسيين الذين في إمكانهم الإلتزام باسم بلدانهم على الصعيد القومي والدولي».

ثانيا : إن الأحداث التي جرت مؤخرا في الشرق الأوسط وخصوصا منها حريق المسجد الأقصى بالقدس قد أثارت موجة من السخط في العالم الإسلامي سواء في افريقيا أو آسيا..))

وأمام خطورة حدث كهذا اجتمعت الجامعة العربية يوم : 25 و 1969/9/26 واقترحت الجمهورية العربية المتحدة أن يطلب من المملكة العربية السعودية الدعوة إلى عقد مؤتمر قمة إسلامي. وفي نفس الوقت الذي قبل فيه المرحوم جلالة الملك فيصل الطلب. أبرز أنه لم يكن المحرك الوحيد للفكرة. ومن ثم لم يكن من اللازم الإستشارة مع المغرب فحسب. ولكن وجبت دعوته لإعداد هذا المؤتمر.

وعدنا إلى الجامعة العربية التي كفلت العاصمتين الرباط والرياض بالدعوة إلى عقد مؤتمر قمة إسلامي دون أن تحدد لا زمان ولا مكان ولا مراحل إعداد هذا المؤتمر.

وبعد استشارات متعددة وبعد اجتماع اللجنة التمهيدية في الرباط (يوم : 1969/9/8) قررت هذه اللجنة توجيه الدعوة مباشرة وبدون إعداد سالف من طرف وزراء الخارجية للدول الإسلامية لعقد مؤتمر قمة في الرباط.

غير أن المغرب والدول التي وجهت الدعوة اليها أصروا على أن يعقد هذا المؤتمر في أقرب الآجال وذلك لسببين اثنين :

السبب الأول : كان من المرغوب فيه أن يكون في إمكان وزراء خارجيتنا إلا يتوجهوا إلى الأمم المتحدة إلا وقد اتخذوا موقفا مشتركا لجميع الدول المسلمة.

السبب الثاني : إن أحداث العالم تتداخل وتتابع بسرعة كبيرة مما جعلنا نخشى أن يحدث لا قدر الله في عالمنا الكثير من الإضطراب حيث يقلل من الأهمية النوعية التي كان يكتسبها حريق المسجد الأقصى في نفسه (6).

وتحت شعار : **((لا إله إلا الله محمد رسول الله))** افتتح المؤتمر. وابتدأ المؤتمرون تدارس الرغبة في **((جمع صفوفنا وتوحيد كلمتنا.. بعد أن استعمرنا وانتصب على أرضنا الدخيل، عدو الديانة الإسلامية فصار ذلك عارا ملصقا بنا وبمعتقداتنا (7) انطلق الرائد الحسن يوضح بكل قواه أن ((المنتظر منا أن لا نخيب رجاء الذي ينتظر أعمالنا، والمنتظر منا أن نعطي للعالم فكرة جديدة على تجمع المسلمين فكرة الفعالية، فكرة العمل، فكرة الواقعية، فكرة الايجابية)) (8)** وأسدل الستار. ووقف الضيوف خلف الأبواب. وانطلق المتحدثون فيما بينهم يتهامسون ويتحدثون وفي اتجاه واحد تحدثوا جميعا. وفي اتجاه واحد تنافس هؤلاء وهم يتأكدون أنهم الآن

---

(6) الندوة الصحفية لصاحب الجلالة الحسن الثاني (يوم : 26/9/1969)

(7) خطاب صاحب الجلالة الحسن الثاني في افتتاح المؤتمر.

(8) نفس المصدر.

مئات الملايين في افريقية وآسية وأوربة. بل وفي كل مكان وبقعة أنهم يمكن أن يمضوا جميعا في طريق واحد لتحقيق ما يريدون وما ينتظر منهم ليجددوا مكانتهم ولينتشلوا واقعهم من تلك الهوة التي ترديوا فيها منذ نصف قرن أو يزيد ولم يجدوا منقذا يمد إليهم اليد ليخرجهم إلى النور وليردهم إلى مكانتهم الطبيعية باعتبارهم خير أمة أخرجت للناس خصوصا وأنهم حققوا المعجزة وسيحققون المستحيل بعد أن اجتمعوا. وتحطمت كل الحواجز وذابت كل العقبات وتيسر كل شيء. ((ولو انفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم. ولكن الله ألف بينهم)).

وإذا كان اجتماع أول مؤتمر للقمة الإسلامي حدثا يتسم بكثير من الوضوح. وانطلق من تفكير جديد. وعمل لغاية جديدة. فإن ذلك ما يفسره طابع أعمال الجلسات الخاصة التي تجاوزت ((مرحلة الديبلوماسية السرية...)) (9).

●●●

وبعد ، فإن القرارات التي تمخض عنها المؤتمر «ترتكز ـ كما أكد جلالة الحسن الثاني على دعائم صلبة من الإيمان بالإسلام، ومن جهة أخرى على إرادة المسلمين الحارة في اجتماع الكلمة، وتوحيد الصفوف» (10) لأن المؤتمر كما قال الأمين العام لجامعة الدول العربية «فتح الطريق أمام عصر جديد للدول الإسلامية، لتصل باذن الله إلى خلق وحدة إسلامية عالمية، تتوحد في موقف واحد أمام العالم... «وتستطيع أن ترتفع فوق الخلافات القائمة بين بعضها البعض سواء كانت خلافات في الاتجاه الدولي بين دول صديقة للغرب، ودول صديقة للشرق، أو خلافات في النظم الداخلية بين دول ملكية ودول جمهورية، أو خلافات مذهبية بين دول رأسمالية ودول اشتراكية... ونستطيع بذلك أن نخلق قوة متحدة في شخصيتها الاسلامية ومتحدة في إحساسها بالإستهانة التي تواجه بها إسرائيل كل المسلمين.. وتستطيع هذه القوة أن تساهم مع قوى عالمية أخرى في توجيه الضغط على اسرائيل حتى تحد من أطماعها، وتحد من قدرتها على الاعتداء وعلى التحدى... وتستطيع هذه القوة أن تؤثر في كل المؤتمرات والاجتماعات الدولية)) (11).

وكل هذه العوامل هي التي دفعت المغرب لقبول هذا التكليف متأكدا أن ابتعادنا عن التوفيق في واقعنا الحالي وخصوصا في الشرق الأوسط يكمن في السلوك القائم بين الإخوة. المرتكز على التدخل من جهة. وعدم احترام الاتجاه الخاص من جهة ثانية.

ونحن نتأكد أن السؤال المطروح حتى الآن على لسان المواطن العادي في كل البلاد الإسلامية هو :

كيف يحقق العرب والمسلمون نصرا في قضاياهم وهم يصارعون بعضهم بعضا تحت ضغط الأديولوجيات الإستعمارية والإستغلالية. ويستهدفون بخلافاتهم في وضوح نسف الكيان المسلم. والحرية التي استردتها شعوبهم بعد حرب تحريرية استمرت أكثر من نصف قرن أو يزيد.

إن أمامنا قضايا ومشاكل. وأمامنا تحول في التاريخ والمفهوم الإنساني. فيجب علينا أن نراجع مواقفنا من جهة نحن المسلمين. ونراجع ملفات قضايانا. والطروح التي تقوم بها.. خصوصا بالنسبة لقضية المسلمين قضية القدس ؟

---

(9) نفس الندوة المشار إليها في الطرة رقم : 6.

(10) جريدة (الأخبار) القاهرية (عدد : 5386 ـ 1969/9/29 : ص 1).

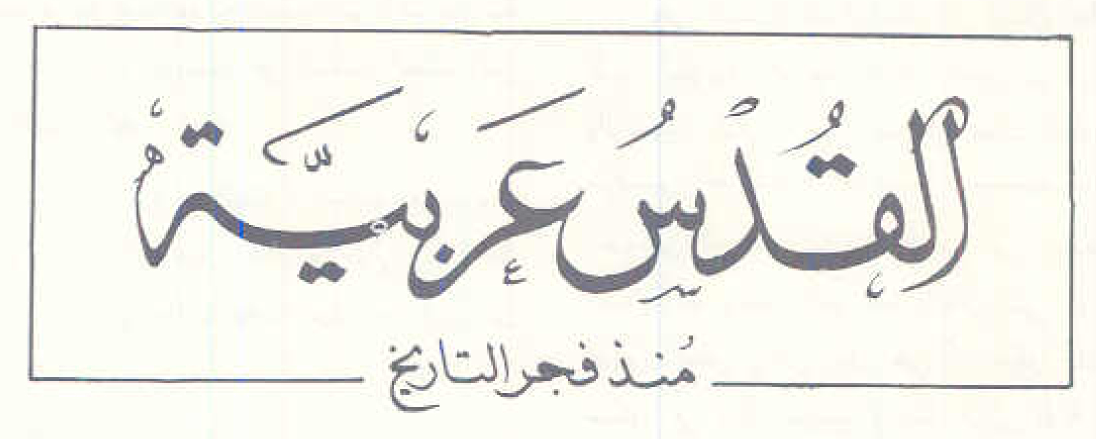
(11) نفس المصدر.

ذلك ما ننتظر الالتقاء حوله على مائدة الأخوة الإسلامية التي تمتلك من القوة والوحدة ما يزيد في غضب التحالف الإستعماري الصهيوني. وفي تكالب الإستعمار الجديد بكل صوره وأطماعه.. وهو أيضا ما زال يطرحه جلالة الملك الحسن الثاني رئيس لجنة القدس في أكثر من مناسبة. ((وضع قضية القدس الشريف في إطارها الحقيقي، باعتبارها تمثل أعنف تحد للمجتمع الدولي، وأقسى إهانة للتاريخ الإنساني، ذلك أن الأمر لا يتعلق بحسابات استراتيجية أو معطيات سياسية، ولكنه يتعلق بعدم احترام مشاعر المسلمين ومشاعر المسيحيين واليهود أيضا، ويتعلق بانتهاك مقدسات ترتبط بالوجود الحضاري لأمة الإسلام، وهو مالا يمكن أن يقبله أي انسان (12).

ز ـ الكتاني



(12) جريدة (الأنباء) المغربية (عدد: 5271، 4 أكتوبر 1980 - ص 1 و 2).



للأستاذ رفيق النتشه

موقعها وجغرافيتها :

تقع القدس على خط الطول 35 شرقا وعلى خط العرض 34 شمالا وتبعد عن نهر الأردن مسافة أربعين كلم إلى الغرب وعن ساحل البحر الميت 65 كلم. وتقوم المدينة على أربعة جبال :

جبل موريا (ومعناه المختار) القائم عليه مسجد الصخرة والمسجد الأقصى.

وجبل صهيون ويعرف بجبل النبي داود ومعناه الجبل المشمس الجاف وهو يشكل الجزء الجنوبي الغربي من جبل بيت المقدس الأربعة (ومنه أخذت الحركة الصهيونية اسمها ومن المعروف تاريخيا أن هذا الجبل هو ملك للعرب منذ ستة آلاف سنة، وان اسمه (صهيون) اسم عربي كنعاني).

وجبل أكرا حيث توجد كنيسة القيامة.

وجبل بزيتا ويقع بالقرب من باب الساهرة.

وتقع المدينة كلها تاريخيا قديمة وحديثة على سلسلة جبال القدس ضمن هضبات ذات مرتفعات تعلو أكثر من 800 متر عن سطح البحر وتتراوح حرارة الجو فيها ما بين 10 درجات سنتجراد كحد أدنى و 35 كحد أعلى. وجوها معتدل الرطوبة وهو أقرب إلى الجفاف.

وتحيط الجبال مدينة القدس من جميع الجهات، كما تحيطها ثلاث مدن (بيت لحم - بيت جالا - بيت ساحور) و 27 قرية.

ويحيط بالمدينة سور عظيم لا زال قائما إلى اليوم، وكان أول من بناه السلطان سليمان القانوني العثماني منذ سنة 1536 م ودام بناؤه خمس سنين وللسور 24 برجا وسبعة أبواب هي :

باب الأسباط من الشرق - باب الساهرة وباب العمود (بوابة دمشق) من الشمال - الباب الجديد في الشمال الغربي - باب الخليل أو (بوابة يافا) من الغرب - باب النبي داود وباب المغاربة من الجنوب - بالإضافة إلى عدة أبواب جانبية مغلقة.

القدس عربية منذ فجر التاريخ :

تعتبر القدس من أهم المدن في العالم لما تتمتع به من مكانة مقدسة من الديانات الثلاث ، الإسلام، والمسيحية، واليهودية.

ويعود تاريخ هذه المدينة المقدسة إلى أكثر من ستة آلاف سنة عندما حل اليبوسيون في المنطقة الجبلية التي تقع عليها القدس حاليا.

واليبوسيون هم فرع من القبائل الكنعانية العربية وهم الذين أسسوا القدس لأول مرة في التاريخ حوالي سنة 4000 ق.م بعد أن أقاموا في مكانها وفيما حولها عدة قرون من الزمان.

وقد كانت أرض مدينة القدس في ابتداء الزمان صحراء بين أودية وجبال وهي خالية لا بناء فيها ولا عمارة. فأول من بناها واختطها ملك اليبوسيون وكان يلقب بمليكصادق.

ومما حكى في أمر بناء القدس في تواريخ الأمم السالفة أن مليكصادق نزل بأرض بيت المقدس وقطن بكهف من جبالها يتعبد فيه واشتهر أمره حتى بلغ ملوك الأرض الذين هم بالقرب من أرض بيت المقدس. وبالشام وسدوم وعدتهم اثنا عشر ملكا فحضروا إليه فلما رأوه وسمعوا كلامه اعتقدوا فيه وأحبوه حبا شديدا ودفعوا له مالا ليعمر به مدينة القدس فاختطها وعمرها وسميت بروشليم.

فلما انتهت عمارتها اتفق الملوك كلهم أن يكون مليكصادق ملكا عليها وكنوه بأبي الملوك وكانوا بأجمعهم تحت طاعته واستمر حتى مات بها.

وقد اكتشفت في أراضي القدس وما حولها مواقع أثرية تدل على حياة بشرية تعود هذه المواقع إلى العصور الحجرية كلها قديمة ومتوسطة وحديثة. أي منذ أكثر من عشرة آلاف سنة (2).

وفي أثناء الالف الرابعة قبل الميلاد هاجرت من قلب الجزيرة العربية قبائل العموريون والكنعانيون واليبوسيون الذي تفرعوا عنهم من جهات الخليج العربي شرقي الجزيرة العربية ويقول العالم ابطوماس المختص بدراسة القدس في جامعة إيرلندا الشمالية أنه وجدت آثار هذه القبائل التي هاجرت إلى نواحي القدس والتي تدل على أن موقع المدينة كان مسكونا في ذلك التاريخ أي منذ حوالي ثلاثة آلاف سنة قبل قدوم العبرانيين إلى القدس (3).

وقد وردت في رسائل تل العمارنة وهي رسائل كتبت على ألواح من الطين بعث بها حاكم القدس العربي (حيبا) وحكام غيره من المدن الفلسطينية والسورية يستنجدون بفرعون مصر من هجمات العبرانيين (العبيرو) الذي كانوا قد بدأوا يدقون أبواب فلسطين سعيا وراء الرزق وذلك خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد (4).

لقد ثبت تاريخيا بما لاشك فيه أن القدس مدينة عربية بناها العرب (اليوسيين) منذ حوالي ستة آلاف سنة وسموها (أورشليم) وذلك قبل دخول داود عليه السلام إليها بنحو ثلاث آلاف سنة.

وبهذه المناسبة نود أن نبين :

أن اسم أورشليم كنعاني عربي.

وأن جبل صهيون وهو أحد الجبال المحيطة بالقدس هو جبل عربي واسمه عربي.

---

1) أنس الجليل.
1) القرآن الكريم.
2) السنة النبوية.
3) أنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ـ القاضي مجير الدين الحنبلي.
4) القدس العربية ـ محمد أديب العامري.

والعبرانيون الذين دخلوا القدس بقيادة داود ليسوا جنسا أو عرقا صافيا من الأجناس السامية العربية أو الهندية أو الأوربية أو غيرها . بل هم باجماع المؤرخين خليط متنوع جدا من البدو وقطاع الطرق والعبيد.

وأن اسم إسرائيل، وهو اسم عربي كنعاني، أطلق على مكان في فلسطين كما يقول علماء الآثار ومنه أخذ اسم يعقوب (إسرائيل) عليه السلام. هذا وأن موجة القبائل التي كانت بقيادة داود عليه السلام والتي احتلت القدس وأنشأت دولة فيما حولها لم يتجاوز اتساعها أكثر من 130 ميلا في أطول أطوالها و 60 ميلا في عرضها. هذه الدولة لم تدم أثناء حكم داود وسليمان عليهما السلام أكثر من سبعين عاما بصورة مستمرة.

ومنذ سنة 1000 ق.م حين فتح داود القدس إلى سنة 1948م يوم أعلن قيام دولة إسرائيل بقرار غير قانوني من هيئة الأمم وهي مدة تقرب من 3000 سنة أخرى لم يحكم اليهود القدس بصورة متواصلة إلا سبعين سنة زمن داود وسليمان. وحتى هذه لم تخل من الخضوع للفينيقيين من جهة وللمصريين من الجهة الأخرى. وما كان حكمهم في مملكتي يهوذا والسامرة الا مثل حكم ممالك المدن التي عرفت بالقدس والخليل ومجدو وغزة وغيرهما قبل غزو العبرانيين وبعدها فليس لهما في حقيقة الأمر حساب أكثر من حساب مملكتين من ممالك المدن الكنعانية التي كانت تملأ السهول والجبال. أما فترة (الحكم المكابي) فلم تكن إلا فترة حكم ذاتي في زمن محدود ضمن الحكم اليوناني في القدس.

كما نستطيع أن نقول دون زلل أن اليبوسيين والكنعانيين ظلوا حكام القدس والبلاد وسكانها منذ بداية السكن (5000 ـ 4000 ق.م) حول القدس. ومنذ إنشاء هذه المدينة المقدسة نحو 4000 ق.م وإلى سنة 1000 ق.م لم يتعرض حكمهم معترض إلا فترة الهكسوس (150 سنة) والشعوب التي ذكرناها وبالتأكيد لم يكن لها تأثير على عدد السكان أو لغتهم أو حضارتهم. وهذا أيضا في حالة مالا يكون الهكسوس عربا أو ذوي أكثرية عربية وتلك مدة من الحكم والوجود العربي طولها 6000 سنة على أقل تقدير (5).

ومن المعروف لدى المؤرخين أن اليهود الذين سكنوا القدس أيام داود وسليمان كانوا قليلي العدد لأن اليبوسيين لم يغادروا مدينتهم ولأن المدينة لم تتوسع إلا بقدر زهيد زمن سليمان لحساب قصوره والهيكل الذي بناه وتتحدث التوراة في أكثر من موقع عن غزارة عدد الكنعانيين.

وقد تناول ظاهرة استمرار الجنس العربي في القدس وفلسطين منذ أقدم العصور أكثر من باحث أجنبي فكانت خلاصة ما وصلت إليه السيدة فرنسيس اميلي نيوتن عضو الجمعية الملكية البريطانية أن العرب لا اليهود هم أصحاب تلك الصلة التاريخية الثابتة المتمادية غير المنقطعة، وعند السير جيمس فريزر أن الناطقين بالعربية من فلاحي فلسطين هم ذراري القبائل التي استوطنت فلسطين قبل الغزوة الإسرائيلية وأنهم ما زالوا متصلين بالأرض لم ينفكوا عنها ولا أقلعوا منها ولئن طغت عليهم الفتوحات موجات فإنهم ثبتوا وأقاموا. ومن المعلوم أن فلاحي البلاد كانوا دائما الأكثر عددا.

وقد عاشت في القدس خلال القرن الماضي السيدة (اي .أ. فيمن) زوجة القنصل البريطاني في فلسطين مدة تقرب من عشرين سنة وهي تدرس أحوال القرويين الفلسطينيين وبخاصة حول مدينة القدس. ومع أن دراسة

5) قضايا عربية معاصرة ـ د. اسحق موسى الحسيني.

السيدة فين تعتمد على التوراة كمرجع رئيسي وتتأثر بها فإنها قد خلصت إلى القول بأن (لا العادات ولا التقاليد تحول بيننا وبين القول بأن الفلاحين الحاليين هم أنسال الكنعانيين القدماء وحتى اللغة العربيةنفسها التي يتكلمون بها الآن لا تعتبر مانعا من هذا القول)، وتلاحظ السيدة فين أن ليس هناك دليل أثري أو غير أثري يدل على أن السكان الأصليين لفلسطين قد خرجوا منها أو رحلوا عنها في أي فترة من الزمن. بل هي تشير إلى تأثر السكان اليهود بهم (أي العرب) بالتزواج وبالتكلم باللغة العربية في حين أن أطفال اليهود كانوا لا يفهمون اللغة العبرية (6).

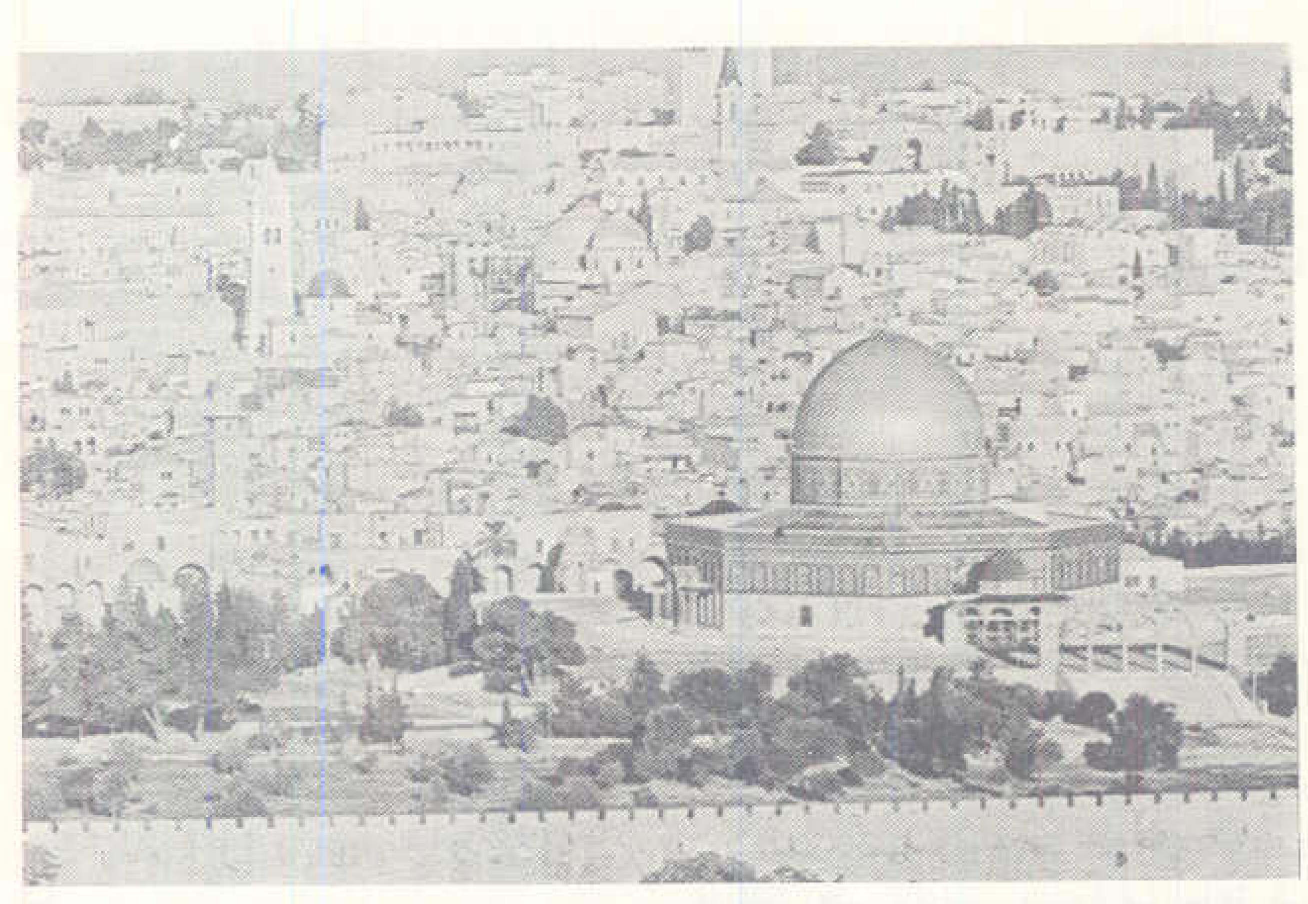
وقد قال برايت الامريكي ونوث الألماني وكلاهما مؤرخ إسرائيلي كما قالت الدكتورة كنيون البريطانية وصاحبة التنقيبات الاثرية في أريحا والقدس أن العبرو جماعات لاتنتسب إلى عرق واحد لأنه لم يكن لافرادها أسماء تدل عليهم ولم يكونوا يحترفون حرفة معينة فهم أحيانا جنود مرتزقة محترفون وأحيانا عمال عاديون وأحيانا عبيد مستخدمون. والصفة الوحيدة المشتركة بينهم أنهم كانوا (أجانب) عن البلاد غرباء دون أصول معروفة ودون جذور في الأرض وكانوا هم يقولون عن أنفسهم أنهم غرباء كما كان يخاطبهم الناس على أنهم كذلك. وأنسب ما كان يطلق عليهم أنهم عصابات مغامرة وجنود تسعى وراء الرزق. يظهرون في الأماكن المضربة غزاة للمدن غير المحصنة ويتجندون كمرتزقة في جيوش الدول القوية ومثل هذه الجماعات التي تفتش عن أرض غنية تغزوها ولذلك تكون ذات أصل مختلط كانوا يتألفون من حويين وحثيين وآسيويين من وراء الجبال والأنهر التي تحيط بالهلال الخصيب كما كان يلجأ إليهم جماعات من البدو المعوزين أو الخارجين على مجتمعاتهم من الهلال الخصيب وجزيرة العرب (7).

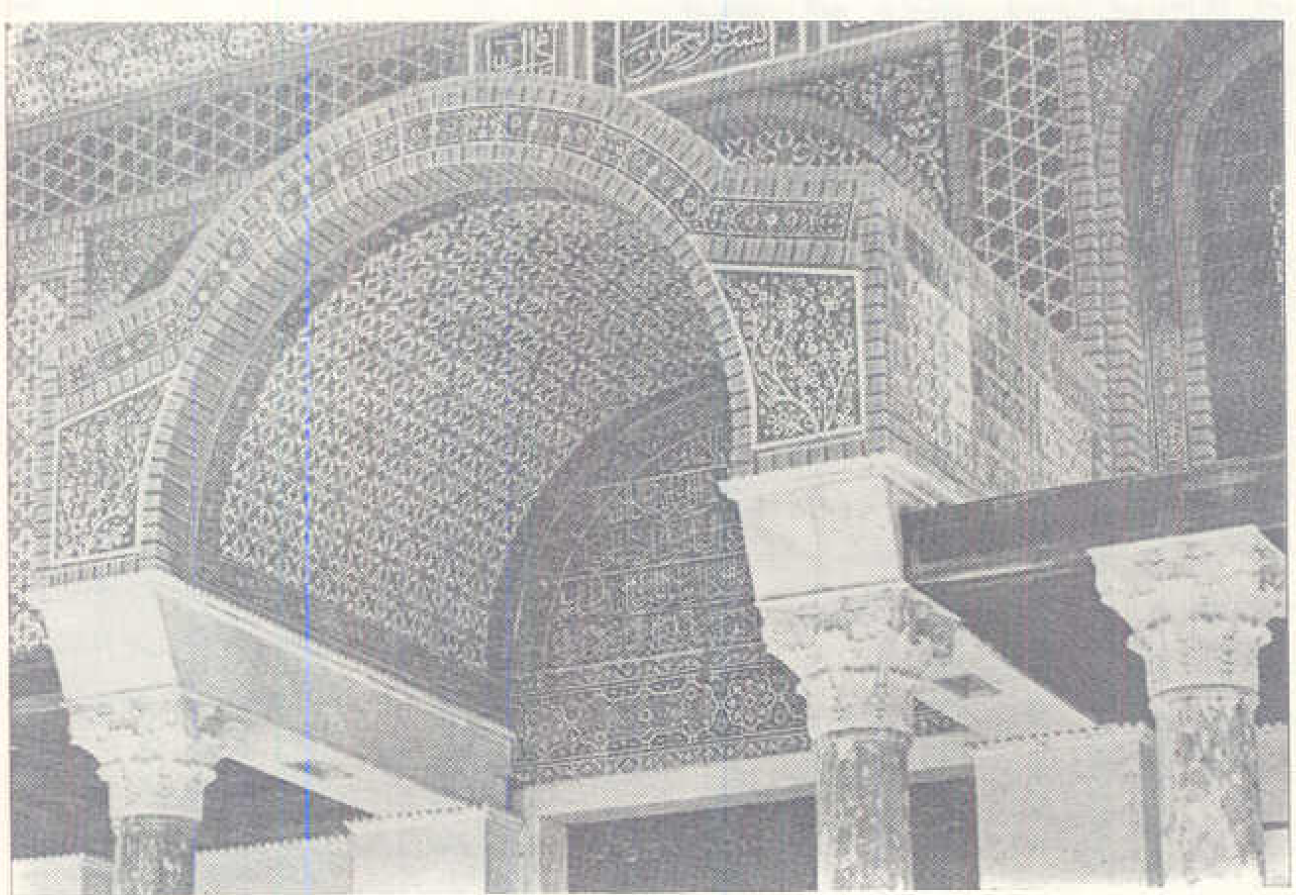
ووصف المؤرخ برستد مقاومة القدس لعدوان العبرانيين فقال : «وحين دخل العبرانيون فلسطين وجدوا فيها الكنعانيين يقيمون في مدن الزاهرة تطوقها الأسوار الضخمة فلم يستطيعوا أن يفتحوا منها الا مدن ضعيفة. حتى أورشليم هزئت بحملات مهاجميها العبرانيين بضعة قرون».

وقد درج الاسرائيليون على وسائل النهب والاغتصاب وطرد السكان من أراضيهم منذ فترة أوضاعهم العبرية ومن الغريب أن تصبح هذه الوسائل بعدئذ في تراثهم أمرا دينيا من ربهم فحول النهب والاغتصاب يخاطب الرب قوم إسرائيل كله ويقول : «اني سأقودك إلى مدن عظيمة جديدة لم تبنها، بيوت مملوءة كل خير لم تملاها وابار محفورة لم تحفرها، وكروم زيتون لم تغرسها وأكلت وشبعت» الخ...

ولا يملك اليهود من مساحة القدس القديمة غير نحو 40 دونما. أي 4 ٪ من المساحة. وتقع هذه ضمن الحي اليهودي في الجهة الجنوبية وسط المدينة وفي بعض الأحياء الأخرى. ولا يملك اليهود من أراضي الحي اليهودي نفسه أو من مبانيه إلا جزءا زهيدا لا يتجاوز 15 ٪ و 85 ٪ منه أوقاف إسلامية على الرغم من الاسم الذي أطلق على الحي. وهذا ينطق بالساحة التي كان العرب المسلمون والمسيحيون يعاملون بها اليهود.

6) قضية القدس . د. خيرية قاسمية.
7) فضائل القدس ـ الامام ابن الجوزي.





ولا يملك اليهود آثارا أو أماكن دينية مهمة على الرغم من الضجة العالمية والعويل الطويل ولكن لهم عرفا تقليديا في البكاء خارج القسم الجنوبي للحائط الغربي للحرم الشريف الذي هو ملك إسلامي ويدعى اليهود أن هذا الحائط أثر من هيكل سليمان. والحقيقة التاريخية تغاير ذلك كله المغيرة. فقد دمر هيكل سليمان كله أكثر من مرة تدميرا تاما ولم تكشف الحفريات طوال مائة سنة عن أثر لأي شيء يتعلق بالهيكل.

لم يكن اليهود يملكون من أرض فلسطين عند الاحتلال البريطاني عام 1918م أكثر من 2 ٪ أي نحو 162500 فدانا من أصل (6580755) فدانا. أما عند انتهاء الانتداب عام 1948م وعلى الرغم من جميع المحاولات التي بذلوها خلال فترة الانتداب مما سيأتي بيانه فلم تزد ممتلكاتهم على 5.67 ٪ من مجموع الأراضي أي 372.925 فقط.

وقد ورد في التوراة المكتوبة عشرات النصوص تدل على أن القدس وفلسطين أرض الكنعانيين واليبوسيين وأنهم غرباء على تلك الأرض.

وإذا جاز لمن حكم بعض فلسطين لمدة سبعين سنة متصلة أن يدعى حقا بامتلاكها، فمن الطبيعي أن يكون كثير من الشعوب أحق من اليهود بفلسطين منهم الفرس الذين حكموا القدس 200 سنة متواصلة. واليونانيين 300 سنة متواصلة، والرومان الذين حكموها 700 سنة، واستنادا إلى هذا المنطق يحق للعرب أن يطالبوا باسبانيا التي حكموها 800 سنة متواصلة.

ولكن مع الاسف الشديد بالرغم من سخف هذا المنطق وثبوت الحق التاريخي للعرب بفلسطين الا أن القوة نصرت الباطل بفضل دعم الاستعمار للصهيونية في عدوانها بينما العرب في سباتهم غافلون.

ويكفي أن نورد قول بن غوريون أول رئيس وزراء لدولة الاحتلال الذي يؤكد أن ليس لليهود حق في فلسطين :

«لسنا عميانا. اننا على علم اكيد بان فلسطين ليست بلدا خاويا، بل اننا نعرف أن ملايين العرب يسكنون في الأراضي الواقعة بين ضفتي نهر الأردن الغربية والشرقية، كما أن هناك ملايين وملايين العرب من الذين قطنوا فلسطين منذ ألوف السنين، وانهم يعتبرون أنفسهم بحق أبناء فلسطين».

كما يقول :

«ليس العرب في حاجة إلى شراء أراضي فلسطين لأنها أراضيهم، وليسوا في حاجة إلى هجرة عرب إلى فلسطين لأنهم أصحابها الشرعيين وهم يقيمون فيها، ان كل شيء في فلسطين هو ملك للعرب ما عدا الحكومة».

وقد بين غولدمان رئيس المؤتمر الصهيوني العالمي السابق أن سبب رغبة الصهيونية في احتلال فلسطين يعود إلى أهمية موقعها الاستراتيجي وليس لمعناها الديني فقال :

«ان اليهود لا يريدون فلسطين لأن مياه البحر الميت يمكن بالتبخير أن تنتج ما قيمته خمسة آلاف مليون دولار من المواد المعدنية والمعادن المسحوقة. ولأن طبقات الأرض الفلسطينية تحتوي على مقادير من البترول تزيد على مجموع احتياطي الامريكتين معا. ولكن لأن فلسطين هي مفترق الطرق الأوربية والآسيوية والإفريقية ولأنها المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية والمركز الاستراتيجي للسيطرة على العالم».

أسماء بيت المقدس :

لهذه المدينة المقدسة أسماء كثيرة وردت في كتب المؤرخين والجغرافيين. فما معنى هذا الأسماء وما سبب كثرتها وما صواب نطقها ؟

- تذكر معاجم (الكتاب المقدس) أن أقدم اسم للمدينة ورد في (نصوص الطهارة) المصرية في القرن التاسع عشر قبل المسيح بصورة (بروشاليم) وكانت يومذاك مركزا لعبادة الكنعانيين الذين سكنوا البلاد قبل بني إسرائيل. والراجح أن الاسم مركب من كلمتين يورو وشاليم، ويورو معناها تأسيس أو مدينة وشاليم اسم اله كان الكنعانيون يعبدونه. والتفسير بأن معناها مدينة السلام غير دقيق لا من ناحية الاشتقاق ولا من ناحية التاريخ.

«وورد في رسائل تل العمارنة في القرن الرابع عشر ق.م اسم يورو شالم ثم بعد ذلك في النقوش الأشورية أوروسليمو».

2 ـ وأقدم اسم لها في العهد القديم هو شاليم والراجع انه اختصار للاسم الكامل يوروشاليم، وجاء ذكرها في سفر التكوين، أول أسفار العهد القديم، بمناسبة قدوم ابرام ـ إبراهيم ـ العبراني إلى أرض الكنعانيين منتصرا على أعدائه إذ خرج الملوك لاستقباله، ومنهم مليكصادق ملك شاليم أخرج خبزا وخمرا وكان كاهنا لله العلي وباركه وقال : مبارك ابرام من العلى مالك السموات والأرض ومبارك الله العلي الذي اسلم أعدائك في يدك فأعطاه ـ ابراهيم ـ عشرا من كل شيء.

3 ـ وثالث اسم لها في العهد القديم (أورشليم) وهو الاسم الكنعاني قبل قدوم العبرانيين إلى أرض كنعان وورد ذكرها في أول مرة في سفر يشوع وكانت أورشليم تطلق على مملكة الأموري أدوني صادق ولم يرد الاسم ثانية في سفر القضاة حين حارب بنو إسرائيل الكنعانيين وأخذوا أورشليم وضربوها بحد السيف وأشعلوا المدينة بالنار.

والظاهر أن اليهود حرفوا الاسم أو عبرنوه وقد تكون اللاحقة (يم) المنثية كقولهم مصرايم أي المدينتان في العبرية، وقد تكون للمكان ولكن هذه العبرنة لم توجد عند جميع اليهود فكعب الأحبار مثلا يسميها (أورى شلم) في حديثه عنها إلى عمر ابن الخطاب ـ حسب رواية ابن جرير الطبري ـ ويذكر محمد بن عبد الله الزركشي في (اعلام المساجد بأحكام الماجد) أن اسمها أورشلم حسب رواية أبي عبيدة معمر بن المثنى وأنشد للاعشى :

وقد طفت للمال آفاته   عمان فحمص فأورشلم

وعلى كل حال فالاسم كنعاني قديم والمدينة كنعانية قديمة وجدت قبل داود بنحو تسعمائة سنة. وبداية الاسم بالياء بالعبرية مطابق للنطق الكنعاني وبدايته بالهمزة على وفق النطق الأشوري والسرياني والعربي.

4 ـ وثالث اسم لها في العهد القديم هو (يبوس) جاء في سفر القضاة 19 /10 أن يبوس هي أورشليم، كان ذلك قبل أن يفتحها داود. ويقول علماء المعهد القديم أن هذا الاسم مشتق من اسم قبيلة اليبوسيين التي كانت تعيش بها كما أن باريس مشتقة من قبيلة باريسي.

5 ـ ورابع اسم لها في العهد القديم هو (صهيون) وهو اسم الحصن الذي استولى عليه داود حين انتزع المدينة من اليبوسيين واقام فيه وبنى المدينة حوله ثم استعمل مرادفا لمدينة داود من العربية بمعنى صهوة بمعنى أعلى كل جبل أو برج من أعلى جبل.

6 ـ وخامس اسم لها هو (موريا) ويطلق الاسم على التل الصخري حيث بنى سليمان الهيكل، جاء في أحبار الأيام الثاني 2 /1 (يشوع سليمان في بناء بيت الرب في أورشليم في جبل المريا حيث ترآى لداود أبيه حيث هيأ داود مكانا في بيدر ارنان اليبوسي.

هذه هي الأسماء التي وردت في العهد القديم على أن اسم أورشليم هو الأشيع منذ فتح داود المدينة إلى منتصف القرن الثاني للميلاد.

7 ـ وسادس اسم لها (إلياء) وزن كبيرياء أو إيلياء، ونادر إيليا، وهو أول اسم لها بعد العهد الإسرائيلي لذا لا يذكر له في العهد القديم واشتقاقه من اسم الامبراطور الروماني (اليوس هادريانوس) الذي عاش من سنة 76 ق.م ـ 138م وهو الذي هدم مدينة أورشليم للمرة الثانية بعد طيتوس الروماني الذي هدمها سنة 70م وبنى هادريانوس مكانها 135م مدينة اسماها باسمه الأول إيليا كابيتولينا أي إيليا العظمى ليمحو من الوجود كل أثر يهودي فيها.

ظل اسم إيلياء بعد ذلك مستعملا فالعهدة العمرية صدرت بعبارة (هذا ما أعطى عبد الله عمر أهل إيلياء من الامان، الذي أثبته ابن جرير الطبري في تاريخه وابن هشام في سيرته والبلاذري في (فتوح البلدان) والبكري في معجمه وياقوت في معجم البلدان يذكرون إيلياء ويستشهد ياقوت ببيت للفرزدق :

وبيتان... بيت الله نحن ولاته

وبيت بأعلى إيلياء مسرف

8 ـ اوسابع اسم هو بيت المقدس وهو الاسم الذي شاع بعد الفتح الإسلامي واختلف في تخريج المقدس ومع اجماع على أنه من مادة قدس يعنى الطهارة، ويحتمل أن يكون مكانا على معنى أنه بيت المكان الذي جعل فيه الطهارة في بيت مكان الطهارة وتطهيره، اخلاؤه من الأصنام، وقال ابن منظور في اللسان : القدس السطل بلغة أهل الحجاز لأنه يتطهر فيه ومن هذا بيت المقدس أي بيت المطهر الذي يتطهر به من الذنوب والقدس : البركة والأرض المقدسة في الشام منه وبيت المقدس من ذلك أيضا.

وورد لبيت المقدس صور مختلفة منها البيت المقدس وبيت المقدس والقدس والقدس الشريف والمدينة المقدسة على أن الاسم الاشيع هو بيت المقدس. ويبدو أن اسم المقدس استعمله أهل الشام وأطرافها كما ذكر ناصري خسو وكثيرا ما ترد هذه الصور المختلفة في كتاب واحد كما نجد مثلا في معجم البلدان لياقوت والانس الجليل لمجير الدين بل هو أثر إسلامي فريد عده بعض العلماء الآثار التي خلدها التاريخ.

القدس في ظلال الإسلام :
مكانتها في الكتاب والسنة :

لقد خص الله القدس بمنزلة عظيمة وباركها على بقاع الأرض بعد مكة والمدينة وذلك لقداسة مسجدها (المسجد الأقصى) الذي باركه الله وبارك حوله.

أرض الاسراء والمعراج :

يقول الله سبحانه وتعالى في الآية الأولى من صورة الاسراء : **(سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير)** فالمسجد الأقصى مبارك في ذاته مباركة الأرض التي حوله وهي أرض فلسطين.

كما يقول أيضا في الآية (18) من سورة سبأ : **(وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين).**

قال ابن عباس (القرى التي باركنا فيها هي بيت المقدس).

ويقول في الآية (71) من سورة الأنبياء : **(ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين).**

وورد في تفسير ابن كثير عن أبي ابن كعب قال : (عن الأرض التي بارك فيها للعالمين هي بلاد الشام وما نقص من الأرض زيد في بلاد الشام وما نقص من الشام زيد في فلسطين وكان يقال هي أرض المعشر والمنشر).

كما يقول سبحانه في سورة الأنبياء الآية (80) : **(ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين).**

والمقصود بالأرض التي باركنا فيها كما ورد في تفسير ابن كثير (يعني بلاد الشام).

وفي سورة المائدة الآية (20) يقول سبحانه : **(يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين).**

وقال الله تعالى : **(والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين).**

«قال أبو هريرة الزيتون طورزيتا وقال قتادة والزيتون جبل عليه بيت المقدس وقال أبو زرعه السيباني رفع عيسى من طور زيتا» (10).

أولى القبلتين :

ويعتبر المسجد الأقصى أولى القبلتين. فقد روى مسلم في صحيحه عن البراء قال : «صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت القدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ثم صرفنا نحو الكعبة».

وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي ذر قال : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام قلت : ثم أي قال : المسجد الأقصى قلت : كم بينهما قال : أربعون سنة وأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد.

وقد اختلف في أول من بنى بيت المقدس قبل داود عليه السلام. ومن العلماء من قال : بنى مسجد بيت المقدس آدم عليه السلام ومنهم من قال : أسسه سام بن نوح عليهما السلام.

أما أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيت المقدس فقد ورد منها الكثير نورد منها ما يلي :

1 ـ روى البخاري في صحيحه عن أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لاتزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من جابههم ولا ما أصابهم من البلاء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك).

قالوا يا رسول الله وأين هم ؟ قال : (ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس).

وعن عطاء قال : لاتقوم الساعة حتى يسوق الله خيار عباده إلى بيت المقدس فيسكنهم اياها.

2 ـ روى ابن سنده عن أنس بن مالك قال : «ان الجنة لتحن شوقا إلى بيت المقدس وبيت المقدس من جنة الفردوس وهو سرة الأرض»

3 ـ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقاع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس».

4 ـ روى الحاكم في المستدرك، وأحمد في مسنده قوله عليه الصلاة والسلام : «طوبى للشام فإن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه».

5 ـ وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله لمعاذ رضي الله عنه : «ان الله عز وجل سيفتح عليكم الشام من بعدي من العريش إلى الفرات رجالهم ونساؤهم وأباؤهم مرابطون إلى يوم القيامة».

6 ـ وفي سنن أبي داود : عن أبي حوالة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودا مجندة جند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق. قال ابن حواله : خير لي يارسول الله أن ادركت ذلك فقال : «عليك بالشام فانها خيرة الله من أرضه يجتبى إليها خيرته من عباده».

فضائل بيت المقدس :

ان بيت المقدس مدينة أنبياء الله ابتداء من ابراهيم الخليل إلى عيسى ابن مريم عليهما السلام وقد أشار إلى ذلك بأسلوب بليغ أول من خطب المسلمين في المسجد الأقصى أثر الفتح الصلاحي القاضي محيي الدين بن زكي الدين على القرشي حين قال : «هو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ومدن الرسل ومهبط الوحي ومنزل ينزل به الأمر والنهي وهو البلد الذي بعث الله إليه عبده ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى مريم وروحه عيسى الذي كرمه برسالته وشرفه بنبوءته.

والواقع أنه يمكن القول أن عرب الجاهلية أحاطوا المدينة برعاية تبلغ حد التقديس. فقد حدثنا سفر التكوين ان ملكصادق ملك شاليم ـ وهو اسم بيت المقدس ـ خرج لاستقبال ابرام ـ إبراهيم ـ وأخرج خبزا وخمرا وكان كاهنا للعلى وباركه وقال : مبارك ابرام من الله العلي مالك السموات والأرض.

حدث ذلك قبل حوالي 37 قرنا من الفتح الإسلامي وظلت المدينة على مدى العصور مدينة الله العلي وإذ ورث المسلمون تراث أجدادهم الأقدمين وتراث أنبياء الله جميعا من عهد الإسرائيليين إلى آخر عهد النصارى فقد ظلت المدينة مقدسة في جاهليتهم وإسلامهم وهذا سر قدوم خليفة المسلمين عمر بن الخطاب إلى المدينة لأخذها سلما وسر محافظة صلاح الدين على حرمتها وتطهيرها مما يدنسها أو يزرى بها سواء كانت المقدسات مسيحية أم يهودية وهذه أول مرة في تاريخ المدينة التي اعتادت المذابح والحرائق والهدم لا يراق فيها دم ولا يهدم بيت.

ولهذه الأسباب أحاط الخلفاء والأمراء والصالحون في جميع العصور الإسلامية المدينة برعايتهم فأنشأوا المساجد والمدارس والزوايا والأربطة والبيمارستانات حتى أضحت (متحفا) يضم من الآثار ما لم يجتمع في مدينة وحدها وعلى رأسها جميعها درة الفن الإسلامي اليتيمة وآيته العظيمة قبة الصخرة التي فتنت علماء الآثار حتى أجمعوا على أنها من أعظم الآثار الإسلامية التي عرفها التاريخ.

سجل المؤرخ المعاصر عارف العارف عبارة لأحد العلماء الغربيين هي : «أن مسجد الصخرة بلا شك من أجمل الابنية الموجودة فوق هذه البسيطة. لا بل أجمل الآثار التي خلفها التاريخ» الحرم القدسي 1947م (11).

وتكون الهجرة في آخر الزمان إلى بيت المقدس. والحشر والمنشر إلى بيت المقدس. والحساب يوم القيامة إلى بيت المقدس. وينصب الصراط على جهنم إلى الجنة ببيت المقدس. وينفخ إسرافيل في الصور ببيت المقدس.

ومن صلى في بيت المقدس فكأنما صلى في سماء الدنيا.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ان خيار أمتي من هاجر هجرة بعد هجرة إلى بيت المقدس

ومن صلى ببيت المقدس بعد أن توضأ وأسبغ الوضوء ركعتين أو أربعا غفر له ما كان قبل ذلك.

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ان سليمان عليه السلام سأل ربه ثلاثا فأعطاه اثنتين ونحن نرجوا أن يكون قد أعطاه الثالثة. سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه اياه. وسأله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه اياه وسأله أيما رجل يخرج من بيته يريد الصلاة في هذا المسجد أن يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه فنحن نرجو أن يكون قد أعطاه أياه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من صلى ببيت المقدس غفرت ذنوبه كلها.

روى عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : فضلت الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة وفي مسجدي بألف صلاة. وفي مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة رواه الإمام أحمد رضي الله عنه.

وقد أحرم منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم قال : لوددت أني ما جئت بيت المقدس وأحرم منه ابنه عبد الله رضي الله عنه أيضا.

وقال مقاتل بن سليمان عن بيت المقدس : ما فيه موضع شبر الا وقد صلى عليه نبي مرسل أو قام عليه ملك مقرب.

روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (سيد البقاع بيت المقدس وسيد الصخور صخرة بيت المقدس).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أراد أن ينظر إلى بقعة من بقع الجنة فلينظر إلى بيت المقدس.

آثار الأنبياء في بيت المقدس :

في بيت المقدس البراق الذي ركبه النبي (صلعم) تحت ركن المسجد. وفي المسجد باب داود عليه السلام وباب سليمان عليه السلام وباب حطه الذي ذكرها الله تعالى في قوله : (وقولوا حطه وهي قول لا إله إلا الله فقالوا : حنطه وهم يسخرون فلعنهم الله بكفرهم) وباب محمد صلى الله عليه وسلم وباب التوبة الذي تاب الله فيه على داود وباب الرحمة التي ذكرها الله تعالى في كتابه **(له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب)** يعنى وادي كهنم الذي بشرقي بيت المقدس وأبواب الأسباط. أسباط بني إسرائيل وهي ستة أبواب وباب الوليد وباب الهاشمي وباب الخضر وباب السكينة وفيه محراب مريم ابنة عمران رضي الله عنها التي كانت الملائكة تأتيها بفاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، ومحراب زكريا الذي بشرته فيه الملائكة بيحيى وهو قائم يصلي في المحراب ومحراب يعقوب وكرسي سليمان صلوات الله عليه الذي كان يدعو الله عليه ومغارة إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام الذي كان يختلى فيها للعبادة.

وفي بيت المقدس القبة التي عرج النبي صلى الله عليه وسلم منها إلى السماء التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم بالنبيين والقبة التي كانت سلسلة تهبط فيها زمان بني إسرائيل للقضاء بينهم. ومصلى جبريل عليه السلام ومصلى الخضر عليه السلام. فإذا دخلت الصخرة فصل أركانها وصل على البلاطة التي تسامي الصخرة فإنها على باب من أبواب الجنة ومولد عيسى ابن مريم على ثلاثة أميال من المسجد ومسجد ابراهيم عليه السلام وقبره على ثمانية عشر ميلا من المدينة ومحراب المسجد بقربه.

ورفع الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلى السماء من بيت المقدس. ورفع عيسى بن مريم عليه السلام من بيت المقدس. ويصلب المسيح الدجال على الأرض كلها إلا بيت المقدس. وحرم الله ياجوج ومأجوج أن يدخلوا بيت المقدس. والأنبياء كلهم من بيت المقدس. والابدال كلهم من بيت المقدس وأوصى آدم وموسى ويوسف جميع أنبياء بني إسرائيل صلوات الله عليهم أن يدفنوا ببيت المقدس.

وفي الصحيح أنه لما احتضر موسى عليه السلام قال : يارب ادفني من الأرض المقدسة رمية حجر وفي الأرض المقدسة إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : بيت المقدس بيت الأنبياء وعمرته وما فيه موضع شبر إلا وسجد عليه نبي أو قام عليه ملك.

وكلم الله موسى في أرض بيت المقدس. وتاب الله على داود وسليمان عليهما السلام في أرض بيت المقدس. ورد الله على سليمان ملكه في بيت المقدس. وبشر الله زكريا بيحيى في بيت المقدس. وسخر الله لداود الجبال والطير في بيت المقدس وأوتيت مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء في بيت المقدس.

وولد عيسى عليه السلام وتكلم في المهد في بيت المقدس وأنزلت عليه المائدة في أرض بيت المقدس.

ورفعه الله إلى السماء من بيت المقدس وينزل من السماء إلى الأرض ببيت المقدس.

وماتت مريم عليها السلام ببيت المقدس.

وصلى النبي صلى الله عليه وسلم زمانا إلى بيت المقدس وأسرى به إلى بيت المقدس.

فتح بيت المقدس :

ان مدينة بهذه المنزلة المقدسة في الإسلام حرية أن يشد الرحال إليها خليفة رسول الله صلى الله عله وسلم عمر ابن الخطاب ليكون له شرف فتحها واعطاءها ما تستحق من عناية ليعبد فيها الله وليقام مسجدها المقدس ليذكر فيه اسم الله ويرفع عليه آذان المسلمين الخالد.

وان رجلا كعمر بن الخطاب الخليفة العادل وقد عرف العالم عدله وغيرته على الحق لحرى به أن يكون محط أنظار بطارقة القدس ورهبانها الذين أصروا على أن يقدموا له مفاتيح المدينة.

وبعد أن استشار عمر رضي الله عنه الصحابة في السفر إلى بيت المقدس شجعوه على ذلك فتوجه عمر في موكب الايمان والتواضع وعقد الصلح بينه وبين أهل المقدس وذلك في العهدة العمرية التي جاء فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزئية ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلى بيعهم وصلبهم فانهم آمنون على أنفسهم حتى يبلغوا مأمنهم ومن كان بها من أهل الأرض، فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم، وعلى ما في الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذين عليهم من الجزية.

كتب وحضر سنة 15 هجرية.

شهد على ذلك :

خالد بن الوليد - عمر بن الخطاب - عبد الرحمن بن عوف - معاوية بن أبي سفيان.

عمر بن الخطاب :

فلما فرغ عمر من كتابة الصلح بينه وبين أهل بيت المقدس قال لبطرقها : دلني على مسجد داود، قال : نعم. وخرج عمر مقلدا بسيفه في أربعة آلاف من الصحابة الذين قدموا معه متقلدين بسيوفهم وطائفة ممن كان ليس عليهم

من السلاح الا السيوف والبطريق بين يدي عمر في أصحابه حتى دخلوا بيت المقدس فأدخلهم الكنيسة التي يقال لها القيامة وقال : هذا مسجد داود. فنظر عمر وتأمل وقال له : كذبت. ولقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجد داود بصفة ما هي هذه فمضى به إلى كنيسة يقال لها صهيون وقال له : هذا مسجد داود. فقال له : كذبت. فمضى به إلى بيت المقدس حتى انتهى به إلى الباب الذي يقال له باب محمد صلى الله عليه وسلم وقد انحدر ما في المسجد من الزبالة على درج الباب حتى خرج إلى الزقاق الذى فيه الباب وكثر على الدرج حتى كاد أن يلصق بسقف الرواق فقال له : لا نقدر أن ندخل إلا حبوا فقال عمر ولو حبوا. فحبا بين يدي عمر وحبا عمر ومن معه خلفه حتى ظهروا إلى صحنه واستووا فيه قياما فنظر عمر وتأمل مليا ونظر يمينا وشمالا ثم قال : الله أكبر. هذا والذي نفسي بيده مسجد داود عليه السلام الذي أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أسرى به إليه ووجد على الصخرة زبلا كثيرا مما طرحته الروم غيظا لبني إسرائيل فبسط عمر رداءه وجعل يكنس ذلك الزبل وجعل المسلمون يكنسون معه الزبل ومضى إلى محراب داود وهو الذي على باب البلد في القلعة فصلى فيه ثم قرأ سورة ص وسجد.

وروى أنه لما جلا المزبلة عن الصخرة قال : لاتصلوا فيها حتى يصيبها ثلاثة مطرات.

وروى أن عمر قال لكعب : أين ترى أن نجعل المصلى ؟ قال : إلى الصخرة فقال : ضاهيت والله ياكعب اليهودية. بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مسجدنا صدورنا. اذهب إليك فانا لم نؤمر بالصخرة ولكن أمرنا بالكعبة.

وروى أن أمير المؤمنين عمر لما فتح بيت القدس وكتب كتاب الأمان والصلح وقبضوا كتابهم وأمنوا دخل الناس بعضهم في بعض وأقام عمر أياما ثم قال لأبي عبيدة : لم يبق أمير من أمراء الأجناد غيرك إلا استزارني فقال أبو عبيدة : يا أمير المؤمنين اني أخاف إذا استزورتك فتعصب عينيك عني في بيتي. فقال : فاستزرني. قال : فزرني.

فلما أتاه عمر في بيته فإذا ليس فيه شيء إلا لبد فرسه وإذا هو فراشه وسرجه وإذا هو وسادته. وإذا كسر يابسة في كوة بيته فجاء فوضعها على الأرض بين يديه وأتاه بملح جريش وكوز فيه ماء فما نظر عمر إلى ذلك بكى ثم التزمه وقال أنت أخي وما من أحد من أصحابي إلا وقد نال من الدنيا ونالت منه غيرك فقال أبو عبيدة : ألم أخبرك أنك ستعصب عينيك ؟

ثم نزل عمر وحضرت الصلاة فقال : يا بلال. ألا تؤذن لنا رحمك الله. قال بلال : يا أمير المؤمنين. والله ما أردت أن أؤذن لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولكن سأطيعك إذا أمرتني في هذه المرة الصلاة وحدها.

فلما أذن بلال وسمعت الصحابة صوته ذكروا بينهم صلى الله عليه وسلم فبكوا بكاء شديدا ولم يكن من المسلمين يومئذ أطول بكاء من أبي عبيدة ومعاذ ابن جبل حتى قال لهما عمر حسبكما رحمكما الله.

بناء الصخرة الشريفة وعمارة المسجد :

بويع عبد الملك بالخلافة ووعد الناس - يوم بويع - بخير ودعاهم إلى إحياء الكتاب والسنة وإقامة العدل فلما دخلت سنة ست وستين ابتدأ بناء قبة الصخرة الشريفة وعمارة المسجد الأقصى الشريف.

وكان من خبر البناء أن عبد الملك ابن مروان حين حضر إلى بيت المقدس وأمر ببناء القبة على الصخرة الشريفة بعث الكتب إلى جميع عماله وإلى سائر الأمصار أن عبد الملك قد أراد أن يبني قبة على صخرة بيت المقدس تقي المسلمين من الحر والبرد وأن يبنى المسجد وكره أن يفعل ذلك دون رأي رعيته لتكتب الرعية إليه برأيهم وما هم عليه.

فوردت الكتب عليه من سائر عمال الأمصار ، نرى رأي أمير المؤمنين موفقا رشيدا إن شاء الله يتم ما نوى من بناء بيته وصخرته ومسجده، ويجري ذلك على يديه ويجعله تذكرة له ولمن مضى من سلفه.

فجمع الصناع لعمله وأرصد مالا كثيرا يقال أنه خراج مصر سبع سنين ووضعه بالقبة الكائنة أمام الصخرة من جهة الشرق بعد أمر ببنائها وهي من جهة الزيتون وجعلها حاصلا وشحنها بالأموال ووكل على صرف المال في عمارة المسجد والقبة وما يحتاج إليه أبا المقدام رجاء بن جياد ابن جود الكندي وكان من العلماء الاعلام ومن جلساء عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وضم إليه رجلا يدعى يزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان من أهل بيت المقدس وولديه ويقال أن عبد الملك وصف ما يختاره من عمارة القبة وتكوينها للصناع فصنعوها له وهو بيت المقدس القبة الصغيرة التي هي شرقي قبة الصخرة التي يقال لها قبة السلسلة فأعجبه تكوينها وأمر ببنائها كهيئتها.

فأخذوا في البناء والعمارة عند القبة من شرقي المسجد إلى غربيه حتى أكملوا العمل وفرغ البناء ولم يبق للمتكلم فيه كلام.

فكتب رجاء ويزيد إلى عبد الملك بدمشق.. قد تم الله بما أمر به أمير المؤمنين من بناء قبة الصخرة ببيت المقدس والمسجد الأقصى ولم يبق للمتكلم فيه كلام وقد بقي مما أمر به أمير المؤمنين من النفقة عليه ـ بعد أن فرغ البناء وأحكم ـ مائة ألف دينار فيصرفها أمير المؤمنين فيما أحب.

فكتب إليهما أمير المؤمنين ، قد أمرت بها لكما جائزةلما وليتما من عمارة البيت الشريف المبارك.

فكتب إليه ، نحن أولى أن نزيده من حلى نسائنا فضلا عن أموالنا فاصرفها في أحب الأشياء إليك.

فكتب إليهما بأن تسبك وتفرغ علىالقبة فسبكت وأفرغت عليها فما كان أحد يقدر أن يتأملها مما عليها من ذهب وهيأ لها جلالا من لبود وأدم توضع فوقها فإذا كان الشتاء البستها لتكنها من الأمطار والرياح والثلوج.

ثم بعد انتقال الخلافة إلى المنتقم لله الوليد بن عبد الملك انهدم شرقي المسجد ولم يكن في بيت المال حاصل فأمر بضرب ذلك وانفاقه على ما انهدم منه.

وكان الفراغ من عمارة قبة الصخرة والمسجد الأقصى في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة الشريفة وهي السنة التي قتل فيها عبد الله بن الزبير.

ولما ولى سليمان بن عبد الملك الأموي الخلافة بعد أخيه الوليد في سنة ست وتسعين من الهجرة أتى بيت المقدس وأتته الوفود بالبيعة فلم ير وفادة كانت أهنأ من الوفادة إليه فكان يجلس في قبة صحن مسجد بيت المقدس مما يلي الصخرة ولعلها القبة المعروفة بقبة سليمان عند باب الدويدارية.

سقــوط بيــت المقــدس :

السقوط الأول سنة 492 هـ ـ 1097م.

لما فتح الله بيت المقدس على يد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب سنة 25 هـ وعمر على يده وعلى يد عبد الملك بن مروان وغيره من الخلفاء استمر بأيدي المسلمين حتى سنة 492 هـ

كان الفاطميون قد تغلبوا على بنى العباس وادعو الخلافة في المغرب سنة 296 هـ ـ ثم بنوا القاهرة واستولوا على الديار المصرية وبلاد الشام ومكة واليمن وبيت المقدس.

فلما آل الأمر إلى المستعلى بالله اختلفت دولتهم وضعف أمرهم وانقسمت بلاد الشام بين الأتراك والافرنج وأصبح الفاطميون يخافون الافرنج خوفا شديدا فلا يطيقون مقاتلتهم.

فلما دخلت سنة 492 هـ قصد الافرنج بيت المقدس وحاصروها نيفا وأربعين يوما وسقطت في أيديهم. وعملوا الذبح في سكانها المسلمين أسبوعا وقتلوا في المسجد الأقصى ما يزيد عن سبعين ألف نفس. ثم حاصروا جميع من في القدس من المسلمين بداخل المسجد الشريف وأمروهم بالخروج من القدس في مدة أقصاها ثلاثة أيام والا قتلوا عن آخرهم.

فشرع المسلمون بالإسراع في الخروج وتدافعوا نحو أبواب المسجد فقتل منهم بسبب الزحام آلاف كثيرة واستمر الصليبيون يحكمون بيت المقدس وما جاوره من بلاد الشام 91 سنة.

صلاح الدين الأيوبي يحررها سنة 1187م :

تمكن الافرنج سنة 564 هـ ـ 1168م من محاصرة القاهرة بعد أن تمكنوا من البلاد المصرية واحتلوا بلبيس وقتلوا أهلها ونهبوها وأحرقوها.

فأرسل حاكم مصر العاضد لدين الله إلى حاكم دمشق الملك العادل نور الدين بن زنكي الملقب بالشهيد يستغيث به.

كان نظام الحكم في مصر شيعيا وكان نور الدين بن زنكي سنيا، ولكن الخطر الذي أحدق بمصر وفلسطين يومئذ دفع كل هذه الفروق إلى الخلف ونحى جانبا جميع المتناقضات إلى منطقة الظل وأقام جبهة تحالف فيها الشيعة والسنة. وأسلم فيها العلماء القيادة إلى الفرسان المقاتلين وفي كل مرة يتقدم فيها الصليبيون بجيوشهم لاحتلال البلاد كان جيش نور الدين يأتي لمقاتلتهم وينتهي الأمر بانسحاب الطرفين.

حدث ذلك سنة 1163م وسنة 1166م وعندما اشتد الخطر الصليبي سنة 1168م خرجت رسالة سرية من القصر الفاطمي إلى القاهرة بعث بها الخليفة العاضد إلى نور الدين يطلب فيها أن يرسل جيشه الذي يقوده أسد الدين الأيوبي. وبعث العاضد على هذه الرسالة خصلات من شعر نسائه وكتب له (هذه شعور نسائي من قصري يستغثن بك لتنقذهن من الافرنج).

وجاء جيش نور الدين وهزم القوات الصليبية الغازية لمصر ووصل إلى القاهرة في 4 ربيع الآخر سنة 564 هـ ـ 1168م وفي يوم 27 من الشهر نفسه تولى أسد الدين شيركوه وزارة مصر بعد أن قتل صلاح الدين الأيوبي الوزير شاور صديق الصليبيين وبعد شهرين وخمسة أيام

توفى أسد الدين فتولى وزارة مصر صلاح الدين الأيوبي في نحو 25 جمادى الآخرة وتحققت خطوة كبيرة نحو استكمال استراتيجيته المرسومة للحرب مع الصليبيين. فقد تم توحيد جبهتين .. الجبهة الشرقية والشمالية ولم يبق إلا استكمال حصار الصليبيين من الجنوب.. لقد بدأ الاستعداد الفعلي لمعركة حطين الفاصلة.

وفي موقعة حطين نصر الله المسلمين بقيادة صلاح الدين فقتلوا من الافرنج ثلاثين ألفا وتوجه الجيش بعدها بقيادة صلاح الدين إلى بيت المقدس ومحاصرته. فاستسلمت القدس ودخلها صلاح الدين والمسلمون يوم الجمعة 27 رجب 583 هـ (المصادف 2 تشرين الأول - أكتوبر - 1187م) وأقام المسلمون في بيت المقدس. ولأول مرة منذ 88 عاما. وأقاموا احتفالات الاسراء والمعراج. وأمر صلاح الدين بإزالة كل رموز العبادة المسيحية وجرى تطهير المسجد الأقصى من كل آثار الاحتلال وتم رش كلا البنائين : قبة الصخرة والمسجد الأقصى بماء الورد وتم إعادة المسجد من جديد لإقامة المشاعر الدينية. ولما كان نور الدين زنكي قد عمل بحلب منبرا لبيت المقدس وأمر الصناع بالمبالغة في تحسينه وإتقانه وقال هذا قد عملناه لينصب ببيت المقدس. فعمله النجارون في عدة سنين لم يعمل في الإسلام مثله فأمره صلاح الدين بإحضاره من حلب ونصبه بالقدس وكان بين عمل المنبر وحمله ما يزيد على عشرين سنة. «أحرق هذا المنبر اليهود عندما أحرقوا المسجد الأقصى».

السقوط الثاني سنة 641 هجرية :

ولنفس السبب حصل السقوط الثاني.. كان الخلاف على أشده بين ملوك المسلمين وبين الملك الكامل حاكم مصر وبين الملك المعظم عيسى حاكم الشام فحصلت مكاتبات بين الملك الكامل وبين (الانبرطون) ملك الافرنج مقابل أشغال أخيه حاكم عكا وحاصرها.

وبعد موت الملك المعظم حاكم دمشق جاء ولده الملك الناصر داود وأرسل الملك الكامل جيشا بقيادة أخيه لانتزاع دمشق من ابن أخيه الملك الناصر داود. بينما ظل على اتصال بملك الافرنج الانبرطون لتسليم القدس مقابل صداقته. وقد تم تسليمها له في ربيع الآخر سنة 641 هـ ولم يلبث غير أيام حتى مرض ومات. فباء بغضب من الله بدون أن يحقق أمله بالاستيلاء على دمشق.

الملك الصالح يحررها سنة 642 هجرية :

ولما تسلم الافرنج القدس نتيجة لتواطؤ مع الملك الكامل لم يطل الهوان على المدينة المقدسة. ففي صيف ذلك العام سنة 642 هـ اجتاحت الجيوش الإسلامية الخوارزمية القدس بقيادة الملك الصالح نجم الدين أيوب وحررها من الاحتلال الصليبي ومن الملوك الخونة الذين سلموها.

السقوط الثالث سنة 1918 ميلادية :

وبقي بيت المقدس بين أصحابه المسلمين حوالي سبعمائة سنة إلى أن جاء عام 1918م وإذا بالعرب المسلمين يحملون سلاحهم بقيادة قائد افرنجي صليبي اسمه الجنرال اللنبي يقتحمون أسوار بيت المقدس فلا يبقون ممن كان يدافع عنها من المسلمين الأتراك إلا شهيدا أو جريحا ويفاجأ المسلمون المغفلون بقائدهم المغوار اللنبي ليعلن أمامهم وبأعلى صوته : (الآن انتهت الحروب الصليبية).

وقد فعل بعده بعامين القائد الصليبي الجنرال الفرنسي غورد عندما دخل دمشق وهو يقف على قبر صلاح الدين ليعلن أيضا بأعلى صوته ، «ها نحن عدنا يا صلاح الدين».

السقوط الرابع سنة 1948م و 1967م :

بقيت القدس تحت الإدارة البريطانية الاستعمارية حتى سنة 1948م فأعلنت انسحابها من فلسطين بعد أن اطمأنت على تسليح جيش الصهاينة اليهود وسلمتهم الإدارة الحكومية.

وتسابقت الجيوش العربية لنجدة أهل فلسطين وكانت تلك الجيوش بقيادة الجنرال الانجليزي (كلوب باشا) ولكن ما لبث أبناء فلسطين وأبناء الأمة العربية أن فجعوا حين رأوا تلك الجيوش بأوامر من قيادتها تنسحب أمام القوات الصهيونية فتسلم البلاد قرية قرية ومدينة مدينة وكانت القدس من تلك المدن التي سقطت بأيدي الصهاينة ولم يبق منها إلا القسم الشرقي الذي ما لبث أن استولى عليه الإسرائيليون سنة 1967م. وبذلك أصبحت القدس وكل فلسطين منذ ذلك الوقت إلى اليوم تحت الاحتلال الإسرائيلي بالإضافة إلى مساحات واسعة من الأراضي العربية.

من يحررها اليوم ؟

واليوم يقف قادة المسلمين أمام مسؤولياتهم في مؤتمرهم الذي يعقد في رحاب الكعبة.

وان المسلمين جميعا. خاصة سكان فلسطين المحتلة. ليتطلعون إلى أن يقوم هؤلاء القادة بواجبهم بقيادة كتائب المجاهدين لتطهير المسجد الأقصى وتحرير القدس.

ولكن يكون ذلك إلا بما يلي :

1 ـ بالتضامن «**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**».

2 ـ عدم التنازع «**ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**».

3 ـ اعداد كتائب الجهاد للقتال «**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**».

4 ـ توحيد المواقف تجاه الأعداء الذين يؤيدون البغاة وقوات الاحتلال «**ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص**».

5 ـ رصد الميزانيات التي تتناسب مع حجم المعركة وقداسة القضية وثقل الامانة. «**وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم**».

6 ـ العمل على تنفيذ القرارات ، «**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون، كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**».

«**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**».

المسجد الأقصى وحقيقة الإسراء والمعراج

للأستاذ محمد العربي الشاوش

توطئة :

من مظاهر الأصالة الإسلامية في المغرب، ان المغاربة دأبوا على تمجيد وتعظيم المناسبات الإسلامية منذ عرفوا الإسلام في منتصف القرن الأول للهجرة إلى وقتنا الحاضر. يمجدون الأعياد الإسلامية بما فيها عيد المولد النبوي الشريف، الذي يعتبر بعد عيدي الفطر والنحر المقدسين عيدا إسلاميا مجيدا سنه المسلمون تخليدا لذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم. فصدق عليهم القول المأثور : من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة. ويمجدون الذكريات الإسلامية كذكرى الهجرة النبوية الشريفة التي تعد مطلعا للسنة الهجرية المجيدة. وذكرى الاسراء والمعراج الذي تعد من ألمع المواسم الإسلامية التي تذكرنا بتكريم الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم، بهذه المعجزة الكبيرة التي اذهلت العقول وكونت بنصوصها واحداثها فصلا ممتعا مشوقا من فصول الفكر الإسلامي المجيد. وخصصت الأمة المغربية الإسلامية لكل مناسبة ما يليق بها من مظاهر التكريم والتعظيم ما جعل الحضارة المغربية الإسلامية تمتاز عن غيرها بمميزات روحية عريقة مستمدة من روحانية الإسلام وفطرته وتعاليمه الزاخرة الفياضة بالمحاسن والمفاخر ومكارم الأخلاق. وبذلك استطاعت الأمة المغربية طيلة أربعة عشر قرنا أن تحافظ على قداسة الإسلام واشراقه واستمرار شعائره وشرائعه رغم المحاولات الفاشلة التي حاولها الاستعمار الغربي اللاتيني ومن سار على نهجه ودار في فلكه للعمل على نسف ما شيده الأسلاف والآباء والأجداد من حضارة مؤمنة أصيلة أصلها ثابت وفرعها في السماء. فباءت جهود الضالين المضلين بالفشل الذريع وبقي الإسلام راسخا شامخا معتزا بأمته المغربية التي أعلت مناره ونشرت لواءه وحمت بيضته وحققت بإيمانها وجهادها والتزامها ما رواه المؤرخ المغربي الكبير العلامة عبد الواحد المراكشي بسنده الخاص عن الامام مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة» (1).

1) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص 14 ـ ط. 1368 هـ ـ 1949 بتحقيق : محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي.

وذكرى الاسراء والمعراج هي امتداد لما كان الآباء والأجداد يقومون به في هذه المناسبة المجيدة من تجمعات في المساجد والزوايا والأندية لقراءة القرآن الكريم والترنم بالأمداح النبوية وتلاوة قصة الاسراء والمعراج كما وردت في الكتاب والسنة مع اضفاء الروح الأدبية الشاعرية مما يجعل المناسبة دينية وأدبية متحركة ومحركة معا. هذا زيادة على توزيع الصدقات وإقامة الحفلات العائلية الشيقة. فما من بيت من البيوتات الغنية أو الفقيرة الا وفيه ذكرى الاسراء والمعراج، مع تعطيل الدراسة في الكتاتيب القرآنية والمدارس الدينية والعصرية لاشعار الأطفال والتلاميذ بجلال هذه الذكرى وقداستها مما يذكي في نفوسهم وعقولهم عواطف الايمان ومشاعر البر والتقوى ملقحة بامصال إيمانية البستها مناعة روحية ضد جراثيم الالحاد والزندقة والفسق والفجور، اجيال حافظت على أصالة الإسلام واستمرار مقوماته وحضارته وأمجاده في هذه الديار الإسلامية العريقة. وصدق عليها قول الله تعالى : «**كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله**» (110 ـ آل عمران).

المسجد الأقصى :

والحقيقة أن السلف الصالح كان على صواب في إحياء ذكرى الاسراء والمعراج، وتخصيصها بالتكريم والتمجيد، وإحاطتها بسياج من القداسة والتعظيم، لأنها ذكرى الاسراء إلى المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله. فقال عز وجل : «**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا، انه هو السميع البصير**» (1 الاسراء) ولامر ما كان الاسراء إلى المسجد الأقصى بالذات. وقد كان وقتئذ تحت الحكم الروماني المسيحي، ولم يكن الإسلام قد انتشر وظهر، ولكن الله جلت قدرته شرف المسجد الأقصى ورفع مكانته بجعله مسرى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر اسمه في القرآن الكريم، وسبق في علمه تعالى أن يكون هذا المسجد أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين. وذلك ما بينه الحديث الشريف فيما رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» (2).

وفي رواية الإمام مالك عن أبي هريرة : «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : إلى المسجد الحرام، وإلى مسجدي هذا، وإلى بيت المقدس» (3) وفيه اشعار بفضل هذه المساجد الثلاثة، وإشارة إلى أن بيت المقدس من جملة المقدسات الإسلامية.

ويقع المسجد الأقصى أو بيت المقدس في مدينة القدس الشريف المعروفة في غير العربية باسم (اورشاليم أو جيرو سالم) وقد ظهرت كمدينة مقدسة في القرن التاسع عشر قبل الميلاد على عهد الدولة البابلية الأولى. وكانت نقطة المسجد الأقصى معروفة عند الصخرة المقدسة حيث يوجد الحرم الشريف بجانب قبة الصخرة. وقد عرف بيت المقدس بالمسجد الأقصى لبعده عن المسجد الحرام بمكة.

وتقول المصادر الإسلامية أن المسجد الأقصى وضع للناس بعد المسجد الحرام بأربعين سنة. فيكون المسجد الحرام بمكة هو أول بيت وضع لعبادة الله تعالى كما ورد في الكتاب الكريم : «ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين» (96 ـ آل عمران) واخرج البخاري ومسلم كما روى الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه

2) وانظر الجامع الصغير للإمام السيوطي ج 2 ص 201 ـ الطبعة 4 دار الفكر.

3) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ـ ج 10 ـ ص 211 ـ ط. القاهرة 1387 هـ ـ 1967.

قال : «قلت يارسول الله. أي مسجد وضع أول ؟ قال : المسجد الحرام. قلت : ثم أي ؟ قال : بيت المقدس. ـ وفي رواية ـ قال : المسجد الأقصى. قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة » (4) وحيث كان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام هو الذي رفع قواعد البيت الحرام واسماعيل في القرن التاسع عشر قبل الميلاد. وقد نص الكتاب الكريم على ذلك فقال : «وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت واسماعيل. ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم» (127 ـ البقرة) فإن ابراهيم نفسه هو الذي بنى بيت المقدس بعد البيت الحرام بأربعين سنة. كما نطقت بذلك المتقدمة وأثبته الحديث الشريف. ثم كان تشييده وكمال هيئته في عهد النبي سليمان عليه السلام في القرن التاسع قبل الميلاد. وسماه (إيلياء) أي بيت الله (5) وعرف بعد ذلك بهيكل سليمان أي محل عبادته أو محرابه عليه السلام. وقد دمر الملك تيطوس الروماني مدينة القدس وأحرق الهيكل في القرن الأول الميلادي. وبالضبط سنة 70م. حيث كانت إقليما رومانيا من أقاليم الامبراطورية الرومانية الشرقية. وقامت في مكانها مدينة جديدة باسم (إيليا كابيتولينا) وهي التي عرفت عند الفتح الإسلامي باسم (إيلياء) (6) ولم يقع جلاء الرومانيين عن المدينة المقدسة إلا في القرن السابع للميلاد الموافق للقرن الأول الهجري. وبالضبط سنة 17 هـ. موافق سنة 638م. حينما دخلها أمير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخولا سليما.. وصلى في حرم الصخرة حيث بنى الأمويون بعد ذلك قبة الصخرة والحرم القدسي الشريف.

القدس الشريف :

ومن يومها والقدس تابع للخلافة الإسلامية. إلا ما كان من احتلال الصلبيين له أثناء الحروب الصليبية في القرن الخامس الهجري والحادي عشر الميلادي. إلى أن حرره صلاح الدين الأيوبي في القرن السادس الهجري والثاني عشر الميلادي. بعد جهاد شريف عنيف كان الشعب المغربي في طليعة الشعوب الإسلامية التي استرجعت المسجد الأقصى بقيادة البطل المجاهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله. ومن وقتها عاد القدس إلى قداسته وطهارته. وصار أرض سلام ومحبة ووئام. تساوى فيه الناس من جميع الأديان. طبقا للتسامح الديني الذي نصت عليه الشريعة الإسلامية بقوله تعالى : «**لا اكراه في الدين**» (256 ـ البقرة) وقوله تعالى : «**لكم دينكم ولي دين**» (6 ـ الكافرون) مع التأكيد على أن الدين الذي ارتضاه لعباده هو الإسلام كما نطق بذلك الكتاب الكريم فقال : «**ان الدين عند الله الإسلام**» (19 ـ آل عمران) وقال : «**ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**» (25 آل عمران) وقال : «**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**» (3 المائدة) وهذه الآية الأخيرة نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وهو قائم عشية عرفة. قال الإمام أحمد : جاء رجل من اليهود إلى عمر بن الخطاب. فقال : يا أمير المومنين. انكم تقرأون آية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال : وأي آية ؟. قال قوله :

---

4) مختصر تفسير ابن كثير ـ ج 1 ـ ص 131 و 301 ـ ط. 1393 بتحقيق واختصار : محمد علي الصابوني.

5) مختصر تفسير ابن كثير ـ ج 2 ـ ص. 354.

6) الموسوعة العربية ـ ص 577 ط. 1955.

«اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي» فقال عمر : والله اني لا علم اليوم الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والساعة التي نزلت فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة، في يوم جمعة» وفي حديث آخر، قال عمر : قد علمت اليوم الذي انزلت فيه، والمكان الذي انزلت فيه، في يوم الجمعة ويوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد» (7).

ولعل شعار التسامح الديني الذي رفعه الإسلام هو الذي دفع بالمؤرخ الامريكي الأستاذ لوثروب ستودارد إلى القول بأنه «كان الخليفة عمر يرعى حرمة الأماكن المقدسة النصرانية في القدس رعاية تامة، وقد سار خلفاؤه من بعده على نهجه، فلا ضيقوا على النصارى، ولا نالوا بمساءة طوائف الحجاج الوافدين كل عام إلى القدس من كل قطر من أقطار العالم المسيحي.» (8) وهذه شهادة ثمينة لها قيمتها ووزنها في التاريخ والحضارة.

أما اليهود فانهم قد تمتعوا في القدس بنفس حقوق المواطنة التي تمتع بها المواطن المسلم في ظل الحكم الإسلامي، إلى أن وقع احتلال القدس من طرف الحلفاء سنة 1918 في أعقاب الحرب العالمية الأولى، ووقف المارشال اللينبي في بيت المقدس وقال باسم الحلفاء : اليوم انتهت الحروب الصليبية (9) وفي إطار المخطط الاستعماري الصليبي بتفتيت الأوطان الإسلامية، كان وزير الخارجية البريطانية ارثر جيمس بلفور المتوفى سنة 1930 قد أعلن عن تعاطف دولته مع الحركة الصهيونية الناشئة (10) بخلق كيان منفصل في فلسطين، وهو ما عرف بوعد بلفور المؤرخ يوم 2 نونبر سنة 1917 وكان الانتداب البريطاني في فلسطين قائما على أساس هذه السياسة التي انتهت بتحيقق وعد بلفور (11) بإعلان كيان انفصالي باسم (اسرائيل) يوم 15 مايو 1948، وبذلك وقع شطر من القدس الشريف تحت حكم الدولة المصنوعة القائمة، وكان احتلال الشطر الثاني منه في خامس يونيه سنة 1967، ثم كان ما كان من الواقع المؤسف المعروف بانتهاك حرمة المسجد الأقصى والاساءة إلى المقدسات الإسلامية اساءة لا تمحوها إلا دبلوماسية ناضجة معززة بتكتل الجهود الإسلامية، وتوحيد الصف لاعلاء كلمة الله واعادة المشروعية إلى بيت الله المقدس، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

ولعل ما أجملناه وأشرنا إليه من معلومات حول المسجد الأقصى الشريف، فيه الكفاية لادراك مغزى الاسراء واهتمام الأمة الإسلامية بإحياء ذكرى الإسراء.

معجزة الإسراء والمعراج :

فالإسراء إلى المسجد الأقصى إذن، له أبعاد وأعماق، وإشارات دينية واجتماعية وفكرية، ما زالت الأيام تكشف عما لم تستطع العقلية البشرية ان تكشف عنه، منذ وقعت المعجزة الكبيرة في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب على المشهور، وقبل الهجرة بسنة واحدة على الارجح، سنة 621 من ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وبذلك تكون هذه المعجزة النبوية من المعجزات التي شغلت بال البشرية في الماضي والحاضر، كما ستشغله في المستقبل، ما دامت البشرية مشغولة بقضية تسمى قضية المسجد الأقصى أو قضية القدس.

---

7) مختصر تفسير ابن كثير : ج 1 ـ ص 483.

8) حاضر العالم الإسلامي بتعليقات الأمير شكيب أرسلان ص 13 ط القاهرة 1352 (1933).

9) محمد حسين هيكل : حياة محمد ـ ص 253، و ص 578 ـ ط 9 سنة 1965.

10) نشأت الحركة الصهيونية على يد الكاتب اليهودي المجري تيودور هرتزل المتوفى سنة 1904.

11) الموسوعة العربية ـ 182.

والنصوص المقدسة الواردة في هذا الموضوع من سورة الإسراء وسورة النجم. وكذلك ما ورد في صحيح البخاري ومسلم. ومسند الإمام أحمد وغيرها من المصادر المعتمدة ومنها كتاب الشفاء للقاضي عياض. تعطي صورة مكتملة واضحة لهذا الحدث الإسلامي الكبير الذي يشتمل في مجموعه على فصلين اثنين. يرتبط أولهما بالثاني. ويتعلق ثانيهما بالأول. في شريط ذهبي من المشاهد النورانية الدالة على القدرة الربانية. يسجل حدث الإسراء أولا. وحدث المعراج ثانيا. فالإسراء كان مقدمة للمعراج. والمعراج كان امتدادا وتتمة للإسراء.

وللاشعار بعظمة الموقف وجلال المعجزة الباهرة. جاء النص الإلهي بإثبات الإسراء والأخبارعنه مبدوءا بكلمة (سبحان) وهو علم على التنزيه والتقديس والتسبيح من جهة. ويستعمل من جهة أخرى للدلالة على التعجب لقدرة باهرة أو شيء عجيب. مع تنزيه القادر جل شأنه. كقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام أحمد في مسنده «سبحان الله. أين الليل إذا جاء النهار ؟». وبهذا الأسلوب. وعلى هذا النسق. نطق الكتاب الكريم في الآية الأولى من سورة الإسراء بقوله تعالى : «**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى**» أو كأنه قال: تنزيها وتقديسا وتعظيما لله القادر الحكيم الذي أسرى بعبده، وهو جل شأنه على كل شيء قدير. وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن معنى «سبحان الله» فقال : «تنزيه الله عن كل سوء» (12) فهي كلمة رضيها الله تعالى لنفسه كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (13) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه : «كلمتان حبيبتان إلى الرحمان. خفيفتان على اللسان. ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده. سبحان الله العظيم». وفي الحديث الشريف أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر. هن الباقيات الصالحات» أخرجه الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى من سورة الكهف : «**المال والبنون زينة الحياة الدنيا، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا**».

ومعنى ما تقدم ان الخالق جلت قدرته عظم شأنه ومدح قدرته فقال : «**سبحان الذي أسرى بعبده**» الفاتا لنظر الناس إلى هذه المعجزة الباهرة. وتعليما لهم كيفية مدحه وتمجيده تعالى. كما قال في أول سورة الفاتحة : «**الحمد لله رب العالمين**». فحمد نفسه ليعلم الناس كيفية حمده والثناء عليه. فكأنه تعالى قال : قولوا : «**الحمد لله رب العالمين**». وقد ورد مثل هذا في آيات أخرى منها قوله تعالى في أول سورة الكهف : «**الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب**» حمد نفسه المقدسة على انزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. وشرف وكرم. ومجد وعظم. وهو تعالى المحمود على كل حال. وله الحمد في الأولى والآخرة. فيكون معنى قوله تعالى في أول سورة الإسراء «**سبحان الذي أسرى بعبده**» تمجيدا وتعظيما لقدرة الله الذي أسرى بعبده من المسجد الحرام بمكة المكرمة إلى المسجد الأقصى في القدس الشريف. في عصر كانت فيه المعجزة معجزة. أي لم تكن فيه طائرة ولا صاروخ. لأنه لو كانت وقتئذ وسائل النقل الجوي السريع موجودة. لما عد هذا الحدث معجزة. ولقيل بأنه ربما انتقل إلى القدس على متن طائرة سريعة. ولدخل هذا الحدث في الاحداث السياسية أو العلمية اللامعة. ولا اقتضت الحكمة الإلهية أن

---

12) القرطبي : ج 10. ص 204.

13) ابن العربي : أحكام القرآن. ج 3 ـ ص 1191 بتحقيق علي محمد البجاوي.

تكون المعجزة من نوع آخر، لا يستطيع العقل البشري أن يصدقه بسهولة.لأن المعجزة أمر خارق للمألوف والعادة. كانشقاق القمر حينما سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فانشق القمر فصار فرقتين أمام أعين الناس. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : اشهد يا أبا بكر. وبذلك صرحت الآية الأولى من سورة القمر. فقال تعالى : «**اقتربت الساعة وانشق القمر**» واخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما الأحاديث الواردة في ذلك. وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره : وردت في ذلك حينما سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية، فانشق القمر فصار فرقتين أمام أعين الناس. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : اشهد يا أبا بكر. وبذلك صرحت الآية الأولى من سورة القمر. فقال تعالى : «**اقتربت الساعة وانشق القمر**» واخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما الأحاديث الواردة في ذلك. وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره : وردت في ذلك الأحاديث المتواترة بالاسانيد الصحيحة (14) وقال الدكتور محمد سعيد رمضان : وهو أمر متفق عليه بين العلماء، وكان احدى المعجزات الباهرات (15) وما صح انه معجزة في العصور الخالية قد لا يصح أن يكون معجزة في عصر الحضارة وتقدم الإنسانية في العلم والتكنولوجية. فلو حصل انشقاق القمر في هذا العصر الذي وصل فيه الإنسان بقدرة الله إلى سطح القمر، لقيل انه انشق من تأثير سقوط صاروخ فضائي على سطحه، بعد أن شاهد الناس بأعينهم بواسطة التلفزة العالمية نزول المركبات الفضائية عليه حاملة للإنسان الذي كرمه الله تعالى بالعلم والعقل، وسخر له الأرض والبحر والجو، ليحقق إرادة الله وحكمته في هذه الحياة الدنيا. وليتبين ان العلم لا يتعارض مع المعجزة، وان ما كان خارقا للعادة وخارجا عن المألوف في عصر من العصور، قد يصير عادة ومألوفا في عصر آخر، ويتطور بتطور الزمن والثقافة والعلم (16) وإذا كان الأمر كذلك، فلا غرابة ان كرم الله عبده ونبيه صلى الله عليه وسلم بهذه الرحلة المباركة من مكة إلى القدس ليريه من آياته الكبرى، «**انه هو السميع البصير**» السميع لأقوال عباده سرا وجهرا، البصير بأحوالهم وأفعالهم ما ظهر منها وما بطن. اخرج الإمام البخاري عن عائشة أم المومنين رضي الله عنها قالت : الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشكو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا في ناحية البيت ما اسمع ما تقول، فانزل الله عز وجل : «**قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما، ان الله سميع بصير**» (1 ـ المجادلة).

الاسراء تكريم للنبي :

وفي (تفسير الجلالين) ان المراد بقوله في الإسراء «انه هو السميع البصير» يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم. فهو السميع لأقوال نبيه البصير بأحواله صلى الله عليه وسلم، فأنعم عليه بالاسراء تكريما وتشريفا لمقامه. وهذا الرأي يتفق مع الظروف التي كان فيها الإسراء والله أعلم. فقد كانت المعجزة بعد قدوم النبي من الطائف إلى مكة.

---

14) مختصر تفسير ابن كثير ـ ج 3 ـ ص 408 وما بعدها.

15) محمد سعيد رمضان : فقه السيرة، ص 118 ـ ط. 7 سنة 1398 هـ ـ 1978.

16) فقه السيرة ـ ص ١١٩. وقارن بحياة محمد لمحمد حسين هيكل، ص 195، ط. 9 سنة 1965.

وكان صلى الله عليه وسلم خرج إلى الطائف بسبب ما لاقاه في مكة من محن ومضايقات. ولعله صلى الله عليه وسلم خشي أن يكون مالاقاه بسبب غضب من الله عليه لامرما. فعمد إلى ظل شجرة بعد تعب شديد. فلما اطمأن صلى الله عليه وسلم رفع رأسه إلى السماء ضارعا في شكاية إلى ربه فقال : «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس. يا أرحم الراحمين. أنت رب المستضعفين وأنت ربي. إلى من تكلني ؟.. إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمرى ؟.. ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي. ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات. وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة. من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك. لك العتبى حتى ترضى. ولا حول ولا قوة إلا بك» (17).

وكان الله سميعا لدعاء عبده ونبيه. بصيرا بأحواله وما يعانيه في سبيل الدعوة إلى الله. فجاء الاسراء تكريما من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم. واشعارا له بأنه لم يتخل عنه، ولم يغضب عنه. وإنما هي سنة الله مع الأنبياء والدعاة والمصلحين في كل زمان ومكان. وان الله معه وحافظه وناصره «انه هو السميع البصير» وكان هذا الموقف شبيها بموقف سابق للنبي صلى الله عليه وسلم حينما تأخر عنه الوحي في أوائل البعثة الشريفة. فأنزل الله عز وجل : **«والضحى والليل اذا سجى، ما ودعك ربك وما قلى، وللاخرة خير لك من الأولى، ولسوف يعطيك ربك فترضى»** (1 ـ 5. الضحى) وكان من جملة العطاء الكريم. معجزة الإسراء وما تلاه من المعراج حيث «رأى من آيات ربه الكبرى» كما أشارت إلى ذلك أوائل سورة النجم. وكما نطقت بذلك الأحاديث المتواترة الصحيحة في هذا الشأن.

وخلاصة ذلك كما عند البخاري ومسلم في صحيحيهما. وفي مسند الإمام أحمد. وكما هو محقق ومنسق في شفاء القاضي عياض. وكما ذكرته مصادر السيرة النبوية ومنها سيرة ابن هشام ومصادر التفسير ومنها تفسير ابن كثير : ان النبي صلى الله عليه وسلم أتي بالبراق. وهو دابة فوق الحمار ودون البغل. يضع حافره عند منتهى طرفه. وقيل له البراق لشدة بريقه وبياضه. أو لشدة سرعته فهو كالبرق. فركبه حتى اتى المسجد الأقصى. فربط الدابة عند الباب. ودخل المسجد فصلى فيه ركعتين. وأتاه جبريل عليه السلام باناء من خمر واناء من لبن. فاختار صلى الله عليه وسلم اللبن. فقال له جبريل : اخترت الفطرة. أي الاستقامة. ثم أتي بالمعراج وهو كالسلم. فصعد فيه إلى السماء الدنيا. ثم إلى بقية السموات السبع. فتلقاه من فيهن من الملائكة والأنبياء وكان كل نبي يقول له مرحبا بالنبي الصالح. والأخ الصالح. إلا آدم وإبراهيم قالا له : مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح. ثم انتهى إلى سدرة المنتهى. فغشيها نور وغشيتهاالملائكة. فما أحد من خلق الله يستطيع أن يصف حسنها. وأوحى الله إلى عبده ما أحوى. وفرض الله خمسين صلاة في كل يوم وليلة ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفا بعباده. فهي خمس وهي خمسون. والحسنة بعشر أمثالها. ثم هبط صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس. وهبط معه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فصلى بهم اماما باشارة جبريل عليه السلام. ثم خرج من بيت المقدس. فركب البراق. وعاد إلى مكة. وقدر توقيت هذه الرحلة القدسية كما في السيرة الحلبية بثلاث ساعات أو أربع ساعات. وقيل في قدر لحظة. ولا غرابة في ذلك. فالذي مكن لسليمان أن يحضر عَرش ملكة سبا من اليمن إلى القدس في قدر لحظة. وقبل

---

17) فقه السيرة : ص 108 وحياة محمد : ص 187.

أن يرتد إليه طرفه كما في سورة النمل. قادر على أن يعجل الإسراء والمعراج في دقائق معدودات أو في لحظة كما قيل. وإذا كان يوم من أيام الله يقدر بألف سنة كما قال تعالى : **«وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون»** (47 ـ الحج) فإن لحظة الهيئة لتتسع لسياحة تكريمية في ملكوت السموات والأرض. والله على كل شيء قدير.

وفي حديث أم هانيء ابنة أبي طالب رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نام تلك الليلة في بيتها. قالت : «فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله أي أيقظنا. فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : يا أم هانيء. لقد صليت معكم العشاء الأخرة كما رأيت بهذا الوادي. ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه. ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين. فقلت له : يانبي الله. لا تحدث به الناس فيكذبوك ويؤذوك. قال : والله لاحدثنهموه» (18).

الفتنة الكبرى :

وخرج النبي صلى الله عليه وسلم ودخل المسجد الحرام. وجلس يحدث الناس بقصة الإسراء والمعراج. وما رآه من آيات الله وملكوته. فبهت القوم وافتتن الناس. وأخذت عبارات الاستفهام وعلامات التعجب تحوم حول الحدث الكبير الذي حدث به الرسول. ووقع الشك في قلوب المعارضين. والمتقلبين. كما ازداد الإيمان في قلوب المومنين الصادقين. وذهب رجال من المشركين إلى أبي بكر رضي الله عنه فأخبروه على وجه التهكم أن صاحبه زعم انه اسري به الليلة إلى بيت المقدس.

فقال : لئن قال ذلك فقد صدق. فقالوا : اتصدقه انه ذهب إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال : نعم. اني لاصدقه فيما هو أبعد من ذلك. انه ليخبرني أن الخبر يأتيه من السماء في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه. فهذا أعجب مما تعجبون منه. وجاء أبو بكر إلى النبي. واستمع إليه وهو يصف بيت المقدس. وأبو بكر يصدقه لأنه كان قد أتى بيت المقدس وعرفه. فلما اتم رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة المسجد الأقصى. قال به أبو بكر : صدقت يارسول الله. ويومئذ أخبر النبي أبا بكر ان الله قد سماه الصديق. ومن يومها عرف رضي الله عنه بأبي بكر الصديق.

ولم تقف الفتنة بهذه المعجزة الباهرة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقط. بل تعدته إلى ما بعد عصره عليه الصلاة والسلام. فاحدثت علامة استفهام عريضة في الفكر الإسلامي في صدر الإسلام وما بعده. فاختلف السلف والعلماء من بعدهم في حقيقة الإسراء. فذهبت طائفة على أن الإسراء كان بالروح فقط. وفي حالة منام لا في حالة يقظة. وذهبت طائفة أخرى على أنه كان بالجسد والروح معا وفي حالة يقظة تامة.

هل كان الإسراء بالروح ؟

فأما القائلون بأن الإسراء كان بالروح وانه كان رؤيا منام. مع اتفاقهم أن الأنبياء عليهم السلام تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. وأن رؤيا الأنبياء عليهم السلام حق ووحي. فحجتهم في هذا المذهب قوله تعالى : **«وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس»** (60 ـ الإسراء) والحقيقة أن رؤيا الأنبياء رؤيا صادقة. وأول ما بديء به النبي صلى الله عليه وسلم كان رؤيا صالحة كما روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : أول ما بديء به صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصالحة في النوم. فكان لا

18) حياة محمد : ص 189.

يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح». ولكن رؤيا الإسراء كانت رؤيا عين كما جاء في صحيح الإمام البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس» قال : «هي رؤيا عين اريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس» وقوله : هي رؤيا عين» يدل على أنها كانت في اليقظة لا في المنام، إذ لا يقال في رؤيا المنام انها كانت بالعين. ويؤيد ما ذهب إليه ابن عباس قوله تعالى : «ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى» (17 ـ 18 ـ النجم).

أما الرؤيا البشرية، أو ما نعبر عنه بالأحلام في اصطلاح علماء النفس، فهي خيالات لاشعورية تهدف إلى تحقيق رغبات مكبوتة لا يمكن أو يصعب تحقيقها في حياة الواقع. وأن الإنسان غالبا ما يميل إلى نسيان أحلامه أو تحويرها بذكر ما يسره منها وترك مالا يسره. أو بتأويلها حسب عواطفه أو رغباته المكبوتة (19) وهنا نجد أنفسنا مدفوعين إلى التساؤل : هل كانت للنبي صلى الله عليه وسلم رغبات مكبوتة ـ حاشاه ـ في سياحة خارج الجزيرة العربية ؟ وهل كانت له رغبة في زيارة بيت المقدس بالذات ؟ وهل كان يفكر في الصعود إلى السماء ؟ وهل نسي النبي هذه الرؤيا التي نفترض أنها جاءت للتعبير عن رغبات مكبوتة ؟ وهل حاول تحويرها أو تأويلها حسب رغباته وعواطفه ؟ ننزهه صلى الله عليه وسلم تنزيها مطلقا عن كل ما ذكرنا، وعن كل صفة بشرية لا تتفق مع نبوته ورسالته ومعرفته بالله تعالى. فقد عصمه الله من كل شائنة نفسية أو فكرية أو خلقية، وشرح صدره، ووضع عنه وزره، ورفع في السماء والأرض ذكره، ما تضمنته سورة الشرح فقال تعالى : «ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك، ورفعنا لك ذكرك» وأعطاه الوعي والادراك التامين بنفسه وبمسؤولياته كما أخبر تعالى عنه فقال : «قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك، ان اتبع الا ما يوحى إلي». (50 ـ الأنعام) وقال جل شأنه : «يا أيها النبيء إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله باذنه وسراجا منيرا» (45 ـ 46 الأحزاب) وأنزل عليه الكتاب والحكمة والعلم كما قال تعالى : «وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيما» (113 ـ النساء) ومن شمائله صلى الله عليه وسلم ما روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس، وأورع الناس، وأزهد الناس، وأكرم الناس، وأعدل الناس، وأحلم الناس، وأعف الناس، وأشجع الناس، وأرأف الناس بالناس، وأنفع الناس للناس، وخير الناس للناس» (20) ومن كانت هذه أوصافه وشمائله فهو منزه عن الرغبات البشرية الجامحة. فلا رغبة له



19) الدكتور عبد العزيز القوصي : علم النفس، ص 339 وما بعدها، ط 1964.

20) يوسف بن اسماعيل النبهاني : وسائل الوصول إلى شمائل الرسول ـ ص 118 ط ـ 1970.

إلا في رضاء الله وتبليغ رسالة الله، ولا رهبة له إلا من سخط الله وغضب الله. وتأمل ما تقدم من شكواه إلى ربه : «ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك. لك العتبى حتى ترضى.» وكان الله سميعا لشكوى عبده. بصيرا بما أصابه من أذى في سبيله. فأكرمه بالاسراء والمعراج بشارة له برضاه ومحبته. وذكره في آية الإسراء (بعبده) ولم يقل نبيه. وهو تشريف عظيم اختصه الله به في هذا المقام. ولو كان هناك أشرف من العبودية لله تعالى لذكره به. قال القاضي ابن العربي في أحكام القرآن نقلا عن الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن : «لما رفعه إلى حضرته السنية. وأرقاه فوق الكواكب العلوية. ألزمه اسم العبودية له. تواضعا للالهية.» ومن ثم كان ذكره تعالى للملائكة والأنبياء والمومنين بعبادي تشريفا لهم وتكريما.

وإلى ذلك أشار القاضي عياض رحمه الله فقال :

وممـا زادنـي شرفـا وتيهـا
وكـدت بأخمصـي اطأ الثريـا
دخولـي تحـت قولـك ياعبـادي
وأن صيـرت أحمـد لـي نبيـا

ثم انه صلى الله عليه وسلم حرصا منه على تبليغ الرسالة الشريفة خرج غداة الإسراء إلى بيت الله الحرام ليحدث الناس عن المعجزة التي اكرمه الله بها. رغما عن تحذير أم هانيء له خشية منها عليه. فقال لها : والله لاحدثنهموه. إيمانا منه بأن ما حدث كان في حالة شعورية تامة. أي في حالة يقظة لا في حالة منام. وحدث الناس بما امتاز به من وضوح وبيان ودقة تعبير. بما رأى من آيات ربه الكبرى. فلم يحاول تحوير ما رآه من ملكوت الله. لأنه رآه بعينيه الشريفتين في حالة شعورية تامة. «ما زاغ البصر وما طغى» ولم ينس صغيرة ولا كبيرة مما وقع أثناء الحدث الكبير. بل حدث حتى بالرموز الدالة على احكام غيبية في حق من ظلموا أنفسهم بتصرفات اجتماعية مخالفة لشريعة الله. كقوله صلى الله عليه وسلم : «رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الابل. في يدهم قطع من نار كالافهار، أي كالأحجار. يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم. فقلت من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء اكلة مال اليتامى ظلما». ويؤيد هذه المقولة قوله تعالى : **«ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا»**. (10 ـ النساء) وقوله : «وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم.فقلت من هؤلاء ياجبريل؟ قال هؤلاء آكلوا الربا». ويؤيد هذه المقوله قوله تعالى : **«ان الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس»** (275 ـ البقرة). وقوله : «ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم سمين طيب. إلى جانبه لحم غث منتن. يأكلون من الغث المنتن. ويتركون السمين الطيب. قلت من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله من النساء. ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم منهن. قال : ثم رأيت نساء معلقات بثديهن. فقلت من هؤلاء ياجبريل ؟ قال : هؤلاء اللاتي ادخلن على الرجال من ليس من اولادهن. وفي المقولتين الشريفتين كناية عن الزنى. وقد نص القرآن على تحريمه لما فيه من الاضرار الاجتماعية والخلقية. فقال تعالى : **«ولا تقربوا الزنى، انه كان فاحشة وساء سبيلا»** (32 ـ الاسراء) وكل ما تحدث به النبي عن الإسراء والمعراج إلا وله ما يؤيده في الكتاب الكريم الذي : **«لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد»** (42 ـ فصلت) ولو كان النبي في المنام لقال اني رأيت في

المنام. ولما أنكر عليه أحد ما رآه في منامه. لأن كل أحد في إمكانه أن يرى في المنام أمورا عجيبة. وقد كان صلى الله عليه وسلم يرى الرؤيا في منامه ويحدث عنها فلا يكذبه أحد ومن ذلك ما أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما في بيت عبادة بن الصامت رضي الله عنه ثم استيقظ وهو يضحك. فقالت له أم حرام زوجة عبادة رضي الله عنها : ما يضحكك يارسول الله ؟ قال ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر مثل الملوك على الأسرة. فقالت يارسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم. فدعا لها. وكان صلى الله عليه وسلم يقول فيما رواه البخاري أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : «إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها وليحدث بها. وإذا رأى غير ذلك مما ذكره فإنما هي من الشيطان. فليستعذ من شرها. ولا يذكرها لأحد. فانها لا تضره». ونلاحظ من أخبار الإسراء والمعراج أيضا انه صلى الله عليه وسلم حدث بكل ما شاهده حتى بالإشارات الإنسانية العاطفية تأكيدا منه على أن كل ذلك من آيات ربه الكبرى. فيها للناس موعظة وذكرى. من ذلك أنه صلى الله عليه وسلم رأى في السماء الدنيا رجلا قاعدا. على يمينه اسودة أي أشباح. وعلى يساره اسودة. إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى. فقال لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم. وهذه الاسودة على يمينه وعلى شماله نسم بنيه. فاهل اليمين منهم أهل الجنة. والاسودة التي عن شماله أهل النار. فإذا نظر عن يمينه ضحك. وإذا نظر عن شماله بكى. وقد جاء ما يؤكد ذلك في الكتاب الكريم كقوله تعالى : «**وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين، في سدر مخضود، وطلح منضود، وظل ممدود، وماء مسكوب، وفاكهة كثيرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة، وفرش مرفوعة**» (27 - 34 - الواقعة) ثم قال : «**وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم** (أي في هواء حار وماء حار) **وظل من يحموم** (أي في ظل من الدخان) **لابارد ولا كريم** (41 - 44 - الواقعة) ولا مجال للشك فيما وردت فيه الأخبار الصحيحة في هذا الموضوع. وقد ذكر الحافظ ابن كثير أن حديث الاسراء روى بالتواتر عن واحد وعشرين صحابيا من كبار الصحابة وعلمائهم. وذكر اسماءهم رضي الله عنهم. وكل رواية تعد امتدادا وتكملة لغيرها. وان المسلمين اجمعوا على صحتها. وأعرض عنها الزنادقة والملحدون (21) ونكتفي بما قدمناه تعليقا على القائلين بأن الإسراء كان بالروح من جهة، وردا على المعرضين عن حديث الإسراء من جهة أخرى.

الإسراء كان بالجسد والروح :

وأما القائلون بأن الإسراء كان بالجسد والروح معا في حالة اليقظة فهم أغلبية الصحابة والتابعين. وأكثرية المتأخرين من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين. وحجتهم في ذلك قوله تعالى : «**سبحان الذي أسرى بعبده**» والعبد في جوهره هو الجسد والروح معا. ولا يقال في حالة النوم أسرى. بل الإسراء هو التنقل بالليل في حالة اليقظة. وقول ابن عباس في الآية «**وما جعلنا الرؤيا التي اريناك إلا فتنة للناس**» هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام. وقوله فتنة للناس يدل على أنها رؤيا عين وإسراء بشخص. إذ ليس في الحلم فتنة للناس ولا يترتب عنه تشريع. بينما ترتب عن هذه الرؤيا الكونية تشريع الصلاة ففرضت الصلوات الخمس (22) وهبط جبريل عليه السلام صبيحة الإسراء فعلم النبي

---

21) مختصر تفسير ابن كثير : ج 2 - ص 364.

22) ابن رشد : بداية المجتهد - ج 1 ص 70. ط دار الفكر.

صلى الله عليه وسلم الصلاة ومواقيتها (23) وأخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن عمر وقال : «لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به إلى سدرة المنتهى... وأعطى صلى الله عليه وسلم ثلاثا : اعطي الصلوات الخمس. وأعطي خواتيم سورة البقرة (24) وغفر لمن يشرك بالله من أمته شيئا المقحمات وقوله : (القحمات) أي الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار قال تعالى : **«ان الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.»** (48 و 116 ـ النساء) **وحجتهم أيضا أنه صلى الله عليه وسلم أخبر وهو الصادق المصدوق بأن جبريل أخذ بعضده فجره إلى باب المسجد الحرام فإذا بداية، وذكر خبر البراق وانه صلى العشاء في مكة ثم جاء بيت المقدس فصلى فيه، ثم صلى صلاة الغداة في مكة، كما تقدم في حديث أم هانىء. وكل هذا يشعر انه وقع في حالة شعورية تامة أي في يقظة كاملة. كما أن آيات سورة النجم تؤكد كل ما أشرنا إليه، بالإضافة إلى اثبات النبوة وتأكيد الوحي. قال تعالى : «والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى، ان هو إلا وحيٍ يوحى، علمه شديد القوى، ذو مرة فاستوى، وهو بالافق الأعلى، ثم دنى فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، ما كذب الفؤاد ما رأى، افتمارونه على ما يرى، ولقد رءاه نزلة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى»** (1 ـ 18، النجم).

وما دامت هذه القضية قضية عقائدية فيحتمل أن يكون قوله تعالى : **وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس»** من المتشابه. وقد أمرنا أن نقف من المتشابه موقفا مؤمنا حكيما. وقد قال تعالى : **«هو الذي أنزل عليك الكتاب منه، آيات محكمات هن أم الكتاب واخر متشابهات، فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا، وما يذكر الا أولوا الألباب»** (7 ـ آل عمران) واخرج الإمام البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : «تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية **«هو الذي أنزل عليك الكتاب إلى قوله وما يذكر الا أولوا الألباب»** قالت : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم». أي احذروا تأويلهم لما يمكن أن يكون فيه من الزيغ. أي من التحريف والخروج عن الحق. ولكن الاحتمال الذي ذكرنا بأن تكون آية الرؤيا من المتشابة زال بما قدمناه من تأويل ابن عباس رضي الله عنه للرؤيا كما في صحيح البخاري قال : «هي رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به إلى بيت المقدس» فزال الالتباس. وقد روى عن ابن عباس انه قال : «انا من الراسخين الذين يعملون تأويله». ولا غرابة في ذلك فقد دعا له صلى الله عليه وسلم فقال : **«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل.» ولقبه «ترجمان القرآن» ولذا كان قول ابن عباس عند العلماء مقدم على جميع الأقوال. ومن ثم نرى اعتماد القائلين بأن الإسراء كان بالجسد**

23) جلال الدين السيوطي : تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ـ ج 1 ص 13 ط. دار الفكر، وقارن بابن العربي في احكام القرآن ج 3، ص 1195.

24) خواتيم سورة البقرة : الآيتان 285 و 286. قال الإمام البخاري : «من قرأ بالآيتين من اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه». الحديث وقال الإمام أحمد : «أعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبي قبلي». الحديث وانظر م. تفسير ابن كثير ج 1 ـ ص 259.

والروح على تأويل ابن عباس، ووافقه في ذلك عدد من الصحابة منهم أنس بن مالك، وعمر بن الخطاب، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن مسعود، وعبد الرحمان بن صخر المعروف بأبي هريرة، رضي الله عنهم. وبقولهم قال عدد من التابعين منهم : سعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، وابن شهاب الزهري، ومجاهد بن جبر، ومسروق بن الاجدع، وعكرمة بن عبد الله البربري المدني رضي الله عنهم. وبقولهم قال عدد من الفقهاء والمفسرين والمتكلمين كذلك. وهذا القول يزكيه ويوثقه قوله تعالى «ما زاغ البصر وما طغى، لقد رأى من آيات ربه الكبرى» وهذه الآية من سورة النجم توضح الآية الأولى من سورة الإسراء وهي قوله عز وجل : «سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير» والقرآن الكريم يفسر بعضه بعضا كما هو معروف عند المفسرين.

الإسراء والعلم :

ونستنتج مما تقدم أن القول بالإسراء بالجسد والروح هو الحق. وقد قال الإمام النووي في شرح مسلم : «والحق الذي عليه أكثر الناس. وعظم السلف. وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين انه أسرى بجسده صلى الله عليه وسلم. والاثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها». قال الحافظ ابن حجر في شرح البخاري : «ان الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسده وروحه. وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين. وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة». وقال القاضي عياض في الشفا : «والحق من هذا والصحيح إن شاء الله انه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها. وعليه تدل الآية وصحيح الأخبار . ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة. وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة. ولو كان مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة. ولما استبعده الكفار ولا كذبوه. إذ مثل هذه المنامات لا ينكر». وقال القاضي ابن العربي في احكام القرآن : «ان كان المنكر من أغبياء الملة يقر معنا بالالهية والعلم. والإرادة والقدرة على التصريف والتدبير والتقدير. يقال له : ما الذي يمنع من ارتقاء النبي في الهواء. بقدرة خالق الأرض والسماء... وقد ورد من كل طريق على لسان كل فريق... ولو كانت رؤيا منام ما افتتن بها أحد ولا أنكرها. فإنه لا يستبعد على أحد أن يرى نفسه يخترق السماوات ويجلس على الكرسي. ويكلمه الرب».

ونزيد على ما تقدم بأن العلم الحديث بما حققه من اكتشافات وابتكارات تضاهي المعجزات وتقوم مقامها في الوقت الحاضر. لا يجد غرابة ولا استحالة في الإسراء بالجسد. فهذا من الظواهر العلمية الإبداعية التي تدل على قدرة الله عز وجل خاصة وأن الإسراء كان بواسطة البراق الشريف الذي يمكن تشبيهه مع الفارق بطائرة سريعة. وإذا كان عصر النبوة وخوارق العادة قد انتهى. فإن عصر العلم يترجم ويفسر في الوقت الحاضر ما عجزت العقلية البشرية عن إدراكه في العصور الغابرة لقصورها في مجالات الدراسات الكونية والبحوث العلمية. وما كان فتنة في عصر مضى. صار مألوفا في عصر العلم والمعرفة. وتحقق تكريم الله للإنسانية بما فتحه امامها من أبواب المعرفة والابداع. وصدق الله العظيم إذ قال : «ولقد كرمنا بني أدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا» (70 - الإسراء) فالتكريم والتفضيل قام على أساس العلم الذي أودعه الله في الإنسان. فهو عالم بالقوة. والدراسة تخرجه بقدرة الله من القوة إلى الفعل. لتسخيره في تحقيق ما



ارتضاه الله للإنسانية من تقدم علمي وازدهار حضاري. وتأمل قوله : «**وحملناهم في البر والبحر**» أي وما يحيط بهما من الفضاء أو ما يسمى جغرافيا بالغلاف الجوي. فكأنه جل شأنه قال والله أعلم : وحملناهم في البر والبحر والجو بما وفقناهم إلى ابداعه من وسائل النقل التي ما زالت تتطور بتطور الزمان والعلم. وهكذا تمكن الإنسان من عبور البراري والبحار بدرجات متفاوتة في السرعة. وتمكن من التحليق في طبقات الجو العليا بسرعة مذهلة. كما تمكن من اختراق الغلاف الجوي ليصل إلى القمر في حركة اكتشاف جريئة كانت من أبهر المعجزات الإنسانية في عصر العلم. وتابع الناس بواسطة التلفزة نزول الإنسان على سطح القمر في هدوء وخشوع. ورأوا بأعينهم آية من آيات ربهم الكبرى. كما تمكنوا من مشاهدة مثلا مؤتمر القمة الإسلامي بمكة المكرمة (25) وتتبع حوادثه بوضوح ودقة في الوقت المحدد بالضبط. وهم جالسون في البيوت والأندية والمقاهي. ولم يعد شيئا غريبا مثلا أن يصلي الرجل العشاء في مسجد القرويين بفاس. ثم يأتي مسجد الزيتونة بتونس فيصلي فيه الوتر بعد سهرة ممتعة. ثم يعود إلى فاس ليصلي فيها صلاة الفجر. فهذه أمثلة تقريبية على ما حققه العلم بقدرة الله من تطور وتقدم قد تعده العقول البدائية معجزة باهرة بينما تعده العقول المتقدمة المستنيرة شيئا مألوفا لا غرابة فيه ولا استحالة.

هذه العقول المتقدمة المستنيرة لا تملك إلا أن تقف وقفة إجلال واعتبار أمام قدرة الله وحكمته المتجلية في الإسراء والمعراج. ولا يسعها إلا أن تصدق ما نطق به القرآن المجيد. وحدث به الرسول الكريم. ولا يسعها إلا أن تعترف بصدق ما تواتر عن السلف والعلماء في هذا المجال. وصدق الله العظيم إذ قال : «**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق**» (53 ـ فصلت) وفي الآية الشريفة إشارة إلى ملكوت الله وأسرار كونه التي لا استحالة في معرفتها إذا حصل العلم والإدارك. كما حصل للنبي صلى الله عليه وسلم. وللسلف الصالح من الصحابة والتابعين والعلماء رضي الله عنهم. وكما أكدته البحوث العلمية في العصور المتأخرة.

25) انعقد مؤتمر القمة الاسلامي الثالث بمكة المكرمة في شهر ربيع الاول 1401 هـ الموافق لشهر يناير 1981م تحت شعار «دورة فلسطين والقدس الشريف».

القدس وفلسطين

(قراءة في التاريخ)

للأستاذ خالد محمد خالد

• الجريمة التي حاقت بالقدس، وانتهت بخطفها، هي نفس الجريمة التي حاقت بفلسطين... والمجرمون هنا، هم المجرمون هناك...

• وتبدأ المأساة بوعد بلفور... ذلك الوعد الأثيم الذي تعهدت فيه بريطانيا بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين معلنة أن هذا الوعد لا يعني الإخلال بحقوق الطوائف الأخرى الموجودة بفلسطين... وصدر هذا الوعد عن بريطانيا بعد تشاور مع أهم حلفائها يومئذ ـ الولايات المتحدة، وفرنسا، وإيطاليا.

• وأصدرت «عصبة الأمم» قرارها بأن تكون فلسطين تحت الانتداب البريطاني وألزمت بريطانيا بايحاء منها ومن حلفائها المذكورين أن تتعهد ـ أي بريطانيا ـ بجعل فلسطين في أحوال سياسية، وإدارية، واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي لليهود، وتعترف بالوكالة اليهودية التي يتزعمها «وازيمن» كما تتعهد بتيسير الهجرة إلى فلسطين.

• ولم تكد بريطانيا تتسلم صك الانتداب حتى أقامت على الفور إدارة مدنية وضعت على رأسها اليهودي «هربرت صمويل» بوصفه مندوبا ساميا واحتج العرب والشريف حسين، فضحكت عليهم بريطانيا بوعود كواذب؛ منها أنها لن تسمح أبدا بتحويل الوطن القومي الذي وعدت به إلى دولة يهودية بينما راحت تتخذ كل الوسائل الدنيئة التي تهيىء لليهود امتلاك البلاد بادئة بفتح باب الهجرة على مصراعيه.

• كان اليهود قبل أن يضع الانجليز أيديهم على فلسطين يشكلون 7 ٪ من السكان، ففتحت بريطانيا جميع الأبواب لاستقبال المهاجرين من اليهود الذين تحولوا إلى عبء مسهظ على الاقتصاد الفلسطيني، ولم يعد بالإمكان يومئذ إدخال مهاجرين جدد إلا باحلالهم محل السكان الأصليين... ويحدثنا كتاب «العالم الحديث» للأستاذين أنور الرفاعي وشاكر مصطفى أن بريطانيا لم تعبأ بقرارات اللجان التي دعت إلى وقف الهجرة بل مضت في إصرارها حتى أدخلت في أعوام ثلاثة من 1933 إلى 1936 مائة ألف وخمسين ألفا من اليهود المهاجرين إلى فلسطين... هذا عدا الألوف الكثيرة الذين كانوا يدخلون البلاد بوصفهم «سائحين» ثم تيسر لهم بريطانيا أسباب الاستقرار والاستيطان.

• واشتعلت الثورات في فلسطين... وفي واحدة لاغير من هذه الثورات قتل الانجليز ألفا وخمسمائة شهيد من العرب... وراحت القوات البريطانية تفتك بالقوى وتدمرها، وحلت المجلس الأعلى وقامت بنفي أعضائه إلى خارج البلاد وكأنما كان الانجليز يومئذ يرددون مع قائدهم «اللنبي» «لقد عدنا يا صلاح الدين».

• وشرع اليهود يتخذون من حائط المبكى «مسمار جحا» مخفين أطماعهم التي ستجعل من القدس كلها حائط مبكى...

• ويحدثنا الاستاذ سامي حكيم في كتابه «القدس» أن حائط المبكى ليس مقدسا على الإطلاق. لأن هيكل سليمان لا أثر له بعد أن دمر أكثر من مرة وأقيم مكانه معبد الإله «جيوبيتر» فهذه البقايا التي يتمسح بها اليهود ليست من اثار هيكل سليمان. بل هي من اثار المعبد الوثني الذي تهدم وتقوض على مر الزمن.

• كما يحدثنا أن مجلس عصبة الأمم قرر في مايو عام 1935 تشكيل لجنة تحقيق مكثت في القدس شهرا كاملا وعقدت ثلاثا وعشرين جلسة واستمعت إلى ممثلي العرب واليهود. ثم انتهت إلى قرارها بأن حق ملكية الحائط وحق التصرف فيه وفيما جاوره من الأماكن هو للمسلمين وحدهم. والحائط ملكهم لأنه جزء لا يتجزأ من الحرم الشريف. كما قررت اللجنة أن الرصيف الكائن عند الحائط حيث يقيم اليهود صلواتهم هو أيضا للمسلمين.

« ٥ »

• مع اشتداد ثورات العرب ضد اليهود وضد الانجليز. وعندما حان الحين لتحويل الوطن القومي إلى دولة صهيونية أحالت بريطانيا القضية إلى هيئة الأمم المتحدة التي قررت تقسيم فلسطين مع استبقاء منطقة دولية حول القدس تديرها الأمم المتحدة. لكن جامعة الدول العربية رفضت قرار التقسيم.. وبدات اللجان تغدو وتروح لبحث القضية التي كان وجه الحق فيها سفرا واضحا.. وفي عام 1946 زارت فلسطين لجنة انجليزية امريكية.. وكان أول ما عملته ، التوصية بفتح فلسطين أمام مائة ألف مهاجر يهودي. واتخذت اللجنة توصيتها هذه بايعاز من «ترومان» رئيس الولايات المتحدة الاميركية يومذاك.. وتستعد بريطانيا للجلاء عن البلاد بعد أن هيأت كل وسائل امتلاكها لليهود. وتقوم بتسليم ميناء تل أبيب للصهيونيين حيث راحوا يستقبلون الكثير من السفن المعبأة بكل أنوع الأسلحة قادمة من أميركا وغيرها... كما تركت بريطانيا لهم معسكرات كاملة... وخانت مسؤولياتها كدولة منتدبة.

ومضى اليهود ينشرون الفزع بأشنع وسائل الارهاب مما اضطر سبعمائة ألف عربي إلى ترك أرضهم وديارهم ليتحولوا إلى لاجئين في الخيام.. وتولى الانجليز عنهم ارهاب سكان طبرية وطردهم ثم سلموها لقمة سائغة لليهود الذين مضوا يستولون في وحشية حتى على المدن التي كانت من نصيب العرب وفق قرار التقسيم.. وخطا «ترومان» خطوته الأخيرة حين منح حمايته دون تحفظ لدولة إسرائيل فور ميلادها.

• وفور الهدنة التي وقعها العرب مع إسرائيل فإن هذه الأخيرة لم تكف عن التوسع والعدوان. وراحت هيئة الأمم ومجلس أمنها الموقر يصدران عشرات القرارات بإدانة إسرائيل. بيد أن هذه القرارات لم تزد اليهود إلا سخرية وبغيا.

• كان جنودها ينسفون القرى أمام أعين أهلها المطرودين. ليعلموا أنهم سيرحلون إلى الأبد إذ لم تعد لهم قرى ولا دور.

• ويحدثنا كتاب «التحدي الصهيوني» لجاك دومال. وماري لوروا نقلا عن كاتب يهودي منصف هو «هال ليهرمان» يقول : بعد أن جبت البلاد ـ يعني فلسطين ـ منطقة منطقة، استطعت أن أتأكد أن الجنود الإسرائيليين كانوا بالغي الوحشية في مواقفهم حتى مع غير المحاربين من العرب. ان قرى عربية كثيرة قد نسفها الجيش وهجرها سكانها العرب. وكثيرة هي القرى التي لم تشترك في الحرب. ولم يمنع هذا اليهود من الهجوم عليها وتدميرها. كانوا يطردون العرب من القرى ثم يدمرونها حتى لا يعودوا إليها أبدا.

• كل هذا لم يحدث لبلد متخلف جاء اليهود يعمرونه. بل حدث لبلد كان على مستوى عال من الحياة... كان دخل الفرد الفلسطيني يتجاوز ثلاثمائة جنيه استرليني. وكان الإنتاج الزراعي يفيض عن حاجة الاستهلاك بنسبة 150 ٪ وكان 84 ٪ يقرأون ويكتبون. و 92 ٪ من الأطفال بين السابعة والرابعة عشرة يتعلمون في المدارس... هذه النسب في ذلك الحين أعلى نسبة في بلاد الشرق الأوسط.

• مضت إسرائيل في طغيانها مزودة ببركات أمريكا وعونها وبالميثاق السري الذي عقد بين البلدين عام 1951 رغم أن أمريكا كانت تعلن كاذبة أنها لاترتبط تجاه إسرائيل إلا بالبيان الثلاثي الذي أصدرته مع فرنسا وبريطانيا عام 1950.

« ٥ »

• ثم تجيء سنة 1967 حيث كانت إسرائيل تتهيأ لعدوان غاشم على ماحولها من البلاد العربية لتأخذ المزيد من الأرض. ويتحرك الأسطول السادس الاميركي. ويعلن «اشكول» رئيس وزراء إسرائيل أن الأسطول جاء لحماية إسرائيل. ويتعهد «جونسون» رئيس الولايات المتحدة لعبد الناصر بأن إسرائيل لن تبدأ الهجوم. ثم لا يخلف عهده فحسب، بل تضع المخابرات المركزية الامريكية بأمره كل معلوماتها الدقيقة عن المطارات المصرية تحت عين إسرائيل. وترسل سفينة التجسس «ليبرتي» لتلعب دورها القذر ضد القوات المصرية.

وزاملت القدس فلسطين في محنتها من أول يوم. فأبان قيام إسرائيل أرسلت هيئة الأمم مندوبها «برنادوت» وسيطا دوليا في النزاع الناشب بشأن القدس. وقال برنادوت في تقريره : «تقع القدس في قلب ما يجب أن يكون إقليما عربيا في أي مشروع لتقسيم فلسطين. ولا ينبغي التفكير في أن تبقى القدس في الدولة اليهودية ومسألة القدس ليس لها أي علاقة بهذه الدولة».

وكان جزاء برنادوت أن اغتالته إسرائيل. مؤكدة إصرارها على تنفيذ كلمة وايزمن «دولة يهودية من غير القدس، هي الصهيونية من غير صهيون».

• وفي عام 1949 كانت الجمعية العامة لهيئة الأمم قد وافقت على تدويل القدس بأغلبية 38 صوتا، ووافق لكثير من الدول العربية والإسلامية. وعارضته أمريكا. وبريطانيا. وكندا. وتركيا. وإسرائيل... وبينما تتهيأ الأمم المتحدة لتنفيذ قرارها فوجئت بإسرائيل تعلن نقل عاصمتها من تل أبيب إلى القدس. ولعبت بريطانيا وأمريكا دورا فعالا في إبقاء هيئة الأمم عاجزة عن مواجهة التحدي الإسرائيلي... ومضت إسرائيل في تحديها. فاتخذت القدس مقرا لبرلمانها المؤقت ولبعض وزاراتها وفي مايو 1952 نقلت إليها وزارة خارجيتها. وكان أول سفيرين سارعا إلى تقديم أوراق اعتمادهما بالقدس سفيري أمريكا وبريطانيا دون أن تعبأ الدولتان المحترمتان بقرار هيئة الأمم الخاص بالتدويل.

• وفي حرب 1967 كانت القدس العربية تدك بالأسلحة الثقيلة من جانب إسرائيل. ووقف الجيش الأردني

يدافع دفاعا مجيدا عن الضفة الغربية وعن القدس في آن واحد. وسمع سكان الضفة والقدس صوت الملك حسين يناديهم عن طريق الإذاعة «اقتلوا الصهيونيين حيث وجدتموهم اقتلوهم بأسلحتكم... بأيديكم بأظفاركم.. بأسنانكم».

وبكل امكانات امريكا استطاعت إسرائيل أن تضع يدها على القدس كلها... وكأنما كان بينها وبين الأماكن المقدسة بها - إسلامية ومسيحية - ثأر لا ينسى. فقد سرقوها ونهبوها وأشبعوها تدنيسا وملأوا جدران كنيسة القيامة بالصور العارية الفاحشة. واقتحمت بنات صهيون المعابد عراة إلا من المايوهات. ومعهن كلابهن. أثار ذلك العمل الوحشي والماجن اشمئزاز وسخط كل العالم.. وكتبت جريدة «الهيرالد تربيون» الامريكية تقول : «ان تصرفات الإسرائيليين توحي بالاستهتار بكل ماهو ديني. بالإضافة إلى المتهتكات اللاتي يدنسن الأماكن المقدسة... وان هذه أمور لم تكن تحدث على الاطلاق في ظل الإدارة العربية لمدينة «القدس» وصرخ رئيس أساقفة يورك : «ان كثيرا من الكنائس والأديرة قد انتهكت حرمتها. وأتلفت صورها ومقدساتها».

« ٥ »

• لقد كان نصيب المقدسات الإسلامية من هذا العدوان الوقح موفورا. فهدموا مدخل المسجد الأقصى وأشعلوا فيه النار وهدموا ما حوله من المدارس الإسلامية وأعلنوا أنهم سيجعلون من القدس الكبرى مدينة يهودية أرضا وسكانا». ونادى البابا «بولس السادس» مستصرخا العالم أن ينقذ القدس عن طريق تدويلها... وأذاع «مكاريوس» نداء إلى العالم جاء فيه : «إني بوصفي رئيس أساقفة أرثوذكس. والقسم الأكبر من الأماكن المقدسة يتبع بطريركية الروم الأرثوذكس في القدس. أعتقد أن لي حقا أكثر من أي شخص آخر في التحدث عن المدينة المقدسة.. لقد حافظنا على الآثار المقدسة على مدى قرون وقرون واليوم يأتي المعتدي الإسرائيلي ليضع يده على أشياء ليست له. وهذه سرقة وعدوان صارخ.. ويجب أن تعاد المدينة القديمة إلى الأردن بأسرع وقت تلافيا لاراقة المزيد من دماء البشر».

• كل هذا كان يحدث وأهل القدس من العرب رجالا ونساء. فتيانا وفتيات يتحدون السلطات الإسرائيلية في استبسال مجيد بينما مجلس الأمن وهيئة الأمم عاجزان تماما عن فعل أي شيء سوى القرار رقم 202 الذي اتخذه مجلس الأمن باعتبار جميع الإجراءات الإسرائيلية في القدس القديمة لاغية. وحث إسرائيل على عدم اتخاذ أي خطوة في المستقبل من شأنها تغيير الوضع في القدس وامتنعت أمريكا عن التصويت. ووقف على الفور مندوب إسرائيل ليعلن أن إسرائيل ترفض هذا القرار ولن تعترف به... وفي إسرائيل أعلن رئيس وزرائها يومئذ «أشكول» أن إسرائيل قررت نقل القيادة المركزية للجيش الإسرائيلي وقيادة البوليس الإقليمي ومكاتب البريد ومكاتب العمل إلى القدس الشرقية. كما أعلن «بن جوريون» أن إسرائيل ترفض أي حوار بشأن القدس.

• وتقوم ثورة عارمة.. يقوم بها أهل القدس في الذكرى الأولى لنكبة 1967. ويسقط العشرات من الشهداء. ويتحرك مجلس الأمن حيث يقدم إليه مشروع أفرو - أسيوي يلزم إسرائيل. بعدم ضم القدس الشرقية ويتخذ المجلس قرارا بإدانة إسرائيل... ومرة أخرى يقف مندوبها معلنا أن إسرائيل ماضية في ضم القدس الشرقية وأن القدس كلها ستبقى جزءا من إسرائيل...

• وهكذا سارت الأمور - بريطانيا زرعت الجريمة... والولايات المتحدة تبنتها ورعتها. ولا تزال وستظل

ترعاها... وهيئة الأمم ومجلس أمنها عاجزان عجزا مطلقا عن وقف الجريمة وردعها.

وأخيرا ـ وليس اخرا ـ كما يقولون، تقرر إسرائيل برلمانا، وحكومة، وشعبا أن القدس قد أصبحت العاصمة الأبدية الموحدة لإسرائيل.

• وقد تملك إسرائيل اليوم، والغد القريب...

• ولكن، هل تملك الأبد... ؟

القاهرة ـ خالد محمد خالد

قرار إسناد رئاسة لجنة القدس الى جلالة الملك الحسن الثاني

«ان المؤتمر العاشر لوزراء خارجية الدول الاسلامية المنعقد في فاس بالمملكة المغربية من 11 الى 15 جمادى الثانية 1399 الموافق 12 مايو 1979.

بعد الاطلاع على قرارات مؤتمري القمة الاسلامية اللذين عقدا في كل من الرباط ولاهور وقرارات مؤتمرات وزراء الخارجية بشأن القدس والحفاظ على سلامة الأماكن المقدسة وتحريرها، واخذا في الاعتبار الوضع الحالي لمدينة القدس واطماع العدو السافرة بها واصراره على تهويدها وتحويلها الى عاصمة للكيان الصهيوني العدواني.

وادراكا من أن هذا المنزلق الخطير الذي تواجهه أولى القبلتين وثالث الحرمين فانه لا مناص من أن يواجه العالم الاسلامي حكومات وشعوبا بمسؤوليات تاريخية مقدسة، قرر :

1 ـ عقد لجنة القدس على مستوى وزراء الخارجية برئاسة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية.

2 ـ قيام اللجنة بصورة خاصة بوضع وتنفيذ برنامج سياسي وإعلامي في العالم غير الاسلامي، إضافة الى مهام اللجنة وطبيعة مسؤولياتها بهدف دعم قرارات هيآت منظمة المؤتمر على مختلف المستويات للمحافظة على عروبة واسلام المدينة المقدسة وعودتها الى السيادة العربية الاسلامية.

3 ـ تخول اللجنة الصلاحية اللازمة لأخذ ما تراه من الاجراءات لتنفيذ البرنامج الذي تقره لتحقيق أهدافها، وتقديم تقريرها عن أعمالها وفقا لهذا القرار الى مؤتمر القمة الاسلامي».

وَيسألونك عن القُدس
قُلْ هي: عربيّة أبديّة

للأستاذ محمد حماوي العزيز

الحديث عن القدس الشريف حديث حاسم، مصيري، وجاد جدا. ولا بد أن يكون هكذا ودونما أي ميل أو جنوح إلى أي هزل كيفما كان، لأنه حديث عن مكان مقدس، حبيب إلى القلوب والألباب. ولا هزل في المقدسات كما هو معروف، لأن الهزل فيها يفقدها قدسيتها، ومن هزل فيها، أو في شأن من شؤونها فإنما هو عابث، وناقص الإيمان بها.

يبدأ الهزل غالبا عند غياب الجد، ويبدأ معه الخذلان، والهوان، بسبب العجز عن الحسم وفقدان القدرة على القول الفصل.

وتكون أمور الحياة وشؤونها دائما على خير ما يرام، عندما يسودها الجد، وعندما يكون فيها القرار للقول الفصل الذي يحسمها حسما حكيما.

لهذا كان لا بد أن يكون الحديث عن القدس الشريف جادا جدا حتى يلائم أوان الجد التي يتطلبها الواقع والموقف.

فالقدس أولى القبلتين، وثالث الحرمين، تشد إليها الرحال من كل صوب في أرضنا هاته، مادامت فيها حياة دنيا إلى أن يرثها الله ومن وما عليها.

إليها كان الإسراء بالرسول الأمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، خاتم الأنبياء والمرسلين، ومنها انطلق في معراجه الأسنى في ملكوت الله العظيم العجيب عابرا ست سموات حتى وصل سابعتهن، حيث البيت المعمور، وحيث سدرة المنتهى وجنة المأوى، ففاز بقرب الله الرحمان الرحيم ومناجاته ثم أعيد نازلا إلى أم القرى، مكة المكرمة، حيث البيت الحرام، منهيا بأوبته إليها وإلى آله وصحبه وقومه رحلته المعجزة التي فتحت عقول المؤمنين وألبابهم على بعض أسرار عالم الغيب، ما كانوا يعرفونها لولا فضل الله، فصارت معروفة عندهم معرفتهم ببعض أسرار عالم الشهادة.

هذا مقام القدس الشريف بالنسبة لنا نحن معشر المسلمين، وهو شبيه بمقامها عند أهل الكتاب من الموسويين (اليهود) والمسيحيين، انه مقام مقدس عند الجميع.

ولا ريب في هذا التقديس لأن الدين عند الله الإسلام. ولأن أنبياء الله كلهم مسلمون أسلموا وجوههم لله، والأدلة في القرآن المجيد كثيرة. ومن شاء أن يتأكد فليتفضل بقراءتها فيه.

لكل ما حول القدس من ربوع ومضة من ومضات الاشراق الرباني، فقد كانت مهابط للوحي على أنبياء الله ورسله. تفوح منها نفحات معجزاتهم ومآثرهم. وتهب نسائم السكينة والطمأنينة من مراقدهم تحمل الألباب إلى التنعم بالتأمل في عالم الروح حيث الروح والريحان.

فغير بعيد عنها يرقد خليل الله سيدنا إبراهيم الخليل في خليله وكأنه هادىء هانىء البال. غير دار بما يجري في القرن العشرين الميلادي من صراعات وحروب بين أحفاده من أبناء إسماعيل وإسحاق وأشياعهما من العربان وغير العربان. والكل في علمه عربي، والكل في الأصل عربي، لأن أبا البشر آدم عليه السلام هبط من الجنة بعد خطيئة فيها صحبة حواء امنا في بلاد العرب. وعلى ثرى الأرض العربية الدافئة الخصبة المعطاء حيا حياته الدنيا. وانجب أولاده قابيل وهابيل وشيت، وكانت الأرض في عهده لا تعرف هذه الكثافة المخيفة من السكان التي تناهز العشر مليارات. ولا هاته المشاكل الخطيرة من التناقضات والتعارضات والصراعات. ولا هذا الإنذار المرعب عن أزمة الغذاء فضلا عن ازمات السكن والعمل. والتعليم المزمنة....

وحتى ولو بلغ خليل الله نبأ صراع أحفاده فإنه كجد حكيم وقور، وكعربي عبر الفرات من مسقط رأسه في مدينة أور (العراق) إلى سوريا ومنها إلى مدينة «يبوس» عاصمة فلسطين التي لم تكن وقتئذ تعرف أسماء اليهود وإسرائيل، «وبني إسرائيل» والإسرائيليين» وغيرها من الأسماء التي استحدثت في عهد حفيده يعقوب وأسباطه.

فإنه دونما ريب، وامتثالا للانصاف المعهود فيه. يقف موقفا عادلا بين أحفاده من أبناء ولديه إسماعيل وإسحاق في صراعهم من أجل القدس وفلسطين التي كانت قبل وصوله إليها وأثناء إقامته فيها أرضاً عربية يسكنها العرب، وخاصة الكنعانيون أبناء كنعان ابن النبي نوح الذي غرق في أمواج الطوفان المشهور أثناء محاولته الالتجاء إلى «جبل يعصمه من الماء».

ولولا ظلم فرعون واستبداده واستعباده لبني إسرائيل، الذين وفدوا على مصر في عهد النبي يوسف الصديق الذي كان له فيها شأن رفيع، يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم» ، ويسخر رجالهم في الأعمال والمشاريع الشاقة لما حدث نزوحهم عنها إلى أرض الميعاد بقيادة النبي موسى عليه السلام، وبعد وفاته بقيادة يوشع بن نون حتى تسنى لهم بعد ذلك تأسيس مملكة توجوا عليها طالوت أول ملك لهم، وخلفه داوود، وسليمان الذي بنى الهيكل المعروف، وبعد سليمان انقسمت المملكة إلى مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا، وحدث بعد ذلك سبي بابل، وأخذ منها الضعف أيما مأخذ حتى اندثرت في أيام الرومان على يد أحد قادتها قبل ميلاد المسيح. وصارت أثرا، وكان لم يكن لها ذات يوم كيان، سنة الله في كل من يضعف ويعجز.

وبعث عيسى عليه السلام، فناله من اليهود عنت وظلم، ولكن تعاليم المسيحية انتشرت رغم الاضطهاد.

ثم ختمت بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، سائر النبوءات والرسالات السماوية، وناله أيضا من اليهود الذين كانوا يريدون أن تكون النبوءة فيهم أذى عظيما، وكان له شأن جليل مع القدس ذكرته آنفا في الفقرة السادسة. وبعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى كان لخليفته الراشد الثاني عمر بن الخطاب شانه معها أيضا. كان اسمها آنذاك «إيلياء» إذ زارها بناء على طلب سكانها، وصلى

خارج كنيستهم وبنى بها مسجده المعروف، وصالح أصلها، وأمنهم، وأكرم رهبانهم وأحبارهم.

وكانت لخالد بن الوليد، بسيف الله، صولات وجولات على مقربة منها وخاصة في اليرموك حيث هزم في معركة حربية عظيمة بقواته التي تناهز الأربعين ألفا من المجاهدين جيشا روميا تعداده مائة ألف وتزيد، وحقق نصرا عزيزا للمسلمين.

وجاءت دولة بني أمية ومضت.. وأعقبتها دولة بني العباس، وفي أيامها اندلعت الحروب الصليبية بين المسلمين والمسيحيين ابتداء من سنة 1095 م في ربوع فلسطين ولبنان وفي أطراف من سوريا وجنوب تركيا في آسيا، استمرت طيلة قرنين من الزمان كانت الأيام فيها سجالا، يوم للمسلمين ويوم للمسيحيين... وأثناءها استولى الصليبيون على القدس في سنة 1099م وأسسوا بها مملكة صليبية في سنة 1100م دامت إلى سنة 1187م حيث استردها السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي اشتهر بفروسيته، ونبله، وشهامته، وسماحته في معاملة المسيحيين وخاصة الاسرى فيهم، وله قصص معروفة في التعامل مع ريتشارد قلب الأسد البريطاني.

صلاح الدين الأيوبي قدم الكثير للإسلام والعروبة، لذا فهو يستحق منا، ونحن في أوضاعنا هذه، وقفة الإجلال والتقدير والامتنان.

إنه ينتمي إلى عائلة يمنية استقرت بين ظهراني أكراد العراق حيث ولد في تكريت سنة 1138م وعمل في جيش الشام بدمشق، وتولى مناصب قيادية مهمة، وفي سنة 1174م أسس الدولة الأيوبية التي ضمت سوريا ومصر.

حارب الصليبيين في معركة حطين الشهيرة، وانتصر عليهم، وأسر ملك مملكة القدس الصليبية، واستولى على القدس سنة 1187م وانهى الوجود الصليبي بها وضمها إلى دولته.

وترتب على انتصاره العظيم في حطين ارسال الأوروبيين حملة صليبية ثالثة إلى فلسطين، واجهها صلاح الدين بقواته المظفرة، لكنه لما لم يستطع التغلب عليهم في ثغر عكا اضطر إلى عقد صلح معهم في سنة 1191م حسب شروط ضمنت له سوريا وفلسطين مقابل احتفاظهم بامارتهم الساحلية على البحر الأبيض المتوسط، وبعد سنتين من هذا الصلح توفى في دمشق سنة 1193م وعمره 55 سنة.

لكن الصلح لم ينه الصراع أساسا، لا سياسيا ولا حربيا، وانما ادرجه في إطار مرحلي جديد، ووجهه وجهة أخرى عالجته الأجيال التي جاءت بعد صلاح الدين طبقا لمخططات مرحلية أخرى أملتها الظروف والأوضاع السائدة والوسائل والامكانات المستعملة، والأحداث التالية تؤكد هذا.

ولد صلاح الدين وعمر المملكة الصليبية بالقدس 28 سنة، وقضى عليها وانهى وجودها وعمره 49 سنة بعد 13 سنة من توليه السلطان في دمشق على سوريا ومصر، انه بحق إنجاز عظيم في عمر متوسط لإنسان، وحقا لقد استطاع أن يكتسب رهانه !

معركة حطين شقيقة معركة اليرموك... بنصر اليرموك قدم خالد بن الوليد إخوانه القدس وفلسطين هدية للإسلام والعروبة، وبنصر حطين اعاد صلاح الدين الأيوبي إهداءها لهما ثانية بعد غيابها عن سيادتهما مدة 87 سنة.

يبدو لنا هنا نوع من التشابه في الوضعيات التاريخية في نفس المكان، رغم تباعد الزمان، ولا ريب، فالتاريخ يعيد نفسه، حسب المقولة الشائعة على كل لسان.

احتمال إعادة التاريخ لنفسه هو الذي يفرض علينا الاهتمام بدراسة احداثه اهتماما لائقا.

سهل أن يطوى الإنسان التاريخ. عهودا وعصورا. بسرعة كبيرة. تماثل طيه أوراق كتاب يتصفحه.. ولكن الأحداث والوقائع كانت قاسية. عنيفة. دامية. مأساوية ولا سيما في أيام الأزمات والحروب. يشيب من هولها الولدان. ويحار في وصفها ذوو الألباب.

بعد قرنين من حضور صليبي مدعم بقوة السلاح والجيوش والنجدات العسكرية المتواصلة من مختلف بلدان أوربا. ومطعم بنوايا استعمارية وعدوانية ضد المسلمين رحل الصليبيون. وجلوا عن الأرض العربية. ولم تبق لهم من دويلاتهم التي أسسوها في المنطقة العربية باقية، وعادت فلسطين العربية للعرب وللمسلمين. وبقت في أرض العروبة ولم يستطع الغزاة الصليبيون أخذها معهم.

.. لكن الروح الصليبية لم تنته برحيل الصليبيين وانهزامهم. وإنما ظلت نارها مشتعلة تحت الرماد حتى إذا جاءت الحرب العالمية الأولى عادت لتحرق فلسطين من جديد فاحتل البريطانيون القدس سنة 1917. وفي إطار تصفية الامبراطورية العثمانية صارت القدس عاصمة لفلسطين في سنة 1920.

ومهد البريطانيون في ظل انتدابهم لفلسطين لليهود أيما تمهيد. ومكنوا لهم بدهائهم ونفوذهم أيما تمكين. حتى

إذا ما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها في سنة1945 ظهر في الأفق السياسي بارق تقسيم فلسطين قسمين بين العرب واليهود يقام في كل قسم دولة لكل منهما. وكان هذا عملا سياسيا ظالما غاشما تعسفيا يتحمل مسؤوليته من صوت له من أعضاء الأمم المتحدة. فقامت الدولة اليهودية «باسم إسرائيل» في سنة 1947 وفي سنة 1948 استولى الصهيونيون على مدينة القدس الجديدة إثر إعلانهم استقلال دولتهم يوم 14 مايو قبيل انتهاء الانتداب البريطاني.

منذ هذا التاريخ حدثت 4 حروب عربية إسرائيلية. نتائجها ووقائعها معروفة. وفي سنة 1967 احتل الإسرائيليون القدس العربية. وحرقوا بعد ذلك المسجد الأقصى حرقا إجراميا مخزيا. ورقصوا في رحابه. ومارسوا فيها الموبقات عيانيا وعلنا. على مرأى ومسمع من كل من في الأمم المتحدة.

ثم كانت ثالثة الاثافي فاصدرت حكومة «إسرائيل» قرارها بجعل القدس عاصمة أبدية لها. وتكلم الداهية الدهياء. وذلكم ناقوس الخطر الداهم.

ومثلما تحركت الحمية في نفوس المسلمين اثر حرق المسجد الأقصى. وأدت إلى انعقاد المؤتمر الإسلامي في سنة 1969 بالرباط كرد فعل لمواجهة الموقف التي ترتب على العدوان الاجرامي الذي اقترفه الإسرائيليون على قدس من مقدسات المسلمين. تحركت مرة ثانية فيهم فور صدور القرار الإسرائيلي الأخير بشأن جعل القدس عاصمة أبدية لإسرائيل. فتكونت لجنة القدس التي انتخب ملوك ورؤساء الدول الإسلامية جلالة الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية رئيسا لها مرتين.. وأدعو مع الداعين من المسلمين والعرب أن يوفقه الله العلي القدير في تحقيق الامال والأهداف. وأن يحقق النصر على يديه الشريفتين.

ما أوردت هذه اللمحة التاريخية السريعة الوجيزة جدا لتأكيد عروبة القدس وفلسطين فعروبتهما أمر معروف ومسلم به. ولا تحتاج إلى نقاش. وإنما على أمل أن يعود القارىء الكريم إلى تاريخ الشرق العربي في مختلف عصوره وعهوده. وخاصة الإسلامية منها لدرسها بعمق وإمعان لعله يستخرج من وقائع احداثها الاستنتاجات الظاهرة والخفية لمرامي وأسباب ومقاصد جميع السياسات التي طبقتها الدول والأقوام التي حلت بها ومرت وارتحلت عنها.

فليس التاريخ مجرد تدوين وكتابة وتسجيل وسرد وجرد للأحداث بل هو أولا وأخيرا صور واقعية لسياسات شؤون الحكم والحضارة والعلاقات والتعاملات بين الدول والاقوام.

وعلى أضواء الماضي يبنى الحاضر، ويتم اعداد المخططات للمستقبل.

التاريخ يتجاوز المكان والزمان، ويتجاوز الدول والاقوام.. انه خالد دائم، لاينتهي ولا يفنى، وفوائده عامة يستفيد منها كل إنسان في أية دولة، وفي أي قوم، في أي مكان وفي أي زمان !

الاستعمار الذي ابتلى به العالم العربي والإسلامي هو الصليبية في صورة أخرى . وإسرائيل والصهيونية هما الصليبية والاستعمار في شكل جديد يتلاءم والأوضاع والملابسات السياسية والقانونية والاستراتيجية السائدة في النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي.

ومنظور عام للتاريخ في الأوطان وعند الأقوام لا يصنع في سنوات، وانما في عهود..

ان نضالنا الإسلامي العربي استمرار لنضال أسلافنا العرب والمسلمين في الماضي في حقيقته وأبعاده ومقاصده، لذلك كانت دراسة تاريخنا بعمق وتدبر، تقارن فيها بين الأحداث، والمواقف، والأوضاع، والاتجاهات، والأهداف، والمقاصد، والمخططات، والأفعال وردودها جديرة بأن تمكننا من اكتساب وعي سياسي شامل يدعم الوعي الذي لدينا بواقعنا وحقائقه، ويمدنا بطاقات إضافية نتزود بها في نضالنا المتواصل من أجل تحقيق أغراضنا.

النضال ممارسة للسياسة، والسياسة موجودة في التاريخ، ولذلك لا بد من الرجوع إليه لاستشارته لأنه يعلم الذكاء والدهاء.

لم تشاهد القدس وفلسطين الحضور السياسي والعسكري لبني إسرائيل على ثراها وحده فقط، وإنما شاهدت حضور أقوام عديدين، قبلهم وبعدهم، في تاريخها القديم والحديث.. شاهدت الأشوريين، والرومان، والفرس، والمقدونيين، أيام الاسكندر الأكبر وغيرهم، وشاهدت الصليبيين والانجليز، رحلوا جميعا، ومضوا، وأخذوا معهم هزائمهم بعد ما ذابت انتصاراتهم وتبخرت، وبقت هي عربية!

وكان الرومان قساة على اليهود، منهم من دمر القدس، ومنهم من اعاد بناءها، ومنهم من طرد اليهود منها وشتتهم، ومنهم من حرم دخولهم إليها..!

ومهما تعنت الإسرائيليون، وتجبروا، وطغوا، ومهما ذهبت بهم الأطماع فإنهم كالصليبيين راحلون في خاتمة المطاف عن فلسطين، إن لم يكن في القريب ففي الأجل، ولا بد من رحيلهم تلكم سنة الله في الغزاة الغاصبين، وهو أكبر درس يستفاد من التاريخ !

الحق العربي للعرب الفلسطينيين في فلسطين ثابت، واضح، ومطالبهم عادلة، مشروعة، وحقة...

وإعادة الحق إلى ذويه ضرورية، والسبيل إليها هي النضال المستمر، المتواصل، المثابر، وفرضه بجميع الأسباب، والامكانات، والوسائل على أرض فلسطين، وفي كل محفل دولي، سياسي أو حضاري في العالم، والشعار الرائد لهذا النضال يجب أن يكون دوما مثلنا العربي القائل «ما ضاع حق وراءه طالب».

فالحق لا يمنح هبة لإن الناس ما زالوا لم يصلوا بعد إلى الرشد والنضوج، إنهم حتى أيامنا هذه يحملون بقانون الغابة.. الحق يؤخذ أخذا، ويسترد استردادا، ويسترجع قسرا واستحقاقا، عنوة وجدارة واقتدارا.

نحن نعيش، حتى في أيام السلم، في صراع دائم، وليس الصراع الا الحرب بصورة أخرى، الحرب الصامتة غير المعلنة، التي لاتستعمل فيها أدوات الفتك والاهلاك، وإنما الذكاء والدهاء والضغوط، والمساومات، والأخذ مقابل العطاء، والعطاء من أجل الأخذ، والحصول على امتيازات، ومواقع سياسية أو استراتيجية أو حضارية، والحيل والخدع بشتى ألوانها، والتأويلات البارعة لنصوص الاتفاقيات والقوانين والمراسلات، والمهارة في وضع فخ أو أفخاخ في نصوص معينة، تستغل فيما بعد لمقاصد معينة أخرى، والويل كل الويل للغبي، أو الغافل، أو اللاواعي في هذا الصراع..!

إننا نواجه عقلا ألمعيا وفكرا متطورا جدا، ويتطور باستمرار، ولا بد لنا من مواجهة هذا العقل بمثيله، وهذا الفكر بنظيره.

وفي زمان لم تكن للمسلمين والعرب جامعات وكليات أنجب الفكر الإسلامي العربي قادة أمثال خالد ابن الوليد، وأبي عبيدة ابن الجراح، وعمروا بن العاص، ومعاوية بن سفيان، وكثيرين أمثالهم دوخوا أمصارا، وحطموا امبراطوريات، وأقاموا أمجادا للحضارة الإسلامية العربية التي تجمعنا وتربطنا وشائجها، قادة تعلموا القيادة في مدرسة الحياة وانتصروا.

ونحن، إنما نهاجم من أجل حضارتنا الإسلامية العربية، ونواجه التحديات في سبيلها من كل جانب..

والقضية هي إما أن ننتصر أولا ننتصر.. ولأننا يجب أن ننتصر ينبغي لنا أن نناضل وليس لنا خيار أخر !

محمد حمادي العزيز





يا قدس

للأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

يا قدس، يا كرامة الإسلام
يا مهبطاً للوحي والإلهام
متى نرى حمائم السلام
تمرح في حضنك في وئام

ه ● ه

تكالب الغزاة، يا قدس، عليك
منذ القديم، واستباحوا حرميك
وكلما هبت شعوبنا إليك
فرت جنود خصمنا بين يديك

ه ● ه

لولا شقاق إخوتي وقومي
وتركنا لديننا والعلم
وصمتنا أمام كل ظلم
يا قدس، ما فازت جيوش الخصم
كم فئة لخصمنا صغيرة

قـــد غلبـــت فـئاتنــــــا الكثيـــرة
بــأي منطـــق ؟ وأي صـــــــــورة ؟
لغـــز لعمــري لـــم أجــد تفسيــره !

ﮥ ● ﮥ

يــا أمتــي، وقـــد غـــدوت أممـــا،
وشيعــــا كثيـــرة، ونظمــــــا،
حدودهـــا خنـــادق تجــري دمـــا،
لاشعـــب فيهـــا، فالجميـــع زعمـــا !

ﮥ ● ﮥ

يبكـــي عليـــك عمـــر الخطـــاب
يبكـــي صـــلاح الديـــن والأقطـــاب
وعجـــم الإســـلام والأعـــراب
وشهـــداء للنـــدا استجابـــوا

ﮥ ● ﮥ

لا حـــل إلا منـــك، يـــا إلهـــي !
فوحـــد القلـــوب، يـــاذا الجـــاه
وأرجـــع الصـــدق إلـــى الشفـــاه
والنـــور لـــلأرواح والجبـــاه

ﮥ ● ﮥ

وألهـــم، اللهـــم، عبـــدك الحســـن
رئيـــس جمـــع القـــدس بالفكـــر الحســـن
ليجمـــع الشمـــل، ويدفـــع الوهـــن
وانصـــر بـــه الإســـلام فـــي كـــل وطـــن

(أحمد عبد السلام البقالي)

القدس المسلمة

للأستاذ الحسن السائح

(أورشليم) مدينة السلام هذا اسمها السامي العربي القديم.. فلم تكن هذه المدينة قط إلا مدينة السلام ومركزا للتسامح السامي القديم الذي بدأ منذ تدفقت على أرضه الطيبة جماعات من الفلاحين الأتقياء ليعيشوا في طمأنينة الروح وهدوء الحياة. وليستقبلوا ضيوفا من العابرين من الصحراء أو من الشمال.. من الشرق أو من الغرب.. فالقدس مدينة السلام والمحبة.. لم يؤسها اليهود وانما لجأوا إليها كما لجأ إليها (النصارى) وفرق دينية عديدة لتعيش في (مدينة السلام) هادئة مطمئنة لاتروعها الأحداث ولا التعصبات.. ففي القدس (قبة الصخرة) التي أسرى إليها النبي عليه السلام. ومنها المعراج والصعود إلى (العرش) الأعلى وفي القدس مدافن الأنبياء والصلحاء. وبها كنيسة القيامة.. ولم يختلف أحد أنها (مركز) للديانات السماوية بعد بيت الله الحرام (بمكة المكرمة).

وصان المسلمون (مدينة القدس) منذ فتحها الفاتحون الأولون وعاهدوا الجميع على صيانة مقدساتها، فما خانوا ولا تراجعوا بل ظلوا على وفائهم رغم ما كابدوه من حروب صليبية مدمرة وما عانوه من نزعات الأحبار والرهبان ومضايقاتهم.. الذين أفسدوا (الواقع) بتغييره ؟ والكذب عنه ولم يكتفوا بكل ذلك بل حرفوا التاريخ وغيروا معالم الحضارة فزعموا أن أورشليم مدينة اليهود وأن القدس رفضت الا أن ترجع لهم.

وإذا يجب أن نصحح حركة التاريخ منذ بداية الانطلاقة الأولى إذ أن شبه الجزيرة العربية هي مهد الحضارة الإنسانية ومن التضليل أن نصف هذه الحضارة بالحضارة السامية. بدل أن نقول الحضارة العربية.. فالاكاديون والعموريون والكنعانيون والفينيقيون. والاراميون والأشوريون والهكسوس. والحثيون واليبوسيون. والبابليون والعمالقة. والحموزيون. والادوميون. والنبطيون والعرب والصابئون والأحباش. والمصريون يعتبرون من الاقوام العربية التي تشترك في أسرة اللهجات السامية.. وهؤلاء بناة الحضارة ومعلمو اليونان، وهم الذين شيدوا معظم مدنهم وقراهم في مناطق الهلال الخصيب على أطراف الجزيرة العربية. أما تسميتهم (بالساميين) فإن العالم النمساوي شلوتزر (1780) هو أول من سماهم بالساميين بدل أن يسميهم بالأقوام العربية.

بل ان الألواح المكتشفة في مدينة (ايبلا) الأثرية في سوريا توضح أن إبراهيم عليه السلام، هو كنعاني أو بالأحرى عربي وليس بعبري بمعنى أن عبري ترادف يهودي. وان إسرائيل لم تكن دولة كما يحاول مؤرخو اليهودية ذلك. فرمسيس الثالث سجل انتصاراته على العموريين والحثيين والفلسطينيين. ولم يرد ذكر لإسرائيل التي تزعم أنها كانت دولة تواجه الغزو والحرب.. إن القرآن الكريم هو المصدر النزيه الموثوق به في هذه الموضوعات. إذ أن الألواح المكتشفة في (ايبلا) تتحدث عن تاريخ اليهودية والنصرانية وعن جماعة (الاسيين) الذين قاوموا الربانيين والصدوقيين، وعن الأنبياء، والمدن والقرى والقبائل بما لا يخالف ما جاء في القرآن الكريم.

وظل اليهود يحرفون.. ثم تعاونت الصهيونية مع الاستعمار ونتج عن افتياتهم وأكاذيبهم وتهجمهم الحاقد على فلسطين، اغتصاب القدس بالقوة لتكون عاصمة يهودية تتنكر للأديان والسلام...

وقد بدأت هجماتها المتوالية منذ بداية دخولها لفلسطين سافكة للدماء مهدمة للحضارة الإنسانية.. متوجهة دائما (المسجد الأقصى) قصد تدميره أو إحراقه حتى تمحي آثار الوجود الإسلامي في مدينة القدس. بدأ ذلك بتآمر مع الانجليز المستعمرين الأولين لفلسطين يوم لجأ الصهيونيون والانجليز إلى سياسة (فرق تسد) فقسموا العرب إلى عائلات (إقطاعية)، ولم تعرف فلسطين الاقطاع من قبل ثم اشعلوا نار الخلاف بينهم، ودفعت الحركة الوطنية الفلسطينية ثمنا باهظا لهذا الصراع. مما أدى إلى استنزاف طاقاتها وتوجيهها إلى معارك جانبية. الشيء الذي ساعد على ظهور القبلية في فلسطين مما أضفى طابعا سلبيا على الحركة الوطنية. كما قوى هذا الصراع الصهيونية في اعتمادها على الدين اليهودي سواء في تركيبتها الإديولوجية أو ممارستها اليومية... وظلت الحركة الوطنية الفلسطينية بتدخل الاستعمار غير قادرة على استيعاب القوى الاجتماعية التي تضررت من سياسة الاستعمار البريطاني والصهيوني وذلك لضعف وعي الطبقات الاجتماعي بصفة عامة رغم وجود منظمة نقابية لعمال فلسطين منذ 1925 لأنها كانت محدودة الاثر. وكان نشاطها مقتصرا على العمال في (حيفا) وقد كانت الطبقة الغنية الفلسطينية في بداية الانتداب ضعيفة، وكان تطورها بطيئا بسبب المنافسة الصهيونية وضغطها بإفساد مطمحها وغاياتها وحيويتها. وأيضا بسيطرة بريطانيا على الاقتصاد الفلسطيني ولهذا السبب لم تتمكن من الوصول إلى مركز القيادة في الحركة الوطنية كما هو الشأن في عدة بلاد عربية.

ومن البديهي أن يبدأ الصدام بين المسلمين واليهود. وأن يكون واضحا منذ البداية بين المجتمع الصهيوني ومطامعه الظالمة المتجاوزة والمجتمع العربي وحقوقه المشروعة المنتهكة. وعرف الجميع منذ بداية تنفيذ التخطيط أن إسرائيل دولة غريبة في الجسم العربي وان اندماج العرب واليهود شيء مستحيل لأن العرب عرفوا أن اليهود لا يريدون أن يتبوأوا المكانة التي تبوأوها في البلاد العربية فقط وانما يريدون أخذ الأرض، وطرد السكان، وتشريدهم . كما أن اليهود يصرون أن لامكان للعرب بينهم وأن شأنهم معهم لن يختلف عن الكنعانيين المقيمين في أرض إسرائيل حسب ما يقوله بعض اليهود المحرفين للتاريخ كعادتهم ولقد ظل العرب يقاومون التسلط الإسرائيلي حتى وقعت أحداث البراق سنة 1929 التي أدت إلى اهتمام المسلمين قاطبة بالقضية الفلسطينية فحركت المشاعر الوطنية، والعربية في مختلف البلاد وكان رد الفعل شاملا البلاد العربية التي مستها في مشاعرها. وقامت جمعيات الشبان المسلمين في مصر بجمع التبرعات لضحايا فلسطين. واحتج المسلمون بصفة عامة لدى عصبة الأمم

والحكومة البريطانية. وعقد في القاهرة 1930 مؤتمر للبحث عن الوسائل الكفيلة بدعم التضامن الإسلامي وإنشاء بنك إسلامي. وجمعيات تعاونية لحفظ أرض فلسطين والدفاع عنها. ومن الغريب أن تظهر في هذه الحقبة بالذات دعوة لإنشاء عصبة أمم إسلامية وتكلف محمد علي علوبة. وأحمد زكي (شيخ العروبة) وعبد الحميد سعيد بالدفاع عن ملكية العرب لحائط البراق أمام لجنة التحقيق الدولية في القدس.

لقد كان للقضية الفلسطينية دور عظيم في تعميق الشعور العربي لدى العرب والمسلمين جميعا حيث أصبحوا واعين خطر العدو الصهيوني والامبريالي. والاستعمار الصهيوني المستتر وراء حقوقه في أرض فلسطين مساندا من اعداء الإسلام. ووقفت الوطنية العربية وحركات التحرر الوطني في إفريقيا واسيا قاطبة في وجه إسرائيل. كما أدركت أن عليها ضرورة الوحدة في النضال والكفاح لمواجهة التحديات . وعليها أن تصارع الفكر السلبي المتقاعس والانعزالية لتلمس الطريق الصحيح لتسير في الخط الواضح. ولتدرك أن النهضة الفلسطينية هي قضية العرب والمسلمين جميعا.

الحسن السائح

"كل من ذكرمنا القدس وفلسطين لا يمكن في آن واحد إلا أن يربط تلك الصورة بوعد صميم بالعمل المتوالي ليل نهار، حتى ترفع المظالم ويحرر بيت المقدس، وحتى ترد الحقوق إلى أهلها في فلسطين".

جلالة الملك الحسن الثاني

وثيقة مغربية بالقدس الشريف

للدكتور عبد الهادي التازي
عضو أكاديمية المملكة المغربية



ظل ملوك المغرب منذ فجر التاريخ الإسلامي يهتمون بالقدس الشريف على نحو اهتمامهم بمكة المكرمة والمدينة المنورة.

تباروا في اقتناء الرباع والعقار بتلك الديار وأنشأوا هناك احياء حملت اسم المغرب والمغاربة.

ونسخوا بأيديهم مصاحف عظيمة أهدوها إلى تلك الأماكن المقدسة تعبيرا عن التعلق الدائم والتشبث المستمر.

وهكذا وجدنا السلطان أبا الحسن بن السلطان أبي سعيد (المريني) يقوم عام 745 = 1345 بانتساخ مصحف بيده، جمع الوراقين لتنميقه وتذهيبه، كما احضر القراء لضبطه وتهذيبه ووضع له ربعة (صندوقا) مطرزا بالعاج والابنوس والصندل، فغشي بصفائح الذهب، جعل المصحف فيها بعد ان غلفه في رقاع من الحرير والديباج.

لم يكن ابن خلدون على صواب عندما ذكر ان الوفاة ادركت السلطان أبا الحسن قبل أن يفرغ من نسخ المصحف. فقد تأكد أن العاهل المغربي بعث فعلا بهذا المصحف الجميل إلى إسماعيل ابن قلاوون سلطان مصر بواسطة أحد سفرائه اللامعين الفقيه الكاتب ابن أبي مدين وقد ذكر المقري في كتابه نفح الطيب أنه رأى المصحف الذي بحرم بيت المقدس ورأى ربعته التي كانت في غاية الصنعة...

ويوجد المصحف إلى أيامنا هذه في الحرم الشريف. حيث وقفت عليه بالمتحف الإسلامي يوم الاربعاء 28 صفر 1371 = 2 شتنبر عام 1959.

لقد كان المصحف المغربي كما يشهد بذلك أيضا الأستاذ مروان أبو خلف من أروع المصاحف التي يحتضنها المتحف الإسلامي. ويمتاز بطابعه الفريد. حيث يتكون من ثلاثين جزءا... وجميع هذه الأجزاء، مكتوبة على رق الغزال. وكل منها مجلد بجلد سميك أيضا من رق الغزال. وعلى كلا وجهي المجلد زخاريف هندسية وكتابية. وكل وجه محاط بشريط عبارة عن خيوط ذهبية وفضية متداخلة محددة من الخارج والداخل بزوجين من الخطوط الفضية. اما الوسط ففي داخله دائرتان فضيتان متحدتا المركز. وان كلا من الشريط والدوائر يحتوي على زخاريف كتابية. تحتوي على ما يلي : «كتب هذه الربعة المباركة بخطه

ووقفها على التلاوة فيها ببيت المقدس شرفه الله عبد الله ابن أمير المسلمين أبي سعيد ابن أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق. وكملت في أواخر ذي الحجة خمسة وأربعين وسبع مائة».

وكذلك نفس النص على الشريط الموجود على الجهة المقابلة... اما ما كتب في الدائرة التي على الوجه الأول ، «هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا إنما هو إله واحد وليذكروا أولوا الألباب».

أما الدائرة التي على الجهة المقابلة فكتب بداخلها «فمن بدله بعد ما سمعه فإنما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم».

وتوجد على الصفحتين الأوليين من كل جزء من الأجزاء الثلاثين زخرفة هندسية داخل إطار مربع وهي من عدة أشكال هندسية متداخلة مملوءة بالزخارف النباتية. وهي بالألوان الذهبية والأحمر القاني والأزرق والأبيض والأسود. وفي جهتي الزخرفتين المتباعدتين. هناك زخرفة نباتية في الزاويتين الخارجيتين لكل مربع وفي الوسط زخرفة نباتية على شكل شجرة تشبه الدائرة. أوراقها باللون الذهبي محددة باللون الأسود وظلالها باللون الأحمر القاني. وهذه الشجرة محددة من الخارج بإطار زخرفي أزرق اللون. وعلى الصفحة التالية. هناك مستطيل زخرفي بداخله زخرفة كتابية بالخط الكوفي المورق باللون الذهبي. وهي عبارة عن فاتحة الكتاب (سبع آيات) وهي على خلفية بيضاء منقطة باللون الأحمر القاني والزوايا الأربعة للشريط الكتابي عبارة عن زخرفة نباتية بيضاء على أرضية زرقاء.

أما الكتابة فهي باللون البني المحروق. يعتقد أنه من ماء الزعفران. ومزخرفة بنقاط مختلفة الألوان فالخضراء تعبر عن همزة الوصل. والبرتقالي لهمزة القطع وحركات الشد والتسكين واضحة باللون الأخضر وحركات الفتح والكسر والضم باللون الأحمر. وبالنسبة لحرف الفاء فإن النقطة توضع أسفل الحرف على ماهو الإصطلاح المغربي. وعلامات الوقف عبارة عن دوائر ذهبية كتب بها لفظ الجلالة باللون الذهبي على خلفيات ذات ألوان مختلفة. كما ان أسماء السور وعدد آياتها مكتوبة بالخط الكوفي المذهب وينتهي بزخرفة نباتية مشابهة للتي ذكرت في فاتحة الكتاب. وفي نهاية آيات كل جزء هناك مستطيل مذهب مكتوب بداخله بالخط الكوفي المذهب على أرضية بيضاء مزخرفة بعدة أنواع من الزخارف وذلك حسب الجزء لأن كلا منها يختلف عن الآخر. اما الصفحتان الأخيرتان لكل جزء فتحتوي على مربعين مذهبين بداخلهما كتب بالخط المغربي عبارات تشير إلى نهاية كل جزء واسم الأمير الذي كتبه والذي أوقفه وتاريخ الانتهاء من كتابته على هذا النحو ،

كمل الجزء (الأول ـ الثاني ـ الثالث الخ...) من هذا المصحف الكريم المجزء ثلاثين جزءا. وكتب جميعها بخط عبد الله على أمير المسلمين ابن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان ابن أمير المسلمين أبي يوسف بن عبد الحق ملك المغرب نفعه الله. ووقفها على التلاوة فيها بالمسجد الأقصى شرفه الله لما رغب فيه من ثواب الله. نفعه وغفر له ولوالديه ولمن دعا لهما بالرحمة أمين. وذلك أواخر ذي الحجة سنة خمس وأربعين وسبع مائة بحاضرته فاس حرسها الله والحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا وآله وصحبه وسلم تسليما.

ذلك هو المصحف المغربي الذي قدمته المملكة المغربية إلى بيت المقدس فكان بمثابة العهد والميثاق الذي يربط المغرب الأقصى والقدس الشريف...

الدكتور عبد الهادي التازي

ما يقوله الغربيون عن القدس

للأستاذ محمد قشتيليو

إن الغربيين هم الذين خلقوا إسرائيل وشدوا أزرها وأخذوا بيدها فأدخلوا قضيتها الى هيئة الأمم المتحدة إلى أن أصبحت قضية مشروعة فسطرت في جدول الأعمال إلى أن قوبلت للدرس والمداولة فالمصادقة فميلاد الدولة. كل هذا معلوم ومعروف لدى الخاص والعام فالتبعة كلها تقع على الغربيين. ولكن مشيئة الله ووسائله أقوى من وسائل كل مخلوق. فالغربيون الذين انشأوا إسرائيل من العدم أصبحوا الآن بحكمة الله يدركون ما وقعوا فيه من أغلاط وما جنت يدهم من آثام وهذا الإدراك بخلقهم لدولة الصهاينة جعل ضميرهم يستيقظ وعقولهم تتفتح فأصبحوا حيارى يبحثون عن طريق الصواب وها نحن نرى بعض أمم الغرب الذين كانوا أشد عداوة للإسلام وأكبر تحيزا لمن يعاديه ولو كان من غير دينهم كاليهود أصبحوا الآن إن لم يصيروا مسلمين يضعون أنفسهم بجانب المسلمين نرى من بين هذه الأمم إسبانيا والبرتغال اللتين كانتا تحاربان الإسلام أصبح أبناؤهما الآن يعطفون عليه بل يعتنقونه كما أن حكومتهما تؤيدان المسلمين في قضاياهم وفي طليعتها القضية الفلسطينية على العموم وقضية القدس على الخصوص ولا نحتاج لأن نأتي بكثرة الدلائل والبراهين على هذا فيكفي أن ندلي بقليل مما قيل ونشر من مقالات في الموضوع لكتاب غربيين بعضهم اسلم وصار يدافع عن الإسلام بقلمه وبعضهم متعاطف مع المسلمين ونورد لبعض ما جاء في مجلة «الإسلام» عدد 11 /12 شهر نوفمبر 1980 والتي تصدرها الجماعة الإسلامية بلشبونة تحت عنوان «مدينة القدس المقدسة» للكاتبة البرتغالية السيدة ماريا اسيليا ماميدى اسلمت وأصبحت تكتب عن الإسلام قالت السيدة المذكورة : انه من الوجهة التاريخية فإن مدينة القدس أخذها العرب من يد الرومان في عام 638 ميلادية أيام خلافة عمر وبقيت تحت اشرافهم بدون انقطاع مدة 1300 سنة. وقد أسست فيها ممالك نصرانية في بحر 90 سنة بعد انتصار الصليبيين في حروبهم مع المسلمين هناك إلى أن استردها صلاح الدين من أيديهم في 1187 وفي الحال منحت حرية الأديان بها وسمح لنفس اليهود بالدخول إليها لزيارة حائط المبكى.

وأثناء الحكم الإسلامي الذي استمر 1300 سنة كانت تحترم فيها جميع المعتقدات وتمنح الحريات لأهل الأديان الثلاث (المسلمون والنصارى واليهود) ومعلوم أن المدينة المقدسة احتلت عسكريا من طرف الإسرائيليين في 6 / 6 / 67 بدعوى تجديد المدينة وادخال إصلاح عليها ولكن سرعان ما انتهكت الصبغة الدينية للمدينة

بالحفريات التي قاموا بها بل حتى المسجد الأقصى (القبلة الأولى) تعرضت بعض جوانبه للحريق والمسجد الأقصى يقع في أجمل بقعة في المدينة. ثم تتابع الصحفية كلامها عن تحويل القبلة إلى مكة وتشير في ذلك إلى الآيات الكريمة التي تنص على ذلك كما تذكر الإسراء وكيف حدث في هذه البقعة الطاهرة وان الرسول حض على العروج عليها لإتمام حج المسلم إذا استطاع. ثم تقول بأن البرلمان الإسرائيلي أقر القدس عاصمة أبدية للدولة الصهيونية (هكذا) وانه من حسن الحظ ان العالم لم يقبل هذا. والفضل يرجع إلى العمل المشترك من طرف 43 دولة إسلامية في العالم وان الرأي العام لم يستجب لسياستها التوسعية والعنصرية التي تنهجها.

كما كتب الصحافي البرتغالي كرطاكشو تريمندادى (وهذا قد زار الدول العربية ومنها المغرب) في الجريدة اليومية التي تصدر بلشبونة تحت اسم كريوذى مانيانا (بريد الصباح) بتاريخ 1 / 9 / 80 ونقلته مجلة «الإسلام» تحت عنوان «البرتغال وقضية القدس» يقول : ان تصويت البرتغال بهيئة الأمم على عدم قبول القدس كعاصمة لإسرائيل قوبل باستحسان من طرف الدول العربية وهو تتويج للسياسة التي انتهجتها حكومة حزب «الحلف الديمقراطي» ثم استعرض المراحل التي قطعتها القضية في المحافل الدولية. ثم قال : ان هدف إسرائيل ليس القدس فقط بل ان هدفها هو التوسع إلى أن تصل إلى الفرات في العراق حسب المخطط الذي رسمته وهي لاتريد السلام في الشرق الأوسط. فإذا كان الإسرائيليون يريدون حقا السلام لقبلوا إقامة دولة فلسطينية . ثم تكلم عما يعترض إسرائيل من أزمة اقتصادية. ولولا الولايات المتحدة واليهود الموجودون بها والذين يدفعون أمريكا إلى مدها بالأموال لما استطاعت الصمود. ثم استعرض سياسة تقارب البرتغال مع العالم العربي وتأييدها لمطالب الفلسطينيين المشروعة في إقامة دولتهم إلى غير ذلك.

ومما كتبته نفس المجلة تحت عنوان «الصهيونية أو اليهودية» بعد استعراضها للمراحل التي قطعها اليهود للوصول إلى تأسيس الدولة قالت في النهاية : ان علماء الصهيونية يقولون. انها عالمية وان اسرائيل هي منطلق للتوسع...

وهذا لعمري نفس ما ورد في كتاب «بروتكولات حكماء صهيون» لمونسينيور جوان الأسقف صفحة 322 ما معناه : «نحن نعلم الأغلاط التي ترتكبها حكومات «كويم» (وهذا الإسم يطلقونه اليهود على غير اليهود) انه عندما تسنح لنا الفرصة نقوم قومة واحدة ضدهم عندما يكونون قد تعبوا من الاضطرابات والفتن فيما بينهم إذ ذاك يكونون متشوقين للراحة والهدوء والسلام ويفضلونها ولو تحت العبودية والرق بدلا من شهوة الحرية التي طالما عذبتهم لمدة قرون فتكون الجماهير إذا قد تعبت من تغيرات الأنظمة. إذ ذاك نفرض عليهم كل ما نريد وهم يذعنون لذلك بدلا من العودة إلى الفاقة والعوز (هكذا).

ثم نعود إلى الصحفي البرتغالي الذي يشير في كلامه إلى نوايا إسرائيل التوسعية فيقول ان الصهيونية هي حركة سياسية موجهة تفرض سيطرتها السياسية على كل الدول. ان الصهيونية هي في الحقيقة امبريالية ولتأكيد هذا يكفي القاء نظرة على خريطة إسرائيل عند نشأتها في عام 1948 وخريطتها الآن. ولهذا لا يجمل بنا أبدا أن نخطيء الفرق فيما بين اليهودية والصهيونية».

هكذا نرى أن نظرة الغرب قد تحولت وبعد أن كانوا بالأمس مع اليهود أصبحوا الآن يدركون الحقيقة ويعطون لكل ذي حق حقه. يد الله فوق أيديهم. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

محمد قشتيليو



●● من الكتب العربية الجادة والعميقة التي تعتز بها المكتبة العربية الحديثة في جزئها الخاص بالقدس والاراضي الفلسطينية، كتاب الاستاذ الكبير عجاج نويهض عن (فتح القدس)، وقد اعتمدت (دعوة الحق) في تعزيز مواد هذا العدد الوثائقي الممتاز على كتاب استاذنا نويهض، فلم تجد مناصا من نقله بنصه لتعم الفائدة، خصوصا وانه تعذر على المجلة تلخيص كتاب في هذه الاهمية والقيمة اذ ان الكتب الرفيعة الشأن العظيمة الفائدة يصعب بترها على اي نحو من الانحاء ●●

اختلاف رواية المؤرخين في فتح دمشق وبيت المقدس

لما كان مؤرخو العرب قد تأخروا في كتابة تاريخ الفتوح وانشاء الدولة في عصورها الأولى ، النبوي والراشدي والأموي، ولم يبتدىء التاريخ يأخذ مكانته إلا في صدر الدولة العباسية ثم مشى بعد ذلك ولم يقف، فقد اختلفت الرواية التي انتهت إلينا في ترتيب فتح الشام، مع أن هذا الاختلاف في الرواية شيء عرضي لا يؤثر في النتائج المحتومة لذلك الفتح.

والحقائق الكبرى للفتح واضحة. ونقاط الخلاف تتعلق بتعيين تواريخ المعارك الفاصلة، ومسألة خالد بن الوليد ومتى عزله عمر عن القيادة بعد حضوره من العراق لينجد إخوانه في الشام، وكيف فتحت دمشق اعنوة أم صلحاً. ومن أي باب دخل العرب المدينة. ثم الاختلاف في مواقع «اجنادين» واسمي «يرموث» الواقعة بين الرملة والخليل في فلسطين، و «يرموك» اسم النهر المشهور، الذي في المعركة التي حملت اسمه، قضي على الروم.

وهناك نقاط أخرى تتعلق بحركة الفتح في فلسطين ابتداء وانتهاء، وكل هذه الموضوعات لم ينته الخلاف حولها حتى اليوم إلا في المستشرقين ونفر من العرب في القرن الماضي والنصف الأول من هذا القرن.

٥ = ٥

ومما يلاحظ أن معظم البحث والنقاش في فتح الشام دار حول دمشق، ولم تزل غرابيل الكتاب تنقي وتصفي هذا الموضوع. وأما فتح بيت المقدس، فهذا الآخر اختلفت فيه الرواية أيضا بين «الواقدي» و «البلاذري» و «الطبري». وهؤلاء الثلاثة هم شيوخ الكلام في فتح الشام، ولكن لا أدري لماذا لم يتزاحم المؤرخون على هذا المورد كما تزاحموا على مورد دمشق ! واذا كانت دمشق ذات المكانة العالية في المسيحية وقتئذ، ومن هنا أقبل المستشرقون ثم تبعهم كتاب العرب على خوض الموضوع، فبيت المقدس

هي صاحبة المكانة الأولى العليا ولا مرد، وهي أولى بأن يحرر كل قول ورواية في فتحها. ولعل خطورة الحوادث حول دمشق واليرموك، واضطرار العرب إلى إخلاء دمشق



أول مرة، والتنازع الشديد بين العرب والروم في هذه المرحلة. كل هذا جعل الذي ينتصر في هذه المرحلة، دمشق واليرموك، هو المنتصر نهائيا ولا مرد. فانتصر العرب، وخرج هرقل. وبعد دمشق واليرموك انهارت قوة الروم وباتوا أعجز من أن يقفوا في وجه العرب في فتح ما بقي من البلاد وهو بيت المقدس واواسط فلسطين، ثم السواحل شمالا حتى انطاكية.

ولعل هذا يفسر لنا السبب في أن اختلاف الرواية في فتح القدس لم يهتم به المستشرقون اهتمامهم باختلاف الرواية في فتح دمشق. زد على هذا أن هذا الاختلاف في الرواية في فتح القدس يقع في الناحية العربية المحض، ومن شأن العرب أن يخوضوا فيه إذا شاءوا. وأما الحادثة الكبرى، وهي مجيء عمر بن الخطاب من مدينة الرسول إلى «إيلياء» ليتسلمها من البطريرك صفرونيوس، وإعطاء كتاب الأمان إلى ممثل المسيحية في المدينة، وقبوله شرط صفرونيوس وهو ألا يبقى في بيت المقدس يهود ليساكنوا النصارى. كل هذا نعتبر وقائعه جلية عند العرب والأفرنج من حيث الجوهر. ولا يهم المستشرقين بعد ذلك اجاء عمر من المدينة إلى بيت المقدس رأسا، حيث كان ينتظره أبو عبيدة والجيش المحاصر للمدينة مدة أربعة أشهر أو أكثر، وهذه رواية الواقدي وعليهما نعتمد الآن. أم جاء عمر إلى الجابية (قرب دمشق) أولا، ثم انتقل إلى بيت المقدس، وهذه رواية الطبري التي لاتقوى على الوقوف في وجه رواية الواقدي للأسباب التي نبينها فيما بعد، وهي بالقياس إلى رواية الواقدي تبدو على الجملة والتفصيل ضعيفة السياق، وتكاد تكون كلها «حلقات مفقودة». أما الصورة التي علمها العالم بأسره، الإسلامي والمسيحي، لفتح القدس وقصة مجيء عمر، فنبعتها الأولى رواية الواقدي.

ولو شاء عربي إنتاج فيلم لفتح القدس، فلن يجد غير رواية الواقدي شريطا للحوادث لا يزاد عليه. فمتى نرى مثل هذا الفيلم ؟



منظر عام للقدس ويظهر جبل المكبر

جبـل المكبر

وايضاح القرائن التاريخية على تسميته

الرواية تقول أن جبل «المكبر» سمي باسمه هذا لأن عمر بن الخطاب وقف عليه وكبر ساعة أطل على بيت المقدس قادما من الحجاز على ناقة. ليتسلم المدينة من زعيمها الديني البطريرك صفرونيوس كما في القصة المشهورة. وهناك من يورد رواية أخرى للسبب الذي من أجله سمي هذا الجبل بالمكبر. وصفوتها لاتختلف في اللباب عن صفوة أختها. وكلتاهما واحدة. فإذا كان الفاتحون عندما بلغوا قمة هذا الجبل. وهز مشاعرهم ما رأوا لأول مرة من مشهد المدينة المقدسة. وفيها مربط البراق والمعراج. وكانت هنا القبلة الأولى قبل بضع سنين. وهنا مراقد الأنبياء. وهنا وطن كلمة الله عيسى أخي الرسول العربي عليهما السلام. فمن الطبيعي أن يكبر الجيش بقائده وجنده. وتردد الأودية هذا التكبير ويسمع صداه أهل المدينة المقدسة. ثم يقال على المجاز بعد ذلك «كبر الجبل». فلا خلاف إذن. في أن التسمية جاءت من «التكبير». وإنما النقطة التي تعرض بعد هذا تتعلق بمن هو «المكبر» على الجبل أولا. أهو الجيش الإسلامي وهو على حصار القدس بقيادة أبي عبيدة منذ أربعة أشهر. أم هو الخليفة عمر لما جاء بطلب من أبي عبيدة بناء على طلب صفر ونيوس.

٥ = ٥

وبعد تمحيص المسألة يبدو لمن يعنى بتخل هذه التفاصيل أن التكبير الذي ذهبت منه التسمية للجبل بعد ذلك. هو تكبير عمر بن الخطاب. وذلك للأسباب التالية والله أعلم.

● أولا : الجيش العربي الذي جاء لفتح القدس. جاء من الشمال وعليه سبعة قواد. كما سيجيء . وكان مقدمه من قبل أبي عبيدة بأمر من عمر بعد فتح الشام. والتعليمات التي أعطاها أبو عبيدة للقواد هي أن يحاصروا المدينة أول الأمر ولا يتجاوزوا الحصار إلى القتال إلا بأمر ثان منه وهو باق في دمشق. فجاءت الجيوش. وهي تتوارد على سبعة أيام. كل يوم خمسة الاف. ومجموعها 35 ألفا. وقطعت الطريق الغربية بين القدس والرملة واللد. فأحاط العرب بالسور إحاطة السوار بالمعصم. وجبل المكبر يقع بعيدا من السور. وبينهما الأودية. فلا يعقل أن تذهب أية قوة إلى جبل المكبر وقت الحصار لعدم الفائدة العسكرية من ذلك. وتعليمات أبي عبيدة هي كما رأيت.

● ثانيا : لما أطل العرب على بيت المقدس. واقتربوا من أسوارها. ملأوا جوها «بالتكبير». ويصف هذا الواقدي في عدة مواضع. وكانوا «يكبرون» عند كل هجوم بعد ذلك لما باشروا القتال. فالنشيد القومي أو الوطني عند الأمم الحديثة ليس بشيء في بعث الحماسة بالنسبة إلى «تكبير» الفاتحين. ولو جئنا نسمي كل مكان في بيت

المقدس وحولها. من هذا التكبير. لما خرج من هذه التسمية ذراع من الأرض في سهل أو واد أو جبل. ولكن لماذا انفرد مكان واحد. هو ذلك الجبل المناوح للقدس من الجنوب. بهذه التسمية؟

● ثالثا : لما جاء عمر. كانت طريقه من الجنوب، وأول جبل يطل منه على بيت المقدس من الجهة الجنوبية. هو هذا الجبل. والقول أن عمر لما وصل إلى هذا الجبل كبر وصلى، مبني على الرواية السماعية على ما اعتقد. والمؤرخون الأوائل الكبار. كالواقدي والبلاذري والطبري - الذين دونوا أخبار الشام. لم يأتوا على ذكر جبل المكبر لأنه ليس اسم مسجد داخل المدينة أو بجوارها، ولا دارت عليه معركة قتال. وانما أطلقت عليه هذه التسمية إكبارا لوقفة عمر عليه وتكبيره وصلاته. واذا كانت كتب الرحلات بعد القرون الأولى ذكرت جبل المكبر في معرض من معارض الكلام والوصف، فإني حتى اليوم لم أطلع على هذا. وما أجزل الشكر لمن يهدينا إلى هذا المرجع. واذا كان هذا واردا في مثل هذه الكتب فالراجح انه أخذ من الرواية السماعية المتصلة في القدس على مدى الزمن. وهذا يدلنا على أنه بعد انطواء بساط الدولة الصليبية في القدس. لم ينس العرب اسم جبل المكبر فبادروا إلى إحيائه إلى اليوم والى يوم الدين إن شاء الله.

● رابعا : أحب في هذا الصدد أن أعزز إرجاع الرواية من حيث السبب إلى وقفة عمر وتكبيره وصلاته. برأي للرحالة العلامة. بقية السلف الصالح. الشيخ خليل الخالدي رحمه الله (توفي في القاهرة في الحرب العالمية الثانية). فقد كنت أستفيد من علمه الواسع الشيء الكثير. وهو ابن بيت المقدس. والحريص على كل جزء من تراثها. في تاريخها وهوائها وترابها. وهو الثقة. واذكر ان هذا هو رأيه.

● خامسا : ان القول بمقدم عمر بن الخطاب من جهة الجنوب، يكون أوضح وأكثر إقناعا عندما نتكلم على الحصار وكيفية طلب عمر، ومروره بديار جذام في شمال الحجاز. والإسلام وقتئذ جديد غض. وأحكامه تنتشر ولكن لم ترسخ في الاعراب وأهل البادية. وما وقع لعمر من حوادث إقامة الأحكام على طريقته العمرية المشهورة في تلك الأنحاء.

هذا مالدي بشأن التسمية عرضته على وجوهه. ولا أحسب نفسي إلا محاولا جلاء المسألة. واذا كان من سبيل إلى القطع بها. فالمعذرة بادية في الوقوف عند هذا الحد. ولعل عند أهل العلم والفضل المعنيين بتاريخ القدس من الاطلاع ما يصحح به هذا أو يزاد عليه.

المؤرخون وفتح القدس

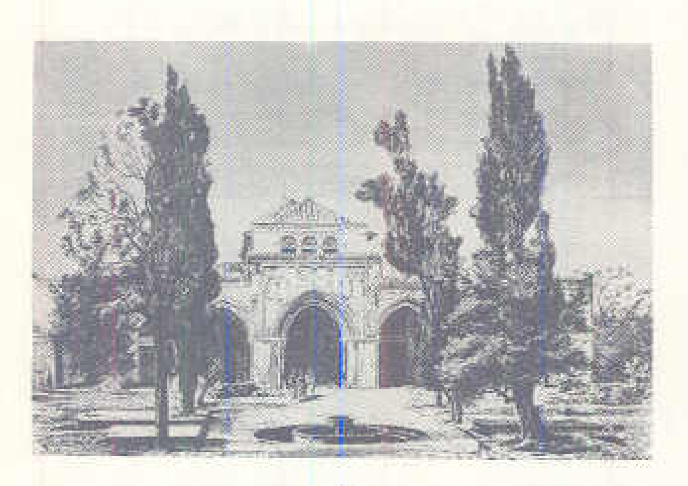
قلنا ثلاثة من المؤرخين دونوا أخبار فتح الشام : الواقدي والبلاذري صاحب « فتوح البلدان » والطبري. وأقدم الثلاثة هو الواقدي الذي كانت وفاته سنة 207 هجرية. قبل وفاة ابن هشام مدون السيرة بست سنوات. 279 هجرية. فهناك نحو من جيلين بين الرجلين. اما الطبري فتوفي سنة 310 هجرية. فانظر إلى هذه المدة بين الواقدي والطبري. إذ ولد الطبري بعد وفاة الواقدي

بسبع عشرة سنة، على حساب «ياقوت الحموي» صاحب «معجم الأدباء».

والمؤرخون الذين أتوا بعد هؤلاء الثلاثة إنما أخذوا من رواياتهم واستندوا إليهم في أخبار فتح الشام كالمسعودي (توفي سنة 332 هـ)، وهو من ذرية عبد الله بن مسعود وكتابه «مروج الذهب» شهير، وابن الأثير (توفي سنة 630 هـ) المؤرخ أبو الحسن علي السيباني، ونعرف كتابه «بتاريخ ابن الأثير» وأبو الفداء (وتوفي سنة 721 هـ)، وتاريخه معروف، وهو إسماعيل بن علي بن شادني الملك المؤيد صاحب حماة، أميرها وعالمها الأول، وكثيرون من أصحاب كتب الرحلات والجغرافيا كتبوا عن بيت المقدس من القرن الثالث الهجري فصاعدا، آخرهم اثنان هما مجير الدين الحنبلي (توفي سنة 901 هـ)، وهو مقدسي، ولي منصب قاضي القضاة وكتابه «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» والثاني عبد الغني النابلسي الدمشقي مولدا ومنشأ (توفي سنة 1143 هـ)، وكتابه اشتهر بما تضمنه من معلومات في رحلته إلى القدس سنة 1104 هجرية وأقطار أخرى، وهناك رحالة جغرافي خدم العالم العربي والإسلامي أجل خدمة، هو البشاري المعروف بالمقدسي (توفي سنة 375 هـ)، وكتابه من الشوامخ في بابه وعنوانه «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم»، والمقدسي هذا هو من أبناء بيت المقدس.

هذا في الكتب المطبوعة، ولعل هناك من الكتب المخطوطة في دور الكتب العربية والأفرنجية ما يملأ عدة رفوف وينتظر الخروج إلى النور، ومن هذا كتاب «مثير الغرام بفضائل القدس والشام» لعالم مقدسي كبير هو أحمد بن إبراهيم من رجال القرن الثامن الهجري، أخرجه الأستاذ أحمد سامح الخالدي رحمه الله سنة 1946م، وقد عني بتصحيحه وشرحه على أفضل وجه.





مسجد الأقصى

الواقدي ومنزلته وكتابه «فتوح الشام»

وانما أتينا بهذا المجمل العابر، في هذا الرهط من المؤرخين وأصحاب الرحلات، لنحصر بعد ذلك كلامنا بالواقدي ونبين الأسباب التي تحمل على اعتماد روايته في فتح القدس، مع الرد على ناقديه من المستشرقين.

الواقدي من المدينة أصله، ولكنه سكن بغداد، وكان من دعاة العلم، لخص ترجمته ياقوت وعدد كتبه وهي نحو الثلاثين لم ينته إلينا منها إلا القليل، ومن هذا القليل الكثير «فتوح الشام»، وهو أقدم كتاب وصل إلى عصرنا من أخبار العصور الأولى بعد الفتح، سمع الواقدي من مالك بن أنس، والثوري وغيرهما، وأخذ عنه كثيرون، ويكفي أن نعلم أن كاتبه هو محمد بن سعد الزهري صاحب «الطبقات الكبرى»، واشتهر الواقدي بالفقه والتاريخ والمغازي والسير، وقال فيه الإمام إبراهيم الحربي : «الواقدي أمين الناس على الإسلام»، وقال الحافظ الدراوردي : «الواقدي أمير المؤمنين في الحديث»، وقال محمد بن سلام الجمحي : «الواقدي عالم دهره».

وقد ولي القضاء للرشيد والمأمون في بغداد وكان له عندهما المنزلة العالية. روى عنه كاتبه ابن سعد قوله : «ما من أحد الا وكتبه أكثر من حفظه. وحفظي أكثر من كتبي». وتعرف من أسماء كتبه التي ذكرها ياقوت ان هذا العربي المتفرد كان على مستوى من العقل والفكر في البحث والتمحيص مما قل نظيره ونده. ولكن متى وأين ؟ في زمن الرشيد والمأمون، وفي بغداد حاضرة الدنيا وقبة الإسلام وقطب العالم.

عاش الوقادي 77 سنة. وتوفي في بغداد. وكتبه سارت بها الركبان في حياته. ورأس فتوحا لكتبه كالفتوح العربية التي راح يؤرخها. وكان في اتساع إحاطته وشمول معارفه يشبه من هذه الناحية العلماء الصدور الذين ظهروا في فرنسا في القرن الثامن عشر، رجال الموسوعات العلمية. وكان الواقدي ذا نزعتين في ثقافته : محبا لنشر الثقافات بين جمهور الأمة. وهذه الأولى. ومحبا لنشر المثل العليا من أخلاق الصحابة. ولا سيما الذين شهدوا الفتوح وبذلوا أنفسهم في سبيل الرسالة ولغتها وإنشاء الدولة العربية. وهذه الثانية. وليس لدينا أقل دليل على أن الواقدي كان عباسي الهوى في التاريخ. فعلومه منزهة عن هذا. وهو نفسه من حفاظ الحديث.

ولعل مما حمله على وضع كتاب الفتوح هو نزعته لتعريف أهل المملكة بفضائل الصحابة. وقد صرح هو بهذا في هذا الكتاب وأراد الزلفى إلى الله تعالى. فسلك في كتابه «الفتوح» على هذا النحو :

● **أولا** : انه اتخذ اسلوب السرد الروائي لكل موجة من موجات الفتح في الشام والعراق. على نسق مطرد. ولا يجري على مراحل السنين سنة فسنة كما فعل الطبري. بل يعطيك الرواية للفتح مرة واحدة دون أن يقيم جدارا من «ودخلت السنة الفلانية» و«انتهت السنة الفلانية». وانما تخير هذا الأسلوب لكي يحقق مراده من تيسير فهم التاريخ لسواد الشعب.

● **ثانيا** : لما كان غرضه هذا. فإنه قرن إلى أسلوب السرد الروائي اسلوب اللهجة الخطابية. والذي يقرأ «فتوح الشام» يدرك هذا جليا ويراه واضحا في الكتاب من ألفه الى يائه.

● **ثالثا** : ان الواقدي وقف في سرد رواية الفتوح عند انتهاء موجاتها الأولى. ولم يتابع الكلام بعد ذلك الى ما بعد الفتوح. اما الطبري فارتقى بسرد الحوادث حتى سنة 320 هجرية. فما أعظم الفرق بين هذين المؤرخين من حيث الاقتصار والشمول.

والبلاذري والطبري. كلاهما. أخذ عن الواقدي. اذن. امتياز الواقدي بأنه أوسع مؤرخ في انسياحات الفتح. وتفاصيلها. امتياز بارز. وله خالد الفضل في هذا.

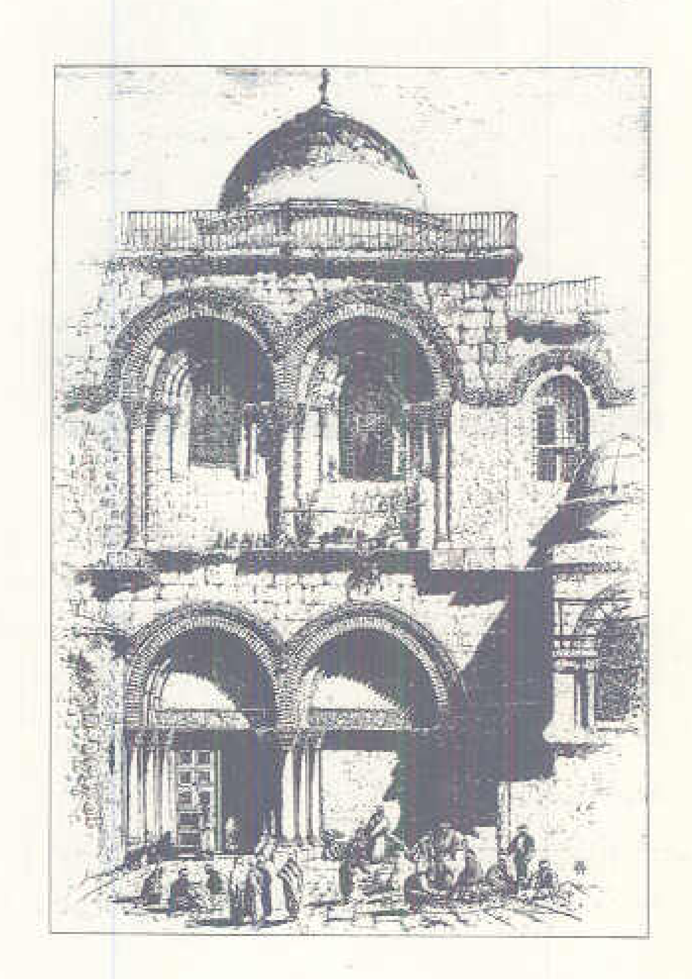
اوسع تفصيل لفتح سواحل الشام تجده عند الواقدي. وهذا عند غيره شيء نزر، لا أكثر. وفتح القدس عند الواقدي استغرق أكثر من 12 صفحة. وأما الطبري ففي أقل من ثلاث صفحات لا سياق لها. ومؤلفة من شذرات على طريقته المعروفة. وإذا قابلت ما عند الواقدي بما عند الطبري لا تخرج برواية الطبري الى صورة ما لفتح القدس الا ناقصة. ولم يستطع الطبري الا أن يورد أيضا خلاصة ما رواه الواقدي. ولولا صنعه هذا لخلا كتاب الطبري من ذكر فتح القدس تقريبا.

ان فريقا من المستشرقين حملوا على «فتوح الشام» بدعوى انه كتاب روحه روح الاقاصيص. ولم يتنبهوا الى من هو الواقدي في اتساع ثقافته التي مر ذكرها. وقصروا نظرهم على الكتاب وقد لحقته اغلاط فظيعة لا من النساخ في الأزمنة السالفة. بل من المطابع الآلية. اذ حملت «شعبية» الكتاب أرباب المطابع على طلب الربح السريع.

ولا سيما في مصر حيث خرجت طبعات رديئة للغاية واخطاؤها فاضحة. وواضح ان كل هذه العبارات الظاهرة الالتصاق بسياق الواقدي والمقحمة عليه انما هي من صنع النساخ وأهل الحماسة الرخيصة قديما وحديثا.

ولقد ترجم هؤلاء الثلاثة، الواقدي، والبلاذري، والطبري، الى بعض اللغات الاوروبية كما قد ترجم غيرهم أيضا. اما كتابا الأخيرين فقد انتهيا الينا سليمين من كل تشويه قليل أو كثير، نقيين غضين كيوم فرغ من تأليفهما.

وهذا يدلنا على ان اختصاص «فتوح الشام» بالأشياء التي ذكرناها جعله بتعبيرنا اليوم «كتاب الشعب» و«تاريخ الشعب». فبعد ان اضاف النساخ هنا كلمة أو عبارة قصيرة، وبدلوا هناك كلمة أخرى، وامتزج هذا بالأسلوب الخطابي الذي اعتمده الواقدي من حيث الأصل قصدا، اتسعت شقة



الإختلاف بين هذا الكتاب وغيره في نقاء العبارة، وظن بعض المستشرقين ان للواقدي عقليتين، الواحدة علمية محض احتفظ بها في كتبه الأخرى العالية المستوى، والأخرى شعبية اقرضها كتابه «فتوح الشام». وهذا خطأ، فالواقدي هو الواقدي في جميع المواطن. وقد علمنا لماذا وضع «الفتوح» على هذا الأسلوب، وعلينا الآن ان نستمع اليه وهو يحدثنا عن فتح القدس، فنأخذ منه كل كلمة قالها تاركين مالا فائدة من ذكره.

أبو عبيدة يستشير عمر : أيوجه الجيش الى بيت المقدس أم الى قيسارية

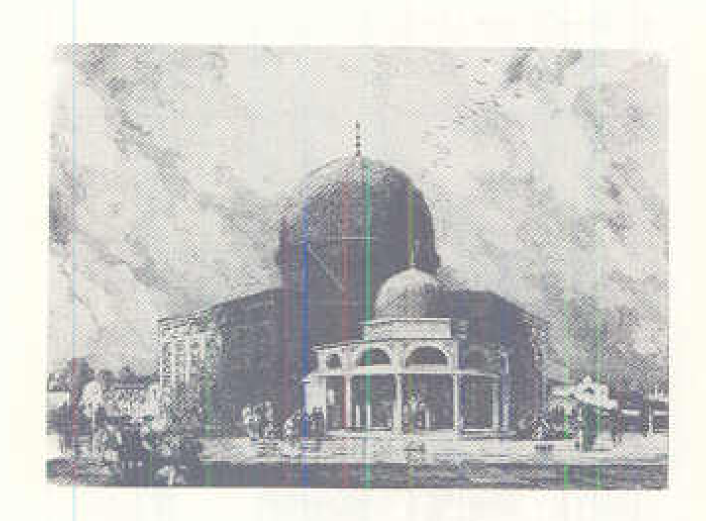
بعد أن أقام العرب الفاتحون على دمشق عدة أسابيع، بعد الفتح، جمع أبو عبيدة الأمراء واستشارهم أيوجه الجيش الى قيسارية أم الى بيت المقدس، فاقترح معاذ بن جبل استشارة عمر في ذلك، فكتب أبو عبيدة الى الخليفة، فقرأ الخليفة كتاب أبي عبيدة على المسلمين وطلب رأيهم، فاختار عمر رأي الامام علي كرم الله وجهه وهو : «يا أمير المؤمنين مر صاحبك ان يسير الى بيت المقدس فيحدقوا بها ويقاتلوا أهلها فهو خير الرأي وأكبره، وإذا فتحت بيت المقدس فاصرف جيشه الى قيسارية فانها تفتح بعدها ان شاء الله تعالى» فأجاب عمر : صدقت يا أبا الحسن. وأجاب أبا عبيدة بهذا :

«بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر بن الخطاب الى عامله بالشام أبي عبيدة، أما بعد فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو وأصلي على نبيه وقد ورد علي كتابك وفيه تستشيرني في أي ناحية تتوجه اليها وقد أشار ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسير الى بيت المقدس فإن الله سبحانه وتعالى يفتحها على يديك والسلام عليك»

35 ألفا بإمرة سبعة قواد إلى بيت المَقْـــــدس

كان أبو عبيدة في الجابية (دمشق) لما وصله جواب عمر، فأخذ فورا يعقد الألوية ويوجهها مصحوبة بتعليماته. فالراية الأولى لخالد بن الوليد على خمسة الاف فارس من خيل الزحف (ولكن يفهم من الواقدي في مكان آخر ان خالدا بقي مع أبي عبيدة حتى صحبه في توجهه الى بيت المقدس بعد حين). هذا في اليوم الأول. ثم في اليوم التالي الراية الثانية ليزيد بن أبي سفيان على خمسة الاف. وأمره أن يلحق بخالد وقال له: «يا ابن أبي سفيان ما علمتك الا ناصحا فإذا اشرفت على بلد «ايلياء» فارفعوا اصواتكم بالتهليل والتكبير واسألوا الله بجاه نبيه ومن سكنها من الأنبياء والصالحين ان يسهل فتحها على المسلمين». ثم في اليوم التالي الراية الثالثة لشرحبيل بن حسنة، احد كتاب الوحي، على خمسة الاف فارس من أهل اليمن. وهنا اختلفت تعليمات أبي عبيدة من الناحية العسكرية قليلا تبعا لفن الحرب. فأمر شرحبيل بألا يختلط بعسكر من تقدم قبله عند النزول والحصار. ثم في اليوم التالي الراية الرابعة للمرقال بن هاشم بن أبي وقاص على خمسة الاف مع جمع من المسلمين، وهؤلاء على ما يبدو متطوعة يلحقون بالجيش النظامي. وأمره أبو عبيدة بأن ينزل على حصن البلد منعزلا عن أصحابه. ثم في اليوم التالي الراية الخامسة للمسيب بن نجيه الفزاري على خمسة الاف فارس. ثم في اليوم التالي الراية السادسة لقيس بن هبيرة المرادي على خمسة الاف فارس. وفي اليوم التالي الراية السابعة لعروة بن مهلهل بن زيد الخيل على خمسة الاف.

والجملة خمسة وثلاثون ألفا من الجيش النظامي ما عدا المتطوعة. وكانت النساء تصحب هذا الجيش كما صحبته في موقعة اليرموك ودمشق. وانظر الى بعد النظر عند أبي عبيدة في اختيار القواد من صفوة رجالات الجزيرة عدنانية وقحطانية. وانظر الى حكمته في أنه جعل كل لواء خمسة الاف على التساوي من الآخرين. وانظر في طريقته التي تحفظ للشمم العسكري اباءه. فجعل الألوية تخرج من دمشق كل يوم لواء، على الايام السبعة. واذا تخيلنا موقف الوداع لكل جيش، وانوار العقيدة المتلألئة في الصدور والنفوس، امكننا ان نجزم بأن هذه البراعة في نقل العساكر والجيوش من دمشق الى بيت المقدس في ذلك الزمن بوسائله المعروفة والأثقال كلها على الرواحل مع المدة مهما تكن مختصرة، وكان الفصل أوائل الشتاء على ما نعلم الآن، كل هذا لا تتفوق عليه ادارات الجيوش الحديثة الا من جهة وسائل المواصلات والطرائق الآلية.



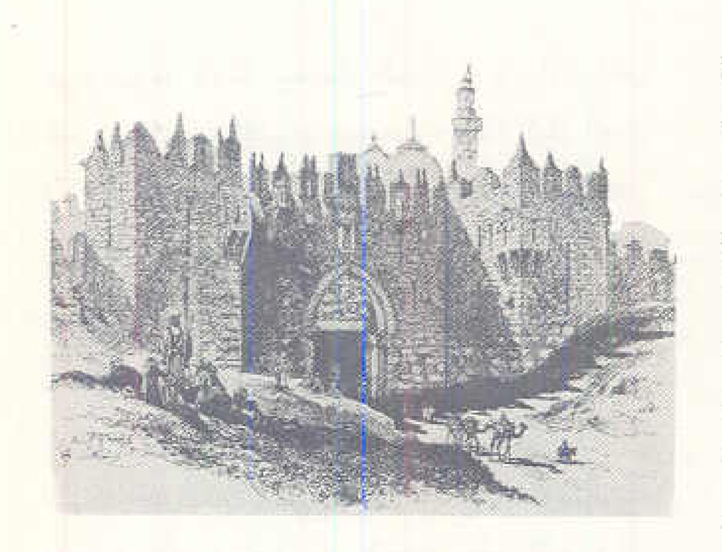
المسافـــــة من دمشق الى بيت المقـدس

310 ك. م.

الواقدي لم يذكر لنا كم قضى الجيش في الطريق. ومتى قلنا ذلك فمعنى هذا ان غيره أيضا لم يذكر لنا شيئا عن الطريق التي سلكتها الألوية. وليس هذا على ما نعتقد

غفلة من الواقدي وقت وضع «فتوح الشام». ولكنه وهو يكتب لنا ما كتب في أواخر القرن الثاني تقديرا. كان قد مضى على الأقل قرن ونصف على الفتح. فلا سبيل إلى استيفاء هذه التفاصيل التي نرى أمثالها مستوفاة في فتح دمشق الى حد واف. ومهما يكن من أمر فالطرق القديمة بين دمشق والقدس مهما تختلف في السير والاتجاهات عن الطرق القائمة في عصرنا هذا. فذلك لا يخرجها عن انها على الجملة تتبع الإتجاهات الطبيعية التي تقتضيها طبوغرافية الأرض. وهي طرق لم تتغير منذ قيام الحضارات في الشرق الأدنى حتى اليوم الا في تحسينات هندسية. فالمسافة اليوم بين دمشق والقدس هي 310 ك.م تجتازها السيارات حتى سنة 1948. هكذا. ابتداء من القدس فنابلس فالناصرة فطبريا وهذه 173 ك. م. ثم من طبريا الى دمشق 137 ك. م. وإذا افترضنا ان الألوية جاءت من دمشق عن طريق أربد فالأردن. فالمسافة لا تكون أقل. حتى ولا تكون أقل من هذا أي طريق أخرى. وإذا جوزنا لأنفسنا تقدير عدد الأيام لاجتياز هذه المسافة - طبعا بالأذن من العسكريين - فلا تكون أقل من أسبوع الى عشرة أيام.

اما القدس نفسها. فقد كان هرقل فيها قبل زحف جيوش الفتح الى الشام زمن أبي بكر بمدة قليلة. وهو لم يدر أنه لما غادرها آخر مرة الى القسطنطينية. كان خروجه النهائي منها. ولذلك لما حلت به الهزيمة ووقف في حمص وحماه. وتلفت وودع سوريا بعبارته التاريخية : «وداعا يا سوريا الى الأبد» كانت نياط قلبه تتقطع اسى وحزنا. بعد ان استمر حكم الروم أو دولة بيزنطية الشرقية لبلاد الشام وفلسطين عدة قرون.



مكانة بيت المقدس وقيسارية وغزة في عصر الروم

ومن الضروري للقارىء أن يسمح لنا بأن نضع بين يديه في هذه المناسبة صورة مصغرة لوضع القدس العام ومكانتها الخطيرة. والمحن التي حلت بها على يد الفرس من الثلث الأول من القرن السابع. ثم بالمقارنة بعد ذلك. بين ما صنعه الفرس وصنعه العرب تتجلى نعمة الفتح وبركاته.

ولذلك لما وصف «غوستاف لوبون» بان الفاتح العربي كان اعدل الفاتحين على الأرض. لم يكن بقوله هذا يجاوز حد الحقيقة.

كان في فلسطين وقتئذ ثلاث مدن أو عواصم. ولكل صبغتها. فهناك «ايلياء» واطلق عليها هذا الاسم الرومان من القرن الثاني المسيحي ليمحوا به الاسم اليهودي «اورشليم» ويفرضوا على البلاد صبغة رومانية تجتث أصول اليهود وجذورهم اجتثاثا بعد «ثورة سيمون باركوكبا». (في التاريخ العربي «ابن الكوكب» كما أوضحه أحمد زكي باشا سنة 1930 في القدس). لقد ضرب اليهود بعد هذه

الثورة ضربة قاضية. وهدمت المدينة وجاء الامبراطور «هدريان» (يذكره الطبري هدريانوس) وأعاد كيان القدس الى ما يشبه وضعها أيام الوثنية. طبعا هذا قبل قسطنطين بأكثر من قرنين.

ومما بناه هدريان هيكل وثني سماه «هيكل جوبتر» أو «المشتري» بالعربية وهو إله الآلهة عندهم. وذلك في المكان الذي كان فيه الهيكل اليهودي (الحرم القدسي الشريف منذ الفتح) وسمي هذا الهيكل «ايلياء كابيتولونيا». وصار هذا الإسم يستعمل على الاجتزاء بالقسم الأول. وبقي هذا الإسم «ايلياء» حتى الفتح فغيره العرب الى «بيت المقدس». وأراد الرومان أن يقتلعوا الأسماء اليهودية من فلسطين ما أمكن ووقتها غيروا اسمه «السامرة» الى «سبسطية» وهو الاسم الذي اختاره الملك هيرودوس في القدس اكراما لأوغستوس قيصر. واسم «شكيم» الى «فلابيا نيو بوليس» وهي نابلس اليوم. و«بانياس» و«طرابلس» من تسمية الرومان أيضا. ومنع الرومان اليهود بعد «رومنة» اورشليم من السكنى فيها.

وتشتت اليهود في المملكة الرومانية الى أن جاء وعد بلفور سنة 1917 فمكنهم من التجمع وغزو فلسطين مدة ثلث قرن. حتى نصبوا دويلتهم المؤقتة سنة 1948 كما هو معلوم.

كانت القدس عند الفتح هي العاصمة الدينية. وهذا ما نحب أن يستقر في ذهن القارىء. وكانت هناك قيسارية قرب حيفا. العاصمة السياسية. ومواصلاتها مع قبرص والقسطنطينية بحرا مواصلات منتظمة. وهي مقر الحكم. وهناك غزة وهي العاصمة التجارية وتخترقها طرق القوافل من الجزيرة والعراق والشرق الى مصر.

وكانت هذه المدن الثلاث على غاية الازدهار والرخاء من الوجهة المادية العمرانية. وما ذكره الشيخ محمد الخضري صاحب تاريخ «الأمم الاسلامية» رحمه الله من أن القدس كانت عاصمة فلسطين الأولى. فذلك لا يصح الا من الناحية الدينية لا أكثر.

العرب منذ زمن العمالقة يحيطون بفلسطين

لم يكن العرب بغرباء عن «ايلياء» طول تلك القرون قبل الفتح. فنهضة قضاعة في ما يقرب من القرن الأول للمسيح قذفت من الجزيرة بعدة موجات واسعة الى الشمال. «مشارف الشام». والأردن والعراق ونواحي البحرين على طول الخليج. واستقر العرب في هذه المواطن وأخذوا بانشاء الدول الصغيرة والامارات حتى جاء الاسلام. ولا يدخل في حسابنا هذا أبناء عمومتنا «الاقباط» وهم عرب بإجماع تقريبا. لغتهم العربية التي نسختها لغة مضر بعد قليل. وإنما كانوا يستعملون في معاملاتهم التجارية ومكاتباتهم اللغة الآرامية التي كانت لغة الشرق الأدنى لا أقل من ألف سنة حتى كان الفتح فحلت العربية محلها.

فكان هذا البسيط المؤلف من شرق الأردن وداخلية سوريا وما وراءهما من بادية كله مجالات للقبائل التي يحل جديدها محل قديمها. وكانت العروبة في عنجهية وعنفوان. والعمالقة الذين هم أول أمة عربية قاتلت اليهود في سيناء لم تذهب بقاياهم مع الريح. فقد بقيت جماعاتهم بعد انحلال الامارات المتوارثة حية الى ما قبيل الاسلام في جنوبي فلسطين والاردن كله. وتحدثنا الكتب الاسلامية في مواضع عديدة عن هؤلاء العرب العمالقة. فاندمجوا شيئا فشيئا بقبائل سليح والضجاعمة. وهؤلاء كانوا في الاردن قبل الغساسنة. ثم جاء الغساسنة ثم جاء الإسلام.

فكانت العربية تسمع في «ايلياء» قبل الفتح. ولما جاء أبو عبيدة وحاصر المدينة كان الروم يأتون بالتراجمة فورا يتكلمون العربية الفصحة كما يقول الواقدي.

وعلى الجملة ان الطوق الذي كان يحيط بفلسطين من الشرق والجنوب منذ الزمن القديم هو طوق عربي محض. فما كان الفتح العربي في القرن السابع المسيحي سوى متمم للانسياحات العربية السابقة. ولم يستطع الحكم الروماني، وحكم الاسكندر وخلفائه من بعد، على طولهما، لم يستطيعا ان يضعفا شيئا من امتداد الموجات العربية من الجزيرة الى الشمال. وتجارة العرب الشماليين مع فلسطين كانت نامية واسعة. وحتى بولس الرسول وصل في سياحاته لنشر الدين الى شمال الحجاز أو جنوب الأردن وسمى هذه الانحاء «اعرابية». واللغة العربية ذكرت في الانجيل الكريم احدى اللغات التي سمعت في القدس غداة اجتماع التلاميذ بعد رفع المسيح عليه السلام.

وغزة انما نعتت «بغزة هاشم» اذ مات فيها جد النبي العربي صلى الله عليه وسلم. في احدى رحلاته التجارية. وقال الشاعر العربي في رثائه قبل الفتح : «وهاشم في ضريح وسط بلقعة ـ تسفي الرياح عليه بين غزات».



الكنيسة الأرثوذكسية في القدس ومتنصرة العرب قبل الفتح

اما من الناحية المسيحية الصرف في القرون الأولى بعد المسيح، ثم المسيحية العربية قد أخذ بعض القبائل في جنوبي فلسطين وشرقي الأردن يتنصر بعد القرن الرابع، وهذا يجاور عصر قصي في الحجاز على التقريب، بعد انسياح قضاعة بأربعة قرون. فمن المفيد ان نلخص هذا كله لتكون منه صورة جامعة للقارىء قبل أن نعود الى الكلام على الجيش العربي المحاصر للقدس سنة 15 هجرية أو 636 مسيحية. ونذكر سنة 15 للهجرة اذ ذكرها الواقدي وعليه نعتمد في خبر هذا الفتح.

ليس من السهل الوقوف على مصادر عربية يوثق بها في أخبار الكنيسة المسيحية في فلسطين. واما المصادر الأجنبية فأكثر ما تعني به النواحي التي ليس للعرب فيها مصلحة تذكر. واما ما يتعلق بتاريخ الكنيسة الارثوذكسية في فلسطين. فلعل كتاب «تاريخ كنيسة اورشليم الارثوذكسية» هو خير مؤلف في بابه، في العربية. وضعه شحادة خوري ونقولا خوري سنة 1925 وطبع في القدس. ومن شاء التوسع في هذه الدراسة فعليه بهذا الكتاب. ومنه خاصة نستفيد ببعض ما نقول الآن بشأن الكنيسة. الا ان ما يتعلق بحرب الفرس قبل الفتح فأخذناه من عدة مصادر أجنبية.

ان المؤرخين الكنائسيين يسمون القرون الثلاثة الأولى للميلاد «بالعصر الرسولي»، والقرون الثلاثة التي تلتها «بالعصر الذهبي». وبدأت المسيحية تنمو في فلسطين بعد تنصر قسطنطين سنة 324 م. وبعد الحج الذي قامت به أمه القديسة هيلانة للقدس وفلسطين وانتشار حركة تشييد الكنائس والأديرة اثر ذلك.

وما كادت فلسطين، والقدس على الأخص، تخلص من اليهود والحكم الروماني التابع لرومية حتى قامت حرب البدع والفرق الدينية والشيع المذهبية. وكان قسطنطين أول من شق طريقه عند المجامع الكنسية، وأول مجمع عقده كان بعد تنصره بسنة واحدة. وكان من الطبيعي ان تصبح القسطنطينية بدلا من روميه هي عاصمة الدين وكهفه، وأخذ النفوذ البيزنطي يرسخ وينتشر في البلاد، وكذلك اللغة اليونانية.

وفي القدس، أول كنيسة أنشئت سنة 34م. في يوم الخمسين، وهو «عيد العنصرة» ذكرى حلول الروح القدس على التلاميذ بعد قيام المسيح وظهوره. فكانت أول كنيسة في العالم. ويقول صاحب «تاريخ كنيسة أورشليم الارثوذكسية» : «ان أول أسقف نصب على الكرسي الاورشليمي كان يعقوب الرسول، وهو، على رأي معظم آباء الكنيسة، ابن يوسف النجار من امرأته الأولى، وقد نشأ في ذلك البيت الحقير الذي قضى يسوع فيه سن صبوته، وآمن به لما ظهر بعد القيامة، سنة 34، أي بعد القيامة بعدة أسابيع.

وفي سنة 392م. انقسمت الكنيسة الى شرقية ومركزها القسطنطينية، وغربية ومركزها رومية. ومنذ أوائل القرن الخامس كان نفوذ الدين، وبعد الازدهار الذي كان في عصر قسطنطين، أخذ يجتذب اليه لا العناصر الأجنبية المقيمة داخل فلسطين، وهذه كانت أخذت تتنصر منذ زمن، بل أيضا القبائل العربية المحيطة بفلسطين جنوبا وشرقا. ففي سنة 421م تنصرت هذه القبائل جنوب البحر الميت، وبعد قليل كان منها اسقف عربي، سعيد الوافدي، أول اسقف من العرب يذكره هذا التاريخ. واتسعت رقعة التنصر العربي الى خارج فلسطين والأردن، ولكننا الآن معنيون بفلسطين وحدها. ورهبان دير طورسينا كانوا عربا من بني صالح. فلما ولد الرسول العربي صلى الله عليه وسلم، في مكة المكرمة في الثلث الأخير من القرن السادس، كان قد مضى على انتشار المسيحية في العراق وشمال الجزيرة ونجران واليمن عدة قرون كما ترى. وقصة الراهب «بحيرا» الذي لقي النبي صلى الله عليه وسلم قبل المبعث عند بصرى مشهورة.

الحروب بين فارس وبيزنطة قبل الفتح

وفي القرن السادس كانت القدس آية في العمران، ولها المكانة الدينية الأولى في الرقعة المسيحية وقتئذ بعد الاسكندرية وأنطاكية.

وكانت قيسارية كما قلنا العاصمة السياسية، وغزة المركز التجاري الأول في فلسطين. وكان اليهود أقلية مكروهة، لا ينقطعون عن الكيد للمسيحيين وابتغاء الشر لهم من أي طريق. وصفرونيوس الأول الذي سلم المدينة الى عمر هو «صفرونيوس الأول» السادس والخمسون من البطارقة منذ الاسقف يعقوب.

وفي أوائل القرن السابع كانت القدس زاخرة بالكنائس والأديرة والملاجىء والقصور والحمامات. وهي ملأى بالآنية والمعادن الكريمة وقطع الفنون، وترتع في بحبوحة من العيش الرخي. وهي درة في تاج ملوك بيزنطية وهم يزيدون في تحسينها وترفيه أحوالها. ولربما كانت القدس لما هاجمها الفرس كعنقود العنب احلول ثم راق وطاب حتى حان قطفه. ومنذ عهد قسطنطين والكنيسة في نمو واعتزاز.. حتى كان القطف الفارسي وأي قطف كان !

والحروب بين فارس وبيزنطية كانت حروب الشرق الأدنى في ذلك الوقت. فالفريقان كانا مختلفين دينيا ولغة وثقافة، ولم يتفقا على تحديد أطماعهما. فمن هزيمة الى غلبة ومن غلبة الى هزيمة. وكان زعماء العقائد الدينية في هذا البلد أو ذاك يفرون الى البلد الآخر لا جئين طالبين الحماية في ظل الملك المستجار به. ولكن من ناحية أخرى، كانت الحضارتان، الشرقية الفارسية، والغربية البيزنطية، في حرب هي حلقة من سلسلة الحروب بين فارس واليونان من قبل المسيح والاسكندر. والآن، ما كان يعلم إلا الله علام الغيوب، ان أوضاع الشرق الأدنى ستتبعثر وتنهار، وتضمحل وتتلاشى امام القوة العربية المنبثقة من الجزيرة، في هذا الثلث الأول من القرن السابع. فإذا بفارس وبيزنطية تنسحبان من الميدان ؛ أما فارس فتدين للإسلام وتجمل به. واما بيزنطية فتخرج من الشام وفلسطين وتنكمش في آسيه الصغرى فتبقى في هذه الرقعة حتى يستولي عليها السلاجقة فيما بعد ثم الأتراك العثمانيون.



مذبحة دير مارسابا :
جماجم الرهبان فيه حتى اليوم

سنة 614م. والحرب سجال بين الفرس وبيزنطية. غلب الفرس الروم. وبعد أخذ دمشق، كر الفرس على قيسارية فأخذوها. ثم توجهوا الى السامرة. ثم الى «ايلياء» وبدأوا حصارها فاستعصت عليهم أول الأمر. ولكن بعد عشرين يوما عرض الفرس الصلح على أهلها. فرفض البطريرك زخريا هذا العرض. ودعا الى مواصلة القتال من فوق الاسوار. وبعد هذا الرفض شد الفرس على المدينة، وقطعوا جميع الطرق التي توصلها بالخارج منعا لأيّ مدد يصل اليها. وتغلب الفرس في الوقت نفسه على الحامية البيزنطية التي في اريحا. وضعفت قوة الروم ومن كان ينضوي اليهم داخل المدينة. وكان اليهود أعوانا للفرس بكل وسيلة. وفي 20 أماي سنة 614م دكت الاسوار واقتحم الجيش الفارسي المدينة. واليك ما صنع :

ذبح خمسة وخمسين ألفا من النفوس. وذلك حسب ما هو وارد في الكتب التاريخية المخطوطة المحفوظة في مكتبة دير الروم - البطريركية - حتى اليوم. وفي مخطوطات أخرى وصل الرقم الى سبعة وستين ألفا. ونال الذبح كل من تناوله السيف في شارع أو بيت أو كنيسة أو دير أو قصر. تماما كما فعل الصليبيون بالمسلمين لما دخلوا القدس بعد بضعة قرون وذبحوا في ساحات الصخرة والمسجد الأقصى سبعين ألفا باعتراف المصادر التاريخية الأجنبية المعتمدة.

وساق الجيش الفارسي جماعات وافرة من أهل المدينة بركة «مأمن الله» خارج السور. فاستبقى منها أهل الصنائع والحرف، وسلم الباقي من هذه الجماعات الى اليهود. فنكل هؤلاء بهم وقتلوهم شر قتلة. وهدم الفرس كنيسة القيامة في القدس. والكنائس والاديرة في فلسطين.

ود بحوا الرهبان، ونهبوا كل ما وصلت اليه ايديهم، واستولوا على «خشبة الصليب» وهي في الكتب العربية «صليب الصلوات» واقتادوا البطريرك زخريا واعيان المسيحيين الى عاصمة مملكتهم. فإذا بالقدس، وهي الأمس تختال في برد قشيب من الزينة والبهاء، غدت اليوم قاعا صفصفا تحوم فوقها الغربان.

ولكن هنالك مشهدا كله رعب وفظاعة حتى هذه الساعة، ان دير مارسابا، اقدم الأديرة في فلسطين، يقع في برية جبلية على بعد نحو من 18 ك. م للجنوب الشرقي من القدس. ويكاد يصح القول أن في دهاليز هذا الدير الغميقة، المظلمة، المبطنة بالوحشة والرهبة، يكمن تاريخ هذه الغزوة الفارسية المدمرة للقدس، قبل ان اطل المنقذ عمر بن الخطاب وقائده ابو عبيدة، بعد هذه الغزوة باثنتين وعشرين سنة، لنشر بساط الرحمة واعطاء كتاب الأمان وانهاء دور الظلم في بلد شرف قبل قليل بالاسراء والمعراج. ان في صفحات التاريخ عجائب، وان هذه الآن لواحدة.

ان الوصول الى هذا الدير شيء شاق قاتل مهلك، لكثرة الأودية والجبال الجرداء والطرق الوعرة، وخلو هذه الأمكنة المحيطة بالدير من أي آثار مما يدخل في معنى الأنس. والدير نفسه، جعل من أول أمره، منقطعا لأهل النسك والرهبنة، ضخم البناء، كثير الالتفاف من الداخل، تجده هنا مقمطا بالدرج الضيق، وهناك بالسلم، نبتت صوامعه في الجو كأنها أبراج معلقة، وتطل من تلك النوافذ عيون رجال الله تخاطب السماء. وفي أماكن أخرى محابس للرهبان الذين نالهم جزاء ديني من البطريرك، فيأتون الى «مارسابا» ليمضوا مدة الحكم الذي أجري عليهم. فهنا دير وسجن، مصلى ومعتقل، الله وقيصر يلتقيان في هذه البرية. ومن الخارج، تنظر الى الدير فتحسبه قلعة، اذكل ما يوحي به هو الضخامة والقوة والمنعة.

دخل الجيش الفارسي دير مارسابا سنة 615م، في الربيع، وذبح الرهبان والمقيمين والملتجئين، وملأ ساحات الدير دما وأشلاء، وصوامعه بالجثث المشوهة، وكشرت الوحشية عن انيابها، وربع الجو بزعقات المستغيثين.

وبعد ان قضى الجيش الفارسي مهمته، وانسحب، علت هذه البقعة من ديار النسك كآبة التصقت بمجرى الزمن فكأنها لا تزال حتى اليوم تبدو وتتوارى فوق كل ديماس ودهليز.

وبين القتلى القديسون، ولا يعلم عدد هذه الضحايا، ولكن ما صنعه رجال الكنيسة بعد ذلك أنهم جمعوا الجماجم كومة كومة، ودحرجوها الى الآبار وملأوا بها تجاويف الأرض.

هذه الجماجم، يقول تاريخ الكنيسة، لا تزال حتى هذه الساعة في «مارسابا»، لم يبلها الزمن ولا يلاشها الدهر، ولم تستطع حقبة الأربعة عشر قرنا ان تذيب هذه القحوف، ويظهر ان فواعل الطبيعة اشترك بعضها مع بعض في حفظ هذه العظام المتكلسة حتى دخلت في حال اشبه المحنطات لم يدركها فساد. ومن يزور الدير يستطيع ان يرى هذه الآثار.

وأوسع وصف لهذا الدير، مع الإشارة الى هذه الجماجم، وحادثها الرهيب، هو ما كتبه السير اليك كركبريد الانكليزي في كتابه «حفيف الاشواك» الذي ظهر سنة 1956 متضمنا غرائب اختباراته ومشاهداته في الطبيعة والانسان والحيوان في الشرق الأوسط مدة ثلث قرن أو أكثر (وكر كبريد كان من أعوان «لورنس» في الحرب العالمية الأولى، وفي الثورة العربية التي كانت معدنا غنيا لخيالات لورنس فخرج منها بطلا مسرحيا. وبعد الحرب بقي كر كبريد تارة في حكومة الأردن وطورا في حكومة فلسطين، وامتد بقاؤه على هذا التناوب الى سنة 1953

فنقل الى ليبيا ثم تقاعد. فتكون مدته في البلاد العربية نحوا من أربعين سنة على غير انقطاع).

الرّسول ينصر الروم
لأنهم أهل كتاب والفرس لا كتاب لهم

كان هرقل قائدا في افريقيا. فجيء به وتولى الملك سنة 610 م وامتد حكمه الى 641 م. وخلال هذه الحقبة وهي احدى وثلاثون سنة. كانت الحروب بينه وبين فارس. انتهت بانتقال الأمر الى العرب. مما لم يكن يتوقعه هرقل ولا كسرى ولا يزدجرد. وكانت هزائم الروم أمام الفرس منكرة في جميع الميادين. في سوريا وفلسطين وأرمينيا والأناضول. حتى كاد الفرس يصلون الى القسطنطينية.

ولكن اخذت كفة هرقل ترجح شيئا فشيئا حتى دحر الفرس الى الوراء واسترجع منهم كل الفتوحات. ومات كسرى والحرب قائمة فجاء ابنه شيرويه وطلب الصلح فاشترط هرقل اعادة «خشبة الصليب» واطلاق الأسرى. وجاء هرقل بيت المقدس مزهوا منتصرا. وأقام «صلاة الشكر». وفي يناير سنة 629 م. أو السنة السابعة من الهجرة وصله كتاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم. يدعوه فيه إلى الإسلام. وقد فصلت «السيرة» هذا الحدث أجمل تفصيل.

وشكا النصارى من أهل «ايلياء» الى هرقل ما رأوه من اليهود وكيدهم في أثناء الغزوة الفارسية للمدينة. وطلبوا منه ان يعود الى القاعدة القديمة وهي أبعاد اليهود من بيت المقدس. فأخرجهم هرقل مطرودين وحتم عليهم ان يكونوا على بعد ثلاثة اميال من الأسوار. وأعاد البطريرك زخريا الى كرسيه. وملأ يده بالمال للاصلاح والترميم.

ولكن مات البطريرك بعد قليل فجاء بعده مودستوس وبقي هذا الى سنة 634 م. ثم خلفه صفر ونيوس الدمشقي في هذه السنة. وبعد سنتين فإذا بأبي عبيدة يحاصر «ايلياء». وشتان بين هذا الحصار العربي والحصار الفارسي في العدل والانسانية.

وعاد هرقل الى القسطنطينية.

ومن اتفاق الحوادث التاريخية ان هرقل تولى الملك سنة 610م. كما قلنا. ووقعت حادثة بهذه المناسبة أصبحت تاريخية فيما بعد في الطقوس المسيحية الارثوذكسية. اذ احتفاء بعودة «خشبة الصليب» الى القدس اوقدت النيران على رؤوس الجبال على ترتيب موقوت من القدس الى لبنان. فسلاسل الجبال شمالا. فجبال الأمانوس فالأناضول فالقسطنطينية. وهذا هو «عيد الصليب» المشهور في هذه البقاع حتى اليوم. وهو يقع في 14 سبتمبر على الحساب الشرقي.

وفي هذه السنة أيضا. كان ابتداء نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم. وقد حقق الخضري صاحب «تاريخ الأمم الاسلامية» هذه التواريخ. وهذه خلاصتها :

أولا - قال الخضري (ج 1 ص 69) : «وبينما كان يتعبد في غار «حراء» حسب عادته اذ جاءه الوحي وذلك في يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده. فيكون عمره اذ ذاك بالضبط أربعين سنة قمرية وستة أشهر وثمانية أيام. وذلك نحو 39 سنة شمسية وثلاثة أشهر وثمانية أيام. وذلك يوافق 6 أغسطس سنة 610 م.

ثانيا - في سنة 610 م هذه كانت موقعة «ذي قار» بين العرب والعجم. فانتصر العرب انتصارهم المعروف. فقيل «هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم».

ثالثا - في مارس 624 م بينما كان هرقل ينتصر على الفرس، كان المسلمون في موقعة «بدر» الكبرى ينتصرون على قريش.

رابعا - كان النبي صلى الله عليه وسلم، يؤيد الروم على فارس لسبب واحد هو كون الروم أهل كتاب. والفرس لا كتاب سماوي لهم وعبدة نار. مع أن الجيرة بين العرب والفرس جيرة جغرافية لا صقة وبين الأمتين معاملات من الزمن القديم. لكن عامل الجيرة عند النبي صلى الله عليه وسلم ليس بشيء، في جانب عقيدة التوحيد. وكانت قريش ومن والاها تؤيد الفرس مضادة للنبي وعقيدته. وكان كفار قريش يقولون للمسلمين القلة في مكة يومئذ، والفرس هم المنتصرون : «نحن نغلبكم كما غلبت الفرس الروم».

قال الزمخشري في تفسير أول سورة الروم وهي مكية في هذا الصدد ما فيه غاية الطرافة. اذ فرح المشركون وشمتوا وقالوا أنتم والنصارى أهل الكتاب ونحن وفارس اميون (اي لا كتاب لنا) وقد ظهر اخواننا على اخوانكم. ولنظهرن نحن عليكم فنزلت سورة الروم وأولها : (ألم غلبت الروم، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون، في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المومنون، بنصر الله ينصر الله من يشاء وهو العزيز الرحيم).

فقال أبو بكر للمشركين : لا يقرر الله أعينكم، فوالله لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين. فقال له أبي بن خلف : كذبت يا أبا فصيل ، اجعل بيننا أجلا أناحبك (اراهنك) عليه. فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما، وجعلا الأجل ثلاث سنين. فأخبر أبو بكر رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال البضع ما بين الثلاث الى التسع، فزايده في الحظر (المراهنة) وماده في الأجل. فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين، ومات أبي من جرح رسول الله، وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية، وذلك عند رأس سبع سنين... فأخذ أبو بكر الحظر (الرهن) من ذرية أبي وجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال تصرف به. وعن ابن عباس ان «ادنى الأرض» في الآية الكريمة «الأردن وفلسطين».

ثم يقول الزمخشري بعد هذا : «فإن قلت كيف صحت المناحبة وإنما هي قمار ؟ قلت : عن قتادة رحمه الله انه كان ذلك قبل تحريم القمار. ومن مذهب أبي حنيفة ومحمد ، ان العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده أبو بكر بينه وبين أبي بن خلف».

حصار القدس - المفاوضات من فوق الأسوار مجئ عمر - فتح القدس -

نعود الى أبي عبيدة وهو في دمشق. والى جيشه وقد حاصر المدينة، وامتلأ الجو بالتهليل والتكبير، ومضت ثلاثة أيام على الحصار فلم يخرج أحد من الروم يفاتح العرب بقتال أو كلام. وانما ظهر للعرب ان الروم مهتمون بتحصين الأسوار من الداخل ونصب المنجنيقات عليها. وفي اليوم الرابع قال فارس لشرحبيل : كأن هؤلاء القوم صم فلا يسمعون أو بكم فلا ينطقون أو عمي فلا يبصرون.

وفي فجر اليوم الخامس كان أول من ركب من الأمراء، لسؤال أهل «ايليا» يزيد بن أبي سفيان، فدنا من السور ومعه ترجمان، وجرى أول اتصال بين العرب والروم قبل ان يطلق أي سهم، وعرضت الشروط : الاسلام، أو الصلح، أو القتال. فرفض الروم هذه الثلاثة، فرجع يزيد الى الأمراء بالجواب، فقالوا : اذن القتال، فمنعهم منه أن أبا عبيدة لم يأذن لهم فيه الا بعد ان يراجع فكتبوا اليه

فأجابهم بمباشرة القتال وانه هو قادم عليهم. فأول من برز للقتال شرحبيل بن حسنة ورجال اليمن. ثم اقتحم كل جيش الأسوار من الناحية التي هو عليها وفق تعليمات أبي عبيدة.

ونقل الواقدي أخبار من شهدوا الفتح فقالوا ان النشاب كان كالجراد واستمر هذا حتى الغروب ولكن على غير طائل. وفي الليل أوقدت النيران العظيمة. واستؤنف القتال في اليوم التالي ولا نتيجة. وهكذا حتى اليوم الحادي عشر. فأشرفت على العرب راية أبي عبيدة يحملها غلامه سالم ومعه عبد الرحمن بن أبي بكر والنساء. وكان لوصول أبي عبيدة ضجة بلغت داخل الأسوار فعلم الروم أن أمير الجيش قد حضر.

قال الواقدي ان البطريرك خرج الى السور بأبهة عظيمة. وحوله رهط كبير وطلب الكف عن القتال حتى يحادث أمير الجيش فجرى هذا. فلم يتفق الفريقان. ويريد الواقدي ان يبين لنا ان البطريرك كان يريد ان يرى وجه الأمير أهو عمر أم لا. وان عند البطريرك وصفه. فلما لم يجده انه عمر بعد ان تأمله قطع الكلام. ويؤخذ من تفصيل الواقدي ان الروم كانوا يستخفون أول الأمر بالعرب والحصار. واما الآن فقد أخذت تتغير الحال. وكان الروم يعتقدون أن الجيش المحيط بالمدينة لا يلبث إن ينسحب لأن البرد شديد والأمطار غزيرة ولا قبل لهم بتحمل كل هذا.

وعاد العرب الى القتال أشد استبسالا. ويروي الواقدي مثالا من هذا وهو ان ضرار بن الأزور أراد أن يرمي بطريقا واقفا على السور (البطريق هو القائد من قواد الروم ولا ينبغي ان يلتبس هذا الاسم باسم البطريرك) وقد ظفر بذلك. وكان عوف بن مهلهل ينظر الى ضرار وهو يحاول مراده. قال عوف : فنظرت الى ضرار وقد قصد نحو البطريق يختفي ويستتر الى أن قرب من البرج الذي عليه البطريق. ثم اطلق عليه نبلة. فنظرت الى النبلة مع علو هذا الجدار فقلت وما تكون مع هذا العلو وما الذي تصنع وعلى البطريق هذه اللامة. فأقسم بالله لقد وقعت في فيه فتردى الى أسفل البرج. فسمعت للقوم ضجة وجولة هائلة فعلمت انه قتل.

بقي أبو عبيدة ينازل الروم أربعة أشهر. مع الثلج والبرد. ولما رأى الروم حالهم تضعف ولا مدد يأتيهم من الخارج طلبوا من البطريك مفاوضة العرب إبتغاء الفرج. فأجاب البطريرك الى ذلك. فاشتمل بلباسه وصعد السور وحوله الرهبان والقسوس وكلهم بمظهر مهيب. وتقدم أبو عبيدة فعرض الشروط الثلاثة فكانت النتيجة كأول مرة. وكان آخر جواب من البطريرك «انكم لو اقمتم علينا عشرين سنة ما فتحتم هذه البلدة».

واتسعت المفاوضة رغم صعوبتها وأفضت بالتالي الى ان «ايلياء» تفتح أبوابها لصاحب محمد وهو عمر. فعاد أبو عبيدة الى الأمراء فاقترح شرحبيل رأيا واقترح سواه رأيا. وأخيرا اتفق الأمراء على أن يكتب الى عمر فكتب اليه أبو عبيدة : «انا منازلون لأهل ايلياء نقاتلهم منذ أربعة أشهر ويقاتلوننا. ولقد لقي المسلمون مشقة عظيمة الا أنهم صابرون على ذلك ويرضون الله ربهم.. فلما كان اليوم الذي كتبت اليك الكتاب فيه اشرف علينا بطركهم الذي يعظمونه وقال.. انه لا يفتح بلدهم الا صاحب نبينا.. وقد سألنا حقن الدماء. فسر الينا بنفسك وانجدنا لعل الله ان يفتح هذه البلدة علينا على يديك».

وكان حامل الكتاب ميسرة بن مسروق العبسي. فعقد عمر مؤتمرا. وكان أول المتكلمين عثمان وكان رأيه الا يلبي عمر ما طلب أبو عبيدة ومما قال : «ان الله قد اذل الروم وأخرجهم من الشام فإن أقمت ولم تسر اليهم. استخففت بهم وبقتالهم. فلا يلبثون الا اليسير حتى ينزلوا

على الصغار ويعطوا الجزية». اما علي فقد كان رأيه التلبية ومما قال : «ان القوم قد سألوك وفي سؤالهم فتح للمسلمين». وانشرح صدر عمر الى هذا الرأي وقال : «لقد أحسن عثمان النظر في المكيدة للعدو، وأحسن علي المشورة للمسلمين فجزاهما الله خيرا ولست آخذا الا بمشورة علي».

وخرج عمر على بعير أحمر وعليه غرارتان في احداهما سويق وفي الأخرى تمر، وبين يديه قربة ماء وخلفه جفنة للزاد. ومعه جماعة من الصحابة الذين شهدوا اليرموك. ومر ببلاد جذام واتخذ طريق العقبة ولا نعلم كم يوما قضى في هذه الرحلة حتى اشرف على بيت المقدس. وهنا يتبين لنا ان الرواية التي تقول بتكبيره على الجبل المطل على المدينة من الجنوب والذي سمي «بالمكبر» لا مانع ان نسلم بها.

وخرج أبو عبيدة والأمراء لاستقبال الخليفة، وضربت له خيمة من شعر. واليك عبارة الواقدي :

«وجلس على التراب ثم قام يصلي وعلت للمسلمين ضجة عظيمة.. بالتهليل والتكبير فسمع أهل بيت المقدس الضجة والجلبة». ويسوق الواقدي الحوادث بعد هذا. مما يفيدنا ان عمر قال لأبي عبيدة :

«يا عامر. تقدم الى القوم وأعلمهم اني قد اتيت». فتقدم أبو عبيدة من السور وصاح بهم : «ان صاحبنا أمير المؤمنين قد ورد فماذا تصنعون بما قلتم ؟».

والصفوة : خرج البطريرك وعليه المسوح وبين يديه الصليب والاساقفة والرهبان. والصليب لا يخرجونه الا في عيدهم. يقول الواقدي.

فتقدم أبو عبيدة. فقال البطريرك : «ما تشاء أيها الشيخ الباهي ؟». فقال أبو عبيدة : «هذا أمير المؤمنين عمر ليس عليه أمير قد أتى. فاخرجوا إليه واعقدوا معه الأمان والذمة واداء الجزية». فقال البطريرك : «ان كان صاحبك الذي ليس عليه أمير قد أتى فدعه يدنو منا... وأفردوه من بينكم ليقف بازائنا حتى نراه».

فهم عمر بالقيام. فقال له أصحابه : «أتخرج إليهم منفردا وليس عليك آلة حرب غير هذه المرقعة ؟ وانا نخشى عليك منهم غدرا أو مكرا». فقال عمر : «فلن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون».

ثم أمر ببعيره، فاستوى عليها، وعلى رأسه عباءة قطوانية (نسبة إلى مكان قرب الكوفة مشهورة بصنع الأكسية) وقد عصب بها رأسه. وليس معه غير أبي عبيدة يسير بين يديه حتى قرب من السور ووقف بأزاء البطريرك والبطارقة وتكلم أبو عبيدة.

هنا لم يفصل لنا الواقدي الحديث بين عمر وصفرونيوس عبارة عبارة. ولكنه أجمل هذا فقال ان البطريرك مسح عينيه ونادى بأعلى صوته أنزلوا اعقدوا معه الأمان. هو صاحب محمد. ففتحت الأبواب ودخل عمر والأمراء «ايلياء».

اما كتاب الأمان فصحيحه هو الوارد نصه في الواقدي والطبري. وأما ما يوجد من نص له غير هذا في أي موطن آخر فغير معتبر إلا ما يوافق منه مؤرخ الفتح والطبري. والى هنا تنتهي قصة الفتح. وأما ما صنع عمر في داخل «ايلياء» من الصلاة والذهاب إلى مكان يصلي فيه. وقصة مجيء كعب الأحبار إليه. وهذا كان يهوديا من فلسطين. فكل هذا لا يتسع له المجال الآن.

أقام عمر في بيت المقدس عشرة أيام. ثم ارتحل إلى الجابية. وبحسب رواية الواقدي أن عمر في هذه الرحلة إلى «ايلياء» والشام دون الدواوين وأخذ الخمس ثم قسم الشام قسمين : اعطى من حوران إلى حلب وما يليها إلى أبي عبيدة وأمره بالمسير إلى حلب. وأعطى فلسطين

وأرض القدس والساحل ليزيد بن أبي سفيان. وجعل أبا عبيدة واليا على القسمين. وأمر يزيد أن يحارب قيسارية بعد أن جعل أكثر الاجناد لأبي عبيدة. ثم سير عمرو بن العاص إلى مصر. واستعمل على قضاء حمص. وكانت مقرا لهرقل. عمرو بن سعيد الأنصاري. ثم عاد إلى مدينة الرسول ومعه كعب الأحبار وقد أسلم. ثم كان فتح قيسارية وفتح السواحل بعد ذلك في خبر آخر وبذلك تم فتح الشام.

واما إدارة فلسطين بعد الفتح فقيل أن عمر قد أمر علقمة بن مجزر على قسمها الجنوبي ومركزه «ايلياء». وعلقمة بن حكيم على القسم الآخر ومركزه الرملة.

ويختلف مؤرخونا في عدد الرحلات التي رحلها عمر إلى الشام والمستفاد أن هذه الرحلات ثلاث.

وذكر مجير الدين. صاحب «الأنس الجليل» وقد سبقت الإشارة إليه وإلى كتابه أن عمر لما قدم بيت المقدس نزل على الجبل الشرقي وهو طور زيتا (أي جبل الزيتون) وأن رسول البطريرك جاءه إلى هنا. ولا أعلم سندا لهذه الرواية ولم يذكر المؤلف مصدرا لها.

وقال مجير الدين أن صلاح الدين. لما فتح القدس وقف أرض طور زيتا على الشيخ صالح ولي الدين أبي العباس أحمد بن أبي بكر الهكاري وعلى الشيخ الإمام الزاهد أبي الحسن علي الهكاري سوية بينهما سنة 584 هجرية. وهذان من قواد صلاح الدين. ومما هو جدير بالذكر أن فتوح الشام قد شهدتها كتائب عظيمة من المهاجرين والأنصار. وكان بلال مؤذن الرسول في هذه الفتوح. وكان لا يؤذن بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم. إلا في عظيم المناسبات. ففي اليرموك اذن فضج الجيش بالبكاء عندما انطلق صوت هذا المؤمن الحبشي في هذا الوادي العجيب. وقال الواقدي وهو يروي فتح القدس أن عمر بعد أن وصل «ايلياء» سأله المسلمون أن يؤذن بلال. فقال له عمر : «ان أصحاب رسول الله يسألونك أن تؤذن لهم وتذكرهم بأوقات نبيهم» فلما قال «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله» بكى الناس حتى كادت قلوبهم تتصدع.

وبيت المقدس هي التي داخل الأسوار حتى اليوم... تنتظر فتحا جديدا على يد المؤمنين لتتحرر من الاحتلال الصهيوني الغاشم... والفتح قادم لا ريب فيه.

عجاج نويهض



مع جلالة الملك الحسن الثاني في حاضرة الفاتيكان

تأليف : الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور
عرض وتقديم: الاستاذ محمد بن محمد العلمي

طلعت علينا المطبعة الملكية بالرباط أخيرا، برائعة أخرى من روائع الأستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة، ونعني بذلك كتابه (مع جلالة الملك الحسن الثاني في حاضرة الفاتيكان).

وقد زين صدر كتابه هذا بصورة حديثة لصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بالزي الأوروبي، وأردفها بمدخل يمتاز ببراعة الاستهلال، والأسلوب السلس المشوق، والتعمق في الجزئيات التي لاتخلو من الإمتاع والغوص في الأغوار. فأشار إلى أن الرحلة التي قام بها جلالة الملك الحسن الثاني إلى حاضرة الفاتيكان عشية يوم الأربعاء 16 جمادى الأولى عام 1400 هـ (2 أبريل سنة 1980) لمحادثة قداسة البابا يوحنا بولس الثاني هي واحدة من تلك التحركات المباركة التي قام بها جلالته منذ مطلع هذا العام. فإذا كان الطابع الإسلامي والعربي يهيمن على رحلته الى الطائف بالمملكة العربية السعودية، والى بغداد عاصمة الجمهورية العراقية فان سفره الى مدينة الداخلة إثر استرجاع اقليم وادي الذهب يدل على وحدة الصف الوطني المغربي المطبوع بديمومة الطاعة والبيعة والولاء للعرش العلوي المنيف. ولا بدع في ذلك، مادامت الشخصية اللامعة لجلالة الملك الحسن الثاني ـ أيده الله ـ لها وزنها الثقيل، ومكانتها المرموقة في مجالات السياسة الدولية الراهنة. إذ تحظى أقواله وأفعاله وتنبؤاته بما هي أهل له من موفور العناية والاهتمام. فالمغرب بطبيعته وموقعه الجغرافي الممتاز همزة وصل بين القارات والثقافات والحضارات ومليكه الهمام في طليعة المناضلين الثوريين الذين حاربوا الاستعمار، وتحملوا في سبيل تحرير البلاد وتوحيد ترابها، وصيانة استقلالها، وإنماء مكاسبها كل ضروب التضحية. كيف لا، وصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ـ سدد الله خطاه ـ . إنما هو استمرار لذلك النور النبوي الوهاج، فقد أضاف إلى ثقافته الواسعة، واطلاعه الكبير، والعميق، بصيرة واعية، تتبلور أنوارها الساطعة في تحركاته وأفكاره، وخطبه وتصريحاته وندواته التي تبهر العالم أجمع شرقا وغربا.

عبد الوهاب بن منصور
مؤرخ المملكة المغربية

مع
جلالة الملك الحسن الثاني
في حاضرة الفاتيكان

المطبعة الملكية - الرباط
1980 - 1400

والرحلة الملكية إلى حاضرة الفاتيكان تناولت مشكلة القدس الشريف عاصمة فلسطين التي أخرج شعبها من دياره بغير حق، وسلب حقوقه المقدسة المخولة للأفراد والشعوب. فلقد ظلت القدس عبر العصور والأجيال حرما آمنا في ظل الحكم العربي والعدالة الإسلامية، تهوي إليها أفئدة المؤمنين أهل الديانات السماوية، فيؤدون في رحابها شعائرهم ومناسكهم من غير معاكسة ولا تضييق.

والواقع أن إسرائيل منذ استيلائها على القسم الشرقي من القدس الشريف، سلكت مسلكا غريبا نقضت به كل المواثيق الدولية، وخرقت جميع مقررات الأمم المتحدة، فعمدت إلى إضفاء الطابع اليهودي عليه، غير عابئة بصيحات الاستنكار والتنديد والاستياء الصادرة من شتى الشعوب والحكومات والمنظمات الدولية ضد تصرفاتها العنصرية، ومذابحها الوحشية، وأعمالها العدوانية، فهي تصادر الأراضي العربية، وتطرد سكانها الأصليين ليحل محلهم سكان مستوردون من الخارج.. وهي تنسف أحياء برمتها، وتنتهك حرمات المساجد والكنائس، وتسرق ما فيها من ذخائر وتحف ونفائس. وليس إحراق المسجد الأقصى، سوى أخبث وأبشع صورة لتلك السلسلة اللامتناهية من الاستفزازات والاعتداءات.

وإسرائيل ماضية في سياسة التهويد، والتحدي السافر لكل القرارات والتوصيات الصادرة عن الدول مجتمعة ومتفرقة.

ولقد أومض بصيص من النور المبشر بالخلاص والانفراج، حينما قرر المؤتمر العاشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية المنعقد بفاس ما بين 11 - 15 جمادى الثانية عام 1399 هـ (8 - 12 مايو 1979) إسناد رئاسة لجنة القدس إلى جلالة الملك الحسن الثاني - وفقه الله وأعانه -

وقد أدرك الرأي العام العالمي بالفعل حقيقة القضية الفلسطينية التي تخفيها أو تعمل على تشويهها أبواق الدعاية الصهيونية في كل الجهات، وأصبحت إسرائيل معرضة لعزلة أكبر، وضغوطا أشد، وأوشك التوتر السائد في منطقة الشرق الأوسط بسبب تعنت إسرائيل يعرض السلم والطمأنينة في العالم لأفدح الأخطار.

واستفادت لجنة القدس مما لجلالة الملك الحسن الثاني - حفظه الله - من مكانة رفيعة عند رؤساء الدول، ومن علاقات وصداقات شخصية مع عدد كبير من الشخصيات السياسية الكبرى، المسموعة الكلمة على صعيد بلدانها خاصة، والصعيد العالمي عامة، وباتفاق مع الأمانة العامة للمؤتمر الإسلامي، ومنظمة التحرير الفلسطينية، أجرى جلالته العديد من الاتصالات وجعل قضية القدس

الشريف في مقدمة ماتذاكر عليه مع رؤساء الدول والحكومات والوزراء الأجانب الذين اجتمع بهم هنا وهناك. وكتب في شهر يونيو 1979 إلى فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية رسالة حول القدس بمناسبة قرب اجتماع مجلس أوروبا تحت رئاسته. كما كتب في 26 شتنبر 1979 إلى قداسة البابا في نفس الموضوع. ووجه يوم الاثنين 13 محرم عام 1400 هـ (3 دجنبر سنة 1979م) رسالة إلى الندوة العالمية للقدس، المجتمعة في لندن... وكان لهذه المساعي أثرها الإيجابي الحميد. فقد ألقى قداسة البابا في هذا الشأن خطابه العظيم في الدورة الرابعة والثلاثين للجمعية العامة للأمم المتحدة. وصدر أخيرا عن مجلس الأمن قرار يدين سياسة الاستيطان التي تنهجها إسرائيل في الأراضي المحتلة. وصدرت عن الرئيس الفرنسي السابق جيسكار ديستان تصريحات واضحة عن القدس، خلال زيارته بعض الأقطار العربية، كما اعترفت بعض الدول في أوروبا وآسيا وسواها بمنظمة التحرير الفلسطينية . وأوصت لجنة القدس في اجتماعاتها بمراكش يومي 23 و 24 ربيع الثاني 1400 هـ (11 و 12 مارس 1980) بتكثيف العمل الاعلامي والسياسي في المستقبل على أعلا المستويات. ومواصلة الاتصال مع البابا وسائر العالم المسيحي بالطرق الناجعة التي يراها جلالة الملك الحسن الثاني رئيس لجنة القدس.

وفكرة إشراك المسيحيين في النضال من أجل إعادة الميزة السابقة إلى مدينة القدس فكرة سديدة جدا.. فمصلحة المسيحيين نفسها تحتم عليهم أن يتفقوا مع المسلمين على خطة عمل مشتركة وبرنامج تحرك دولي شامل يستهدف إنهاء الوضع الشاذ الذي فرض على القدس الشريف، وطال سكوت المجتمع الدولي عليه تحيزا لباطل صراح تارة، وخوفا تارة أخرى من قوة وهمية، وأساطير روجتها دعاية إسرائيل.

وكانت زيارة جلالة الملك الحسن الثاني لقداسة البابا بحاضرة الفاتيكان حدثا تاريخيا هاما. ولقاؤهما من اللقاءات الفريدة في نوعها التي لا يجود بها الزمان كثيرا. فلأول مرة يجتمع سليل الرسول محمد (ص) أمير المؤمنين في بلد وممثل المسلمين قاطبة، بصفته رئيس لجنة القدس - برئيس الكنيسة الكاثوليكية إمام المسيحيين، وخليفة القديس بطرس. وذلك اللقاء الحار بين الديانتين السماويتين المؤمنتين معا بالله الواحد الأحد، يعتبر في حد ذاته نداء أكيدا إلى ضمان احترام حقوق الناس وصيانة كرامتهم. كما يعتبر أيضا رفضا باتا لكل ظلم كيفما كان وأينما كان. فالغاية من تقوية الحوار بين المسلمين والمسيحيين، هي أن تصد معا أخطار الإلحاد والمادية، وأن نوجد قاعدة استقرار، وأمن وعدالة، وطمأنينة وأمان، من خلال القيم الأخلاقية والمثل العليا التي ندعو إليها، وأن نعبىء القوى الإسلامية والمسيحية في كل جهة من جهات العالم للوقوف صفا واحدا ضد تهويد القدس وجعلها عاصمة لإسرائيل، وتغيير صبغتها التاريخية.

وجرى الحديث حول إمكانية عقد اجتماع يحضره رجال الدين من مسلمين ونصارى ويهود غير صهيونيين، لإجراء حوار صريح إيجابي بناء، يتحملون فيه مسؤوليتهم بشجاعة، من أجل حل مشكلة القدس الشريف حلا خاليا من كل تعصب، بعيدا عن كل رغبة في الاغتصاب والابتزاز، ممهدا لحل سياسي شامل للمدينة المقدسة، وسائر فلسطين المحتلة. (لأن الوقت لم يعد وقت مواجهات، وإنما هو وقت الاستثمار المشترك لرصيد روحي عظيم بقصد العمل على استقرار العالم، وضمان أمن سكانه).

وقداسة البابا مع جلالة الملك أولى الناس بتقدير ما ينجم من خير عن تضامن من أهل الكتاب وتصفية كل ساءة وقعت أوتقع من بعضهم على البعض، إدراكا منهما لما يواجه الديانات السماوية من مخاطر بسبب انتشار

الأفكار الهدامة والايديولوجيات التي تنكر الألوهية، وتسخر من النبؤة، وترفض التقيد بالمبادىء الخلقية التي بدونها لا يستقر العالم، ولا تستقيم المجتمعات.

ولم تكن أهمية هذا اللقاء الذي يدخل فيه الحوار الإسلامي - المسيحي من أوسع الأبواب، لتخفى على من يزنون بالقسطاس المستقيم، ويتصفون بصدق الفراسة وبعد النظر. فقد أيدته الحكومات والهيئات الدولية والأحزاب السياسية والمنظمات الدينية. ولم يشذ عن هذا الإجماع سوى أجهزة دعاية الجزائر وتوابعها التي أصيبت بسعار حاذ حسدا على نجاح صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني - نصره الله - في مهمة كلف بها من طرف لجنة القدس. ويكفينا ماصرح به ممثل منظمة التحرير الفلسطينية بإيطاليا والفاتيكان، إذ قال : «إن لقاء جلالة الملك بقداسة البابا يعتبر خطوة إيجابية لتحرير الأماكن المقدسة، وإن زيارته للفاتيكان تجسد المصالح المشتركة بين المسلمين والمسيحيين في المحافظة على الطابع الديني للمدينة المقدسة».

٥ ٥ ٥

وكتاب (مع جلالة الملك الحسن الثاني في حاضرة الفاتيكان) لا يضم فقط ما رآه المؤلف وما سمعه مما يسوغ نشره، بل هو يحتوي كذلك على مجموعة من المعلومات عن نظام الحاضرة البابوية، وشخصية الجالس على كرسي الديانة الكاثوليكية بها، وعلى وثائق قديمة وحديثة سيستفيد ولا شك منها الباحثون في تاريخ المغرب، وتاريخ فلسطين العزيزة، والقدس الشريف.

٥ ٥ ٥

وتعميما للفائدة، أورد هنا هذه الفقرة التي لاتخلو من دعابة وفكاهة وترويح عن النفس. قال : «وكان فارس الحلبة وقطب الرحى في هذه الساعة الأستاذ أحمد بنسودة المستشار الملكي الذي قوض جدار الصمت، وخرق حجاب السكوت - كعادته - بأحاديثه الشيقة الشهية التي يختلط فيها الجد بالهزل، وتتداخل فوائد العلم بمستملحات النكت. والأستاذ ابن سودة في هذا الباب فريد وحيد، لا يضاهيه أحد ممن أعرف بالقدرة على الكلام، وبداهة الأجوبة، وحسن التخلص، ولطف الاعتذار، يستشهد لامتاع مخاطبيه ومؤانستهم بآيات القرآن، وأحاديث السنة، وقصائد الشعر، وأمثال الخواص، والعوام، وحكم الهند، وفلسفة اليونان، وقصص الأنبياء، وسجع الكهان. ولا يجد حرجا في إنفاذ المعاني إلى أذهان سامعيه بفصاحة العربية أو رطانة البربرية، أو رقة الفرنسية، أو زخرفة الإسبانية، حتى ليستوي في فهم مقولاته الذكي والبليد. رأيته يوما بفاس، وقد طلب منه أن يحادث لاعب گولف انجليزي، كان حديث عهد بالوصول إلى المغرب، ويؤاكله، فاستجاب غير متردد، وحادثه غير متلعثم بما يوهم أنه لغته، ففهم الانجليزي عنه كل ما قال، وما أحسب أنه فهم من اللغة شيئا... وقد يرتجل من فيض خاطره بليغ الشعر أو رائق النثر، مستشهدا دون أن ينسب منه شيئا لنفسه، كما لا يحجم عن تنويع الأساليب الخطابية حسب المقتضيات الوقتية، حتى ولو اقتضى الحال أن يرتل القرآن، أو ينشد أشعار ابن الفارض، والحراق، كما ينشدها المتصوفون عندما يغلب عليهم الوجد في حلقات الذكر، وهو يستعين على ذلك بثقافة واسعة، وروح مرحة، وذاكرة قوية كان يشق بها غبارنا عندما كنا أطفالا نتلقى تعليمنا الابتدائي بمدرسة ابن غازي بفاس. وقد كانت عنايته هذه العشية بصاحب السمو الأمير مولاي الحسن بن ادريس قوية، إذ خصه بدعابات تشبه دعاء بشار لعمرو وخائط القباء !!! ولم ينس أن يلتفت بين الحين والحين إلى السيد الحبيب الشطي، الأمين العام لمنظمة العالم الإسلامي، والأستاذ عبد الله كنون، رئيس رابطة العلماء - عناية منه بهما واهتماما، ولينيلهما حظهما من مخاطباته، يثير بها قريحتهما، ويحرك ساكنهما...».

ثم يروي لنا المؤلف الوصول إلى مطار روما، وماذا شاهده في الطريق إليها. كما يتحدث لنا عن دولة الفاتيكان، وقصر الفاتيكان، وتسليم أعضاء الوفد المغربي على الباب، وخطاب قداسة البابا الذي جاء فيه على الخصوص :

«إنكم ملك لبلد لا ينكر أحد ماضيه الزاخر بالمفاخر. فشعبكم بين شعوب الشمال الإفريقي هو وارث لتقاليد مجيدة وراسخة في القدم، وحامل للواء حضارة طبع إشعاعها وما زال يطبع مجالات الثقافة والفن والعرفان، فحق علينا أن نكرمه ونرحب أجمل ترحيب بملكه الذي يؤهله لمستقبله».

ورد جلالة الملك على خطاب قداسة البابا بقوله :

«... جئنا بصفتنا ملكا للمغرب وأمير المومنين لنشرح لقداستكم وجهة نظر مجموع الدول الإسلامية بخصوص مدينة القدس الشريف، هذا المكان المقدس بين المدن جمعاء، أرض اللقاء والتعايش بالنسبة للأديان المنزلة من السماء جميعها، وإننا لعلى يقين من أن مبادرتنا هاته، ستلقى لدى قداستكم كل تفهم، وخاصة في هذا الظرف الذي لا ينبغي أن يكون ظرف مواجهة بين مسلمين ومسيحيين ويهود، بل على العكس من ذلك، يجب أن يكون ظرف تمسك بالقيم الروحية، لأجل تعزيز سلام العالم ورفاهيته...».

ه ه ه

ثم يحكي لنا المؤلف عن اجتماع جلالة الملك ببعض السفراء المسلمين، وعن تصريح جلالته للصحفيين إذ قال : «إنني لمرتاح جدا، لقد وجدت لدى قداسة البابا كثيرا من التفهم للقضايا التي جئت لأعرضها عليها، بصفتي رئيس لجنة القدس، المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي.

لقد وجدت في شخص قداسته الرئيس الروحي الذي يفهم كامل الفهم أن الوقت قد حان للديانات الثلاث، أي لأبناء سيدنا إبراهيم، مسلمين كانوا أو نصارى أو يهودا، أن يجتمعوا في القدس الشريف، لا ليتخاصموا، ولكن ليشتركوا في استثمار رصيد روحي وتاريخي، يرمي إلى استقرار العالم وسلامته.

لقد وجدت في قداسته المخاطب والرجل والرئيس الروحي الذي كنت أنتظر.

ه ه ه

ويتدرج بنا المؤلف في كتابه الشيق الممتع إلى الحديث عن عودة جلالة الملك إلى باريس، وعن وصول جلالته إلى مطار رواسي، ثم يعقد فصلا خاصا عن العلاقات التاريخية بين المغرب والفاتيكان، ويردف ذلك بصدى الزيارة الملكية في الداخل والخارج.

فأما عن ردود الفعل الداخلية، فهنالك رسالة الحكومة إلى جلالة الملك، حيث عبر الوزير الأول ووزير العدل الأستاذ المعطي بوعبيد، باسم الحكومة عن عميق الفخر والاعتزاز بما قام به جلالته من أعمال وبذل من جهود حالفها التوفيق، وواكبها التسديد لنصرة قضية القدس المقدسة في مختلف المحافل الدولية، تلك الجهود التي جاءت زيارته للفاتيكان لتبرز الصورة الحية لمسعاه الدؤوب منذ أولاه ممثلو العالم الإسلامي ثقتهم، وأسندوا إليه رئاسة لجنة القدس، فاضطلع جلالته بهذه المهمة، وبما عهد فيه وعرف عنه من أصالة الروح الإسلامية التي تعتبر إحدى شيم الأسرة العلوية الشريفة.

وعلقت وزارة الإعلام على الزيارة بقولها :

«إن زيارة جلالة الملك لحاضرة الفاتيكان ولقاءه بقداسة البابا، مؤشران بارزان على ما للزعيمين الروحيين من تأثير إيجابي على مجريات الأحداث في عالمنا

المعاصر. والعاهل الكريم، وهو يلتقي بقداسة البابا. ينوب في الواقع عن العالمين العربي والإسلامي. ويتخاطب كمفوض من طرف الأمة الإسلامية كلها لتحقيق المزيد من الدعم والتأييد لصالح القضية العادلة التي أنشئت من أجلها لجنة القدس.

وما تعبير قداسة البابا عن تقديره لأمير المؤمنين وتنويهه بخصاله وأصالة المملكة المغربية وعراقة تراثها وحضارتها، ودعاؤه لجلالته بالسداد والتوفيق. إلا برهان على المستوى الرفيع للحوار والمناقشة بين زعيمي العالمين الإسلامي والنصراني.

وهكذا تكون تحركات جلالة الملك الحسن الثاني مطبوعة دائما بطابع الجدية والمثابرة. محققة للنتائج المرجوة من وراء العمل الموصول المبني على التخطيط والمنهجية. الواضح الأهداف والمقاصد. الشيء الذي أكد للملاحظين والمهتمين الانطباع بالارتياح والاطمئنان لقضية القدس التي قيض الله لها قائدا عظيما. ومدافعا أمينا.

وإذا كان الملاحظون أولوا عناية قصوى للاجتماع الطويل بين جلالة الملك وقداسة البابا فإن اهتمام أولئك الملاحظين بتنوع أعضاء الوفد المغربي وشمولية أفراده للهيئات العلمية والسياسية ببلدنا. جعلهم يؤكدون مرة أخرى على صيغة الإجماع الوطني. التي تتحلى بها تحركات المغرب، ووقوف كل المغاربة صفا واحدا عندما يتعلق الأمر بالمقدسات الوطنية والقومية، وبالقضايا المصيرية لأمتنا!

وفعلا كان الوفد المرافق لجلالة الملك في زيارته لحاضرة الفاتيكان يضم شخصيات وطنية من بينها على الخصوص علماء أجلاء، وممثلون للأحزاب السياسية المغربية. وهذا الحضور لن يكون له إلا مغزى واحد. وهو



الملك الحسن الثاني والبابا يوحنا بولس الثاني يتذاكران، وقد ظهر في الصورة السيد الحبيب الشطي، والمونسينيور نوربير كالمل، والجنرال عبد الحفيظ العلوي وزير القصور الملكية والتشريفات والأوسمة

حرص العرش العلوي المجيد، وملوكه الأبطال على معرفة اهتمامات الرأي العام الوطني والاطلاع التام على أفكار الأمة، سواء تعلق الأمر بالقضايا الوطنية الكبرى أو اقتصر على القضايا العادية لسير الأمور في البلد، مستهدفين أن يكون تحركهم وعملهم مطابقين لمتطلبات شعبهم، وأن تكون المواقف المبدئية مكتسبة طابع الإجماع الشعبي. وهذا هو ما لاحظه قداسة البابا في خطابه حين وجه الدعاء لجلالة الملك ولكافة الشعب الممثل في أعضاء الوفد المرافق...»

وحللت وكالة المغرب العربي للأنباء أبعاد هذا اللقاء التاريخي وقالت :

«لقد كان لقاء القمة الذي جمع في حاضرة الفاتيكان يوم 2 أبريل 1980 بين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، ورئيس الكنيسة الكاثوليكية قداسة البابا يوحنا بولس الثاني، بالتأكيد، حدثا ذا دلالة روحية قصوى، سيبقى معلمة بارزة في تاريخ العلاقات بين الديانتين الإسلامية والمسيحية.

«إنه لقاء بين القرآن والإنجيل، رمز التراث المقدس الذي تجسده مدينة القدس الشريف بالنسبة للمسلمين والمسيحيين واليهود». ذلك هو الانطباع الراسخ الذي عبرت عنه غداة هذا اللقاء، الأوساط السياسية والروحية في العالم...».

... وعلينا أن لاننسى مقررات طرابلس التي صدرت بعد مرور حوالي أسبوعين فقط على قمة الفاتيكان، في محاولة منها لإجهاض فكرة أي حوار ثلاثي من شأنه أن يسفر - ولماذا لا ؟ - عن تسوية مبتكرة لمشكل ممزق منطقة الشرق الأوسط... غير أنه لا يجب الاستهانة بوزن أتباع الديانات الثلاث في العالم أجمع، والذي سيفرض نفسه في آخر المطاف لا محالة على خسة كل حساب سياسي، وكل نزعة توسعية، وكل ستراتيجية للهيمنة من أجل إقامة سلام في إطار الحوار والتفاهم والأخوة الإنسانية . وفي ظل التعايش بين الشعوب ، هذه هي الرسالة التي حملها إلى الكرسي الرسولي رجل لا ينازع أحد من العالم الإسلامي في سلطته الروحية، جلالة الملك الحسن الثاني...».

وأما الصحف المعبرة عن رأي المنظمات الوطنية، فقد أولت هذا الحدث ماهو جدير به من عناية فكتبت جريدة «العلم» الناطقة باسم حزب الاستقلال في عددها الصادر يوم الخميس 17 جمادى الأولى عام 1400 هـ (3 أبريل 1980) مقالا تحت عنوان (مسؤولية المسيحيين) نقتطف منه ما يلي :

«المسيحية والمسيحيون يتحملون في قضية فلسطين مسؤولية ضخمة، لأن الصهيونية تناقض المبادىء المسيحية مناقضة كاملة، إذ هي تقوم على أسس العنصرية والتفوق الديني والعرقي، وتقوم على أشنع ما التصق باليهودية في عصور الانحطاط، من أفكار الغدر والحقد والعدوان والقتل والإبادة، وكل ذلك يتناقض مع مبادىء الأديان الثلاثة السماوية وحتى الأديان غير السماوية...

«إننا نتمنى النجاح للمحادثات التي يجريها جلالة الملك مع قداسة البابا، فنجاحها سيكون فاتحة لعهد جديد من العلاقات الممتازة بين العالمين الإسلامي والمسيحي، يقضي فيه على ما ساد هذه العلاقات من أزمات اتسمت بالحروب والاستعمار والاستغلال والكراهية».

وكتبت جريدة «المغرب» . وهي يومية يصدرها باللغة الفرنسية حزب التجمع الوطني للأحرار، في عددها الصادر يوم الأربعاء 16 جمادى الأولى 1400 هـ (12 أبريل 1980م) - وهو يوم الزيارة - افتتاحية علقت فيها على الزيارة الملكية للفاتيكان، ورد فيها ما يلي :

«... إن المحادثات التي أجراها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني مع قداسة البابا، تبرز في الواقع، وبصورة مبتكرة، تلك الوحدة الدينية التي دعا إليها منذ عشرين سنة خلت مجمع الفاتيكان الثاني.

غير أنه في هذه المرة، كان الإسلام هو السباق للقيام بهذه المبادرة. فصاحب الجلالة أمير المومنين، هو إذن أول رئيس دولة إسلامية التقى بالبابا يوحنا بولس الثاني، وهو مؤهل كل التأهيل لإجراء مثل هذا اللقاء... وهو رجل الحوار والتفتح، ورئيس دولة مرموق، جعل من التسامح مبدأ له وجميع تحليلاته تستند على الحكمة والواقعية، وهي فريدة من نوعها وتعطي للملكة المغربية بعدا خاصا.

... ولا داعي للتأكيد مثلا بأن طائفة يهودية هامة تعيش في المغرب، وتتمتع بنفس الحقوق التي يتمتع بها المغاربة المسلمون.. والجدير بالتذكير أيضا أن طائفة مسيحية (أجنبية) لاتقل أهمية عن سابقتها، تعيش في المغرب، وتندمج في المجتمع المغربي...

إن جلالة الملك الحسن الثاني، الذي يناضل من أجل وحدة العالمين العربي والإسلامي، يناضل أيضا من أجل الحوار بين الديانات، وإن الحوار الذي يجريه العاهل الكريم مع البابا، هو حوار يتجاوز الجانب السياسي المحض، ويفتح منذ الآن ما يمكن تسميته بالحوار بين مختلف الديانات، وإن تحرير مدينة القدس الشريف، والأراضي الفلسطينية وتحرير الإنسان، تتوقف جزئيا أو كليا على هذا الحوار».

ومما كتبته جريدة «الحركة» لسان الحركة الشعبية في عددها الصادر يوم الأربعاء 26 جمادى الأولى 1400 (9 أبريل 1980م) افتتاحية علقت فيها على الرحلة الملكية إلى الفاتيكان، جاء فيها :

«اكتست الزيارة الملكية إلى الفاتيكان عدة مرامي تناولها المعلقون في كل مكان من العالم سواء بالنسبة إلى الصحافة الناطقة، أو الصحافة المكتوبة، وحتى بالنسبة إلى الطبقات المختلفة من رجال الدين والأدب والفن.

وان أهداف الزيارة تكتسي صبغة إسلامية بالدرجة الأولى لتحرير مدينة القدس، وإنقاذ هذه البقعة المقدسة من الرجس الصهيوني الذي حل بها، حيث أبدت الدول الإسلامية جميعها في شخص عاهل المغرب موقفها الذي لا تراجع فيه، وصمودها الذي لانكوص فيه إلى أن تطهر مدينة القدس، وتعود إلى ماكانت عليه حرة آمنة، وأرضا فلسطينية مفتوحة لكل متدين موحد، كما عاشت قبل قرون وأحقاب.

وإذا كان الملك الحسن الثاني قد أبدى هذه الصورة الخاصة حول مدينة القدس، فإنه من ناحية أخرى قد أبدى الوحدة الإسلامية الكبرى المهيأة تهيؤا كاملا لمواجهة التحديات في عصرنا هذا، وفي مختلف الأنحاء من العالم.

وفي شخص جلالة الملك ، أبدى العالم الإسلامي استعداده التام للتعاون مع المتمسكين بالدين المسيحي على كل مامن شأنه أن يبعد عن هذا العالم مظاهر الظلم والتعسف، وما يجره إلى الاضطراب والحرب، وما يسوقه إلى المآسي والآلام.

وإن المغرب الذي ساهم منذ ثلاثة عشرة قرنا بشتى القيم المثلى بين دول البحر الأبيض المتوسط بصفة خاصة، ودول العالم بصفة عامة، ليبرز في لقاء الفاتيكان مسيرته الدائمة، ومساندته المتواصلة، لحقه، وكل حق ضائع أو موشك على الضياع، ولن يتخلى أبدا عن منهاجه ومذهبه الأصيل، مهما فرضت عليه الظروف من تضحيات، وما كلفته من بذل للنفس والنفيس».

ونشرت جريدة «صباح الصحراء» اليومية التي تصدر باللغة الفرنسية في عددها المؤرخ سابع أبريل 1980م (21 جمادى الأولى 1400 هـ) افتتاحية تحت عنوان «لقاء القرن» حللت فيها مرامي زيارة جلالة الملك الحسن الثاني للفاتيكان وأبعادها، نقتطف منها ما يلي :

«لقد أتاح هذا اللقاء لممثل المجموعة الإسلامية . أي لمليار من المومنين، أن يجتمع للمرة الأولى مع أسمى ممثل للمجموعة النصرانية التي تعد هي أيضا مليارا من المومنين وهذا ما يضفي على هذا الحدث ميزة استثنائية وفريدة في تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية.

فخلال زيارته لحاضرة الفاتيكان حرص صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني على أن يرافقه وفد هام من العلماء وممثلي الأحزاب السياسية، وذلك لإبراز مدى التفاف الأسرة الدينية والسياسية حوله. بيد أن جلالة الملك الحسن الثاني لم يكن يمثل في هذا اللقاء الشعب المغرب وحده، ويتكلم باسمه فقط، ولكنه كان أيضا يمثل كل المجموعة الإسلامية، وينطق باسمها :

«إنه ليس في استطاعة أي رئيس دولة أن يجمع ما يجتمع لجلالة الملك الحسن الثاني من المزايا والمؤهلات. فمن غيره يستطيع أن يتحدث باسم جميع أفراد شعبه، ويتحدث في الوقت نفسه باسم أكبر مجموعة دينية ؟ ومن هنا تأتي الأهمية الفريدة لهذا اللقاء، والاعتبار الكبير الذي أضفي عليه...».

وكتبت جريدة «الأنباء» في عددها الصادر يوم الجمعة 18 جمادى الأولى عام 1400 هـ (14 أبريل 1980م) مقالا في الموضوع، جاء فيه على الخصوص ما يلي

«لقد كان لقاء تاريخيا بين عاهل إسلامي يتحمل مسؤولية الدفاع عن أولى القبلتين وثالث الحرمين، وبين رئيس الكنيسة الكاثوليكية الذي يملك النفوذ الروحي والفكري على العالم المسيحي، تجلى من خلاله حرص الضمير الديني على الإسراع في مسلسل السلام بالشرق الأوسط، بتحرير القدس الشريف، وإنصاف الشعب الفلسطيني . كما عكس هذا اللقاء إرادة المؤمنين في العالم مسلمين ومسيحيين، وتصميمهم على مواجهة التحدي الصهيوني بالحزم واليقظة والأسلوب الحضاري الذي يساير سمو الدعوة الدينية، وشرف مقاصدها.

ولقد اتضح اليوم، وبعد الرسالة التاريخية التي وجهها صاحب الجلالة إلى قداسة البابا في الخريف الماضي، أن الفاتيكان تجند للنزول إلى ساحة النضال الإنساني من أجل تحرير القدس، بما لديه من إمكانات ووسائل، للضغط والإقناع والتأثير وفضح العدوان.

ومن هنا ندرك البعد السياسي والعمق الاستراتيجي للتحرك المغربي، وانفتاحه على العالم الغربي، انطلاقا من الأمانة المقدسة التي يتحملها عاهله المفدى، ويتجاوب معها الشعب بكل فئاته...».

كما كتبت جريدة «الأنباء» أيضا في عددها الصادر يوم السبت 19 جمادى الأولى 1400 هـ (5 أبريل 1980م) ما يلي :

«... الواقع أن الزيارة الملكية التاريخية إلى حاضرة الفاتيكان، تتجاوز أهدافها تحليلات المراقبين والملاحظين، وتتحدى تقييماتهم العابرة، ذلك لأن هذه الزيارة ذات عمق روحي وتاريخي بالغ الأثر، خصوصا في هذه المرحلة الدقيقة التي يجتازها العالم بأسره.

ويمكن لنا أن نقول فقط إن زيارة جلالة الملك الحسن الثاني إلى حاضرة الفاتيكان تعبر عن رغبة الإنسانية قاطبة في دعم الإيمان وإرساء قواعد الحق وترسيخ قيم الحرية والكرامة الإنسانية، وتقوية أواصر المحبة والإخاء من

أجل سلام الإنسان ودوامه واستمرار رسالته واستقرار أوضاعه.

... غير أننا إذا أردنا أن نستعير تعبيرات الملاحظين والمراقبين السياسيين. قلنا ان زيارة جلالة الملك لحاضرة الفاتيكان تكتسي صبغة فلسطينية محضة. إن لم نقل صبغة إسلامية خالصة.

... ولقد أشاد قداسة البابا في خطابه لجلالة الملك بالسجايا والخصال الروحية والمعنوية التي يتحلى بها الشعب المغربي. وبالتراث الحضاري والأخلاقي والأدبي الضخم الذي تتمتع به المملكة المغربية في مختلف عصورها وحقبها التاريخية. وهذه الإشارة الكريمة التي فاه بها قداسة البابا في حق المغرب الذي كان ولا يزال على الدوام قلعة حصينة للايمان والقيم والمبادىء، تعتبر شهادة عميقة الدلالة والمغزى في ظرف يتعرض فيه المغرب لهجمة شرسة من جانب أولئك الذين يريدون أن يقضوا على قيم الإنسان ومبادئه الروحية. وأن يمحوا شخصية الإنسان الأصيلة . وذاتيته المؤمنة».

ההה

وأما عن آراء علماء الدين المغاربة. حول هذا اللقاء التاريخي بين جلالة الملك الحسن الثاني وقداسة البابا بولس يوحنا الثاني، فقد عبروا عن استحسانه. خصوصا وأن الفكرة التي نادى بها مولانا أمير المؤمنين. تجعل من مدينة القدس أرض لقاء وتعاون وسلام بين أتباع الديانات المنزلة بالإضافة إلى المقومات التي يرونها لإيجاد أرضية صالحة لخلق حوار بناء وهادف بين الإسلام والنصرانية واليهودية (غير الصهيونية).

فلقد كان ذلك بحق وحقيق، هو محور الاستجواب الذي أجرته وكالة المغرب العربي للأنباء، مع ثلاثة من كبار علماء المغرب عن هذه الزيارة الميمونة، وهم السادة عبد الرحمن الدكالي المحدث الشهير والمرشد العام السابق للقوات المسلحة الملكية، والأستاذ عبد الله كنون، رئيس رابطة علماء المغرب. والشيخ المكي الناصري رئيس المجلس العلمي للرباط وسلا.

فقد أبرز الأستاذ الدكالي في حديثه أن جلالة الملك عندما يريد أن تكون القدس محل سلام وتعاون وليس محل نزاع أو خصام، فهو يعني أن الحالة التي توجد عليها القدس الآن، تعتبر وصمة في جبين المسيحيين والإسرائيليين.

ويرى الأستاذ المكي الناصري أن المسلمين بقوا طيلة قرون سدنة للقدس . محافظين على قداستها وحرية ممارسة الشعائر الدينية فيها. لكونهم، مع إيمانهم بخاتم النبيئين محمد عليه السلام. لاينكرون الديانتين المسيحية واليهودية. بخلاف أتباع هاتين الديانتين. طبقا لقوله تعالى ، «**لانفرق بين أحد من رسله**»... وإن نداء صاحب الجلالة. سيساعد على إبراز فكرة الدفاع عن القدس في المجال الدولي عن طريق لجنة القدس. وإدخالها ضمن الحلول المرتقبة للمشكل الفلسطيني عموما. حتى تستعيد مدينة القدس الشريف، طابعها الأصيل، وتتخلص من السيطرة الصهيونية.

كما يرى الشيخ المكي الناصري أنه وقع تراجع من قبل قادة الدين المسيحي عن كل ماكان ينسب إلى الإسلام من أشياء مشوهة ومزورة، وأن الكنيسة الكاثوليكية دعت إلى قيام حوار مع المسلمين. حتى أصبح مفكرون مسيحيون مرموقون. يكتبون عن الإسلام وعن الحضارة الإسلامية والعربية، بنظرة جديدة يغلب عليها الإنصاف والنزاهة.

وتحدث الأستاذ عبد الله كنون رئيس رابطة علماء المغرب بدوره عن هذا الموضوع، فأبرز بأن المظهر الكبير

الذي تميزت به زيارة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، جعلت حاضرة الفاتيكان تهتز، وتشهد ما يمكن اعتباره مظاهرة إسلامية معبرة عن الموقف الإجماعي للمسلمين من قضية القدس الذي يعتبر ثالث المدن المقدسة في الإسلام.

وإن رغبة قادة المسلمين من ملوك ورؤساء وخاصة الأعضاء منهم في لجنة القدس، وحرصهم على السلام والابتعاد بالقدس عن أعمال العنف والمواجهة المسلحة، حدا بهم إلى القيام باتصالات حثيثة مع مختلف الأوساط السياسية والدينية ، لإيجاد حل سلمي لهذه القضية وتعبئة الرأي العام الدولي، لذلك، فإن العامل الأول لطرح قضية الحوار بين المسيحية والإسلام على الساحة السياسية والدينية منذ سنوات، هو تفشي الإلحاد، وطغيان المذاهب والايديولوجيات المادية المناهضة للإسلام، ومن أجل أن ينجح هذا الحوار، يجب تصفية الجو بين الدول المسيحية والإسلامية في المجال السياسي، إذ لا يعقل أن يتفاهم الجانبان، وأحدهما يعاكس مطامح الآخر وتطلعاته في الحرية والسيادة والحياة الكريمة، وصيانة الكيان، وعلى رأس ذلك قضية فلسطين والقدس الشريف.

٥ ٥ ٥

ولم يفت الأستاذ عبد الوهاب بن منصور، مؤرخ المملكة، أن يشير في كتابه هذا، إلى ما أوحته الزيارة الملكية للبابا، إلى عدد من الشعراء المغاربة، فقد أثارت قرائحهم لتخليدها بالشعر، مثلما فعل المترسلون بالنثر، واكتفى بإيراد نموذج واحد مما وصل للديوان الملكي من الشعر في هذه المناسبة، وفيما يلي مقطعان إثنان من قصيدة في الموضوع للشاعر محمد بن محمد العلمي :

قد تجلت في لقاء (الفاتيكان) ... حكمة تنبع من أسمى المعاني

عبر (البابا) أمام (الحسن الثا ... ني) عن الغبطة، والسر المصان

فهما كان على عهد من الله، وتأثيل الهدى يلتقيان

فإذا (القدس) مجال واحد، ... لحديث بحثته القمتان

وإذا الإعلام في الدنيا روى ... ملتقى الدينين في أحلى بيان

وأمير المؤمنين المرتضى ... يخدم الإسلام من غير تواني

يحفظ التاريخ في عنوانه ... ملتقى يهفو إلى ربح الرهان

لم يكن قط لقاء مثله، ... شغل الأجناس في أي زمان

وحوار القمتين ارتسمت ... فيه آفاق الأماني الحسان

ليس ما نحياه حلما، إنما ... ذلك السر تجلى للعيان !

× = ×

ذلك الوفد اقتدى بالملك ... في المصير الواحد المشترك

كلنا خضنا جهادا واحدا، ... وتقدمنا إلى المعترك

نصرة الأوطان أسمى غاية ... يتوخى كبها الشعب الذكي

هدف الأحرار توحيد الرؤى ... في الحمى، رغم اختلاف المسلك

فإذا الوجدان يحيا صحوة ... تبعث التاريخ بالعطر الزكي

في رحاب الدين والدنيا بـــــدت عبـــرة للمستفيـــد المـــدرك
فـإذا ما حـزب الأمـر، ففـــي قلبنـــا نـــور لكشــف الحلــك
نحن من شعــب عريـــق مخلـص، مـتقيــم، بالهـدى مستمســـك
كلنــا، فــي عمقنــا، تطبعنــــا غضبـــة للشـــرف المنتهــــك
قـــوة القمـــة فـــي قاعـــــدة تتباهـــى بالنظـــام الملكــــي

ه ه ه

وأما عن صدى الزيارة الملكية في الخارج، فهنالك ردود الفعل الإسلامية، وفي طليعتها رأي منظمة التحرير الفلسطينية التي عبر ممثلها بإيطاليا والفاتيكان السيد نامر حماد، في تصريح لوكالة المغرب العربي للأنباء، بقوله : «إننا نعتبر هذا اللقاء، خطوة كبيرة وهامة لتأكيد موقف العالم الإسلامي، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ولجنة القدس.. وإن زيارة جلالة الملك الحسن الثاني للبابا جاءت لتؤكد المصالح المشتركة التي توحد بين المسلمين والنصارى للمحافظة على الطابع الديني للقدس الشريف، وميزته السابقة باعتبار جميع ما يهم القدس دينيا وسياسيا كلا لا يتبعض أو تعالج قضية منه دون قضية».

وهناك أيضا تصريح الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي، السيد الحبيب الشطي الذي قال على الخصوص في شأن هذا اللقاء : «إن الملاحظين المتسمين بالواقعية، لاحظوا بالإجماع أن الجهود التي بذلها رئيس لجنة القدس صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، لفائدة مدينة القدس الشريف ولفائدة القضية الفلسطينية، لاتحظى بتقدير الفلسطينيين وحدهم، ولكنها تحظى أيضا بتقدير جميع العرب والمسلمين في كل مكان من العالم...».

كما صرح السفير السيد أحمد الطيب عبدون، مدير مكتب جامعة الدول العربية بباريس بأن اجتماع جلالة الملك الحسن الثاني رئيس لجنة القدس، بقداسة البابا يوحنا بولس الثاني يعد حدثا بالغ الأهمية، يمكنه ـ من غير شك أن يخدم القضية العربية بصفة عامة، والقضية الفلسطينية بصفة خاصة.

وهناك أيضا تصريح السيد محمد فائز سعيد محمد، مدير مكتب الجامعة العربية، بمدريد، لوكالة المغرب العربي للأنباء، جاء فيه على الخصوص ما يلي :

«إن مقابلة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني وقداسة البابا بولس الثاني، تعد مساهمة محمودة في حل القضية الفلسطينية العادلة، ولا سيما وأن ملك المغرب يرأس لجنة القدس، وأن العاهل البابوي يولي عناية خاصة للمدينة المقدسة نظرا لأهميتها بالنسبة للمسيحية».

وإن عدوان إسرائيل على المدينة المقدسة، يصيب المسيحيين والمسلمين على السواء؛ فتهويد مدينة القدس وانتهاك حرمتها يقلقان ويشغلان بال الكرسي الرسولي والعالم الإسلامي معا.

إن العالم أجمع يهمه استتباب الأمن بهاته الناحية، ولكننا نريد أمنا عادلا وإجماليا ودائما ومفيدا لمجموع الشرق الأوسط ولجميع الإنسانية.

ومن الضروري أن تكون المذاكرة بين عاهل بلد عربي مسلم، ورئيس الكنيسة الكاثوليكية بداية حوار ينبغي أن يتطور ويتقوى، لأنه لايمكن أن يكون الا خصيبا وبناء».

وأما عن تعاليق الصحافة الإسلامية، فقد كتبت جريدة «الشرق الأوسط» الصادرة بلندن يوم 3 أبريل 1980م تحت عنوان «الحوار الإسلامي المسيحي وقضية القدس»:

«عادت قضية القدس إلى الواجهة باعتبارها الركن الأساسي والرئيسي للسلام في الشرق الأوسط، ولأنه من دون إعادتها إلى السيادة العربية وتحريرها من القيود المفروضة عليها منذ عام 1967، لا يمكن تحقيق أي تقدم، أو إكمال أية مبادرة.

ولهذا كان اللقاء المهم الذي تم في الفاتيكان بين الملك الحسن الثاني عاهل المغرب ورئيس لجنة القدس ممثلا العالم الإسلامي، والبابا يوحنا بولس الثاني ممثلا العالم المسيحي، يعتبر خطوة في الاتجاه الصحيح، وبداية - نأمل أن تكون مثمرة - لتعاون إسلامي مسيحي لحل هذه القضية، وإنقاذ المدينة المقدسة من براثن الاحتلال الإسرائيلي والتعصب الصهيوني، ولبرنامج تحرك دولي شامل يضع حدا لهذا الوضع الشاذ الذي طال سكوت المجتمع الدولي عنه.

فخطوة الحوار التي قام بها الملك الحسن الثاني بتفويض من 42 دولة إسلامية، يجب أن تبعها خطوات تخرج عن إطار الروتين، وتتجنب الدخول في متاهات الضياع..»

ولا يفوتنا أن نورد في هذا السياق تعليق رئيس الطائفة الإسلامية بالبرتغال الدكتور سليمان والي معادو، عضو لجنة العلاقات الدولية في الحزب الاشتراكي الديموقراطي بالبرتغال، فقد أكد أن ذلك اللقاء كان حدثا تاريخيا إيجابيا، نظرا لكونه يخدم قضية القدس وفلسطين، تلك القضية العادلة التي لاتحتاج إلى مزيد من الشروح لعرضها على الرأي العام الدولي، فالملك الحسن الثاني أمير المومنين وعاهل المغرب، هو خير من يقوم بمهمة طرح قضية القدس وفلسطين. فلقد تلقت الطائفة الإسلامية في البرتغال تلك المبادرة الطيبة، بالفرح والابتهاج، لأنها تخدم القضية العادلة للقدس، المقر المقدس لكل المومنين بالديانات التوحيدية الثلاث. فبفضل هذه المبادرة الملكية وتفهم البابا يوحنا بولس الثاني، سيعمل المسلمون والمسيحيون بجهود متضافرة للحصول على حل عادل ودائم للمشكل الفلسطيني».

ونثير الانتباه إلى تعليق مدير المركز الإسلامي بطشقند، السيد شمس الدين باناخانوف في تصريح لوكالة المغرب العربي للأنباء، قال فيه: «إن مسلمي الاتحاد السوفياتي يولون اهتماما خاصا لتحرير القدس المحتلة، وإن مساعي صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، هي مساعي حميدة وجديرة بالثناء، ونحن نؤيد هذه المساعي، ونشكر جلالته على الجهود الجبارة التي يقوم بها لإيجاد حل لقضية الشرق الأوسط، خاصة وأننا نعتبر جلالته من بين أكبر الشخصيات في العالم.. والحوار بين الديانات المنزلة «الإسلام، والمسيحية، واليهودية» لن يكون إلا إيجابيا ومثمرا، لأن المشاورات تعتبر دائما ضرورية لأي تقارب أو تفاهم».

ه ه ه

وأما عن ردود الفعل الدولية، فقد أجمعت آراء الملاحظين الأوروبيين على أن ذلك اللقاء سيدخل بالتأكيد تاريخ العلاقات بين الإسلام والمسيحية من باب واسع، كما يرون أن هذا الحدث يعتبر بحق لقاء بين الهلال والصليب، وتجسيدا للتراث الذي تمثله مدينة القدس الشريف بالنسبة للمسلمين والمسيحيين واليهود على السواء.

ويرجع أول لقاء تم بين البابا ورئيس دولة إسلامية إلى شهر دجنبر من سنة 1973 عندما استقبل البابا بولس السادس بحاضرة الفاتيكان، الرئيس التونسي السيد الحبيب بورقيبة.

ويأخذ لقاء ثاني أبريل 1980 بين العاهل المغربي وقداسة البابا بعدا خاصا، نظرا لأن لأول مرة تستقبل حاضرة الفاتيكان رئيس دولة إسلامية يمثل جميع الدول الإسلامية المنضوية تحت لواء منظمة المؤتمر الإسلامي.

وهكذا ترى الأوساط المسيحية الأوروبية أن هذا اللقاء يمكن من تعزيز المواقف المكتسبة منذ نحو عشرين سنة خلت بخصوص حوار مثمر وبناء بين المسيحية والإسلام...

... ويرى المسيحيون في صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أمير المؤمنين ورئيس لجنة القدس، الزعيم الموهل أكثر من غيره، ليكون الناطق باسم المسلمين والإسلام، نعني الإسلام في صفائه، وبكل ما يتضمنه من قيم روحية، وتعاليم ملؤها التسامح والنبل، وروح الإخاء بين بني البشر وبين المجتمعات، وليس ذلك الإسلام الذي شوهه أعداؤه وحرفوا حقيقته، ومن بينهم بعض التيارات التي تعطى وياللأسف صورة قاتمة عنه.

ومن المعلوم أن المكان الذي اقترحه العاهل المغربي لإقامة هذا الحوار، يعتبر بمثابة مؤشر بارز، فسيكون كما قال جلالته في القدس، ليس من أجل المواجهة، وإنما لتمكين الديانات السماوية الثلاث من استثمار تراث روحي وتاريخي بصورة مشتركة، بقصد المساهمة في استقرار العالم وسلامته...

ويعتبر الملاحظون السياسيون في باريس، أن العمل الذي يقوم به العالم الإسلامي، والذي يلعب فيه عاهل المغرب الدور الرائد بواسطة لجنة القدس، من شأنه أن يتمخض عنه حل بديل أمام تعنت أطراف اتفاقيات كامب ديفيد من جهة، وأمام التعصب الأعمى لدول جبهة الرفض والتصدي من جهة أخرى، وخاصة الدول التي تتبنى الديماغوجية مذهبا، ولا تنتمي إلى منطقة المواجهة، كالجزائر، وليبيا، واليمن الجنوبية.. فقد تصبح دول جبهة الرفض عن غير قصد، الحليف الطبيعي لمراكز السلطة الصهيونية في محاولة منها لإجهاض كل حوار ثلاثي كفيل بإيجاد تسوية مبتكرة لمشكل يمزق الشرق الأوسط... ولا تخفي الأوساط الإسلامية النزيهة، ولا الأوساط السياسية الأوروبية، دهشتها وقلقها، بخصوص الحملة المسعورة والبليدة التي تقوم بها ضد هذه الزيارة، أجهزة الإعلام الجزائرية، ولا سيما جريدة «المجاهد» لسان الحزب الوحيد الحاكم بأمره في الجزائر، والمفروض على شعبها بقوة الحديد والنار. ففي الوقت الذي يدعو فيه المغرب إلى توحيد وتنسيق مواقف الدول الربية لإحباط مناورات التقسيم والاتجاهات الطائفية التي تسيء للقضية العربية والفلسطينية في المشرق العربي؛ وفي الوقت الذي يناشد فيه المغرب جارته الجزائر للجلوس على أساس من الصفاء والوفاء، حول مائدة المفاوضات.. في هذا الوقت بالذات يردد قادة الجزائر في كل مناسبة أن ليس هناك أي نزاع بينهم وبين المغرب، ولا يتورعون عن مهاجمة المغرب، ولو أدى بهم الأمر إلى طعن القضية العربية والفلسطينية وقضية القدس الشريف من الخلف. فكيف نلتمس أدنى عذر للقادة الجزائريين على موقفهم هذا، والحالة أنهم قد ساهموا بالفعل كباقي الدول الإسلامية في المؤتمر الإسلامي المنعقد بفاس - في تأسيس لجنة القدس التي أسندت رئاستها بالإجماع إلى جلالة الملك الحسن الثاني ؟ ! فالغيظ والحقد على المغرب ووحدته الترابية، جعلا غشاوة على أعين حكام الجزائر ذوي الأطماع التوسعية، فاستمروا في صب جام غضبهم عليه، بواسطة دعايتهم الرسمية دون أن ينظروا بعين الاعتبار إلى كون المغرب يرفع العلم الفلسطيني عاليا !... والشعب المغرب بإجماع قادته وكافة تياراته السياسية، يناضل عن بكرة أبيه - من القمة إلى القاعدة - بلا هوادة من أجل قضيتين في نفس المستوى من

القداسة ، أولاهما القضية العربية والفلسطينية . وثانيتها قضية الوحدة الترابية للمغرب. إنهما جبهتان لم يتردد المغرب أبدا في بذل دماء أبنائه من أجلهما. بل إن الشعب المغربي وقادته لم يتعمدوا أبدا الخلط والغموض بين هاتين القضيتين النبيلتين.

وقد حاولت صحيفة «المجاهد» تعكير صفو العلاقات المغربية الفرنسية بمناسبة زيارة جلالة الملك الحسن الثاني لفرنسا. فسقطت ضحية عملها هذا. وانتهى بها الأمر إلى التضحية في سرابها الصحراوي بالقضية الفلسطينية التي مافتئت مع ذلك تعبر عن مساعدتها اللامشروطة لها !!! فهي تتبناها داخل أروقة المؤتمرات فقط. وليس بالطبع على ساحة المعركة !!! فالجزائر تحاول عبثا القيام بدور الزعامة. سواء في المغرب أو المشرق العربي. إن لم يكن ذلك على حسابها وحساب الشعب الفلسطيني. في الحاضر والمستقبل البعيد !!!

٥ ٥ ٥

ومن تعاليق الشخصيات العلمية. ما صرح به السيد (ميشيل دروا) عضو الأكاديمية الفرنسية في إذاعة (فرانس أنتير) إذ قال : «إن هذا اللقاء بين الزعيمين الروحيين. يدخل في إطار الايمان والممارسة الدينية. ويشكل لبنة أولى ستفتح آفاقا جديدة في العلاقات بين الكنيسة الكاثوليكية والإسلام. وبما أن جلالة الملك الحسن الثاني يضطلع بمسؤولية رئاسة لجنة القدس. فمن الأكيد أن الآفاق الجديدة مرتبطة بشكل قوي مع تسوية تجعل من المدينة المقدسة للديانات السماوية الثلاث مكانا دينيا مشتركا. يستطيع كل واحد أن يمارس فيه المناسك الدينية في جو من الحرية والاحترام والتفاهم والتقارب بين الديانات. بعيدا عن الاعتبارات السياسية. فاللقاء بين قداسة البابا وأمير المومنين يشكل الخطوة الأولى في طريق التقارب الروحي. وتسوية مشكل الشرق الأوسط. وسيدخل التاريخ على أساس أنه تم في وسط الأسبوع المقدس في نظر المسيحيين لسنة 1980».

وأدلى السيد (فرناندو فرادي ميرينو) المتخصص في الدراسات الإسلامية. والكاتب والمعلق بمجلة (بوليتيك آنتير ناسيونال) التي تصدر بمدريد. لوكالة المغرب العربي للأنباء. عبر فيه عن مشاطرته رأي صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني في كون الإسلام سينقذ الغرب. مشيرا إلى أن الإسلام يعرف انبعاثا خلقيا روحيا من خلال العودة إلى المصادر الأساسية وهي القرآن والسنة. ففي إطار الأزمة الروحية والسياسية والاقتصادية. وأمام الإلحاد الشيوعي. والتسلط الصهيوني. ندرك الأهمية القصوى للقاء التاريخي بين قداسة البابا وصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني الذي تعتبر زيارته بوصفه رئيسا للجنة القدس إلى حاضرة الفاتيكان. مكسبا مهما للقضية الفلسطينية. فالقدس يجب أن تبقى كما كانت عبر التاريخ. مهدا للديانات الثلاث. وليس كما يطمع الكيان الصهيوني. وهذا الحدث التاريخي معناه لقاء قمة بين الكاثوليكية والإسلام. لإيجاد حل عادل للصراع بين أبناء إبراهيم عليه السلام. واذا كان الفلسطينيون يرغبون في جعل مدينة القدس عاصمة لدولتهم المستقلة في المستقبل. وحرما آمنا يؤمه أتباع الديانات الثلاث. فعلى النقيض من ذلك. لاتعترف إسرائيل بهذا الحق. إلا لأتباع الديانة اليهودية. ولقد أدركت المجموعة المسيحية والدولية المأساة التي يعيشها الشعب الفلسطيني. وصادفت مبادرة العاهل المغربي استحسانا لدى الطائفة اليهودية عبر العالم. فلماذا يرفضها الصهاينة إذن ؟ والشيوعية من جهتها تريد استغلال النزاعات بين الدول المسلمة. وغياب الحوار بين الطائفتين المسيحية والمسلمة.

وأكد الأب (سالفادور كوميز نوكاليس) أستاذ الفلسفة الإسلامية بالجامعة الكاثوليكية لكومبياس بمدريد، ورئيس الجمعية الإسلامية المسيحية بإسبانيا. أن اللقاء بحاضرة الفاتيكان بين جلالة الملك الحسن الثاني وقداسة البابا. سيعزز بشكل كبير الحوار الإسلامي المسيحي على المستوى الرسمي. فذلك من شأنه دعم القضية الفلسطينية. فنحن ضد الاعتداءات العسكرية. واحتلال مدينة القدس بالقوة. فهذه المدينة يجب أن تعود إلى وضعها السابق الذي يضمن حرية العبادة لأتباع الديانات الثلاث.

ومما أكده الأب نوكاليس لوكالة المغرب العربي للانباء. أن حوارا صادقا ووديا بين الديناتين الإسلامية والمسيحية. سوف يؤدي لامحالة إلى تحقيق السلام. وأن تشريد الشعب الفلسطيني وإخراجه من دياره. هو ظلم تاريخي. والاسبانيون يعتبرون مبادرة فتح الحوار بين العالمين الإسلامي والمسيحي أمرا إيجابيا جدا. لأنها تسمح بتحقيق تقارب متبادل بينهما لما فيه صالح القضية الفلسطينية . ويتميز موقف الكنيسة الكاثوليكية من الإسلام. بالمحبة الصادقة وروح التفاهم والحوار. وذكر الأب نوكاليس في هذا الخصوص بالمؤتمر الثاني الذي تركز حول تعاليم النبي (صلعم). والذي جرت أشغاله أخيرا بقرطبة. والرأي العام الإسباني المتزن يؤيد الحوار مع العالم الإسلامي. ويساند القضية الفلسطينية.

۵ ۵ ۵

وأما عن آراء رجال الدين النصارى. فقد عبر المونسنيور كوين. أسقف كاتدرائية واشنطون الكبرى عن ارتياحه على إثر لقاء صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني بقداسة البابا يوحنا بولس الثاني بالفاتيكان. فقد صرح لمكتب وكالة المغرب العربي بواشنطون أن اللقاء بين القمتين الدينيتين كان حارا ومفيدا. وأكدا أن كل عمل يرمي إلى إقامة تفاهم أحسن بين معتنقي الديانات المنزلة. حول مدينة القدس. يعتبر إيجابيا.

وأعلن الأسقف لالي. أمين التنمية الاجتماعية والسلام العالمي لدى المؤتمر الكاثوليكي للولايات المتحدة. ومؤتمر الأساقفة الكاثوليكيين الأمريكيين. في تصريح أدلى به لمكتب وكالة المغرب العربي للأنباء بواشنطون. أن الكاثوليكيين في العالم أجمع. استقبلوا بارتياح عظيم اللقاء الذي تم بالفاتيكان بين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني وقداسة البابا يوحنا بولس الثاني. موضحا أن العالم الإسلامي والمسيحي على السواء يرقبان وضع قانون يضمنه المجتمع الدولي. خاص بالمدينة المقدسة وبالمعالم والأماكن التي يقدسها كل من الإسلام والمسيحية واليهودية. وملاحظا كذلك أن عددا من الطوائف المسيحية تعيش منذ قرون في العالم الإسلامي. وأن أمما مسيحية عاشت في أمن وسلام مع جيرانها من الدول الإسلامية... وعبر الأسقف لالي في ختام حديثه عن أمل الجميع في إحلال السلام الدائم. لافي القدس الشريف فقط. ولكن حيثما يتعايش الإسلام والمسيحية واليهودية.

كما أشاد المونسنيور شابير. كبير أساقفة مدينة الرباط في تصريح أدلى به لوكالة المغرب العربي للأنباء بزيارة جلالة الملك الحسن الثاني لحاضرة الفاتيكان. والمباحثات التي أجراها مع قداسة البابا يوحنا بولس الثاني. مبرزا أن اللقاء الذي تم بحاضرة الفاتيكان حدث بالغ الأهمية خاصة بالنسبة لمدينة القدس. نظرا لكون جلالة الملك هو رئيس لجنة القدس المنبثقة عن المؤتمر الإسلامي بفاس. فمدينة القدس محل تقديس من طرف أبناء إبراهيم الخليل. لهذا السبب يجب أن تصبح هذه المدينة مدينة سلام ورمز الإيمان بالله. والمكان الأمثل للالتقاء الروحي الذي يجب أن يبتعد عن كافة الاعتبارات السياسية... إنه ينبغي على المسيحيين أن يفهموا المسلمين

بصورة أحسن. والعكس كذلك صحيح. لأن المسيحيين والمسلمين قاسمهم المشترك هو إيمانهم بالله الأحد. فلا يمكن للمؤمنين أن يبقوا غير أبهين بالظلم. لأن الإنسان خلق على شاكلة الله ؛ فلهذا من حق كل إنسان أن يحترم. وهذا هو أساس كرامته. والواجب على الديانتين معا النضال من أجل الاعتراف بكرامة الإنسان وحمايتها وتكريمها. والحوار بين الإسلام والمسيحية. وهما القوتان الروحيتان الكبيرتان في العالم. يبلورهما لقاء قرطبة وتونس. فينبغي الدفع بهذا الحوار إلى الأمام نحو الالتقاء الروحي الحقيقي المطبوع بالصراحة المتبادلة. فالواجب تحقيق سعادة البشرية. واحترام حرية الاعتقاد. والدفاع عن المستضعفين والفقراء.

وأعرب كاتب مؤتمر الأساقفة البلجيكي عن أمله في أن يسهم لقاء جلالة الملك الحسن الثاني بقداسة البابا يوحنا بولس الثاني في إرساء أسس السلم في الشرق الأوسط. وقال إن هذا اللقاء يكتسي بالإضافة إلى أبعاده السياسية. طابعا دينيا يسير في الخط الذي تبناه المجمع الديني الثاني للفاتيكان الذي يدعو إلى تجاوز الماضي ، وبذل كل الجهود من أجل تحقيق التفاهم بين البشرية جمعاء. وإرساء أسس العدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية والسلام والحرية.

ئ ئ ئ

وأما عن تعاليق الصحافة الأجنبية. فقد نشرت جريدة «لوموند» الباريسية في عددها الصادر يوم 5 أبريل 1980م. مقالا لمراسلها في المغرب. جاء فيه على الخصوص ما يلي :

يعتبرون في الرباط أن زيارة الملك الحسن الثاني للفاتيكان يوم الأربعاء 2 أبريل 1980. ومقابلته للبابا. حدثٌ ذو أهمية استثنائية. وقد أعطت جريدة «ماروك سوار» لإحدى افتتاحياتها عنوان : «مقابلة تاريخية» لهذه الزيارة.

فقد استقبل البابا يوحنا بولس الثاني الملك الحسن الثاني بصفته رئيسا للجنة القدس المؤلفة من لدن المؤتمر العاشر لوزراء خارجية البلدان الإسلامية المنعقد بفاس في مايو 1979. وهاته اللجنة المتركبة من ممثلي 13 بلدا. زيادة على منظمة التحرير الفلسطينية. كانت قد اجتمعت بين 11 و13 مارس الأخير بمراكش تحت رئاسة جلالة ملك المغرب. وكان العاهل مصحوبا في روما على الأخص بالسيد الحبيب الشطي الأمين العام للمؤتمر الاسلامي. وكانت اللجنة قد عبرت بمدينة مراكش عن شكرها العميق: للرئيس فاليري جيسكار ديستان. وللبابا يوحنا بولس الثاني على موقفهما من مشكلة القدس».

ونشرت صحيفة «يا» الاسبانية مقالا في الموضوع جاء فيه : «ليس من قبيل الصدفة أن يجتمع البابا يوحنا بولس الثاني بجلالة الملك الحسن الثاني في المدينة المقدسة. فلقد تمت لقاءات أخرى ببيروت بين الكاردينال كازارولي كاتب الدولة بالفاتيكان ورئيس لبنان. ومنظمة التحرير الفلسطينية. وكذا اجتماع المطران كابوتشي وهو فلسطيني طردته اسرائيل. مع الرئيس الايراني بني صدر بطهران».

وليس كذلك من قبيل الصدفة أن يتباحث رئيس دولة الفاتيكان وبابا المسيحيين طويلا رأسا لرأس مع جلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب وأمير المؤمنين. إذ الأمر يتعلق بحوار بين حفيدي القديس بطرس. والنبي محمد (صلعم). أي أول حوار هام منذ ألفي سنة من أجل وضع سلطة الروح في خدمة العدالة والسلم... ان صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أصاب الهدف. لما صرح أن الاسلام والمسيحية لهما دور مشترك يمكن أن يقوما به.

وأن حوارا مسيحيا إسلاميا يمكنه أن يفيدهما كثيرا من الأشياء».

وقد أولت الصحافة الايطالية اهتماما خاصا للزيارة التي قام بها جلالة الملك الحسن الثاني لروما.

وأما عن الوثائق القديمة والحديثة التي تتحدث عن علاقة المملكة المغربية بالحاضرة البابوية. فقد أوردها المؤلف على النسق التالي :

1) رسالة من الخليفة الموحدي عمر المرتضى الى البابا اينوسان الرابع. وهي مؤرخة في 18 ربيع الأول من عام 648 هـ (الاثنين 20 يونيه سنة 1250م. محفوظ أصلها بمكتبة الفاتيكان تحت رقم 1802 A. A. I. VIII ونشرها للمرة الأولى الأب أنطوان رباث في مجلة المشرق سنة 1903م. ثم نشرها مع دراسة مفصلة وصورة فوتوغرافية. الكاردينال تيسران. والسيد وييث بمجلة «هيسبريس» المغربية سنة 1926. ثم نشرها الاستاذ عبد الوهاب بن منصور مؤرخ المملكة. مع تقديم. في المجموعة الأولى من (الوثائق) عام 1396 هـ - 1976م.

2) رسالة من السلطان مولاي الحسن الأول. الى النائب في الشؤون الخارجية الحاج محمد بن العربي الطريس. يخبره فيها بعزمه على إرسال سفير لتهنئة البابا ليون الثالث عشر ببلوغه سن الخمسين. وهي مؤرخة في 4 ربيع الثاني عام 1305 هـ.

3) رسالة موجهة من الحاج محمد بن العربي الطريس الى وزير اسبانيا المفوض بالمغرب. بشأن توجيه سفارة مغربية الى روما. لتهنئة البابا ليون الثالث عشر. وأصلها محفوظ بالمكتبة العامة بتطوان س 4877. وهي بتاريخ يوم الأربعاء 12 ربيع الثاني عام 1305 هـ الموافق 28 دجنبر سنة 1837م.

4) رسالة من السلطان مولاي الحسن الأول الى قداسة البابا ليون الثالث عشر. يعتمد بها القائد الصادق الريفي سفيرا لديه. وهي بتاريخ 12 ربيع الثاني عام 1305 هـ.

5) رسالة من السلطان مولاي الحسن الأول الى الحاج محمد بن العربي الطريس. تتعلق بسفر السفير المغربي الى الفاتيكان. وأصل هذه الرسالة محفوظ مع وثائق الطريس بالمكتبة العامة بتطوان س 756 مح 44/6. ومؤرخ بيوم الخميس 13 ربيع الثاني 1305 هـ الموافق 29 دجنبر سنة 1887م. ومنها نسخة مصورة بمحفظة المغرب - الفاتيكان المحفوظة بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

6) رسالة من وزير الخارجية السيد محمد بن المفضل غرنيط. الى الحاج محمد بن العربي الطريس. تتعلق بسرية سفر البعثة المغربية الى الفاتيكان. وهي بتاريخ 27 ربيع الثاني عام 1305 هـ. وأصلها محفوظ بالمكتبة العامة بتطوان س 3515 مح 103/27. ومنه نسخة مصورة بملف المغرب - الفاتيكان المحفوظ بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

7) رسالة من السلطان مولاي الحسن الأول الى الحاج محمد بن العربي الطريس. تتعلق بسفره الى روما لتهنئة البابا. وسفره الى مدريد لحضور اجتماع يتعلق بإصلاح وفق مدريد. وهي مؤرخة في فاتح جمادى الأولى عام 1305هـ. وأصلها محفوظ بالقصر الملكي بالرباط. ومنه نسخة مصورة بمحفظة المغرب - الفاتيكان بمديرية الوثائق الملكية. والوفق المشار اليه في الرسالة هو وفق مدريد المعقود عام 1297 هـ 1880 م. وقد كان السلطان مولاى الحسن الأول يسعى يومئذ لإصلاحه باتفاق مع الدول التي وقعت عليه بما يحفظ حقوق الدولة المغربية. ويحد من أخطار الحماية التي كان القناصل الأجانب يمنحونها للرعايا المغاربة.

8) رسالة من الكاتب السيد أحمد الكردودي، الى الحاج محمد بن العربي الطريس، تتعلق بإجراءات السفر الى روما لتهنئة البابا. وهي بتاريخ 5 جمادى الاولى عام 1305 هـ الموافق 19 يناير سنة 1888 م. وهي محفوظة بالمكتبة العامة بتطوان مح 30/72. ومنها نسخة مصورة بملف المغرب ـ الفاتيكان المحفوظ بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

9) رسالة من الحاج محمد بن العربي الطريس، الى وزير الخارجية السيد محمد بن المفضل غرنيط، حول رسائل تتعلق بالسفارة المتوجهة الى الفاتيكان. وهي بتاريخ 10 جمادى الأولى عام 1305هـ وأصلها موجود بملف المغرب ـ الفاتيكان المحفوظ بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

10) رسالة من السلطان مولاى الحسن الأول، الى الحاج محمد بن العربي الطريس، يخبره فيها بتعيينه على رأس السفارة الذاهبة الى الفاتيكان. وهي بتاريخ 13 جمادى الأولى عام 1305هـ وأصلها محفوظ بالمكتبة العامة بتطوان س 775 مح 63/6، ومنها نسخة مصورة بملف المغرب ـ الفاتيكان المحفوظ بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

11) جواب من الحاج محمد بن العربي الطريس، الى وزير الخارجية السيد محمد بن المفضل غرنيط، حول توجه السفارة المغربية الى الفاتيكان وهذه الرسالة مؤرخة في 28 جمادى الأولى عام 1305 وأصلها موجود بملف المغرب ـ الفاتيكان المحفوظ بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

12) رسالة من الحاج محمد بن العربي الطريس، الى السلطان مولاى الحسن الأول. يخبره فيها بتعيين من ينوب عنه أثناء غيابه. وهي بتاريخ 28 جمادى الأولى عام 1305 هـ. وأصلها موجود بملف المغرب ـ الفاتيكان، المحفوظ بمديرية الوثائق الملكية.

13) رسالة من السلطان مولاى الحسن الأول، الى الحاج محمد بن العربي الطريس، يخبره فيها بتنفيذ مصاريف السفر الى الفاتيكان. وهي مؤرخة في 13 جمادى الأولى عام 1305 هـ. وهي محفوظة بالمكتبة العامة بتطوان س 774 مح 62/6، ومنها نسخة مصورة في ملف المغرب ـ الفاتيكان المحفوظ بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

14) رسالة من الحاج محمد بن العربي الطريس، الى السلطان مولاي الحسن الأول، يخبره فيها بتسلمه مصاريف السفر. وهي بتاريخ 28 جمادى الأولى عام 1305 هـ وأصلها موجود بملف المغرب الفاتيكان المحفوظ بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

15) رسالة من السلطان مولاى الحسن الأولى إلى الحاج محمد بن العربي الطريس، : ملق بقرب سفره إلى الفاتيكان. وهي بتاريخ 5 جمادى الثاني عام 1305 هـ. محفوظة العامة بتطوان س 785/مح 73/6، ومنها نسخة مصورة بملف المغرب ـ الفاتيكان المحفوظ بمديرية الوثائق والملكية.

16) جواب من السلطان مولاي الحسن الأول، الى الحاج محمد بن العربي الطريس، حول إنابة الحاج محمد الزكاري عنه أثناء غيابه. وهذه الرسالة مؤرخة في 7 جمادى الثانية عام 1305 هـ. وهي محفوظة بالمكتبة العامة بتطوان س 787 مح 751/6، ومنها نسخة مصورة بملف المغرب ـ الفاتيكان بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

17) رسالة من كاتب الدولة الكاردينال رامبوبا، الى الحاج محمد الطريس، يعين له فيها ميقات مقابلة البابا

وهي بتاريخ 10 جمادى الثانية عام 1305 هـ الموافق 23 فبراير سنة 1888 م. وقد نشر تعريب هذه الرسالة بمجلة «تطوان» عدد 2 س 1957. وذكر فيها أن أصلها محفوظ مع وثائق الطريس بالمكتبة العامة بتطوان.

18) جواب السلطان مولاي الحسن الأول. الى الحاج محمد الزكاري. حول سفر الحاج محمد الطريس الى رومة. ومكاتبات تتعلق بسفارته. وهذه الرسالة مؤرخة في 12 جمادى الثانية عام 1305 هـ. وهي محفوظة بالمكتبة العامة بتطوان س 785 مح 77/6. ومنها نسخة مصورة بملف المغرب - الفاتيكان المحفوظ بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

19) رسالة من الحاج محمد بن العربي الطريس. الى نائبه الحاج محمد الزكاري في شأن مكاتيب تتعلق بسفارته الى الفاتيكان. وهي بتاريخ 24 جمادى الثانية 1305 هـ. محفوظة بالمكتبة العامة بتطوان مح 15/123. ومنها نسخة مصورة بملف المغرب - الفاتيكان بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

20) جواب من وزير الخارجية السيد محمد المفضل غرنيط. الى الحاج محمد الزكاري. حول تاريخ رجوع الحاج محمد الطريس من إيطاليا. وهذه الرسالة تحمل تاريخ 8 رجب عام 1305 هـ. وأصلها موجود بالمكتبة العامة بتطوان س 3538 مح 126/27. وتوجد منها نسخة مصورة بملف المغرب - الفاتيكان المحفوظ بمديرية الوثائق الملكية.

21) جواب السلطان مولاى الحسن الأول. الى الحاج محمد بن العربي الطريس. حول رجوعه الى طنجة. وهذه الرسالة مؤرخة في 12 رجب عام 1305 هـ. وأصلها موجود بالمكتبة العامة بتطوان س 806 مح 94/6. وتوجد منها نسخة مصورة بملف المغرب - الفاتيكان المحفوظ بمديرية الوثائق الملكية.

22) رسالة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني. الى قداسة البابا بولس السادس. في شأن الاحتلال الاسرائيلي لفلسطين. وهي مؤرخة بيوم السبت ربيع الأول عام 1387 هـ الموافق فاتح يوليوز سنة 1967 م وتوجد نسختها محفوظة بملف المغرب - الفاتيكان بمديرية الوثائق الملكية.

23) رسالة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني. الى فخامة رئيس الجمهورية الفرنسية. حول الاحتلال الاسرائيلي للقدس الشريف. وجهت يوم الثلاثاء 23 رجب عام 1399 هـ - 19 يونيو 1979 وتوجد نسخة من أصلها وترجمتها الفرنسية في ملف المغرب - فلسطين. والمغرب - فرنسا. والمغرب - منظمة المؤتمر الاسلامي. بمديرية الوثائق الملكية بالرباط.

24) رسالة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني. الى قداسة البابا يوحنا بولس الثاني في موضوع القدس الشريف. تم توجيهها بتاريخ 4 ذي القعدة عام 1399 هـ الموافق 26 شتنبر سنة 1979م.

هذا. ويحتوي كتاب (مع جلالة الملك الحسن الثاني في حاضرة الفاتيكان) على 133 صفحة من القطع المتوسط. وهو مطبوع طبعة أنيقة. على ورق ناصع. ومكتوب بروح علمية متعمقة. وبأسلوب من السهل الممتنع. كما أنه مبوب تبويبا متقنا. يسهل على القارىء الاعتيادي. وعلى الباحث والمدقق. مطالعته والاستفادة منه على أوسع مدى.

والواقع أنني عشت ساعات ممتعة مع هذا الكتاب القيم. الذي يصف لنا. وببراعة متناهية. حلقة جديدة من سلسلة الرحلات الملكية الموفقة. فشكرا لمؤلفه الأستاذ عبد

الوهاب بن منصور، مؤرخ المملكة، على مجهوده الجبار، وسعيه الدؤوب، وخدمته المتفانية للعلم والأدب والتاريخ، والى الأمام على درب التثقيف والتوعية والاعتزاز بأمجادنا الطارفة والتليدة وإني إذ أقدم لأستاذي الجليل أطيب التهاني وأجمل الأماني، على هذا العمل العملاق، لانتهز هذه الفرصة لأقدم له آيات الثناء والأشادة والتنويه، والإكبار والإعجاب داعيا الله العلي القدير أن يحفظ صاحب الجلالة أمير المؤمنين الملك الحسن الثاني بما حفظ به الذكر الحكيم، وأن يبارك مسعاه واحتسابه لله تعالى، وأن يشد أزره ويقوي عزيمته للاضطلاع بأعباء الجهاد، وأداء الأمانات، وأن يتوج جهوده المشكورة ومساعيه الحميدة، بالمزيد من التوفيق والنجاح، لما فيه صلاح أمته، وخير الشعوب الاسلامية والانسانية قاطبة، إنه سبحانه سميع قريب مجيب.



البابا يلقي خطاب الترحيب بجلالة الملك الحسن الثاني، وقد وقف عن يمينه من المغاربة في سطر حسب الترتيب السادة : الجنرال عبد الحفيظ العلوي، فعبد الوهاب ابن منصور، فالشيخ المكي الناصري، فعبد الواحد ابن القزيز، فالأمير مولاي الحسن بن ادريس العلوي



الصهيونية ونشأة القضية الفلسطينية

للأستاذ محمد العربي الشاوش

نشرت مجلة (الفتح) بعددها الصادر في 27 ربيع الثاني 1347 هـ 11 أكتوبر 1928 مقالة افتتاحية بعنوان : «البرنامج الصهيوني» جاء فيه ما يلي :

«اليهود يبغضون الأديان الأخرى بغضا تقليديا. وقد نشأ عندهم عن هذا البغض طمع في أن يكيدوا لجميع البشر. وان يتوصلوا من هذا الكيد إلى العمل على اضمحلال كل كيان غير اسرائيلي. والاستعاضة عنه بحكم دولي صهيوني. وهذه هي خطتهم التي ساروا عليها. ولا يزالون سائرين عليها للوصول إلى هذه النتيجة».

قلنا : وهذا ما نبهت إليه الآية الكريمة **«لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا»**. (82 ـ المائدة) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله : لأن كفر اليهود كفر عناد وجحود. ومباهتة للحق. وغمط للناس. وقد اعتدوا على كثير من الأنبياء. وحاولوا الاعتداء على رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة فعصمه الله منهم. والبوا عليه اشباههم من المشركين عليهم لعنة الله إلى يوم القيامة.

والغريب أن المسلمين تغافلوا عن خطر الصهاينة حتى وقعوا فيما وقعوا فيه. الم يتواطأ الصهاينة مع الصليبيين أيام الإنتداب الانجليزى على اضطهاد المسلمين وإخراجهم من أرضهم وديارهم ؟ !» لقد دق ناقوس الخطر في الوقت المناسب. ولكن المسلمين مع الأسف تغافلوا وتثاقلوا واعرضوا عن الجهاد !

وفي افتتاحية العدد الصادر يوم 24 ربيع الأول 1348 هـ ـ 29 غشت 1929 من مجلة (الفتح) مقالة بعنوان «الدماء المراقة في القدس» جاء فيه :

«لقد كان اليهود مشردين في الأرض. منفيين عن بيت المقدس. يوم تسلم المسلمون أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين من ايدي الرومانيين. فكان من حرمة الإسلام لهذه البقاع المقدسة ان زادها حرمة وتقديسا. وتوارث أهله أمانتها أربعة عشر قرنا. مبيحين لليهود ما كان الرومانيون حرموه عليهم من تملك واستقرار. وحسب اليهود من المسلمين هذه اليد لهم في التاريخ. فأما أن يحدثوا انفسهم باغتصاب حق المسلمين شهد لهم به أربعة عشر قرنا «فهذا ما يستحيل أن يكون» !

قلنا : مع الأسف كان هذا المستحيل ! وكان في غيبة الضمير الإسلامي، وفي سبات الوعي الإسلامي !

وفي العدد المذكور من مجلة الفتح وصف المحرر العدوان الصهيوني الأول في القدس، فقال ما مجمله : في يوم الجمعة 16 غشت 1929 الذي يوافق ذكرى المولد النبوي الشريف، خرج ألوف المسلمين من المسجد الأقصى بعد فريضة الجمعة في مظاهرة تعاهدوا فيها في مكان البراق على الدفاع عن المقدسات الإسلامية إلى الموت. ويوم السبت 17 غشت هجم اليهود على المسلمين، ونشبت بين الفريقين معركة كانت بداية المعارك، تواطأ فيها رجال الانتداب البريطاني واليهود ضد المسلمين، وحاول فرسان من الأردن انجاد المسلمين فمنعتهم القوات الإنجليزية، وختم الكاتب وصف المعركة بقوله : وهذه هي نتائج وعد بلفور المشؤوم !

لقد روع العالم الإسلامي على اثر هذا العدوان الاثيم، ورفعت برقيات الإحتجاج إلى الحكومة البريطانية وإلى «جمعية الأمم» بجنيف، وكان من بينها برقية جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة جاء فيها : ان حالة فلسطين المحزنة دلت على فساد الأسلوب الاداري الحاضر القائم على محاباة اليهود، فكانوا البادئين واثارة الفتنة وسفك الدماء، وان العالم الإسلامي الذي يعتبر هذا العدوان موجها إليه في شخص مسلمي فلسطين، يطالب جمعية الأمم باصلاح ما ظهر فساده من نظام الانتداب وأساليب تطبيقه منعا للمحاباة والتسامح الملموسين في تشجيع الصهيونية وتحكيمها بحقوق المسلمين الدينية والوطنية.

ومنها برقية من مكة المكرمة جاء فيها : ان الاعتداء الذي وقع من اليهود على المسلمين وقت صلاة الجمعة هيج شعور إخوانهم في جدار الكعبة المطهرة، وارتفعت الأصوات بالإحتجاج على هذا الإعتداء العنيف الذي لا يتفق مع قدسية المكان وسماحة الأديان، فالشعب الحجازي يحتج على هذه الإعتداءات...

الاعتداءات الصهيونية المعضدة بقوات الانتداب البريطانية وفي وعد بلفور، اتدرون ماذا يريد وعد بلفور ؟ لا بد من التذكير به، لأنه بداية المشكلة.

وعد بلفور : كتاب وجهه ارثر بلفور وزير الخارجية البريطانية المتوفى سنة 1930 إلى اللورد روتشيلد رئيس الاتحاد الصهيوني بتاريخ 2 نوفمبر 1917 هذا نصه : «ان حكومة صاحب الجلالة (ملك انجلترا) تنظر بعطف إلى إنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وتبذل خير مساعيها لتسهيل تحقيق هذا الغرض، لكن لن يفعل شيء يمس الحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو المركز السياسي التي يتمتع بها اليهود في أي بلد آخر». هذا هو نص وعد بلفور الذي كان أساس السياسة البريطانية في فلسطين والتي انتهت بإعلان كيان انفصالي مصنوع باسم اسرائيل وذلك يوم 15 ماي 1948.

بقي أن نقول : ماذا فعلت جمعية الأمم بالنسبة للأمم المستضعفة والقضايا المعقدة وفي طليعتها القضية الفلسطينية ؟ ! ثم ماذا فعلت هيئة الأمم المتحدة ؟ ! إنها زادت القضية تأزما وتعقيدا. وماذا فعلت جامعة الدول العربية ؟ ! انها انشغلت بالخلافات الجانبية والمشاكل الهامشية بدل الإهتمام بالقضية الفلسطينية التي هي قضية كرامة وسيادة وحياة. وموقف الجامعة العربية من فلسطين مع الوضعية المعروفة التي تعيشها دول الجامعة العربية، كل ذلك يوحي بان القضية الفلسطينية لا تحل إلا على يد

الفلسطينيين الاقحاح. إنها أمانة في ابناء فلسطين. قالها الزعيم الفلسطيني المجاهد السيد موسى كاظم الحسيني المتوفى سنة 1934. قال رحمه الله وهو يجود بنفسه : انا ميت لا محالة. وقد اودعت أيديكم وذممكم الأمانة الإسلامية العربية في فلسطين. فجاهدوا لترحموني في قبرى !.. وكان رحمه الله قال لأبناء فلسطين : الخلاص في الجهاد. فجاهدوا لتحرير بلادكم. وللمحافظة على الأمجاد العربية والإسلامية فيها.

محمد العربي الشاوش



القدس الشريف

ضحية التمزق والتفرقة بين المسلمين عربا وعجما

للأستاذ حسين جوزو
سراييفو - يوغسلافيا

من المآثر الحميدة لمجلة دعوة الحق ومن خدماتها الجليلة للإسلام والمسلمين قرارها لإصدار عدد ممتاز عن القدس الشريف. واهابتها بالكتاب والدارسين إلى الإسهام في هذا العدد.

وبما أن قضية القدس عامة وقضية المسجد الأقصى خاصة ليست قضية الأمة العربية فقط، وإنما هي قضية كافة المسلمين في الأرض كلها بدون استثناء. وبما أن المجاهدين من مسلمي يوغوسلافيا ساهموا واشتركوا قديما وحديثا في الدفاع عن هذه البلاد والأماكن المقدسة. فإني بوصفي أحد من أحفاد هؤلاء المجاهدين ومن أبناء مسلمي يوغوسلافيا، أجبت إلى تلبية دعوة المجلة للاسهام في العدد الممتاز. اعرابا عما يكنه المسلمون في يوغوسلافيا من تقديرهم وتقديسهم لأولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلم.

واني في هذا الاسهام سأتناول موضوع قضية القدس والمسجد الأقصى من زاوية خاصة. وسأشير في بحثي إلى بعض العناصر التي أدت في نظري إلى تلك القضية والتي لاتزال تقف كعرقلة في سبيل حلها.

من عادة الدارسين من علماء المسلمين المعاصرين حينما يبحثون عن قضايا ومشاكل العالم الإسلامي أن يتجهوا دائما إلى العوامل الخارجية وأن يغفلوا ويتجاهلوا العوامل الداخلية. فيرأون المسلمين في كل أمر ويدينون غيرهم ويلقون المسؤولية عليهم. فكل ما أصاب المسلمين من مصائب وكوارث ونكبات ونكسات وهزمات ترجع في نظرهم إلى الاستعمار والى الصهيونية وإلى مناوشات الغرب أو الشرق. ناسين في ذلك قوله تعالى : **«ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»**.

لذلك أركز بحثي في الموضوع على العوامل الداخلية من الضعف العام وعدم الوعي الإسلامي ومن التفرقة والتمزق بين المسلمين. تلك العوامل التي كان القدس والمسجد الأقصى وغيرهما ضحية لها. وابدأ أولا بما أعجبت به اعجابا شديدا مما قاله صديقي العزيز الأستاذ الكبير عبد الله كنون في مقال قيم نشره في مجلة دعوة الحق أبريل 1981 تحت عنوان «التبعية ينبغي أن تسقط» وهذا نصه :

«وان من شر ما تبتلى به الأمم والشعوب أن يكون حكامها على غير عقيدتها فيحفروا بينها وبينهم هوة لاتردم ولا توصل بجسر مهما تكن قوته. فالعرب والمسلمون يريدون أن يكونوا إخوانا والحكومات تفرقهم وتخالف بينهم، ويريدون أن يبقوا مسلمين والحكومات تفرض عليهم مذاهب وأنظمة غير إسلامية».

وأنا أضيف إلى هذه العبارة فقرة لعل الاستاذ عبد الله كنون نسى أن يذكرها وهي : يريدون أن يفهموا الإسلام فهما صحيحا في صورته الحقيقية التي تلائم وتناسب حاجات العصر ومشاكله، ويتخلصوا من صورته المحرفة التي تكونت في عصور الانحطاط والتأخر وتسللت إليها ما تسللت من بدع وخرافات وضلالات خصوصا عن طريق بعض الطرق الصوفية من شطحاتها ومشاهداتها وتجلياتها في الرؤيا. ويدون ذلك ولكن الفقهاء يصرون على تقديمهم الصورة المحرفة التي قضى عليها الزمن.

نقف قليلا ولو برهة عند هذه الحقيقة، ونستعرض على ضوئها حالة المسلمين الراهنة في العالم الإسلامي عامة وفي العالم العربي خاصة لكي نتأكد من ثبوتها وعدم ثبوتها.

ان الواقع المؤلم انا اذا ألقينا النظر إلى ما يجري في هذه اللحظة التاريخية الخطيرة بين الحكومات في البلاد الإسلامية والعربية ولا أقول بين المسلمين وبين الشعوب الإسلامية، فإننا مع الأسف الشديد نجد أن ماذهب إليه وراه أستاذنا الجليل عبد الله كنون وما أراه أنا كذلك وأتفق معه كل اتفاق حقيقة لا شك فيها. وأنا كمسلم أوروبي أعيش خارج البلاد الإسلامية والعربية وغير مقيد بسياسة حكومات تلك البلاد، انظر إلى ما يجري في العالم الإسلامي من زاوية الحياد التام والموضوعية المطلقة والتزم الصراحة، وذلك ما يعرضه علي الإسلام. فأقول بكل صراحة أن العالم الإسلامي والعربي على وجه الخصوص ممزق وفي حالة التفرقة والخلافات والنزاعات. وهل يمكن لأحد أن ينكر أن هناك خلافات شديدة بين جمهورية مصر العربية وبين مجموعة من دول جبهة الرفض والصمود. ثم هناك بدون شك خلافات عقائدية إيديولوجية بين نفس دول الرفض. من المعلوم يقينا ولا يجوز أن نخفيه ونتجاهله أن النظام البعثي الذي يقود في سوريا والعراق لا يتفق مع النظام السائد في ليبيا والمملكة العربية السعودية وهذه الخلافات العقائدية لها شأن عظيم في توجيه سياسة البلد، فهي لا يمكن أن تؤدى إلى نتائج مرضية.

ان الأمر الذي أتساءل فيه شخصيا كما يتساءل فيه غيري من الذين يؤمنون بالإسلام عقيدة ودولة هو كيف يمكن لجمهور المسلمين الغيورين على الإسلام أن يدركوا ويفهموا حقيقة اجماع بعض حكومات البلاد العربية على محاربة ومقاومة الحركات الإسلامية في بلادها. ومن الثابت انه ذهب عدد غير قليل من العلماء والمفكرين ضحية لهذه السياسة، كما طرد وشرد واضطهد وعذب ولا يزال يعذب عدد لا يعد ولا يحصى.

في هذه الحالة تواجه العالم الإسلامي والعربي محنة القدس الشريف وتحديات عديدة أخرى. والمحنة أيا كانت ابتلاء وامتحان. وفي التاريخ عبر ومواعظ من هذا النوع. لذلك يأمرنا سبحانه وتعالى أن نسير في الأرض وننظر كيف كان عاقبة الذين كانوا يكذبون الرسل وينكرون الحق، وعاقبة الذين يفسدون ويحرمون في الأرض، وعاقبة المختلفين والمتنازعين المتنافرين.

ان القدس وأهله واجه في تاريخه الطويل محنا كثيرة. نذكر بهذه المناسبة محنة تشبه من حيث ما أدى إليها من أسباب ومن حيث ما نتج عنها من نتائج. وتلك المحنة هي التي حدثت أيام الصليبيين حين استولوا على القدس واحتلوا وأسسوا في فلسطين دولة صليبية استمر

حكمها 99 سنة حتى جاء صلاح الدين الأيوبي وهزم الافرنج في وقعة حطين وفتح بيت المقدس سنة 1187 ولقب بحق وبكل استحقاق منقذ بيت المقدس.

ومما يجب التنبيه إليه لمعرفته وأخذه بالاعتبار هو أن الصليبيين انتهزوا فرصة تمزق المسلمين وتفرقهم وتفكك صفوفهم لتحقيق هدفهم من تحرير قبر المسيح والاستيلاء على القدس. وبالفعل تم لهم ذلك.

وقد أدرك القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي تلك الحقيقة. وعرف سبب الهزيمة. وبناء على ذلك قام قبل كل شيء بتوحيد صفوف المسلمين وتعبئتهم وتقوية وعيهم وتعزيز تضامنهم. ومن هنا تم له وتمكن من طرد الصليبيين وفتح القدس وانقاذ المسجد الأقصى الذي كان الصليبيون حولوه إلى اصطبل.

ولا شك أن الصهاينة في القرن العشرين على غرار الصليبيين في القرن الثاني عشر انتهزوا التمزق والتفرقة بين المسلمين فاحتلوا القدس من جديد وأسسوا دولتهم في فلسطين وجعلوا القدس عاصمتها الأبدية.

فاعتبروا يا أولى الألباب !

فماذا بعد ذلك ؟

ان الأمر واضح. والعبرة ظاهرة جلية. إن انقاذ القدس وإعادته إلى حظيرة الإسلام لا يتم ولن يتم بدون وحدة كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم.

ومن الثابت ان العالم الإسلامي اليوم يملك ويتمتع بطاقات بشرية هائلة وطاقات مادية اقتصادية عظيمة وإمكانيات استراتيجية خطيرة جدا. فعلى ذلك فلا ينقصه سوى الوعي وتوحيد الصفوف والتضامن.

ولكن على أي أساس يمكن تحقيق الوحدة ؟ يظن بعض القادة في البلاد الإسلامية أن هذه الوحدة يمكن تحقيقها على أساس ايديولوجيات مشبوهة مثل إيديولوجية وهذا بدون شك خطأ كبير بل انحراف وضلال يؤدي إلى مزيد من التدهور والنكسات.

ومما لا يتطرق إليه شك أن السبيل الوحيد إلى وحدة كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم هو الإسلام الذي وحد كلمتهم وعزز صفوفهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور ومكنهم من القيام بدورهم العظيم في التاريخ وجعلهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر. فكان لهم ما كان من المجد والعظمة ومن الفتوحات والانجازات في جميع مجالات الحياة حيث احتلوا في تاريخ تطور الفكر البشري مكانا ممتازا.

فإذا اراد المسلمون أن يعيدوا مجدهم وعزهم وان يحرروا القدس الشريف والمسجد الأقصى ويستردوا الأراضي المغتصبة ويقوموا بدورهم مرة ثانية فعليهم قبل كل شيء أن يعودوا إلى الإسلام لتتهيأ الظروف لتكوين شخصية إسلامية قوية ولظهور صلاح الدين الجديد منقذ بيت المقدس ثانيا. لأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

ان الثقة بالله وبالنفس من أهم أسباب القوة والنصر. فمن فقد الثقة بالله وبالنفس لن ينجح ولن ينتصر أبدا. ان المصاب بعقدة النقص فاشل دائما وخائب الأمل.

ويبدو أن القائمين بأمر المسلمين من رجال السياسة ومن رجال الدين يتوقعون أن يأتي حل القضايا والمشاكل من غيرهم. فرجال الحكم والسياسة يسترحمون ويستعطفون العدو يتمنون أن يتقهقر ويتراجع في الميدان رحمة منهم ومنحة. أما رجال الدين فينتظرون ظهور المهدي المنتظر ونزول عيسى ليقيما الشريعة الإسلامية بين الناس وليملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا.

ومن المحتم العمل وبذل الجهود والمساعي الجبارة والمكثفة لتخلص الجيل الجديد من تلك العقد والمركبات النفسية.

ومهما كانت الحالة فلست متشائما. واني متفق مع الأستاذ محمد العربي الزكاري في قوله. ولا يغرن الأعداء ماهو مشاهد على الساحة من خلافات عابرة ليست بين أمة الإسلام. وإنما هي حزازات شخصية بين بعض الحكام.

ونتيجة حتمية لصراعات إيديولوجية دخيلة فيختفي وراءها الطامعون في استعباد الشعوب من جديد. وويل لغضبة الشعوب ان لم يصحح أولئك أخطاءهم ويكفوا عن المهاترات التي تبعثر الجهود ويبدد الطاقات (مجلة دعوة الحق عدد 2 ـ السنة 22).

حسين جوزو

الأبواب الثابتة

ضاق هذا العدد عن نشر الأبواب الثابتة في المجلة: شهريات دعوة الحق، شهريات الفكر والثقافة، قرأت العدد الماضي، فإلى العدد القادم إن شاء الله.

ومعذرة للقارئ الكريم

مع كتاب "عربي في إسرائيل":

قصة العرب في فلسطين المحتلة

عرض وتقديم: الأستاذ أحمد نجيب البهاوي

إن القضية العربية مع الإحتلال الإسرائيلي الصهيوني لفلسطين، ومن ضمنها القدس الشريف هي قضية واحدة لا تتجزأ، لأن العدو المحتل واحد، ولأن الشعب المضطهد واحد، وان الشعب الذى احتلت اراضيه واضطهد وشرد وامتحن بشتى أنواع الامتحانات وأشدها من قبل أبشع استعمار معروف على وجه الأرض هو الشعب العربي الفلسطيني، وقد عرف كيف يناضل داخل وطنه المحتل وخارجه، وسجل أنواعا من البطولات الرائعة، وشهد له التاريخ بتضحياته وكفاحه الرائع.

ومن خلال كتاب سطره عربي يعيش داخل فلسطين المحتلة وهو ما يسمى باسرائيل، نقتطف أحداثا يعيشها الشعب الفلسطيني منذ بداية الاحتلال الاسرائيلي سنة 1948 الى الآن، ومواقف السلطات الإسرائيلية تجاه العرب الفلسطينيين، ومواقف بعض الشخصيات اليهودية التي تحاول التخفيف مما يعانيه الفلسطينيون من سوء المعاملات والمضايقات، ونبذة يسيرة مما يسمح به الوضوع على صفحات هذه المجلة الغراء.

وقد كتب المؤلف كتابه أصلا باللغة العبرية ثم ترجم الى الانجليزية ومنها نقل الى العربية، ونشرت الطبعة العربية بدار المعارف بمصر في حجم متوسط و336 صفحة، ومؤلفه : فوزى الأسمر.

ولذلك جاء الكتاب مهذبا من كل هجوم على السلطات اليهودية في فلسطين المحتلة، خاليا من كل ما يثير انفعالات القارىء العبرى، محاولا كسب عطفه وتأييده، عارضا القضية كلها في إطار من الأحداث الحقيقية المتلاحقة، والتي تؤكد هضم الحقوق الإنسانية البسيطة للأقلية العربية التي تعيش في أرضها وبلادها، ومع ذلك تظل بلا حقوق ولا اعتبارات..

جاء في مقدمة الكتاب بقلم كاتب يهودى معروف، هو : أ.ف ستون، وهو يعرف بالكتاب :

«.. وانه لكتاب مؤلم لليهود أن يطالعوه، مع أنه ليس كتاب فظائع وشناعات، بل كتبه كاتبه بكثير من روح الفكاهة وبلا كراهية، ونفر من خيرة أصدقاء المؤلف كانوا

ولم يزالوا كما سترون - يهودا اسرائيليين وغير اسرائيليين. ولكن من المؤلم لنا مواجهة الواقع الذي يقول : أن الدولة اليهودية أيضا تعاني من مشكلة يهودية. أي من أقلية لا تشعر بالإنتماء. وتدفع دفعا الى الاحساس بعدم الإنتماء..».

وقد جاء هذا الكتاب الذي نحن بصدد تلخيص بعض الأحداث منه على شكل قصة أو سيرة ذاتية تبدأ من سنة 1944 أي قبل الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين. ولا تزال البلاد تحت الانتداب أو الإستعمار البريطاني.

وكانت أسرة المؤلف تنتقل من بلدة الى أخرى من حيفا والعريش إلى اللد ويافا. بحكم وظيفة والده بشركة السكة الحديدية. والأسرة تنتمي الى المسيحية : الأورتودوكسية وكانت أسرة محافظة ولكن ظروف عمل عائلها. ولأن والدة المؤلف كانت متعلمة وكاتبة. فقد اكتسبت الأسرة مرونة الاتصالات والصداقات.

يقول : «كانت أمي كاتبة. فبعد سقوط اللد في سنة 48 انهمكت أمي في النضال للحصول على الحقوق المدنية للعرب في اسرائيل. ولم تكن مستعدة لالتزام الصمت إذا ما رأت شيئا من المظالم التي تقترف ولكنها لم تشتط قط في رد الفعل. وربتنا على أهمية التفاهم بين الشعوب. واني لأذكر ما حدث ذات مرة وأنا في السادسة من عمري إذ عدت إلى البيت وسألت أمي : أمسيحيون نحن أم مسلمون وسألتني عمن وجه إلي هذا السؤال. فقلت إنهم رفاقي في المدرسة. فقالت : أنت إنسان قبل كل شيء. ثم شرحت لي بلباقة أننا مسيحيون. وأن لكل إنسان سبيله إلى الله..».

تغيــــر جــــــذرى

عندما نشبت الحرب بين العرب واليهود سنة 48 أوى لاجئون من القرى والمناطق التي دارت فيها الحرب إلى معسكر للاجئين في «اللد». وهناك اجتمع فوزى الاسمر الطفل بأطفال في مثل سنه من اللاجئين. ومن بينهم طفل إسمه علي قادم من قرية سلام. يقول : «ومع أن عليا لم يتجاوز العاشرة من عمره. إلا أنه يعرف كيف يستخدم المسدس والبندقية. فكان أشبه في نظرى ببطل ممن تتحدث عنه كتب الأطفال. وكان علي يقول لي : عندما يخرج أبوه لقتال اليهود سيتولى بنفسه حراسة الأسرة. لأنه الابن البكر».

وقد شعر العرب منذ بداية الحرب مع اليهود أن اليهود يريدون طردهم من البلاد ليحضروا يهودا من أقطار بعيدة. وبطبيعة الحال كان العرب يعارضون هذا ويقاومون.

وقد أشار المؤلف إلى وجود فئة المجاهدين وهي تعني كلمة إسلامية. أي أن منظمة إسلامية عبأت نفسها للدفاع تطوعا عن البلاد. وذكر أن لها مقرا وقيادة. كما ذكر انسحاب القوات الأردنية عن الميدان. ولم يمض إلا قليل حتى استولى اليهود على بلدة اللد. يقول المؤلف :

«وما أسرع ما اتضح لنا أن اللد سقطت وأن كثيرين من سكانها قتلوا. وأن الرملة سقطت أيضا. وأن القتلى تغص بهم شوارعها. ولقد انتاب والدى قلق شديد على مصير عمه وأسرته. ولكنه لم يجسر على تركنا للبحث عنهم. والحق أن ذلك كان خليقا أن يعد اخلالا منه بمسئوليته - يعني كموظف - لأننا في الواقع لم نكن ندرى بما يحدث. ومر يومان من غير أن نبصر يهوديا واحدا. وبدأ الناس يرتابون في سقوط البلد فعلا. ولكن ما من أحد تجاسر على الذهاب هناك ليرى الأمر بنفسه. وعشنا على الشائعات.. وأذكر أني سألت أمي حينئذ : ما شكل اليهودى ؟ لما سمعت عن فظائع كثيرة ارتكبوها.

«وبعد يومين وصلت سيارة جيب وفيها ثلاثة رجال مسلحون في زيهم العسكري فسألوا عن «المختار» أو العمدة.

فخرج إليهم أحد أعيان البلد ممن يتكلمون العبرية وسألوا : أتريدون السلام أم الحرب ؟ فقال الأعيان : بل السلام. وفي اليوم التالي حضر جنود يبحثون عن الأسلحة. وطلبوا من السكان تسليم مالديهم من السلاح. ووعدوا بعدم التعرض لهم بأذى. كما أعلنوا أنهم في اليوم التالي سيتم البحث الدقيق عن الأسلحة. وكل من يضبط لديه سلاح سيتم اعدامه.

«وفي اليوم التالي أعلنت سيارة جيب بمكبرات الصوت أن على جميع السكان الخروج إلى ملعب كرة القدم تاركين بيوتهم مفتوحة..

وفي الملعب قسم الناس إلى فئتين : العاملون بالسكة الحديدية في جانب، وباقي السكان في الجانب الآخر. ودونت قائمة بأسماء السكان. وكل من ليس اسمه في قائمة العاملين بالسكة الحديدية أو ليس أبوه منهم أخذوه أسيرا. وأشيع بأنهم سيقتلون. وطلب الجنود إلى أسر الأسرى أن يذهبوا لاعداد أنفسهم للرحيل في اليوم التالي إلى الأردن.

وفعلا. فقد تم ترجيل جميع السكان واللاجئين الذين نزحوا إلى البلدة. ومن بينهم الطفل «علي» وأسرته. ما عدا عمال السكة الحديدية. سيرا على الأقدام نحو الأردن. ولم يحملوا من أمتعتهم إلا أقل القليل

وقد بدأت السلطات الإسرائيلية منذ اليوم الأول من بسط نفوذها على البلاد بأشعار السكان العرب بالتفرقة فيما بينهم. وحاولت اكتساب ود المسيحيين منهم. أو أشعار الدول الغربية المساندة لها ضد العرب أنهم يعاملون المسيحيين معاملة خاصة. يقول المؤلف :

«وبعد أسبوعين اتصلت السلطات بالعاملين في السكة الحديدية وقالت : أنهم سيستأنفون العمل قريبا. وأعلن القائد العسكرى أن أول قطار سيسير بعد هذا التوقف يقوم في يوم الأحد المقبل. وسيجرى احتفال لاستئناف الخدمة في صورة تكريم أعضاء الطائفة المسيحية باللد بركوب هذا القطار. وتم هذا فعلا ففي صباح الأحد تجمع كل المسيحيين - وأنا من بينهم - واستقلوا العربة الوحيدة بالقطار ليذهبوا إلى الكنيسة. وكان السائق من جيراننا. وتحرك القطار للمرة الأولى منذ شهور طويلة. وانفسح أمامي الوقت في القطار للقلق بصدد السؤال التالي :

ترى لماذا اختاروا يوم الأحد بالذات ليكون أول يوم يسير فيه القطار ؟ ألكي يتسنى للمسيحيين أن يصلوا ؟ ولكن لم أستطع أن أصل إلى تفسير مقبول. وفهمت الجواب بمجرد عودتنا إلى حيفا. وقد شرع الأطفال المسلمون يصرخون في وجوهنا : يا خونة..»

وبالرغم من هذا التزلف وهذه الظاهرة التي أحيط بها بعض العرب من قبل السلطات اليهودية فإن السكان العرب الباقين في منازلهم. إنما تركوا موقتا. وتحت شروط وضغوط متنوعة. وأهمها حاجة الدولة إليهم في الأعمال الشاقة. وبأجور زهيدة.

ومما زاد الموقف سوءا وساهم في قبول العرب النزوح عن بلادهم واللجوء إلى الأردن. إضافة إلى سياسة التدرج الإسرائيلي في أضعاف مقاومة الأهالي - الدعاية العربية التي ما فتئت تؤكد أن الموقف كله موقت. وأن البلاد سيتم تحريرها في مدى بضعة أسابيع.

وبهذا وجدت السلطات اليهودية الفرصة سانحة فوضعت أيديها على كل الممتلكات بما فيها البيوت والمتاجر وما تحتويه من سلع وأثاث فاخر.

«وكان أهل اللد قوما ميسورين. وكثير منهم أثرياء فاشتروا من الالمان الذين كانوا بالمنطقة أثاث بيوتهم قبل رحيل أولئك الألمان عن القطر وفرشوها في بيوتهم.

وعندما أبعدوا عن بلدتهم، لم يتسن لهم بطبيعة الحال أن يأخذوا هذا الأثاث معهم، ولهذا ظلت الناقلات الضخمة تنقل الأثاث والبضائع التي تملأ الحوانيت، ولم يجسر معظم العرب على مس شيء منها، لأنهم كانوا يخشون أن يبعدوا هم أيضا من المدينة. وقد تسللت إلى البلدة المهجورة، وصدمنا في هذه الزيارة لمرأى البلدة الكبيرة وقد غدت مهجورة عن آخرها، وأبواب بيوتها مفتوحة على مصاريعها، والحوانيت قد حطمت مغاليقها ونهبت بضائعها.. وكنا نشعر بالخوف من الناقلات التي تعمل يوميا بلا انقطاع..»

وقد وضعت السلطات يدها على كل الممتلكات كالبساتين والحقول وغيرها، وعلى السكان الذين لم يغادروا القطر أن يثبتوا تملكهم قبل أن يسمح لهم باستغلال أملاكهم، إذا شاءت السلطة أن تسمح لهم بعد معاناة واجراءات مرهقة، ثم تفرض عليها ضرائب باهظة، ولا يمنع ذلك من مصادرتها مرة أخرى ويستمر أداء الضريبة عليها.

ومع تطور الأحداث كانت الإنتخابات، وسمح للعرب بالمشاركة في التصويت فقط، وعليهم أن يصوتوا حسب مشيئة السلطات، وقد وجد في صندوق الإنتخابات ورقتان حصل عليهما حزب المابام، فقد روا أن هذين الصوتين لعائلة الأسمر، لهذا تعرضت الأسرة لمضايقات واستفزازات كثيرة، وتقرر أبعادها، لولا تدخلات لدى السلطات العليا، توقف الأبعاد في أثرها.

التعليم والوعي العربي تحت الإحتـــلال..

ولتجنب الإطالة نتجاوز فصولا عديدة ونضرب صفحا عن ذكر أحداث كثيرة ومواقف يغني عنها ما سبق ذكره، لإبراز مدى الوعي العربي، وما أتيح للعرب من الفرص للحفاظ عن مقوماتهم وشخصيتهم العربية والتعليم العربي والثقافة بصفة عامة، والمشاركة في الحياة الإجتماعية العامة، وهي فرص قليلة جديدة، تكاد تكون منعدمة لولا جهود شخصية، مع قلة الإمكانات وضعف الوسائل.

ومع أن الكاتب لم يخصص فصلا خاصا للحديث عن الثقافة العربية في فلسطين المحتلة، إلا أن الكتاب لا يخلو من شذرات هنا وهناك، نحاول جمع شتاتها، خاصة وأن الكاتب يتحدث عن مراحل دراسته وعمله في حقل الثقافة والتعليم والصحافة والنشر.

يقول في فصل بعنوان «العودة إلى المدرسة» بعد سنة قضاها في الكيبوتز، وهي مؤسسة يهودية تضم الشبان والشابات أغلبهم يهود يعملون في الحقول جماعات تحت أشراف وتنظيم السلطة، ولعلها ما يسمى بالمستعمرات أو ما يقاربها.. كما أن لهيآت وأحزاب كيبوتزات خاصة بها، تشرف عليها ؛

«وكان اتصالي بالمجتمع اليهودى قد أثبت لي أننا ـ نحن العرب ـ يجب أن نتعلم الكثير قبل أن نتمكن من سد الفجوة التي بيننا وبينهم، وللأمانة أقول ، أن المشكلة الرئيسية لم تكن بيننا وبين المجتمع اليهودى الشرقي، فلم يكن بيننا وبينهم فرق كيفي من حيث المستوى الثقافي، بل نعتقد أننا كنا متفوقين عليهم ثقافيا وتربويا، بل المشكلة كانت بالقياس إلى المهاجرين من الأقطار ذات الحضارة الغربية، وهؤلاء هم الذين يسيطرون على الدولة».

«وكانت الفرص التربوية أمام عرب هذا القطر محدودة أيضا بصورة لا يصدقها عقل، فحتى سنة 1958 لم تكن هناك كتب عربية تباع على الإطلاق في اسرائيل.

«وتورطت أنا في أول مغامرة للنشر، والكتب المدرسية لم تكن تطبع بالمطبعة، وإنما على آلة الاستنسيل وعلى ورق ردىء، وتأتي مليئة بالاخطاء، والكتابة العربية تعتمد على النقط اعتمادا كليا، فإذا غابت نقطة عن مكانها أو أضيفت نقطة تغير الحرف بالكلية وتغيرت الكلمة

بالتبعية، وبسبب كمية الأخطاء الهائلة يستحيل قراءة هذه الكتب.. ولم تكن هناك أندية تستحق الذكر، «بالنسبة للشباب العربي فقط. أما الشباب اليهودى فقد توفر له كل أسباب التقدم والتعليم والتثقيف والترفيه.

وكانت الفرصة الوحيدة للإطلاع والتعلم باللغة العربية في الإلتحاق بالتعليم الخاص والذى لا تشرف عليه السلطة، مع ضعف مستواه وقلة امكاناته، ورغم المصير الأسود الذى ينتظر المتعلمين فيه.

أما الذين يلتحقون بالتعليم العبرى الإسرائيلي فيتعرضون لعملية تشويه التاريخ والحضارة وتحقير العرب واهانتهم وتشويه ذكرهم، وهي تربية أثرت كثيرا في المجتمع اليهودي، فأصبح يرى كل ما هو منحط أو رديء عربيا، ويرى كل ما هو جيد أو تقدمي أو جميل يهوديا. فإذا قيل : هذا شغل عربي، معناه ، شغل معيب وغير جيد، وإذا قيل : انه ذكاء يهودى أو عمل يهودى فهو مدح واستحسان وتفوق..

وكثيرا ما يضطر الشبان العرب إلى مغادرة المدارس الحكومية غير آسفين، ويفضلون العمل اليدوى إذا وجدوه، لسد الرمق، لأنهم يعلمون أنهم لو حصلوا على مؤهلات جيدة فلن يتساووا مع المحتلين في فرص العمل، ولن يجدوا عملا يقبلون فيه إلا إذا تفضل عليهم اليهود وشغلوهم، ولم تعارض السلطة في تشغيلهم. وينصح كثير من الشباب العرب بتغيير أسمائهم العربية إلى أسماء يهودية للعيش في سلام وهكذا تمسخ الشخصية العربية فيما يسمى ب «اسرائيل».

يقول فوزى الأسمر في معرض حديثه عن صعوبة إيجاد محل للإيجار لدى العائلات اليهودية :

«ومع أنني كنت قد سمعت الكثير عن المشكلات التي تواجه الشباب العربي عند ما يرغب في استئجار غرفة في تل أبيب، إلا أنني لم أتخيل مدى هذه الصعوبة في الواقع، وما أن بدأت أبحث عن مكان أعيش فيه حتى تجسم لي كل ما سمعته آنفا، فقد رفض الكثيرون أن يؤجروا لي حجرة، وصارحوني بأنهم غير مستعدين لتأجير غرفة لعربي.. وكان كثير منهم يرفض بأدب، وأحيانا يوافقون ظنا منهم أنني يهودي شرقي ثم يغيرون رأيهم متذرعين بتعلات كثيرة عندما يكتشفون أنني عربي، وأحسب أنه كان في مقدورى أن أقدم نفسي على أنني يهودى وأغير اسمي.. ولكن خبرتي السابقة ونموى السياسي منعاني من تغيير اسمي لإخفاء هويتي، وأخيرا قررت أن الوسيلة الوحيدة لتأجير حجرة أن يكون ذلك عن طريق أصدقاء من اليهود».

وقد ساهمت عدة عوامل في ظهور النشاط الثقافي العربي فيما بعد، فكانت هناك صحف ونشرات محدودة وطبعت كتب ثقافية عربية داخل فلسطين المحتلة.

ويرجع المؤلف ذلك أولا إلى ظهور الشخصية العربية جمال عبد الناصر على مسرح الأحداث وعلاقته مع روسيا، مما زاد في التقارب بين العرب هناك وبين الأحزاب اليسارية والشيوعية، والتي كانت تساند وتؤيد بعض حقوق العرب وتنادى بمساواتهم مع اليهود، واعتبارهم اسرائيليين حقيقيين.

كما أن نضال بعض الشخصيات العربية البارزة ساهم أيضا في نشر الثقافة العربية وتنشيط حركة الترجمة والتعليم.

ومن جملة هؤلاء الكاتب ، فوزى الأسمر، فقد حصل تحت تأثير ظروف خاصة على كتب عربية أدبية بدأ بنشرها ككتب جبران، ومن جملة منشوراته كتاب «فلسفة الثورة» لجمال عبد الناصر، وكتاب : «محمد والمسيح» لخالد محمد خالد، وهما الكتابان اللذان جلبا عليه متاعب

ومضايقات، وحملت عليه الصحافة الإسرائيلية. وإن كان كتاب «فلسفة الثورة» معروفا لدى الاسرائيليين باللغة العبرية من قبل، وأبيح تداوله بين الناس.

وهذا جانب من استجواب المؤلف بسبب أحد كتبه التي نشرها :

قال اليهودي المستجوب - وهو من أصل مصري - وهو يعمل في القسم المخصوص بالشرطة، بعد الفراغ من الأسئلة الروتينية : «إن مشكلتك كما أفهم يافوزي انك لا تستطيع العثور على عمل. وأنا مستعد أن أوجد لك عملا الآن في وظيفة كاتب في أحد المصارف. وأنا أعرف أنك تقدمت للعمل في مصرف «ليومي اسرائيل» وأننا رفضناك. وستواصل الرفض مادمت ماضيا في خطك السياسي هذا. ويجب أن تعلم أنك لن تحصل على عمل دون موافقتنا. وأنا أعلم أنك الذي نشرت كتاب عبد الناصر - وأخرج الكتاب من درج مكتبه ثم أردف - وكان بمقدوري أن أتهمك بالاتصال بالأعداء، ولكني لن أصنع هذا. وأريد منك أن تفكر في هذا العرض الذي عرضته عليك وأنا متأكد أنك لن تندم».

ويقول فوزى معلقا على هذا العرض : «وما حدث لي قد حدث لأحد أصدقائي الذى اجتمع بصورة مماثلة برجل القسم المخصوص. وكان مثلي عاجزا عن العثور على عمل. وعرضت عليه جهات رسمية منصبا كتابيا فقبله بسرور. وظل يعمل سنة كاملة بدون مشاكل. ولكن حدث ذات يوم أن جاء لزيارته رجل القسم المخصوص الذى رتب له هذه الوظيفة وطلب إليه التعاون مع السلطات. ولما رفض كثرت «زياراتهم» لبيته يقدمون إليه الضغوط والتهديدات كي يخبرهم بكل ما يعرف عن أصدقائه. وكانوا يريدون منه أيضا أن يصادق الناس لمعرفة أسرارهم ويقدم التقارير عن آرائهم.. الخ فأثر في النهاية أن يترك عمله على أمل أن يتركه رجل القسم المخصوص وشأنه. ولكنه واصل تعقبه وحال دون حصوله على عمل آخر فغادر الرجل في النهاية واستقر في قطر مجاور.

أصدقـــــاء

ولنلق نظرة إجمالية على بقية الكتاب وجملة ما ورد فيه إذ لم نستطع الالمام بكل الأحداث المهمة الواردة فيه.

وقد أشرنا في أول هذا الحديث إلى وجود بعض الشخصيات اليهودية المساندة من حيث المبدأ حقوق العرب كمواطنين حقيقيين في دولتهم - وهو أدنى حق يمكن أن يكون للعرب داخل الدولة الصهيونية

فنظرا إلى أن الأحزاب اليسارية لا تتوفر على قاعدة شعبية واسعة من بين اليهود، ولأن الأنظمة الاشتراكية مؤدية إلى الشيوعية التي تلغى الفوارق وتلغي الأديان والقوميات فقد اتخذت تلك الأحزاب تلك المواقف المبدئية من الأقلية العربية.

وبالإضافة إلى ذلك فإن بعض الأسر العربية لها صداقات واسعة في الأوساط الأخرى كأسرة فوزى الأسمر. وهي صداقات مثمرة في كثير من الأحيان. وقد نظمت مظاهرات شارك فيها يهود. ووقعت عرائض احتجاج تعارض سلب الحقوق العربية. وتدافع عن مواقف إنسانية وقعها كثير من الشخصيات تعاونت أحيانا في إزاحة كابوس الكبت والمضايقة البالغة حدا أقصى على العرب.

وقد استطاع المؤلف فوزي الأسمر أن يندمج في المجتمع الإسرائيلي بشكل كبير بعد الإحتلال. وأتاح له هذا الاندماج صداقات كثيرة مع الكتاب والشعراء وأسر من اليهود. ولولا هذا الإندماج في اللغة والعادات والمظاهر

والمستوى الثقافي لما كان له ذكر ولشعر من بين اليهود أنه يعتبر من دون مواشيهم ودوا بهم.

وكان كثير من هؤلاء الأصدقاء يقدمون النصح الخالص باتخاذ الإجراءات الكفيلة بأسماع صوت المظلوم عاليا. إلا أنهم جميعا لا يعتبرون أنفسهم دخلاء وإنما قيام الدولة اليهودية في نظرهم حق مشروع. مما لا ينفع معه المناقشة معهم. ولم يقبل منهم بقرار تقسيم فلسطين الصادر من الأمم المتحدة غير حزب «الما بام». وهذا يؤكد أنهم لن يقبلوا عن طواعية إقامة دولة فلسطين ولو على جزء من فلسطين. كالأراضي العربية المحتلة في حرب 1967.

أيـــام التوتـــــــر

وبمناسبة ذكر حرب الأيام الستة يسميها الإسرائيليون ويفتخرون بأنهم كسبوا حربا كبيرة على العرب كلهم في الأيام الستة. رغم ما في ذلك من تهويل وملابسات عديدة.

فإن ذلك الإنتصار زاد من حدة الشعور لدى كل من العرب واليهود في فلسطين المحتلة. فقد ازداد اليهود غرورا وترفعا على العرب. وأظهروا من ألوان الشماتة بالعرب أنواعا. وأصروا واستكبروا استكبارا.

والعزاء الوحيد الذي كان للعرب عند الإستماع إلى الإذاعات القريبة منهم وهي أكثرية ولا توجد إلا إذاعة واحدة تعد أقلية بالنسبة للأخرى. ومعنى هذا أن العرب ولو كانوا مسجونين داخل القفص الإسرائيلي فإن هذا القفص أصغر من أن يتسع لهم. وهم أقلية عربية بالنسبة إلى السكان اليهود والسلطات التي تتحكم فيهم. ولكن هذه الدولة هي أقلية بالنسبة لما يحيط بها.

ومع ذلك فالأمل كله في الله. فالله أكبر من الصهيونية ومن أصدقائها ومن كيدهم وقوتهم. ومتى أراد الله شيئا هيأ أسبابه.

وقد كان اعتماد العرب في حرب الأيام الستة سنة 67 على الدعاية المفرطة وقدروا امكاناتهم فوق قدرها وكان اليهود قد استعدوا لها فعلا وخططوا ومع ذلك فهم يخافون النتيجة. وتأثر كثير من اليهود بالدعاية العربية. خاصة الجاليات الشرقية التي تتكلم اللغة العربية. وكان من بين العرب المقدرين للموقف من لم يثق بتلك الدعاية.

«وكان موقفي شخصيا مختلفا عن هذا فقد كنت في ذلك الحين أعمل محررا في صحيفة «هذا العالم» وأعيش في تل أبيب.. وكنت في نفس الوقت أعمل في الطبعة العبرية من صحيفة «ها أولام هازه» وكنت أمدها بالأنباء نقلا عن محطات الإذاعات العربية. واتوقع أن انضم الى لجنة تحريرها. ولهذا كان لا بد أن أبقى في مكتب التحرير وقت المساء.

وفي تلك الأيام شعرت أن علي أن أصنع شيئا ولكن عجلات التاريخ تدور بسرعة. ومع هذا كتبت افتتاحية في «هذا العالم» نددت فيها بالحرب.. وحدث ذات يوم وأنا أهم بدخول مكتب التحرير في بناية «ها أولام هازه» أنني أبصرت «نينا دينور» جالسة تكتب منشورا مع مجموعة من الناس. ونادتني بعد بضع دقائق وأطلعتني على المنشور تحت عنوان (نداء السلام). وسألتني ما رأيك في هذا النداء ؟ إننا نريد أن يوقعه اليهود والعرب وأن يترجم إلى لغات كثيرة. فقلت : إنني مستعد للتوقيع وشرعت في ترجمته إلى العربية. ولم تنقض الابرهة يسيرة حتى حصلنا على 39 توقيعا. 14 من العرب و 2 من الحزب الشيوعي وعمدة شفر عمرو. ومن الشعراء والمثقفين العرب أما اليهود فكانوا أساتذة وسياسيين ومثقفين.

وازدادت الحالة سوءا يوما بعد يوم. وكان أي شاب يمشي في الشارع كان الناس - ومعظمهم مسنون - يرمونه بنظرات غريبة ويتساءلون ماذا يصنع هذا الشاب هاهنا.. كان ينبغي أن يكون في ساحة القتال.

ومع أن الأقوال كانت متضاربة في أول الحرب عمن سيكسب الحرب وينتصر. فإن بعض المفكرين يقدرون الموقف كما هو «وكان شاييم يساريا حقيقيا يفكر كتفكيري ، أنه لن يكون هناك انتصار نهائي. ويقول : أن الامبرياليين لم يسمحوا للعرب بهزيمة اسرائيل. واسرائيل لن تتمكن من هزيمة العرب بصورة نهائية وكاملة».

وكان الإنتصار الإسرائيلي مفاجأة للجميع. وابتلعت موجة الوطنية المتطرفة جميع اليهود وتنكروا للمبادىء التي كانوا ينادون بها قبل الحرب. وكان يغلب على حديثهم مع العرب العاملين معهم جنبا إلى جنب التهكم والإستهزاء.

«وصدمتني دعاية العرب الزائفة وأكاذيبهم والفظاعات التي اذاعوها حول القتال. ومن الجانب الإسرائيلي صدمني تكرار التقائي بأناس كانوا تقدميين وواقعيين» ثم تغيرت مواقفهم.

هذه صورة مصغرة عما حدث أثناء الحرب وبعدها. تؤكد لنا موقف الناس داخل فلسطين المحتلة عربا ويهودا. وعلى الصعيد الحكومي. ظهر فيها بوضوح أن رؤية الرجال والشباب القادرين على القتال يعد غريبا عندهم. لأن الجميع مجند.

قبـل الطوفـــان

ختم المؤلف كتابه بالقسم السابع تحت عنوان - قبل الطوفان - ولعله يعني به حرب 1973 وإن لم يرد ذكرها في الكتاب لأنه مؤلف قبلها. وربما يعني الأحداث التي وقعت فيما بين الحربين. ذكر فيه ما وقع له ولكثير غيره من العرب الواعين وما تعرضوا له من ضغط لمغادرة البلاد بعد حجز حرياتهم واعتقالهم وصنوف الإتهامات الزائفة الموجهة إليهم.

ولأن معظم المثقفين اليهود تربوا تربية غربية وتشبعوا بالأفكار الحديثة فقد تضامنوا مع المعتقلين. وحتى السلطات الإسرائيلية عاملتهم في بعض النواحي معاملة أفضل بكثير مما قرأناه عن معاملة بعض الدول العربية للمعتقلين السياسيين.

يقول المؤلف : «وادهشتني مظاهرة أخرى كما ادهشت أصدقائي أيضا. وهي ذلك السيل الذي لا ينقطع من الرسائل التي وصلت خلال الخمسة عشر شهرا التي بلغتها مدة اعتقالي. فقد تلقيت في تلك الفترة حوالي ألف رسالة وبطاقة بريدية. وكان لا بد للرسائل أن تمر بالرقابة. ومع ذلك وصلني معظمها».

وقال بعد ذلك بأن الضابط المنوط بالزنزانة التي هو فيها جاء خصيصا ذات يوم بخطاب في يده وطلب منه أن يسمعه قصيدة كتبها صاحب الرسالة وهي بعنوان «إلى صديق يهودي».

كما كتب قصائد في السجن وأرسلها إلى صحف عبرية كانت تنشرها منها قصيدة المستحيل «وكانت صرخة انطلقت من داخل جدران السجن» وهي كما يلي :

لا تطلب مني المستحيــل
لا تطلب أن اقتنص النجــوم.
وأصعد إلى الشمـــس.
لا تسألني أن أفرغ البحــر.
وأمحو ضوء النهار. فما أنا إلا بشـــر.
لا تطلب مني أن أهجر حبي. عينـــي.
ذكريات طفولتـي وطنـي.

قصة قصيرة :

قـرّة العين والقدس

للأستاذ محمد أحمد اشماعو

تقول له والدته في كل مناسبة، وحتى بغير مناسبة : أنت قرة عيني. ولا يقول له والده مثل ذلك. إنما لسان الحال، وكل المعاملات والتصرفات تنم عما في الضمير، وتوحي به... ذات يوم أفلت من لسان الوالد الرصين قول :
- إنك يا ولدي السبب الأول والوحيد لتحملي كل هذه الأتعاب في الحياة. وأنت الذي ترغب إلي البقاء في هذه الدنيا. عسى أن أراك في أحسن حال. حال أفضل من حالي إن شاء الله... ليست الأموال والعقارات والضيعة الشاسعة بأشياء مهمة في حق مستقبلك. إنني أريدك رجلا عالما. لا أريد لك منصبا من المناصب فرزق أبيك يكفيك. إنما أريدك رجلا يقرأ الكتب، ويكتب الكتب، ويظل ويبيت مع الكتب، ولا شيء غير الكتب... إنني لست سعيدا كل السعادة لأنني محروم من الكتب... حياة خاوية، وإن ظنها الناس عامرة !

لكم كان قلب الأم واجفا، ومعلقا في انتظار انتقال ولدها إلى اسبانية للدراسة بعد اجتياز امتحانات الباكلورية، فتلاميذ المدرسة التي يتعلم فيها كلهم وجهتهم اسبانية للدراسة العليا، وهي تخشى على نفسها وعلى ابنها آلام الغربة، ومرور أيامها بطيئة ثقيلة لكأنها سير سلحفاة، وهي تخشى عليه يوما أن تنحرف صحته، فلا يجد معالجا مداويا رحيما، وتخشى عليه من أعماق نفسها - من الروميات السالبات العقول والمال... حقا، إن ولدها ليس طائشا ولا ساذجا ولا مغفلا، فهو قد تعلم الحزم من أبيه، ولكنها تعرف أدوار النساء... رباه ! كيف يصير هذا المنزل الفسيح بعد سفره الطويل ؟ كيف تنقلب جنبات الدار وقد غاب عنها، عز الدين، قرة العين ؟ كيف يعود موحشا هذا الفناء الذي يملؤه الآن، إن كل زاوية فيه فرشها، لينقلب فيها طيلة النهار، من تحت شجرة البرتقال المخضرة على الدوام، إلى مقربة من النافورة التي يندفع منها الماء إلى أعلى، كأنه قضيب من البلور، يلمع تحت أشعة الشمس ومنها إلى ظلال السقيفة المغطاة بالعليق، حيثما يطيب له الجلوس والإتكاء، ينكب على المطالعة أو الدراسة أو الحفظ... في الليل يأوى، بعد العشاء إلى غرفته الصغيرة مع من يسامره، ويروحون يستمعون إلى الأغاني الإسبانية والإنكليزية والعربية المنبعثة من الأسطوانات التي يتوفر عليها، إنها لا تنجم - استماعا - مع رطانة الأغاني الإنكليزية، وتنسجم قليلا مع الأغاني الإسبانية، ولكن

تذوب استمتاعا مع النغمات العربية الحنون المؤثرة، التي ترف لها الأفئدة وتدمع العيون... هكذا يبقى طرفها ساهرا، مؤانسة عن بعيد مع مجلس الفتيان الطيبين. بودها لو كانت محاذية لهم، إذن لتصنتت إلى نكاتهم، ولضحكت ملء فمها وصدرها. إن لقاءها مع القرينات قليل، وعلى فترات متباعدة، ورب الدار ـ أعانه الله ـ قليل التفرغ. إنما لو تفرغ فإنه يشفي الغليل...

الحمد لله على أن الفتنة قائمة في اسبانية، وسكانها في حرب أهلية مع بعضهم. فلن يسافر (عز الدين) إلى اسبانية. هذا ما اتفق عليه الوالد (السيد الفاضل) مع ولده، وبلغاه للأم الطيبة العطوف فتقبلته بكامل الفرح والاغتباط ـ إنما راج حديث عن انكلترا. ولما استخبر الأب جديا عن تلك البلاد قالوا له : إنها بلاد سوداء، مليئة بالدخان، يغمرها الضباب ويلازمها المطر. فالجو عابس دائما... والفظيع أن قلما ينجو قاطنوها من الإلتهاب الرئوي، خصوصا الذين يأتون من المناطق الدافئة. ثم إن أهلها يعتبرون أنفسهم سادة الدنيا كلها، وإن الناس كلهم خدم لهم. هل يرضى (الحاج الفاضل) أن يكون وحيده في خدمة أحد ؟ وهموا له : أن هناك جنيات البر، لا البحر، لهن شباك ينصبنها عبر الشوارع والأزقة وقل من يفلت... على الوالد : لا، لا ابني ابن حسب ونسب، لا أريدهم ولا أريد مدارسهم !

وفي انتظار الوصول إلى طريق توصل إلى تكميل التعليم العالي، منح الرجل الخبير ولده مصروفا كافيا، وبعثه ليقضي عطلته عبر المدن الساحلية، من طنجة مسقط رأسه إلى مدينة أكادير. وزوده ـ فوق ذلك ـ بحوالات بنكية يستخرجها عند الاقتضاء ـ إن بهذا يفتح له ميدانا آخر للدراسة، ولفهم الحياة على حقيقتها، لهذا لم يوصه لا بالتدبير ولا بالاحتياط ولا بالابتعاد ولا بالاقتراب، إنه يعتقد أن في ابنه نضجا فكريا وحذقا اجتماعيا، فليتركه يمارس الأشياء بنفسه.

من قبيل تدلل الأبناء على آبائهم طرح مطلبين. لا شك أن الأب سيفاجأ بهما. أولا، أن يتنازل له عن القاعة العليا المطلة على الشارع الفسيح، البديع التنسيق، المزين بعديد من الأشجار والنخيل ومن الغرسات المزدهرة، على اختلاف أشكالها وألوانها... ثانيا، أن يقتني له ما جاء في القوائم من الكتب العربية. فهو قد عقد العزم على اتقان لغته القومية، وبذل كل الجهود والأوقات ليتشبع وليغتني بما في ذخائرها الموروثة، وبما في عطائها الحاضر من عذوبة ورقة ولطف وجمال.

توقع الإبن أن يقبل الوالد أحد المطلبين ويرفض الآخر. فليس من السهل أن يغادر «الصالة» التي طالما اجتمع فيها مع الخلان ـ في شبابهم ثم في كهولتهم. عشايا أيام الجمعة، من حيث يستمتعون بمجالسة فناني «الطرب الملحون» ويصيخون إلى الإيقاع المنغم وإلى الإنشاد المثير، الذي يأتي على الأوصاف المهيجة التي لا تنطفىء نيرانها إلا بما يأتي في الخواتم الخاشعة من ابتهالات واستغفارات ومدائح في حق الرسول الكريم... لكن عهد اللقاءات العشوية انتهى فليصعد الشاب لتلك القاعة فهي له ! أما الكتب فلقد بادر الأب الكريم فتناول القوائم واحتفظ بها، ووعد أنه سيقوم شخصيا بإحضارها، ومن أجل ذلك سيطوف بمكتبات طنجة وتطوان وفاس والبيضاء وغيرها !

مرت أسابيع تسعة، ورجع الشاب في غاية النشاط والحيوية، لقد زار المدن الساحلية كلها، وخصص ستة أيام لكل مدينة، ومن كل واحدة خرج بفكرة عامة عن السكن والناس، ولم يكن يستنكف عن الاستخبار والمجالسة والمسامرة... ولكي لا تنسى تلك المرئيات والمسموعات خرج بمذكرات مرتبة أنيقة شبيهة بالمذكرات التي طالعها

في كتب الأجانب. وكان معتزا إن فعل - في نطاق مصغر - ما فعله الرحالة ابن بطوطة. واقتدى بنفس الأسلوب فسمى سفرته... رحلة ابن الفاضل إلى مدن السواحل !

سلم العائد على والديه سلاما حارا. واستمع باعتزاز إلى أشواق والدته. وعبر لها باختصار عن مثلها. وجلس يحكي عن انطباعاته وذكرياته. بينما والده يتتبع كلامه بأذن صاغية وعين فاحصة - ومكافأة له وإعجابا به سلمه المفتاح.

الله. ما أبدع هذا !

الأرض مفروشة بالبسط. وفي ركن ملائم وضع مكتب جميل. عليه مصباح أنيق رابض. ومن خلفه كرسي وثير. ومع كل ذلك لوازم المكتب... أما الشرفات فكانت مغلقة والستائر الخضراء مسدلة عليها. والرفوف على الجدران لماعة في جدتها. وفي الوسط تكدست الصناديق والطرود المليئة بالكتب. كلها لم تفتح في انتظار رجوع الشاب... هاهو قد رجع وسيشرع في عمله فورا ؛ يتعرف على الكتب خلال وقت طويل. ويشبع منها العين. ثم يعود فيصنفها حسب المواضيع. ثم يأخذ - بعد ذلك. في ترتيبها على الرفوف وفعلا من شدة الشوق ومتعة العمل وكثرة الكتب استغرقت العمليات يومين كاملين. النهار بكامله. وطرفا مهما من الليل...

وفي صبيحة اليوم الثالث. وكان كل شيء على غاية ما يرام. رفع الشاب الستائر الخضراء الجديدة. وفتح المصاريع الزجاجية. ثم المصاريع «المسكلرة» وهنالك كاد يقفز من السرور. فالشارع الذي كان يمر فيه ماشيا. والرياض التي كان يمر عليها فلا يتمتع إلا بعبيرها الفائح منها. والدارات الأنيقة التي كان لا يعرف إلا أبوابها - كل ذلك ها هو تحت. تحت بصره بمثابة لوحة مرسومة فاتنة. وطال الوقوف بالشاب إعجابا بما يرى...

لفت انتباهه وهو يود أن يقفل راجعا إلى مكتبه قدوم فتاة تتهادى على فرس بيضاء. ذات شعر متهـــدل. وقوام متناسق رائع. أما الخطوات فلكأنها رقص على إيقاع طبول صداحة. لا تهم الفرس بقدر ما تهم راكبتها... إنها جميلة. وتياهة. وواثقة كثيرا بنفسها - ودخلت المسكن الذي يواجه الشرفة. إنها من بنات سكان الدارة الجدد. من هي بالله ؟

لم تحدثه والدته - وكان يريد أن تحدثه - عن الجيران الجدد. عن فتاتهم بالذات. ولكنها لم تفعل. فطوى مشاعر صدره. وعاد إلى مكتبه. بين الحين والحين كان يترك مقعده قافزا. ويتوجه إلى الشرفة. عسى أن يتكرر المشهد. أو يتراءى مشهد آخر. وأوهمته ظنونه أن الغواني هكذا يعرفن متى يظهرن ومتى يختفين. أو أن الأقدار تيسر لهم الأسباب - وأبى ألا أن يعود إلى الأم...

جالسها. تودد إليها. ذلكم التودد الذي يسبق عادة من كل ملحاح عند ما يريد أي يطرح طلبه. وجاذبها الحديث سائلا عن الطوارىء بالعائلة والأقارب والحي. وفعلا. لم يكن عندها من جديد إلا ما يتعلق بالجيران الجدد... قالت له ، إن الحارس أخبرني أنه رأى من الفرش والأثاث والتجهيزات التي أدخلت للدارة الفاخرة ورتبت فيها مالم يره أبدا. عند أي أحد من الأروبيين الذين سكنوا طنجة... واكتفت بهذا الخبر. ربما ليس عندها خبر غيره !

وما كان ينتظر إلا كلمة الحارس. فهي عنده رأس الخيط. وفعلا حام في أركان المنزل. ثم توجه إلى الباب ليحيي الحارس. ويتقبل التهاني بعودته من سفره. وقبل التهاني بمناسبة نجاحه في الإمتحان. ولو أن الوقت فات !

وسرعان ما أفصح الحارس غير الساذج عما يريده الشاب أن يفصح عنه : ـ الفتاة من بلاد الإنكليز، وأبوها من أغنياء الإنكليز، وقد جاء يسكن المغرب لمدة خمس سنوات. إنه يكتب الكتب... إنه يتكلم العربية بلهجة المصريين وليس بلهجتنا. أما ابنته فقد عاشت بعيدا عنه، في مدرسة داخلية بإنكلترا، وهي تعرف اللغات. وتهوى جدا ركوب الخيل، في الصباح والعشية. والمرأة الأخرى لعلها أختها، وهي طيبة للغاية. أعطتني الحلويات والسجاير. قالت لي : إن طنجة أعجبتها، وستستقر فيها . لو رجع زوجها. وسألتني :

ـ عماذا سألتك ؟

ـ سألتني عن أستاذ للبنت يعلمها اللغة العربية مقابل أجرة. إنها تعرف الإنكليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية ـ فلابد أن تعرف اللغة العربية مثل أبيها. فلا يبقى له امتياز عليها... وبحثت فوجدت من يعرف العربية بلا لغة أجنبية، أو لغة أجنبية بلا عربية... ما رأيك ؟ هل تريد أن تنشر لغة بلادنا ؟ إنما أنت لا يهمك الأجر ؟!

ـ أنا أعرف العربية والإنكليزية ولا أعرف الفرنسية. وهي تعرف الفرنسية والإنكليزية ولا تعرف العربية.

ـ آه ، فهمت ! بضاعة ببضاعة... سيقبلون. نعم المعلم والمتعلم !

وابتدأت الدروس حسب برنامج محدد، ساعتان كل مساء للفرنسية والعربية، مرة تبدأ هذه ومرة تبدأ تلك، منتهى التوافق والإنصاف... واغتنمها الشاب فاحتك بالعائلة الأروبية عن كثب، فاللغة الإنكليزية مارسها استعمالا مع الأب، الإنكليزي الأصيل، وعند أخذ اللغة ولهجتها وفنون القول فيها، واستمع إلى كل ما أتى الحديث عليه من أخبار وذكريات وانطباعات، ووجد الرجل من نوع الرجال المحتكين البارعين.

ولم يكتف بتعلم اللغة الفرنسية دراسة، وإنما مارسها حوارا بمختلف فنونه. فأم البنت ـ وقد تبين له أنها ليست أختها فما أعجب ـ فرنسية الأصل، وهي تعامل البنت كقرينة لها، وبالتالي عاملته هو أيضا كقرين، صديق للعائلة ـ وتمكن الشاب من الإطلاع على أساليب المعاملة في أسرة أروبية، تطبعها الأم الفرنسية بطابعها القوي، وتغتنم كل فرصة فتحدث الشاب بتأثر بالغ عن الحضارة الفرنسية والأناقة والآداب الفرنسية ـ وإنها لغة الديبلوماسية والصالونات الراقية في العالم، وانها لغة الشعر والعشق... واستنتج الشاب أن هناك خلافا أو تنافرا أو جفاء خفيا... وكل هذا لا يهمه !

ودخلت الفتاة الفاتنة إلى المنزل المغربي، وحيت الأم الطيبة، بقبل حارة على خديها، والتفت حواليها فكادت تصعق من الدهشة، فلكأنها خرجت من عالم ودخلت في آخر : نوع البناية، تصميم الحجرات، الفرش والأثاث، المقتنيات والأواني، الصينية والكؤوس ، الشاي وطريقة إعداده، الأطعمة وكيفية إعداد المائدة وطريقة تناول الطعام، المشروبات والمبردات... وأخيرا تاه بصرها وهي وسط خزانة رفيقها.. «عز الدين» ووقفت أمام الشرفة، وتراءت لها الدارة التي تسكنها، ومن بعيد الإسطبل حيث تستريح.. تونى، فرسها العزيز، وعندئذ تخيلت نفسها تتهادى أمام الشاب على فرسها في خيلاء، واهتزت من السعادة والفخر، فهي تدرك تأثير هذا المنظر !

وتطورت الأحوال هينة بين الشاب والشابة مظهرا، أما القلوب فقد اشتعلت فيها النار، ولم يعد هناك سر يخفى عن الأمين، إنما الأم الفرنسية ترى أن قمة السعادة لامرأة أن تعيش في حب عنيف عاشقة ـ معشوقة، وإلا فلا معنى لفترة من العمر تسمى الشباب.إنها تعرف لماذا يستعملان في حضورها اللغة الإسبانية التي تجهلها، فاللغة

الإسبانية عند قومها وعند بعض الناس ليست لغة الديبلوماسية ولا هي لغة العلوم. وإنما هي لغة العشق والعشاق.

الأم رحيمو الطيبة قلبت الأمور على وجوهها مع نفسها. وتساءلت عن مصير هذا الحب الذي يشتد. فالفتى لم يعد يطيق افتراقا عن الفتاة. والفتاة تود لو أن اليوم نهار كله. فلا يأتي الليل فتضطر إلى مفارقة «عز الدين» ماذا تريد لو لدها ؟ الجمال ! ليس هناك جمال أعذب وأفتى وآسر للقلوب من هذا المال ؟ إن الأسرة ـ والحمد لله ـ غنية. وقد علمت عن طريق الحارس ـ أن والد الفتاة يمتلك عقارات في أركان الدنيا كلها.. الدين ؟ الهداية من الله. وقياسا على المثل المعروف. فالنساء. على دين أزواجهن !

الوالدان المحنكان يدركان شيئا مما يروج. ربما أن الأمر لم يعرض عليهما فلا داعي لإبداء الرأي مسبقا. فدع الشباب يعش حياته. مادام ليس من المسألة إخلال بالمروءة... كم هو جميل وسعيد أن يطوفا معا. والكتف على الكتف واليد في اليد ـ عبر الشارع الفسيح الأنيق المزدهر. ولا تكل منهما الأرجل من كثرة الطواف.. إنما مواضيع أحاديثهما فهي لا تنتهي. ولا يعرف أحد غيرهما حول ماذا تدور !

«عز الدين». غدا لن نلتقي. سأذهب مع والدي للمعبد لأداء صلاة الشكر. ثم أحضر معه احتفالا كبيرا تاريخيا. فلقد انتفض بنو ملتنا في «القدس» وخاضوا معارك ضد الإنكليز والعرب. وقتلوا من هؤلاء الأخيرين عددا كبيرا.إنهم عرب ليسوا مثلكم. كما أن الأسبانيين ليسوا مثل الإنكليز إن هذه بداية ثورتنا... لن أراك غدا. خرس «عز الدين». وأحس بخور في ركبتيه. ومرت غمامة سوداء أمام عينيه. وشعر بقلبه وهو ينغلق انغلاقا مؤلما.وانقلب وجه الفتاة المليح أمامه إلى وجه خنزيرة بشعة. وجاءته منها رائحة كريهة ! من جهتها لم تندهش بما رأت ولم تنزعج. ولم تعره أي اعتبار. ودون أن تصافحه انصرفت !ـ إذن. هي يهودية ـ صهيونية حاقدة ؟ يا للمجرمة قبحها الله.

في الغد راقب الفتاة وأباها فوجدهما يخرجان في أفخر لباس. ويمتطيان السيارة الفاخرة وينطلقان.

انسل إلى الدارة وجالس الأم :

ـ أعرف مقدار مشاعرك. التي لم تحترمها.. أليس .. الطائشة. إنها اليهودية. الصهيونية تتبدل أمامي أنا أمها. فتنقلب طيبوبتها إلى شراسة. وحذقها إلى خشونة. وتعقلها إلى جنون... إن والدها. «ناهون» يهودي صهيوني عريق. وهو أحد أقطاب الصهيونية الكبار. وهو حيثما حل وارتحل خديم لأفكاره العنصرية. التي لا أقره عليها وهي سبب خلافي معه على الدوام.. أي جنون في أن يعبر رجل مثله عن وضع أمواله وممتلكاته الواسعة الثمينة في ملك دعاة الصهيونية. يقول أنه يفضل أن يموت صهيونيا وفقيرا. على أن يعيش غنيا ومجرد يهودي.. أن يبيع نفسه ويبيع مستقبله كما يبيعني ومستقبلي رغم إرادتي.. أنني أجافيه أقاطعه أياما وأياما. ولكنه لا يتزحزح.

الذي يؤلمني ويوجع قلبي أن أقنع وحيدتنا.. أليس بأفكاره. فصارت متعصبة مثله. إنما هو بدهاء وهي بطيش. واكتشفت منذ أيام أنها لا تتعلم اللغة العربية إلا لتستعين بها على محاربة العرب ومناصرة الصهيونية ـ ولما حدثتها عن «الكاتوليكية» سخرت مني ومنها. وقالت : حسابنا مع الكاتوليكية من بعد. وصرخت بجنون : والله. لو قالوا لي : اقتلي كاتوليكيا أو كاتوليكية لفعلت. منتهى التعصب ! وهي يوميا تشجع أباها على تحرير الوثائق ليهب ممتلكاته لدعاة الصهيونية ـ قلت لها :

ـ تريدين أن تفقرينا من أجل هذه الأفكار العنصرية.. فأجابت : ـ فلأكن فقيرة. سأكسب عيشي حتى ولو بالرقص في الكباريهات.. حتى أنت ـ قالت لي ـ يمكن أن ترقص. فمازلت وسيمة.. إن الناس يحسبونك أختي !

ـ أنتحر ولا أهين كرامتي. إنكم تنشرون مكروبات تهلك العالم.

ـ فليهلك العالم ولتبق الصهيونية... سننتقم من الجميع !

ها أنت ترى يا عزيزي أنني أعيش بين عدوين. صرت لا آمن على نفسي منهما. كنت أؤمل أن يهذبها العشق. وإن تجد في أخلاقك الطيبة وإنسانيتك الرفيعة. ومروءتك النادرة ما يرجعها عن غيها... ولكنها ذات وجهين. والوجه الشرير هو الغالب... أقول هذا. ولو أنها ابنتي. قطعة من كبدي ماذا أقول ؟... وشرعت تبكي.

لم ينم «عز الدين» تلك الليلة. بعد ما سهر طويلا مع والدته. وحكى لها عن التقلبات الخطيرة. وأعلن لها أنه يمقت تلك الأفعى المزخرفة ! شيئا فشيئا أخذ بخاطرها. وهدأ نفسها. واستطاع أن يقنعها بأن توافق على سفره إلى تطوان لتمتين دراسة اللغة العربية. وبعدها يكون الرحيل إلى مدينة القدس للتخصص في اللغة العربية. وللوقوف مع الإخوان عند الشدائد.

سلا ـ محمد بن أحمد اشماعو



القدس الشريف والحملات الاستعمارية

للأستاذ عثمان بن خضراء

القدس الشريف تحتل منذ أزيد من ثلاثين سنة الصدارة بين هذه البقاع المقدسة في مشاغل الحكومات والشعوب الإسلامية حيث أعلن ملوك ورؤساء الدول الأعضاء المنتمون لمنظمة المؤتمر الإسلامي في أول قمة عقدت لهم في الرباط من 22 إلى 25 شتنبر 1969 تصميم حكوماتهم وشعوبهم على رفض أي حل للقضية الفلسطينية لا يعيد لمدينة القدس وضعها السابق للاحتلال الإسرائيلي عام 1967 وقرروا لذلك تكثيف جهودهم ووضع كل ثقل العالم الإسلامي على مستوى المنظمات الدولية ولدى الدول الكبرى والهيئات الروحية في جميع أنحاء العالم لحمل إسرائيل على تنفيذ قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن الخاصة بإعادة السيادة العربية على القدس.

كما أشار إلى أن منظمة المؤتمر الإسلامي قامت بترجمة هذه العزيمة وهذا التصميم إلى الواقع عندما قررت أثناء انعقاد المؤتمر الإسلامي السادس في شهر يوليوز 1975 إنشاء لجنة دائمة باسم «لجنة القدس» لتأخذ زمام الأمور فيما يتعلق بمصير المدينة المقدسة.

وترتبط مهمة القدس أصلا بالقرارات التي اتخذتها المؤتمرات الإسلامية طيلة السنوات الماضية وفي مختلف المناسبات ـ وقد ترك المؤتمر الإسلامي عن قصد للجنة القدس سلطة اتخاذ كل الإجراءات لمواجهة كل ما يستجد من المواقف في تطور مشكلة القدس ـ وبنفس الروح خولت لجنة القدس صراحة سلطة اتخاذ الإجراءات لمواجهة كل ما يستجد من المواقف في تطور مشكلة القدس.

ومعلوم أن هذه اللجنة قد انبثقت عن المؤتمر السادس لوزراء خارجية الدول الإسلامية الذي انعقد بمدينة جدة سنة 1975 ـ إلا أن المؤتمر الإسلامي العاشر الذي انعقد بمدينة فاس قرر رفع هذه اللجنة إلى المستوى الوزاري وأسندت رئاستها إلى جلالة الملك الحسن الثاني.. وتتكون هذه اللجنة عن ممثلين عن الدول التالية : المغرب ـ غينيا ـ بنغلاديش ـ اندونيسا ـ الأردن ـ ليبيا ـ لبنان ـ فلسطين ـ باكستان ـ السعودية ـ السينغال ـ السودان سوريا ـ إيران.

هذه اللجنة وهي تدرس الوضعية الجديدة للمسجد الأقصى والقدس الشريف في ظل الاحتلال الإسرائيلي

تعتبر قبل كل شيء وجودها في دولة إسلامية تعرضت لاستعمار استيطاني شرد شعبها في أقسى عملية تشريد وإبادة عرفها تاريخ الإنسانية ! وإذا كانت قضية القدس وإحراق المسجد الأقصى قد استطاعت أن تلم شعث قرابة مليار مسلم فإن الدول الإسلامية تعي أهمية وحدتها السياسية والاقتصادية وتوحيد الجهود والتنسيق في المجالات الديلوماسية بين الدول الأعضاء في المحافل الدولية.

فالمغرب الذي انتخب ملكه بالإجماع رئيسا للجنة القدس. ظل عبر تاريخه الطويل القلعةالحصينة التي تكسرت عليها مختلف المحاولات الصليبية لتطويق العالم الإسلامي. والقضاء على انتشار الإسلام في إفريقيا.. وكفاح المغرب وهو يشرف على لجنة القدس. إنما هو استمرار لكفاح المغاربة عبر معارك الزلاقة ومعركة وادي المخازن. وإسهام المغاربة بقسط وافر في جيوش صلاح الدين الأيوبي الذي استعاد القدس الشريف من أيدي الصليبيين ... وعبر مختلف هذه الحقب. فقد كان الوازع الديني والحفاظ على الدين الإسلامي ووجوده في القارة الإفريقية هو الذي دفع بالمغاربة لخوض غمار هذه المعارك التي أبلوا فيها البلاء الحسن والتي استطاعت احداها أن تمد أربعة قرون كاملة في عمر الأندلس الإسلامية !

وكانت نكبات الأرض «بيت المقدس» بين سببين عبر التاريخ :

الأول = الموقع كمعبر على طريق العمران بين القارات شرقا وشمالا وغربا .

والثاني = ابتلاء الكنعانيين والاراميين بالمفسدين في الأرض من الذين ضرب الله عليهم الذلة بكفرهم وقتلهم للأنبياء بغير حق «وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيئين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون» البقرة ، 61 - «وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون» ءال عمران 112 وهكذا توالت غزوات الفرس والروم والمكابيين ودمرت المدينة المقدسة عدة مرات وأعيد تعميرها . واقامة هياكل وثنية في أرضها الطاهرة لجوبتير وفينوس حتى ولد المسيح بن مريم عليه السلام في عهد هيرودوس الحاكم الروماني على القدس.

ولما بعثه الله تعالى مبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله ومحذرا من تحريفات اليهود للتوراة. وعهد الله موسى. ومبشرا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد - كانت الفتنة في انتظار الدعوة الجديدة. وأفسد الله عليهم تدبيرهم. حتى حرم الامبراطور «أدريانوس» 135م اليهود من دخول بيت المقدس أو سكناها. حتى المسيحيين الذين كانوا هناك من الكنعانيين والآراميين لو تبين أن أحدهم من أصل يهودي يطرد أو يصلب.

وأعاد «أدريانوس» تعمير بيت المقدس وأطلق عليها إسما جديدا هو ، «ايليا كابيولينا» أي ، إيليا الكبرى - وكان هذا الاسم تخليدا للقب اسرة الامبراطور «أدريانوس». وبعد ثلاثمائة سنة ونصف من ميلاد المسيح عليه السلام اعتنق الرومان المسيحية. بعد أن أثخنوا في المسيحيين قتلا وصلبا وتعذيبا - اعتنق الامبراطور «قسطنطين» المسيحية وخرب هيكل «فينوس» وأقام مكانه كنيسة القيامة باسم أمه الامبراطورة هيلانة 335م وأزال كل معالم الوثنية من ايلياء فأسبغ البطاركة عليه وعلى أمه ألقاب القديسين.

ونعم «بيت المقدس» إيلياء بسلام على مدى ثلاثمائة عام غابت عنها معالم الوثنية. وأقيمت الكنائس وكثرت البيع والصلوات. وأصبحت إيليا مقصد الحجاج المسيحيين.

بل اتخذ القياصرة والرومان لهم خلوات وقصورا، يؤمونها أيام الفصح لإمامة القداسات بوصفهم رؤساء الكنيسة الرومانية الشرقية - ولكن سلام بيت المقدس لم يطل. فقد خلفت دولة الفرس البابليين على العراق. وقام الصراع بينهم وبين الروم - كرا وفرا - على الحيرة، وآسيا الوسطى، وأرض الشام من انطاكية إلى ما تحت إيلياء.

وفي عام 614م شن «كسرى» خسرو ابرويز حملة على بلاد الشام. وعاث فيها فسادا. واستولى على انطاكية ثم دمشق. وحاصر بيت المقدس مدة حتى سقطت في يد جيوشه فدخلوها مخربين ينشرون الدمار والمذابح، ونهبوا وأحرقوا كنيسة القيامة. وأخذوا المخلفات المقدسة لدى المسيحيين إلى المدائن رمزا لغلبتهم ونصرهم - وكانت الضربة قاصمة على جيوش «هيراكليوس» الصغير «هرقل» الروماني فرح لها وثنيو العرب من قريش والمشركين وأعلنوا شماتتهم أمام المسلمين في مكة - فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم : «ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله» الروم.

وهكذا بشر رب العزة رسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين بنصر أهل الكتاب قبل الحادث بسبع سنين. إخبارا بالغيب وتطييبا للقلوب التي تعاطفت مع أهل الكتاب. وتقريرا للخزي قبل وقوعه - وذلك أن «هرقل» أعد جيشه ونفسه لمعركة فاصلة تمحو عار الهزيمة - وفي عام 622م استدرج الفرس لمعركة في أرمينيا. كان النصر فيها حليف الروم. وبلغت الهزيمة بجيوش الفرس أن تابعهم الروم حتى المدائن واستردوا الكنوز والمخلفات وعادوا بها إلى إيلياء. بل أن البشارة كانت مزدوجة للمسلمين حين بشرهم الله بنصره. فكانت الدائرة على أساطيل الشرك في غزوة بدر الكبرى سنة 624م - السنة الثانية من الهجرة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان المعظم.

وبين انتصار الفرس وهزيمتهم وقبيل هجرة الرسول الأكرم كرم الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بعد أن بالغ المشركون في ايذائه وايذاء أصحابه... فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام بالبراق ليلا عند المسجد الحرام فركبه صلى الله عليه وسلم وجبريل رديفه. وأتى بيت المقدس فصلى فيه وجمع له الأنبياء ثم عرج به صلوات الله وسلامه عليه من بيت المقدس إلى السموات العلا :

«سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير» الاسراء.

وعند سدرة المنتهى «إذ يغشى السدرة ما يغشى. ما زاغ البصر وما طغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى» النجم. وهب الله تعالى للأمة الإسلامية جبريل عليه السلام. في تعليم أوفق رباط ارتبطت به أمة بفضل ربها وأكرم معراج يومي يعرج به كل مومن للقاء رب العزة. فرضت الصلاة خمسا في اليوم والليلة وهي وخمسون في الأجر.

والمسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين. وهو من أقدس بقاع الأرض عند المسلمين تهوى إليه قلوب المسلمين في العالم كله.

وبعد هجرة الرسول إلى المدينة وضع الأسس الراسخة الجديدة حين أعاد الهدوء إلى سكان يثرب بأن صالح بين قبيلتي الأوس والخزرج. وغدا الجو مهيئا لاقرار ما شاء من تنظيمات تحدد العلاقات بين جماعة المومنين وجيرانهم من أهل يثرب. ودون الرسول نظام الجماعة الإسلامية بالمدينة في دستور، اشتهر باسم «الصحيفة» دخل في شروطه وأركانه يهود يثرب، حتى يستتب الهدوء بين الجميع.

ووجد اليهود أمام هذه التنظيمات الصريحة الا سبيل للنيل من الدعوة الإسلامية غير الالتجاء إلى الدس وسبك المؤامرات للوقيعة بين العرب أولا. ثم تأليب القبائل المشركة إذ ذاك على المسلمين في يثرب - وتجلت حكمة الرسول الكريم القائد الملهم باجلى معانيها في التعجيل بضرب يهود خيبر. ذلك أن نجاح الدعوة الإسلامية في الحجاز أدى إلى انتشار أخبارها لدى القوى الكبرى المجاورة لبلاد العرب. وهما قوتا الفرس والروم إذ ذاك - ومن ثم فإن المبادرة بضرب يهود خيبر تقطع الطريق على أي تدخل أجنبي قد يحاول التستر وراء اليهود لضرب الأمة العربية الناهضة. والحيلولة بينها وبين اداء رسالتها في نشر الإسلام - وأكد الرسول الكريم أنه يعامل اليهود في مسائل العقيدة على أساس أن لا إكراه في الدين. إذ اعاد ليهود خيبر صحائف التوراة التي وقعت بين الغنائم في يد المسلمين. كما سمح لهم بالمعيشة في أرضهم ينعمون بنصف خراجها وثمارها.

وظلت سياسة الرسول الكريم إزاء اليهود القاعدة التي حرص خلفاؤه على اتباعها في معاملتهم لأهل هذه الديانة... فلم يسجل التاريخ اضطهاداً لليهود في ظل الدولة العربية الإسلامية. وإنما نعموا بالحرية الكاملة دينيا واجتماعيا. وتقلدوا الوظائف العامة كذلك.

ولكن بمطلع العصور الحديثة وما صاحبها من هجوم الاستعمار الغربي على البلاد العربية تجددت المطامع الفاسدة في نفوس اليهود وبلغت الذروة في تحالف الصهيونية مع الاستعمار ضد الأمة العربية ووقع تقسيم فلسطين عام 1948.

وأعاد الصهاينة سيرة أسلافهم يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة ويهود خيبر بالالتجاء إلى شتى أساليب الغدر والخيانة. فاعتمدوا على الأساطير والنبوءات المندثرة في تبرير سلبهم لديار العرب وتشدقهم بالتوسع من النيل إلى الفرات وكشف عدوان 5 يونيو 1967 وما أعقبه من تحدي إسرائيل للرأي العام العالمي في السيطرة على بيت المقدس عن أن أطماع الصهيونية دخلت مرحلة خطيرة جديدة توشك أن تهدد الأمة العربية ليس في كيانها السياسي والاجتماعي فحسب. بل وفي مقدساتها كذلك.

لقد انتفض أنصار الفكر الحر في العالم كله ليفضحوا مؤامرة الصهاينة على الحضارة الإنسانية. وانتفضت الشعوب لتقول للظالمين المتسترين بالدعاية المزيفة والاستغلال الدنيء والكيد الوضيع : نحن بجانب الحق والعدل وهي كلمة ستحول التاريخ ولو قل الزاد ونفد العتاد.

إن الإسلام سيرد هذه الغزوات كما رد أندادها من قبل. وسيظل يعطي من ثمار حضارته وعبقريته وثقافته ما يزود الإنسانية بقوة العمل البناء.

عثمان بن خضراء

القدس

أولى القبلتين ومسجدها ثالث الحرمين

للأستاذ محمود مهدي

التاريخ الثابت يؤكد أن أول من حكموا بيت المقدس هم «اليبوسيون» الذين هاجروا من جزيرة العرب إلى الشام قبل الميلاد بعدة قرون، واستوطنوا هذه المنطقة وشيدوا فيها عاصمة لهم سموها «يبوس» نسبة إليهم ثم خلفهم الكنعانيون، وهم أيضا من العرب المهاجرين في الألف الرابعة قبل الميلاد وأطلقوا عليها اسم «يورو شالم».. ومن بعدهم جاء العبرانيون، فاستولوا على المدينة في القرن العاشر قبل الميلاد على يد داوود عليه السلام الذي اتخذها عاصمة ملكه، وخلفه ابنه سليمان عليه السلام. وبعد موت سليمان انقسم الملك إلى دولتين ؛ يهوذا وعاصمتها أور شالم، وإسرائيل وعاصمتها شليم (نابلس).

وخلال هذه الفترة انحرف العبرانيون فعبدوا الأوثان، وقتلوا الأنبياء بغير حق، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، إذ سلط عليهم الآشوريين فقضوا على مملكة إسرائيل، وقضى البابليون على مملكة يهوذا ودمروا الهيكل وسبوهم وساموهم سوء العذاب.

ومن بعد هؤلاء وأولئك جاء الفرس فضموا المنطقة إلى ملكهم وسمحوا لمن شاء من العبرانيين بالعودة إلى بيت المقدس، غير أنهم عادوا إلى ضلالاتهم حتى غزاهم الرومان غزوا دمروا فيه المدينة تدميرا وأحرقوا الهيكل وأقاموا مدينة جديدة سموها «إيلياء» بيت الله - ولما دخل الرومان في النصرانية في القرن الرابع الميلادي طردوا اليهود من المدينة بسبب غدرهم بالمسيح... وبقيت المدينة تحت حكم الرومان حتى فتحها المسلمون في السنة السابعة عشرة للهجرة..

ومن هنا بدأت صفحة جديدة في تاريخ القدس.. حيث عاش أهل المدينة مع المسلمين في ظل «العهدة العمرية» حياة لم يعرفوا من قبل مثلها خيرا ودعة واستقرارا، حتى نشبت الحروب الصليبية التي استهدفت الاستيلاء على بيت المقدس واضطربت المنطقة زمنا طويلا انتهى بنصرة القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي على المغيرين من الصليبيين وإعادة القدس إلى العرب، يعيش فيها المسلمون والمسيحيون اخوة متحابين.. وظلوا على هذه الحال طوال عهد الأيوبيين حتى العثمانيين .. ومع مطلع هذا القرن، وبانتصار بريطانيا في الحرب العالمية الأولى استولت على الأرض المقدسة وبعد أن جلت منها سلمتها لليهود عام 1947.. ومنذ ذلك العام وقلوب المسلمين والعرب معلقة بتحرير المدينة المقدسة.

خص الله تعالى القدس والمسجد الأقصى بكثير من الآيات الكريمة. فجانب آية الاسراء يقول الله عز وجل إخبارا عن نبيه موسى عليه السلام «**واذ قال موسى لقومه ادخلوا الأرض المقدسة الآية**» وروى في قوله تعالى : «**ونجيناه ولوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين**» أنها الأرض المقدسة. كما روى نفس المعنى في قوله تعالى : «... **أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**» قال ابن عباس أن المقصود في قوله عز وجل : «**وأويناهما الى ربوة ذات قرار مكين**» بيت المقدس. وهو قول قتادة وكعب.. وفي قوله سبحانه : «**واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب**».

أن المنادى هو اسرافيل عليه السلام ينادي من صخرة بيت المقدس بالحشر فيقول : «أيتها العظام البالية، والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركم أن تجتمعن لفصل القضاء».

وقد أشارت السنة الشريفة من خلال أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالمدينة المقدسة :

● ● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه (النجاء النجاء إلى بيت المقدس إذا ظهرت الفتن. قال يارسول الله فإن لم أدرك بيت المقدس ؟ قال : فابذل مالك واحرز دينك).

● ● وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه الصلاة والسلام قال : «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى».

● ● وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة. وفي مسجدي ألف صلاة. وفي مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة).

● ● وروى ابن ماجه عن ميمونة قالت : يارسول الله. افتنا في بيت المقدس قال : (أرض المحشر والمنشر أئتوه فصلوا فيه. فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره).

ولقد كان بيت المقدس القبلة الأولى التي ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والمسلمون وجوههم إليها بعد أن فرضت الصلاة... وقد اختلف في المدة التي ظل عليها هذا الحال في مكة والمدينة. فمن قائل انها تسعة أشهر، ومن قائل أنها ضعف هذا. حتى نزل قول الله تعالى : «**فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحثيما كنتم فولوا وجوهكم شطره**» وحينئذ تحول النبي والمسلمون في صلاتهم إلى الكعبة.

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : (بيت المقدس بنته الأنبياء وعمرته. مافيه موضع شبر إلا وقد صلى فيه نبي، أو قام فيه ملك).

وفي بيت المقدس عاش يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم، وهو أول من بنى المسجد الأقصى بعد أن بنى جده إبراهيم وعمه إسماعيل البيت الحرام في مكة بأربعين سنة وقيل بثلاثين سنة.

وفي القدس دعت إمرأة عمران ربها وكانت عاقرا لاتلد (رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني، انك أنت السميع العليم) أيضا ـ دعا زكريا عليه السلام ربه (هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة، إنك سميع الدعاء».. وفيها نادته الملائكة وبشرته بيحيى «فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين).

القدس الشريف والأماكن المقدسة من خلال مسيرة التاريخ

للأستاذ علال البوزيدي

• جذبتني بعض المراجع رغم قلتها عندي إلى الكتابة عن القدس الشريف والأماكن المقدسة، وتأملت المراحل التاريخية التي مرت بها هذه الأماكن والمواقف والبطولات التي شهدتها عبر الأجيال. وحاولت ربط الماضي بالحاضر وانطلاقا من ذلك تجسدت في الأعماق الصورة الحقيقية للقدس الشريف منذ العهود الغابرة إلى عهد الإسلام وحضرتني نفحات عاطرة من جهاد صلاح الدين الأيوبي. كما استوقفتني مواقف الشرف الخالدة وما تبذله لجنة القدس برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله. من مساع حميدة وجهود إيجابية لا ستعادة القدس إلى عهدها المزدهر. وكتب التاريخ القديم منه والحديث حافلة بهذه الوقائع والاشراقات. ولكن هناك حقائق ينبغي الحديث عنها باستمرار وإبلاغها للأجيال الصاعدة في كافة أنحاء العالم الإسلامي.

لأن هناك من الكتب والوثائق والمستندات مالم يتوفر لدى الجميع ولذلك سيدور موضوعي حول محاور تستقطب بعض المقولات التي جاءت بهذا الخصوص في بعض الكتب أو المحاضرات والدراسات المنهجية الجادة التي تناولت بعمق الجانب التاريخي للقدس الشريف والأماكن المقدسة :

القدس في صدر الاسلام :

• تعرض الدكتور محمد حسين هيكل في كتابه عن الامبراطورية الإسلامية والأماكن المقدسة إلى تحليل موضوع الإسراء وعلاقته بالقدس فقال :

• الإسراء هو الذي جعل المسلمين يتطلعون بعد أن فتحوا الشام ووضعوا أيديهم على بيت المقدس إلى المسجد الأقصى لجعله من أماكنهم المقدسة

• فأكثر الروايات التي وردت عن الإسراء تذهب إلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قيد البراق بالصخرة المقدسة حين بلغ به الإسراء إلى بيت المقدس وانه صلى على اطلال هيكل سليمان. إماما لإبراهيم وموسى وعيسى. وانه عرج إلى السماء بعد ذلك متخذا من صخرة يعقوب مرتكزا للمعراج. فلما بلغ سدرة المنتهى وأتم الله آيته عاد

رسوله إلى بيت المقدس فامتطى البراق كرة أخرى إلى مكة.

• وانتقل المؤلف في نفس الموضوع إلى اهتمام المسلمين بالقدس فقال : لم يفتحوا المسلمين القدس إلا في عهد عمر بن الخطاب بينما كان المسلمون في انشغال بمحاربة الروم والفرس إلى أن قال : ولما تغلب عمرو بن العاص على القائد الروماني ارطبون في فلسطين. وكان على أبواب بيت المقدس أعلن بطركها صفرنيوس انه يريد التسليم والصلح على شرط أن يحضر الخليفة عمر ابن الخطاب بنفسه إلى المدينة المقدسة وسار عمر من المدينة إلى ميدان الحرب لعقد هذا الصلح وإبرام شروطه وفتحت بيت المقدس أبوابها أمامه بعد توقيع الصلح وصحب صفرنيوس عمر يوما خلال المدينة يريه اثارها ومواضع الحج فيها.

• وفي نفس المصدر جاء : ان عمر صلى في مكان قريب من الصخرة المقدسة على اطلال هيكل سليمان وفي هذا المكان أقيم من بعد مسجد عمر وهو الذي أطلق عليه اسم المسجد الأقصى. ولا يزال المجد الأقصى والقبة وكل الأماكن المقدسة تحتل المكانة القدسية في نفوس المسلمين كما كان الأمر من قبل في صدر الإسلام على الرغم من تبدل الأحوال السياسية وهذه القدسية هي التي تجعل المسلمين وملوكهم ورؤسائهم يحرصون على عمارة هذه الأماكن واستمرارية قدسيتها. وكيف لايذكر المسلمون المسجد الأقصى وهم يذكرون قوله تعالى : «**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من اياتنا انه هو السميع البصير**». وهكذا وانطلاقاً من هذه الآية الكريمة ستبقى القدس مقدسة ما بقي الإسلام وما بقي المسلمون.

• ومسيرة التاريخ الإنساني تؤكد هذه الحجة التي لاتقبل الجدل ولا النقاش مهما حاول الفكر المعاصر والسياسات المنحرفة تشويه الحقائق ومن يفعل ذلك فعبثا يحاول.

وهذه اللمحات تشير إلى القدس انطلاقاً من ظهور الإسلام مع أن هناك حقبا وعصوراً سبقت ذلك والقدس في ركاب التاريخ تعاصر الحقب والأزمان.

وتزداد مع مر الأيام رسوخا في نفوس المسلمين كرسوخ الإيمان في قلوب المؤمنين الصامدين الصابرين. كيف لا وان الله عندما اقتضت حكمته أن ترفع قواعد بناء القدس الشريف كان ذلك على التوحيد الصحيح والخالص. وتم ذلك البناء على أسس التقوى منذ اليوم الأول. وكان منار هداية ورشاد انه موطن سيدنا إبراهيم عليه السلام ومعراج رسول الإنسانية سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام وهو قبلة المسلمين قبل انبثاق فجر الإسلام وظهوره علنية حيث أصبحت قبلتنا الأولى والمسجد الحرام. ويحدثنا التاريخ القديم ان البيت الحرام هو أول بيت وضع على الأرض وقيل كذلك بأن الملائكة قامت ببنائه قبل خلق أدم وان بيت المقدس بني بعده بأربعين سنة.

• واقتبست هنا بعض الفقرات من محاضرة للأستاذ محمد محمود الصواف ألقاها في ندوة المحاضرات بموسم الحج لعام 1387 هجرية الموافق لسنة 1968م :

وكان الإسراء إيذانا بفتح بيت المقدس وتبشيرا بنصر الله لجنده ودينه وانه بعد أن وطأته قدما رسول الله صلى الله عليه وسلم. محمد المبعوث رحمة للعالمين. سيبقى هذا المسجد المبارك وهذه البلاد المقدسة أمانة محفوظة ودرة مصونة بأيدي المؤمنين المجاهدين ينافحون عنه. ويبذلون الأرواح والمهج رخيصة في سبيله.

• وفي الحديث : «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى».

• وروي عن الإمام علي كرم الله وجهه انه قال : وسط الأرض وارفع الأرض كلها إلى السماء بيت المقدس.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال : من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء.

• وعنه أيضا قال : قال النبي عليه السلام : أربع مدائن من الجنة مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس.

• ومن الوثائق التاريخية والمواقف الخالدة في تاريخ الفتح الإسلامي للقدس الشريف أذكر الكتاب الذي وجهه القائد المسلم أبي عبيدة بن الجراح إلى بطاركة أهل «إيلياء» وسكانها والذي جاء فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم :

• من أبي عبيدة بن الجراح إلى بطارك أهل «إيلياء» وسكانها، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وبالرسول أما بعد : فانا ندعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله وأن الساعة آتية لاريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور فإن شهدتم بذلك حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذراركم وكنتم لنا إخوانا، وإن أبيتم فأقروا لنا بأداء الجزية عن يد وأنتم صاغرون وإن أنتم أبيتم سرت إليكم بقوم هم أشد حبا للموت منكم لشرب الخمور وأكل لحم الخنزير ثم لا أرجع عنكم إن شاء الله أبدا حتى أقتل مقاتليكم وأسبي ذراركم.

• وجميع الوثائق التاريخية تؤكد بأن القدس الشريف ظلت على مر العصور هدفا للغزاة فحوصرت مرارا وهدمت تكرارا وأعد بناؤها ثماني عشرة مرة في التاريخ ولكنها بالرغم من هذا كله ظلت قائمة صامدة في الوجود.

• ويذكر التاريخ للأجيال الحملات الصليبية التي أثارتها عصبية الغرب ضد الإسلام وديار المسلمين، والحديث طويل على ماخلفته الصليبية من آثار وما شوهت من حقائق ومعالم.

• وصدق من قال ما وجد التاريخ فاتحا ارحم من العرب.

• ونحن نتحدث عن القدس الشريف عبر التاريخ تستوقفنا تلك الخطبة الجمعية الشهيرة التي ألقيت في الجمعة الثانية من تحرير المسجد الأقصى المبارك والأماكن المقدسة من دنس الشرك والكفر والنصرانية وكان ذلك اليوم مشهودا في حياة الأمة الإسلامية الجمعة الثانية للفتح 4 شعبان 583 وكانت خطبة تلك الجمعة من الخطب الغرة والدرة العصماء بين خطب المنابر في تاريخ الإسلام والمسلمين ومما جاء فيها : «أيها الناس : أبشروا برضوان الله الذي هو الغاية القصوى والدرجة العليا وبرد بيت المقدس إلى مقرها من الإسلام بعد ابتزالها في إيدي المشركين قراية «100» مائة عام، وتطهير هذا البيت الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه، وإماطة الشرك عن طرقه بعد أن امتد عليه رواقه ورفع قواعده بالتوحيد. ثم خاطبهم :

ولولا أنكم ممن اختاره الله من عباده واصطفاه من سكان بلاده لما خصكم بهذه الفضيلة التي لا يجاريكم فيها مجار ولا يباركم فيها مبار، فطوبى لكم من جيش ظهرت على أيديكم المعجزة النبوية والوقعات البدرية والعزمات الصديقية العمرية والجيوش العثمانية والفتكات العلوية والهجمات الخالدية، فجزاكم الله عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم افضل الجزاء، وشكر لكم ما بذلتموه من مهجكم في مقارعة الأعداء، وتقبل منكم ما تقربتم فيه إليه من مهراق الدماء، واثابكم الجنة فهي دار السعداء.

فاقدرو رحمكم الله هذه النعمة حق قدرها وقوموا لله تعالى بواجب شكرها. ثم قال وإياكم ان يستدلكم الشيطان وان يتداخلكم الطغيان فيخيل لكم ان هذا النصر بسيوفكم الحداد وخيولكم الجياد وبجلادكم في موطن الجلاد. لا والله ما النصر إلا من عند الله عزيز حكيم. إلى أن قال والجهاد من أفضل عباداتكم واشرف عاداتكم. انصروا الله ينصركم. اذكروا الله يذكركم. اشكروا الله يزدكم ويشكركم. جدوا في حسم الداء وقطع شأفة الأعداء وتطهير بقية الأرض.

● وكم هي كثيرة صفحات المجد التليد في تاريخ أمتنا الإسلامية المجاهدة ولذلك قيل في حقها بأنها خير أمة أخرجت للناس.

● وقد جاء في كتاب الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور برا وبحرا للمؤرخ المغربي أبو القاسم الزياني رحمه الله :

● بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله. وصلواته على خير خلقه. محمد وآله وصحبه.

أما بعد فما زالت همم ملوك الإسلام تتناصر على إثبات آثار يبقى ذكرهم ببقائها. وإنشاء محاسن يباهون الأمم ببهائها.

● وأسهب مؤرخ الدولة العلوية صاحب الترجمانة في وصف القدس والأماكن المقدسة مشيرا إلى المراحل التاريخية المختلفة التي عاصرتها هذه البقاع عبر الأجيال المتلاحقة.

● وفي وصفه للزيارة التي قام بها هو شخصيا قال الزياني :

من أبوابه إحدى عشرة بابا : أولها بابان متحدان في السور الشرقي وهذان البابان. يسمى أحدهما باب الرحمة والآخر باب التوبة والثالث : باب الأسباط.

والرابع : باب حطة. في جهة الشمال. وهو الذي أمر الله بني إسرائيل أن يدخلوا سجدا ويقولوا حطة. فبدلوا وخالفوا ما أمروا به.

والخامس : باب شرق الأنبياء في جهة الشمال. ويروون أنه دخل منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الفتح.

والسادس : باب المغاربة مجاور لباب الشرق.

والسابع : باب الغوانمة.

والثامن : باب الحديد.

والتاسع : باب القطانين.

والعاشر والحادي عشر : باب السلسلة وباب السكينة. وبها بابان متحدان وباب المغاربة سمي بذلك لأنه مجاور لجامع المغاربة. التي تقام به الصلاة أولا. ولأنه ينتهي إلى حارة المغاربة وفي هذا الحرم الموضع الذي فيه محراب السيدة مريم. وفيه مهد عيسى عليه السلام وقد نزلنا له بمدراج. والمسجد الأقصى المبارك محمولا عليه وعلى أعمدة من الحجارة العظيمة الضخمة من بناء الجان على عهد نبي الله سليمان عليه السلام. ويقال بأن عدد السواري المحمول عليها المسجد الأقصى (3000) ثلاث آلاف سارية.

ووصف الزياني اعتمادا على مشاهدته وعلى المعلومات التي تلقاها من القائمين على هذه الأماكن المقدسة خلال تلك الحقبة التي سجلت زيارته للقدس الشريف. كل المعالم والمآثر والحفريات والنقوش والفن المعماري الرفيع.

• ونترك هذا المسلسل التاريخي الذي دونه التاريخ للقدس الشريف وتحركت لضبطه وتدوينه أقدم المؤرخين لنطالع صفحات جديدة من تاريخ القدس الحديث.

• وقد سجلت الدورة نتائج هامة وأسفرت أشغالها عن قرارات وتوصيات إيجابية كان لها الصدى العميق في مختلف المحافل وأظهرت للخاص والعام الحنكة والكفاءة العالية التي يحرك بها جلالة الملك لجنة القدس التي يرأسها عن جدارة واستحقاق.

• ولعله غير خاف على أحد أن قضية القدس الشريف عرفت تطورا محسوسا واتخذت مسارا إيجابيا وتبرز تجليات ذلك في المساع الحميدة والجهود الكبيرة التي تبذلها لجنة القدس برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله بنصر من عنده حتى يحقق للمسلمين ما يتطلعون إليه بهذا الخصوص وحتى يتم بجهوده المعززة بجهود قادة الأمة الإسلامية من الملوك والرؤساء إحقاق الحق وإعلاء راية الإسلام وتحرير القدس الشريف والأماكن المقدسة وما ذلك على همة المؤمنين المخلصين والمجاهدين الصامدين الصابرين من أبناء الأمة الإسلامية بعزيز. وان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.

سلا : علال البوزيدي



لك النصر يا أرض النبوة

للأستاذ الشاعر أحمد بن محمد البورقادي

فلسطين يامثوى النبيئين والرسل ... ويا موطن الأجداد والآل والأهل

فلسطين يامسرى الرسول محمد ... وياقبلة الإسلام ياموئل الفضل

فلسطين يامهد النبوات والهدى ... ويامهبط الوحي الإلاهي من قبل

فلسطين يا أرض البطولة والفدى ... وياقبلة الأنظار يامطمح الكل

سقتك عوادى الدهر مر كؤوسها ... وسامتك أيدي الشر ذلا على ذل

منيت بصهيون فأفحش في الأذى ... وأمعن في التنكيل والظلم والقتل

ويتم أطفالا وشرد أمة ... وضيع شعبا ضيعة العهد والإل

منيت بصهيون فأعمل سيفه ... وأجلب كالشيطان بالخيل والرجل

وعاث فسادا في ربوع بريئة ... وأضمر حسوا في ارتغاء على دخل

وأجلى عن الأرض الزكية أهلها ... وعرضهم للفقر والداء والجهل

وأوغل في الظلم الصراح منكلا ... وأجهز إجهازا على الشيخ والطفل

وكاد لشعب آمن ببلاده ... فأصبح هذا الشعب مفترق الشمل

فأين شعارات السلام يلوكها ... بكل خداع ذلك المجلس الدولي ؟

وأين مشاريع السلام تديرها ... وتقذفها في الجو رجل إلى رجل ؟

وأين وساطات السلام يحوكها ... مؤامرة من يقفزون على الحبل ؟

ذئاب هم الأعداء إن شعارهم ... سلام ولكن لا يطبق بالفعل

يريدون منا أن تلين قناتنا ... لأجل انهزام لا يطاق ومن أجل

يريدون أن نحيا بغاتا ونسرهم ... يصرصر مختالا وينذر بالويل

يريـدون أن نبقـى ضعافا يعوقنـا ... عن الوحدة الكبرى تخلفنـا الكلـي

ويعلم هذا ، المسلمـون وكلهـم ... عن الحب والإيخاء والعون في شغـل

قلوبهم شتى ويفصـل بينهـم ... على قربهم داء القطيعة والفـل

تعاموا عن الحق الصراح وأفلتـوا ... زمـام الهـدى واستمـرأوا سبل البطل

وباتوا على حقد وكيـد وفرقـة ... فلم يصبحوا إلا ومرجلهم يغلـي

أضلتهـم الأهـواء وهـي كثيـرة ... فلم يستبينوا الرشد في أقوم السبـل

فيا قوم إن الرشد أن تدعوا الهـوى ... وتستمسكوا بالدين والخلـق والعدل

وتقضوا على الجهل المخيم بيننـا ... فإن صلاح الأمر بالعلم والعقـل

وتجتمعوا عونا على الحـق والهـدى ... فتقوى عراكم قوة الحول والطـول

لك الله يا أرض الأماجـد إننـا ... جبنا وآثرنـا الركـون إلـى الـذل

ولم ننتصر للـه والقـدس واستـوى ... لدينا مقام الجد في الأمـر والهـزل

وأصبح بيت الله في قبضة العـدى ... فلم نمهر البيت الشريف ولم نغـل

فتلك قبـاب النـور فيـه سجينـة ... وتلك رحاب الطهر ترسف في الغـل

تناشد كل المسلمين أن انهضـوا ... ولبوا نداء الله والدين من أجلـي

فقد بلغ السيل الزبـى وأراكـم ... إذا لم تهبوا لا مفـر مـن السيـل

أتعتقـدون النصـر فـي كـل معمـع ... يسيرا فلا والله ليس مـن السهـل

أسـاسـه الاستعـداد للحـرب والفدى ... وعدتـه صرف المزيـد مـن البـذل

إذا قيض اللـه الخـلاص لأمـة ... تعـاون أبنـاء البـلاد على الحمـل

فلاحـق يعطـى فـي الحياة تفضـلا ... إذا لم يهب الشعب للأخـذ والنيـل

ولا يغسل العار الزري كأهلـه ... إذا ما دعا الداعي إلى المحو والغسل

ولا يفتدي الحق السليب من العـدى ... سوى أهل هذا الحق في الوطن الأصلي

جزى الله خير ثورة الفتـح إنهـا ... تكابد خصما يستبيـح ويستولـي

وتبلي البلاء الحق في رد زحفهـم ... وتضرب خصما ضربة البطل الفحـل

تجاهد في الله اليهـود وتفتـدي ... بأرواحهـا أرض الجـدود بلا بخـل

وتحمي فلسطينا وترفع ذكرهـا ... لتخفق رايات السـلام علـى الكـل

لك النصر يا أرض النبوة فاسلمـي ... فقد أجهز النور على ظلمة الليـل

جزى الله عنا عاهل المغرب الـذي ... قد اختير بالإجماع من طرف الكـل

ليرأس حقا لجنة القـدس والفـدى ... ويحمي بيت الله من غاشم نـذل

هو الحسن الثاني سليـل نبـوة ... وعلم وأخلاق وفضل إلى فضـل

فقد وقع الإجماع في كـل محفـل ... عليه رئيسا للدفاع عن العـدل

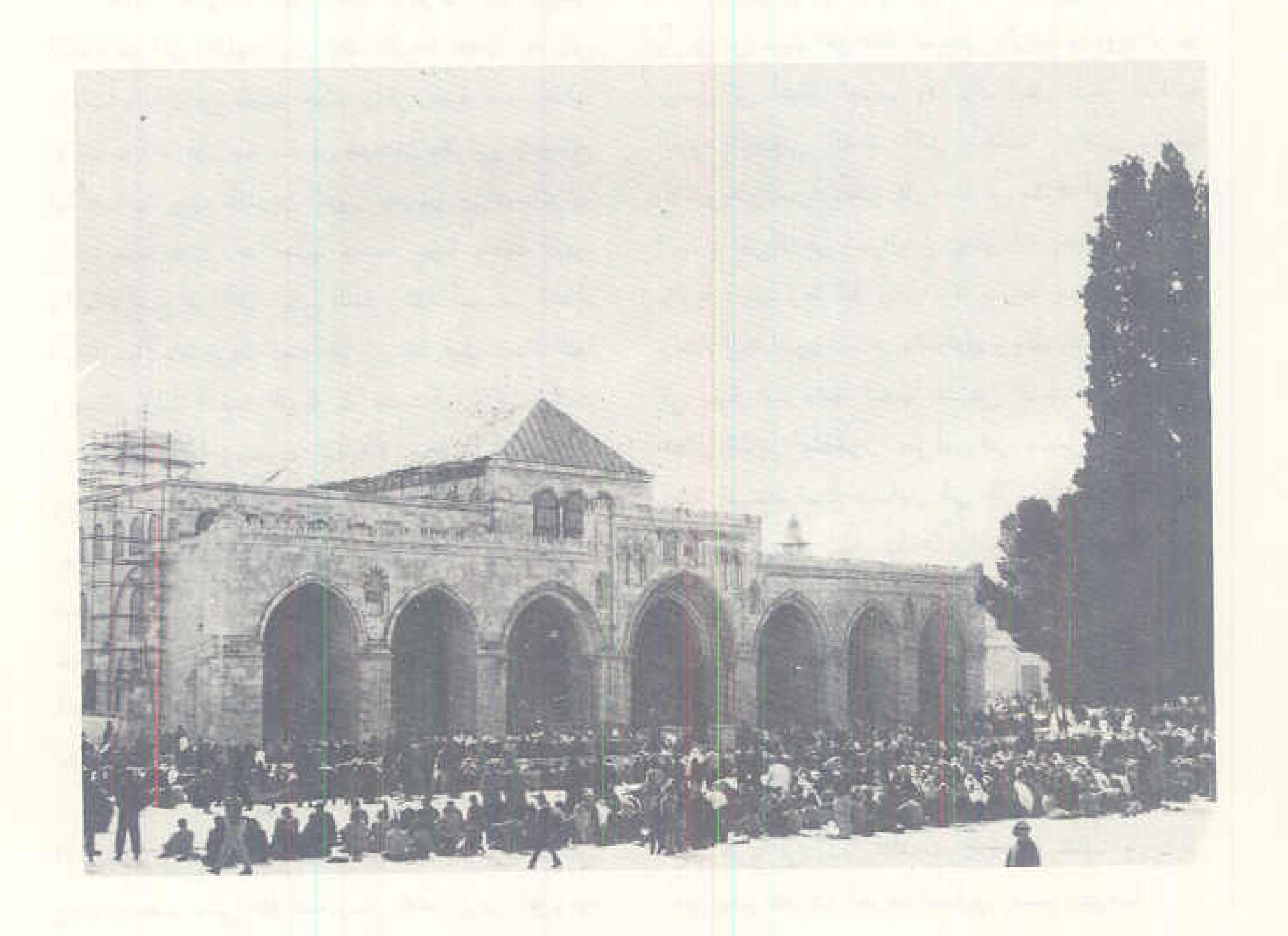
عن المسجدالأقصى عن القدس والحمى ... عن القبلة الأولى عن الأرض والأهـل

وهاهو يمضي للجهـاد مصممـا ... على فك بيت الله من ربقة الـذل

وحينئذ تعلو الوجـوه بشائـرٌ ... وينتصر الحق المبين على البطـل

ويفرح كل المؤمنين بنصرهـم ... وما نصرهم إلا من الله ذي الفضـل

فحقق رجاء العرب يارب واستجـب ... لخيرهم ما يرتجون من الـسـؤل



القدس

أمانة في أيدي المسلمين

للأستاذ محمد الرقيوق

يقول تعالى : «**ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**» وان لفظ الأمانة طالما نفذ إلى اسماعنا وتداول في محيط حياتنا ولكن أهمية جدواه طالما غابت عن الأذهان وغربت من الوجدان ولا غرو فالمصالح لها حسابها. وانهم لكثيرون الذين يحسبون ان التمسك بها يبعد عنهم خيرا دافقا عليهم ومنحا سخية واصلة إليهم.. والأمانة منبع من أهم منابع الثقة والثقة أساس انتظام التعامل والأمانة تربط المتعاملين برباط قوي عقدته الثقة والصدق وتلك العقدة القوية إذا قطعت وتفككت وفدت المبررات الوهمية وتبعثرت. فالأمانة تحفظ بنيان المجتمع وطيدا وتنأى أن يتصدع ويميد والمجتمع الذي تسوده يعمر بها كيانه ويستقر عليها بنيانه فيصبح الاقوام ويمسون وهم بناة مجدهم بواثق عزمهم. الأمانة اتسم بها رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فعرف اسمه بالأمين فاطمأنت القلوب إلى رسالته وتم التمسك بهدايته فأضاء عليه السلام الكون بأمانة أفعاله وأقواله.

والقدس هي مطلع شموس الأنبياء ومسرى سيد الأصفياء وفي قلبها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى محمد صلى الله عليه وسلم. القدس أرض الله وجزء غال من الوطن الإسلامي كانت مهد عيسى عليه السلام وأريق في سبيلها من دماء المسلمين الزكية ما روي ترابها ووصل إلى أعماق تخومها ولا تزال اليوم تعيش انتكاسة الغزو الصهيوني الغاشم الذي أحاطها بالقتل وشملها بالتشريد والتهويد وعلى كل مسلم في مشرقه أو مغربه في آسيا أو أمريكا في استراليا أو روسيا أن يحيطها بالعناية والرعاية ويذكرها ليلا ونهارا ولا ينساها صباحا ولا مساء ويقدم إليها العون المادي والمعنوي ويبذل الغالي والنفيس في سبيل استرجاعها لشعبها الشرعي المسلم يقول تعالى : «**مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبل مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم**» وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : «من أرسل بنفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله وانفق في وجهة ذلك فله بكل درهم يوم القيامة سبعمائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية والله يضاعف لمن يشاء. أخرجه ابن ماجه. وقال عليه السلام من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا. أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما.

القدس تنقسيم إلى جناحين :

القدس القديمة التي يحيط بها السور الكبير القديم وفيها كل المقدسات : الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة.

القدس الجديدة خارج السور القديم وتمتاز بالعمران الحديث والأحياء الجديدة والشوارع المشجرة.

ويذكر لنا التاريخ بلسان الصراحة والوضوح والواقع أن أول من جاء للقدس واستقر بها واتخذها موطنا الكنعانيون وهم قبيلة عربية خرجت من الجزيرة العربية منذ أربعة آلاف سنة قبل الميلاد وحطت رحالها حول نبع غزير فوق احد جبال القدس وتوجد نصوص ووثائق خطية في كثير من الدول الإسلامية تؤكد على أن تاريخ هذه المدينة يعود إلى ألفي سنة قبل الميلاد وأول شعب سكن هذه الأرض هم الكنعانيون وبعد الكنعانيين جاء إليها العموريون وهم قبيلة عربية ودخول اليهود لهذه المدينة لم يأت إلا بعد ثلاثة آلاف سنة من إنشائها ففي سنة ألف قبل الميلاد تجمعت القبائل الإسرائيلية وهاجمت القدس ولكنها فشلت في الاستيلاء عليها وصدتها القوى المدافعة عنها من أبنائها المنحدرين من القبائل العربية التي استقرت منذ آلاف السنين. ولكن المغيرين الإسرائيليين الذين فشلوا في دخول القدس عنوة واقتدارا لجأوا إلى أسلوب الخديعة والخيانة والمكر وكما يفعلون اليوم فالتاريخ دائما يعيد نفسه إن كان الخير فخيرا وإن كان الشر فشرا.

جاء في كتاب تاريخ مدينة القدس يقول عارف العارف عن القدس : «لم تلعب مدينة من المدن القائمة على وجه هذه الأرض الدور الذي لعبته مدينة القدس في التاريخ انها وان لم تكن من المدن التجارية المهمة ولا من المدن الزراعية أو الصناعية على الرغم من وقوعها بين البادية في الشرق والبحر من الغرب إلا أنها كانت على مر الدهور مطمح أنظار الغزاة والفاتحين فحوصرت مرارا من هذا كله ظلت قائمة في هذا الوجود وظل إسمها مذكورا في طليعة المدن والبلدان ذلك لأنها مقدسة في نظر جميع الأديان» وقد أحيط حول سبب تسميتها الكثير من النقاش والحديث فأطلق على مدينة القدس قبل أن تسمى بالقدس اسم سالم واسم شالم واما اسم أورشليم الذي يتمسك به اليهود والوارد في توراتهم المحرف فإنه كان معروفا قبل ذلك واورشليم هذا الاسم ليس اسما دينيا وانما هو اسم دنيوي فالاسم اغتصب كما اغتصبت القدس نفسها واسم صهيون هو اسم الجبل في فلسطين يقع كغيره من المرتفعات الأخرى في مدينة القدس.

والمدينة شهدت أحقابا من صراعات الأمم والشعوب عليها وعاشت فترات من الحروب وكل ذلك شأنه الغارات الاستعمارية والاطماع اليهودية على أرض المسلمين ومقدساتهم. ومن بيت المقدس كان الاسراء والمعراج فجعل سبحانه عز وجل اسراء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، من مكة إلى بيت المقدس ومن بيت المقدس إلى سدرة المنتهى ثم العودة من السموات العلى إلى بيت المقدس ومنها إلى مكة المكرمة يقول تعالى : «**سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه السميع البصير**» فالقدس دائما وأبدا منبع الطهر والأمانة ولها الصلة الوثيقة بالمسلمين دما وتاريخا ودينا والأمة الإسلامية هي المسؤولة أولا وأخيرا على مدينة القدس بل أمانة عظمى على عاتق الشعوب الإسلامية كما تشكل الجناح النابض في قلب العالم الإسلامي والجزء المقدس الذي لا يمكن أن يسكت عنه أي مسلم فهي التاريخ والدم والروح وهي الأمانة الأمانة.

احتل الصليبيون القدس عام 1099 ولكن صلاح الدين الأيوبي بعد انتصاره في معركة حطين استرجعها من

بحيث خرجت الدعوة من طور الكتابة أو الخطابة المجردة، الى معترك الصراع الدولي بكل ما يقتضيه من أساليب سياسية في النظرية والتطبيق، دفاعا عن وجودنا نحن المسلمين ككيان أولا، وذودا عن أرض فلسطين بصفتها أرض الاسراء والمعراج وملتقى النبوءات والرسالات السماوية، فزال عن الإسلام ذلك الكبث الذي كان يعانيه، وعرفت الطاقات الإسلامية تفجيرا جديدا، وتفتحا على عهد من الكرامة، والاعتماد على النفس، والثقة بالذات.

وانعقد المؤتمر العاشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية بفاس سنة 1979، فلمس العالم كله ما للعقيدة الإسلامية من تأثير عظيم وطاقة هائلة، بحيث امحت الفوارق الجنسية والهامشية والنعرات الطبقية والحزبية الرخيصة، أمام جلال العروبة والإسلام، ذلك الجلال الذي طبع المواقف الشعبية والرسمية التي أصبحت تتسم أكثر من ذي قبل بالجرأة في الحق، والحرارة في الإيمان.

وغداة إحراق المسجد الأقصى في 31 غشت من سنة 1969 كان جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله في طليعة المدافعين عن قدس المسلمين بكل طاقاته الحسية والمعنوية، فلقد أبلى البلاء الحسن في تسفيه أحلام الصهيونية ومن يسيرون في ركابها، إذ الكفر ملة واحدة، فسواء كان الإلحاد شرقيا أم غربيا، فإن الجهاد المقدس له بالمرصاد، يفضحه وينسفه أحلامه، وإن جلالة أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين، الملك الحسن الثاني - أعزه الله هو المهتم أولا وأخيرا بشؤون الأمة الإسلامية جمعاء، على سعة رقعتها في المشارق والمغارب ينفذ إلى اللباب، ولا تشغله الأمور الهامشية، عن الغوص في نوايا الإستعمار بنوعيه القديم والحديث، إذ يعتبر منهاجه السياسي، على الصعيد الإسلامي بوجه أخص، مدرسة قائمة بذاتها في معترك السياسة الدولية، ناهيك وقد أسندت إلى جلالته رئاسة لجنة الدفاع عن القدس وذلك من باب إعطاء الدار بانيها، والقوس باريها، ولعل المكانة الدولية المرموقة التي يحظى بها جلالته - حفظه الله - في طليعة القادة ذوي النباهة والاقتدار، مما يؤهله عن جدارة لكسب التأييد والتمكين على أوسع نطاق للحق الفلسطيني والإسلامي في استرجاع الأرض المقدسة، وتحرير القدس الشريف، وتلك شهادة لمكانة المغرب ودوره الحضاري الكبير الذي ما انفك يقوم به أحسن قيام، منذ أن أكرمه الله وأعزه بصيانة الرسالة المحمدية والدفاع عنها، ولا بدع في ذلك، ما دام الجهاد في سبيل الله هو نهج جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله ونصره، بحيث لا يدخر جهدا في نشاطه الدؤوب، واجتهاده المستمر المتواصل، من أجل إثراء الفكر الإسلامي وتعزيزه، والدعوة إليه بالنفس والنفيس، سعيا وراء ترسيخ وتمكين السيادة والقيادة للمسلمين أينما كانوا.

ومما يدعونا إلى الاستعبار والتأمل، ذلكم الخطاب الافتتاحي للمؤتمر العاشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية حيث دعا جلالة الملك الحسن الثاني - أبقاه الله - إلى رفع الوصاية عن الشعب الفلسطيني، فبعد أن ذكر العاهل الكريم بأن المسؤولية في الإسلام لا تنحصر لا في زمان ولا في مكان، بل هي أبدية قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، بحيث يلزمنا الوقوف في المستوى الذي وضعتنا فيه شعوبنا، أوضح لنا أن الدين والدنيا عندنا توأمان، إن سرنا في طريق المعاملات نجد الدين ينهى عن شيء ويأمر بشيء وإن سرنا في طريق العبادات وجدنا الدين والدنيا لا إفراط ولا تفريط، فديننا هو دين العلم والعمل، هو التجانس، هو الإزدواج أوهو الزواج بين حالنا ومئآلنا.

فعلينا أن نتذكر أن الإستعمار كان وما يزال يعمل بكل ما أوتي من مكر ودهاء، ليفصلنا عن كل ما يربطنا بأصالتنا الإسلامية، ففرق بين الاخوان في نفس القارة،

21 غشت

يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني

للأستاذ محمد محمد العلمي

صورة القدس الشريف لا تغيب لحظة واحدة عن قلوب المغاربة المتشبثين بالعقيدة الإسلامية السمحاء. فمنذ أن أشرق نور الإسلام على هذا البلد الأمين. والضمائر مشدودة إلى أولى القبلتين وثالث الحرمين. وزاد هذا التعلق قوة في الظروف الراهنة. لأن العدو الصهيوني الذي يجوس خلال تلك الأعتاب المقدسة. ما يزال سادرا في غلوائه وتعنته. متحديا كل الأعراف والقوانين الدولية. فالقضية إذن بالنسبة إلينا نحن المسلمين. حيثما كنا في مشارق الأرض ومغاربها. قضية مقدسة. بل قضية حياة أو موت بالنسبة للعقيدة الإسلامية التي يتربص الأعداء بها الدوائر في كل وقت وحين. ولذلك وجب علينا. أكثر من أي وقت مضى. الزيادة في التمسك بالوعي والحذر واليقظة تجاه المؤامرات التي يحيكها شذاذ الآفاق. الذين تحدوا الرسالات السماوية وزيفوها منذ أقدم العصور.

فسقوط القدس راجع في الأساس إلى طغيان المناهج العلمانية على المساعي المبذولة من أجل الخلاص والتحرير. لذا يجب أن تكون توجيهاتنا وتصريحاتنا وشعاراتنا قائمة الروح الإسلامية الخالصة. فالأمر يتعلق في أساسه بجهاد ديني لا هوادة فيه. فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. ولقد صدق الامام ابن حزم. حينما سئل عن النهاية ما هي ؟ فقال : هي الرجوع إلى البداية ! فدويلة إسرائيل قامت على العصبية الدينية. وجميع الأنظمة العالمية الكبرى قامت على أساس عقيدة غيبية. سواء دينية أو خرافية من نوع ما هو معروف بالمادية الجدلية.

فلماذا لا يقوم البعث الاسلامي الصحيح على قاعدة من الأصالة الذاتية. في مواجهته للاستعمار والصهيونية والشيوعية. وما يدور في فلكها من مؤامرات جهنمية تحاك للنيل من أرضية الإسلام وعقيدته وعقلانيته ؟ فالحمد لله الذي هيأ للإسلام منعطفا جديدا في المفاهيم والتفكير السياسي الناضج. إثر انعقاد المؤتمر الإسلامي الأول في سنة 1969 بمدينة الرباط. فقد سبق أن دق ناقوس الخطر في وعد بلفور. وكذا في مستهل معركة فلسطين. وويلات التقسيم سنة 1948. ففي ذلك المؤتمر. خرجت قضية فلسطين من إطارها المحلي الضيق. إلى الميدان الإسلامي الفسيح. وأصبح هذا التحول إيجابيا في الثورة الإسلامية.

الصليبيين عام 1187م. ومما جاء في كتاب تاريخ مدينة القدس : لقد كان طبيعيا ومنسجما مع حركة التاريخ وإرادة الحياة أن ينتصر صلاح الدين في هذا الصراع لأنه فرق بين الذين جاءوا من مختلف البلاد الأوربية بشريعة المذابح وقانون الدمار ليقيموا بواسطتها ملكا على انقاض الشرائع والقيم.. وعندما انتصر صلاح الدين كانت قد انتصرت القيم الإنسانية التي دان بها وحارب من أجلها حتى في نفوس الذين حاربوهم من الأعداء وأغلب الظن أن الانطباعات التي تركها القائد في نفوس الصليبيين كانت من بين الأسباب التي جعلتهم يمعنون النظر ويطيلون التأمل في تراث الشرق وحضاراته وثقافته. اهـ

اختيار الوحدة الإسلامية هي الأمانة الحقيقية والطريق إلى النصر :

شهدت القدس عدوانا وعدوانا وكان عدوان يونيو سنة 1967م العدوان الذي دخلت فيه المدينة عهدا جديدا مظلما وفي هذه السنة دخلت الجيوش اليهودية مدينة السلام بعد القتال والجهاد المرير من سكان القدس الذين كتبوا بدمائهم الزكية أروع الملاحم والبطولات وقد سبق للمدينة أن عرفت مؤامرات من طرف الغرب وفي مقدمته أمريكا وبريطانيا ولعبت روسيا الملحدة دورا خطيرا حيث ساعدت على هجرة اليهود إلى إسرائيل وتقوم إسرائيل حاليا بقصف كل ما تبقى من المنشآت الإسلامية وتدمر المساجد والمباني العربية وتظل القوات الصهيونية في متابعة مخططاتها فتقتل المأت والآلاف من الأبرياء الفلسطينيين وتعمل على التشريد والنهب كل هذا يتم في واضحة النهار وفي غياب الوحدة الإسلامية وتتواصل عملية التهويد في تناسق مفضوح وتنتهج سياسة مبدأ القوة ضاربة بالقوانين الدولية والأعراف الإنسانية عرض الحائط.

فالمأساة بلغت منتهاها والسكين بلغ العظم كما يقول المثل العربي وتم إحراق المسجد الأقصى في صبيحة يوم الخميس في 21 غشت عام 1969م وفوجيء العالم بهذه الكارثة الفظيعة ويعلم الله إلى أين ستنتهي الأمور.

وماذا بعد هذا الغزو والتهويد والاحراق ؟ خسر المسلمون القدس كما خسروا الأندلس وخسر المسلمون كثيرا من حقوقهم وأجزائهم وهذا لايعني أن القدس قد ضاعت وعلى العدو الصهيوني أن يعلم ومن يدور في فلكه أن المسلمين قادمون لاسترجاع فلسطين والقدس ولاسترجاع كل الحقوق والحق يعلو ولا يعلى عليه وما ضاع حق وراءه طالب ستعود القدس إن شاء الله بتظافر الوحدة وستعود القدس بالوحدة الإسلامية وهاهو العدد العديد من قادة المسلمين يتحركون ويقومون بواجبهم أحسن القيام واذا كانت الظروف قد وضعت ظروفا خاصة وفرضتها فإن بشائر الفارس المغوار من المغرب ومن المشرق ومن جميع أنحاء المعمور هاهي تسير على درب الجهاد والنصر وبذل أغلى التضحيات من أجل التحرير الشامل تحرير الأرض وتحرير الحضارة وتحرير التاريخ من يدي الطغاة اللئام وطلائع الجيوش الإسلامية التي انتصرت في عهد الفاروق سيدنا عمر بن الخطاب وفي عهد صلاح الدين الأيوبي وأحرزت على أروع الانتصارات والبطولات فإن أحفادها قادرون على مواجهة كل المؤامرات وقادرون على استرجاع الحق إلى نصابه. ولنا في انقاذ الوحدة الإسلامية من صنوف الكيد والاضطهاد والتآمر خير طريق وخير نصر وخير العودة إلى القدس وستعود القدس إلى المسلمين بقطرة دم أو بواد من الدم أو ببحر من الدماء فالقدس إسلامية وستبقى إسلامية وستتحرر بالمسلمين إن شاء الله.

شفشاون : محمد الرقيوق

وفرق بين القارات، وشجع الوثنية، وشجع على كل ما من شأنه أن لا يجعلنا خير أمة أخرجت للناس نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر ونؤمن بالله.

وصاحب الجلالة الملك الحسن الثاني - سدد الله خطاه - هو الذي سبق له أن قال في مؤتمر ملوك ورؤساء الدول العربية المنعقد بالجزائر عام 1393 هـ : «سنصلي في القدس، والله إننا سنصلي في القدس» فعلينا أن نتحلى لهذه الغاية قبل كل شيء بالإيمان الذي لا يتزعزع، والارادة التي لا تقهر، لأن سلاح المجاهد قبل كل شيء، ليس البندقية، وليست المدافع، وليست الطائرات إن السلاح الأساسي هو الثبات على المبدإ، حتى يكون الجهاد المستميت من أجل قضية مقدسة معينة، ومن لا مبدأ له، لا إيمان له.

ويتحدث مولانا أمير المؤمنين - دام له التمكين والفتح المبين - عن أحسن عمل يمكننا أن نقدمه للشعب الفلسطيني، وهو أن نتفق على حد أدنى ينال رضى الجميع من آسيا إلى افريقيا، من الدول البيض، الى الدول السود، إلى الدول الصفراء، فإذا نحن ضمنا لهم هذا الحد الأدنى وأحسوا أنهم أينما طرقوا الباب الصالح، سيفتح لهم، وسيجدون الجواب، سنكون آنذاك قد قدمنا للشعب الفلسطيني أقدس الخدمات، والشعب الفلسطيني قادر على أن يسير نفسه بنفسه، فمنهم المهندسون، والدكاترة، والأطباء، وربما في المستوى العالمي من هذه الناحية، اليونيسكو (المنظمة العالمية للتربية والعلوم والثقافة) تعطينا الأرقام... فيتضح أن فلسطين بما آتاها الله من علماء، وأدمغة، ستصبح من المكونات القوية الأساسية للمجتمع العالمي.

وأمام التعنت الاسرائيلي، وتحديه للأمة الاسلامية والشعور الإسلامي، ضاربا عرض الحائط بكل القرارات الدولية التي تعترف بعروبة القدس، أصبح لزاما علينا التفكير جديا في الوسائل العملية الفعالة، لإنقاذ المدينة المقدسة واستعادة المسجد الأقصى، مسرى الرسول الكريم - ص - أولى القبلتين، وثالث الحرمين، كما أصبح واجبا على الدول الإسلامية قاطبة، أكثر من أي قبل، أن تمد منظمة التحرير الفلسطينية ،بكل الوسائل الضرورية لمواصلة كفاحها المشروع من أجل استرداد الأراضي المحتلة، واسترجاع القدس الشريف، إن قضية القدس وفلسطين مسؤولية إسلامية جماعية، فمن أوكد واجباتنا العينية أن نقدم العون النزيه المتجرد من كل غرض إلى إخواننا الفلسطينيين ليواصلوا كفاحهم، فهم قادرون على ذلك بأنفسهم إذا وفرنا لهم الوسائل المادية والمعنوية الكافية.

وتجدر الإشارة في هذا السياق، إلى أن البيان الختامي للمؤتمر العاشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية أكد أن يكون يوم 21 غشت من كل سنة يوم التضامن الإسلامي مع نضال الشعب الفلسطيني بحيث يكون هناك تحرك سياسي وإعلامي، قصد المزيد من التعريف بقضية القدس وفلسطين، تسهر على تنفيذه لجنة القدس، للحفاظ على الطابع العربي والإسلامي للقدس الشريف، وإعادة المدينة إلى السيادة العربية والإسلامية.

وبخصوص صندوق القدس، نادى المؤتمر العاشر لوزراء خارجية الدول الإسلامية الى التبرع بسخاء من لدن جميع الدول الأعضاء، حتى يتمكن من الاستمرار في مباشرة مهامه المقدسة، المتمثلة في دعم صمود الشعب الفلسطيني، وتمكينه من مقاومة الإحتلال، والتصدي لاجراءات الضم والتهويد، كما أكد المؤتمر من جديد حق الشعب العربي والفلسطيني في السيادة الدائمة الكاملة والفعالة على موارد أراضيه التي تحتلها اسرائيل.

تلك هي العبرة من ذكرى 21 غشت : يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني. وليست هذه الذكرى سوى امتداد نوراني للمؤتمر الإسلامي الأول لملوك ورؤساء الدول الإسلامية، المنعقد بالرباط من 22 إلى 25 سبتمبر 1969، والذي كان من بين أهدافه تنسيق العمل من أجل الحفاظ على سلامة الأماكن المقدسة، وتحريرها، ودعم كفاح الشعب الفلسطيني ومساعدته على استرجاع وتحرير أراضيه، وتعزيز كفاح الشعوب الإسلامية في سبيل المحافظة على كرامتها واستقلالها وحقوقها الوطنية ووحدتها الترابية، وترسيخ التضامن الإسلامي بين الدول الأعضاء في المجالات الإقتصادية والإجتماعية والثقافية والعلمية وفي الميادين الحيوية الأخرى.

وفقنا الله جميعا لما فيه خير الأمة الإسلامية وعزتها وانتصارها ومجدها وسؤددها، وحقق للإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها كل ما نرجوه من أمن وأمان، وكرامة واطمئنان.

«وقل اعملوا، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون» صدق الله العظيم.

الرباط - بقلم : محمد بن محمد العلمي



قراءة في كتاب

فلسطين في الشعر النجفي المعاصر (1928م - 1968)

للأستاذ احمد متفكر

منذ عزمت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على تخصيص عدد من مجلة - دعوة الحق - الغراء بالقدس أحببت أن أعرف القارىء العربي بكتاب (فلسطين في الشعر النجفي المعاصر) تأليف محمد حسين الصغير. وهو عبارة عن رسالة نوقشت في كلية أصول الدين ببغداد، ونالت التقدير بدرجة (امتياز) في الادب العربي، وذلك بتاريخ 1 / 4 / 1388 هـ - الموافق 26 / 6 / 1968م. وقد ساعدت كلية أصول الدين ببغداد على نشره.

يشتمل الكتاب على :

1) **مقدمة :** بقلم الاديب الكبير الدكتور عناء غزوان اسماعيل.

2) **المدخل الى الكتاب :** ويشتمل على :

- منهج البحث.
- هدف هذه الرسالة.
- تاريخ فلسطين السياسي في لمحات.
- لمحة عن تاريخ النجف السياسي والفكري المعاصر.

وفي الأخير فلسطينيات المؤلف.

ولكي لانطيل في عرض فصول هذا الكتاب سأنتقل توا إلى صلب الموضوع، وهو - فلسطين في الشعر النجفي المعاصر - وتسهيلا للبحث يقسم الكاتب الإنتاج الشعري إلى خمسة اتجاهات سياسية تتوخى حل قضية فلسطين، وتطهير أرضها المقدسة من الغزاة الطامعين.

1) **الاتجاه الفلسطيني :** الذي يضع مهمة تحرير هذا الجزء السليب من أرض العروبة على عاتق أبناء العروبة في فلسطين - فهم أولى بهذا الشرف - . ويمثل هذا الاتجاه.

محمد مهدي الجواهري - حسين محمد الصغير محمد جمال الهاشمي - عبد الهادي الشرقي - محمد رضا آل صادق.

تناول الجواهري موضوع فلسطين مستثيرا همم الفلسطينيين بها، وشاحذا لعزائمهم مع دعوتهم للاستمرار على الثبات والنضال :

خذي معاك مثخنة الجراح
ونامي فوق دامية الصقاع

إلى أن قال :

وتاريخ الشعوب إذا تبقى
دم لاحرار لا يمحوه ماح
أأم القدس والتاريخ دام
ويومك مثل أمسك في الكفاح
ومهدك وهو مهبط كل وحي
كنعشك وهو مشتجر الرماح

ه = ه

ولا تغني بنا أنا بكاة
نمدك بالعويل وبالصياح
ولا تعني بنا فالفعل جو
مغيم عندنا والقول صاح
ولن تجدي كأيانا نصيرا
يدق من الاسى راحا براح
ولا قوما يردون الدواهي
وقد خرست بألسنة فصاح

أما حسين محمد الصغير فينوه بعزم القدس، ويعدها بالنصر القريب :

إيه (قدس) وما جفت لنا
عزمات، لا، ولا قل مضاء
الحفاظ المر في أعماقنا
لهب يغلي، وثأر ولقاء
سيضوي الفجر مهما عسعست
ظلم يعتم فيهن القضاء

إلى أن يقول :

يا (حماة القدس) أين الأمنا
وإلى أين وقد ديس الفناء
حل فيها غير أهليها وقد
عبثت تنخر فيها النزلاء
جرح المجد على أعتابها
وعلى الذروة هيض الكبرياء
قد تمادى البغي في عدوانه
واستشاط الحقد فيه والعداء
ومضى يمعن في إرهابه
أسر تفنى، وتشقى أسراء
بالهول الجرح أنا ههنا
نسمع الشكوى ويشجينا النداء
ثم نرجو من عدو ماكر
أو صديق فيه خبث ودهاء
وإذا نحن اعتمدنا غيرنا
فمن الواضح أنا بطاء

أما عبد الهادي الشرقي فهو يدعو المنظمات الفدائية للكفاح، للبطش بالعدو بكل صلابة، وضراوة، منتقمة لعرضها الثكلى، لكرامة الشيوخ، ومصارع الأطفال، ذاوية بنيران المدفع :

عودي لساحات الكفاح
للبطش شاكية السلاح
عودي بكل صلابة
أقسى من الغدر الوقاح

وبضراوة لم تعرف التحنان في الوطن المباح

أبـدا ولـم تألـف معانـي

العطـف أو لفـظ السماح

عـودي إلـى الميـدان

وانتقمي لعرضـك والاضاحـي

لتواكـل قـد روعـت

في (القدس) مثخنـة الجـراح

لكرامـة الشيـخ الكبيـر

يهـان مكبـوح الجمـاح

لمصـارع الأطفـال أطفالـي

كأزهـار الأقـداح

تـذوي بنيـران القنـا

بـل فـي الشـوارع والبطـاح

كالزهـر أحرقـه الهجيـر

ولفـح اعصـار الريـاح

وهذه قصيدة (رص الصفوف) للشاعر محمد رضا آل صادق يوجهها إلى الفدائيين الفلسطينيين وعلى لسانهم يقول :

ظمـىء الفداء وزمجـر الغضـب

ولهيـب عزمـي للوغـى شغـب

والجرح راح يبـث صرختـه

حرقـا علـى شفتـي تنسكـب

لـن أترك الآلام صامتـة

والقـدس في أيـدي العـدا سلـب

انا لـن أمـد إلـى الهـوان يـدا

حتـى تضـم رفاتـي التـرب

بلـدي سيـروى مـن دمـي أبـدا

ودمـي لارضـي منهـل عـذب

انا غضبـة تجتـاح كـل دجـى

عبـر المدى، وخطـاي تلتهـب

سيظـل يشمـخ موطنـي شممـا

وعلا تموج بأفقـه الشهـب

وله قصيدة نظمها في رثاء الفدائيين عنوانها (النصر توأم الفداء).

ضحايـا الأبـاء بكـم أقسـم

وفي جانحي لظـى مـرزم

سنسترجـع القـدس في عزمـه

دروب المنايـا بهـا تقحـم

لنحـرق (صهيـون) فـي نارهـا

ونقـذف بالظلـم مـن يظلـم

2) الاتجاه العربي :

الاتجاه العربي الذي يطالب الأمة العربية كلها لتهب يدا واحدة من أجل إنقاذ فلسطين بعد أن وعت ابعاد القضية وضخامتها. وآمنت بأن الخطر الصهيوني يهدد وجود الأمة العربية ومصيرها.

ويمثل هذا الاتجاه :

عبد الحسين الحلي - عبد الغني الخضري - محمد مهدي الجواهري - ابراهيم الوائلي - محمود الحبوبي - ضياء الدين الخاقاني.

يتساءل الشاعر عبد الحسين الحلي - متعجبا - عن العروبة وأبنائها بعد أن خسروا معركة عام 1948 مع اليهود، كيف يستهان بهم، ويدينون لأقوام دانوا لهم صاغرين :

اين العروبة ليت العرب قد عدموا

حياتهم فهي اذلال وخسـران

لقد عجبت لهم أن يستهان بهـم

وان يدينوا الأقوام لهم دانـوا

هذي اليهود تنزى في مواطنهـم

وكيف يسكن أرض القدس شيطـان

كما يعتبر الشاعر محمود الحبوبي من أوائل من عالجوا القضية الفلسطينية باتجاه عربي صريح :

أعيدوا المغاوير الحماة، وبأسهم
أثيروا الحمى المغصوب واستنهضوا مصرا
أعيذكم بالسيف خط غراره
من العزة القعساء أروع ماتقرا
أعيذكم أن يهتف القدس صارخا
لكم، فتلبيه هتافاتكم تترى
يؤمل منكم منقذين فما يرى
لإنقاذه إلا الخطابة والشعرا

أما ابراهيم الوائلي فيصور مدى تغلغل الغرب في الشؤون العربية، ومدى تأييده لاسرائيل بكل قواه، مستغلا نفطنا وذهبنا وأرضنا لجعلها كميادين لعصاباته، ثم ينادي بالعرب بأن آن الأوان لاستمرار النضال، وتطهير القدس :

متى تتأثرون لجرح ينث
على مثله ودم يهدر
ويثأر من واتر حاقد
عصي المغامز لا يهصر
ويصطخب الموج في الشاطئين
وتجتاح خاوية صرصر
ويطفوا على اليم (تل الحصير)
وينتثر الكوخ والبيدر
ويقتلع الخزي من موطن
تلاقت على ظهره الاعصر
وتمحى من (القدس) أسطورة
ويستأصل الرجس والمنكر
فقد آن أن يستمر الكفاح
ويسود في أفق عثير
وأن يجمع الحي متصرخ
ويستعجل الزحف مستنفر
وتضرم مجموعة يشتوى
بها السهل، والشامخ الازور
ويصطبغ الرمل حتى يقوم
على موجه الشفق الأحمر
وتلتهم المعتدين الطغاة
لظى من جماجمهم تسجر

3) الاتجاه الإسلامي :

الاتجاه الإسلامي الذي تجاوز الحدود السياسية الإقليمية للدول العربية، فانتقل إلى العالم الإسلامي كله باعتبار القضية لاتهم العالم العربي وحده بل الشعوب الإسلامية كافة، مناشدا الجميع الوقوف صفا وحدا في وجه الخطر الصهيوني، وتحرير الأرض المقدسة.

ويمثل هذا الاتجاه :

حسين بحر العلوم - محمد آل حيدر - جعفر الهلالي - محمود البستاني - محمد صالح جعفر الظالمي.

وقد اخترت لهذا الاتجاه قصيدة للشاعر محمد صالح جعفر الظالمي الذي ندب (فلسطين) باتجاه إسلامي :

إيه (فلسطين) يا جرحا نكابده
وثوب ذل علينا راح ينسدل
و (القدس) يلهبها سوط العدو ضنى
ويستبيح الحمى قوم بها نزلوا
فتستباح حريم كان يؤمها
عز (الخليل) فلا خوف ولا وجل
هذي المآسي وما زالت نكابدها
في كل يوم، وما في حلها أمل
فنحن لم نتيقظ أي جارحة
منا، ويعبث في آرائنا الخطل
كل تراه أمام الخصم متخذلا
لكن على قومه متأسد بطل

ولا علاج سوى تحكيم شرعتنـــا
فيستقيم لنا حكـــم ويعتـــدل

الاتجاه العربي الإسلامي :

الاتجاه العربي الإسلامي يمثل وجهة نظر أولئك الشعراء الذين جمعوا بين الإطار العربي والإطار الإسلامي مرة واحدة حتى يكون الاستعداد أشمل وأعم.

ويمثل هذا الاتجاه :

محمد علي اليعقوبي - صالح الجعفري - عبد المهدي مطر - علي الصغير - عبد المنعم الفرطوسي - أحمد الوائلي.

وسنرافق في هذا الاتجاه الشاعر علي الصغير في قصيدته (مأساة الشرق) التي نظمها عقب نكبة 1948م، بعد قيام دويلة العصابات الصهيونية، داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة. وقد عبر عن آلامه، وخيبة آماله، وأهاب بالعـرب والمسلمين للرجوع إلى ماضيهم، عقيدة ومنعة ... ثم يتوجه إلى القدس، وهي مهبط الوحي الإلهي فيخاطبها :

يا (مهبط الوحي) في الدنيا لقد عبثت
بسفر الواحك الغر الأساطيـــــر
ذكر بنيك بماضيهم ومجدهـــم
فطالما نفع الناسين تذكيـــــر
وارسم لهم صورة في المجد زاهيـة
(فالعصر رائحة فيه التصاويـــر)

ثم يدخل صميم الموضوع فيقول :

يا سكنين على (سيناء) قد طويـت
(سيناء)، واندك يا أربابه (الطور)
هذي (فلسطين) قد عاث العدو بها
ولا مصير، سوى ما قال (بلفـور)
تحفز الركب إذ سارت طلائعـــه
فما مقامك فينا أيها العيـــر ؟

قفوا على هذه الآثار واذكـــروا
إن الوقوف على الآثار مأثـــور
سلوا الثرى عن بقايا أمجادكـــم
فكم لها يوم عز فيه مشهـــور
وكم دم سال من هندمي العروق لكم
بها لنا جالت الجرد المحاضيـــر
حق العروبة والإسلام مضطهـــد
قسرا، وثار (رسول الله) موتـــور

الاتجاه الوجداني :

الاتجاه الوجداني الأخير : ونعني بذلك تأثر عدد من شعراء النجف الأشرف، واهتمامهم بقضية فلسطين دون أن يوضحوا التزامهم بأي من الاتجاهات الأربعة السابقة.

ويمثل هذا الاتجاه :

محمد الخليلي - عبد الكريم الدجيلي - أحمد الموسوى الهندي - عمار سميسم - عبد الصاحب الدجيلي - جواد شبر - يحيى الصافي - محمد بحر العلوم - أحمد الصغير - حميد فرج الله.

وسنصاحب هذا الشاعر أحمد الصغير الذي حاول أن يستهض العرب، ويستنجد بقوتهم في الذب عن فلسطين، بإثارة عواطفهم، واهاجة حفائظهم، ولعل الأمر يبدو جليا في قصيدته (من أجل فلسطين) التي نظمها في 1 / 1 / 1968م يقول فيها :

قم ناشد (القدس) واستنطق(فلسطينا)
وايقظ الفكر، والإحساس، والدينـا
واستنهض العرب في البلوى فعزمهم
يفجر الدر في الحلى براكينـــا
قد آن أن تملأ الدنيا طلائعهـــم
وأن تطهر من رجس أراضينـــا

فذي اليهود، وقد غلت أكفهـــــم

تغـزو الديار ميادينا ميادينـــا

وللرصاص أزيـز مـن مدافعنــا

وفي القذائف ما يدمي أعادينـــا

ويستمر الشاعر يخاطب القدس بقوله :

يا (قدس) ياكعبة الآمال معـذرة

إن طال اسـرك كابوسـا وتنينـا

فنحن يا (قدس) رغم العنف حتفهم

سنسحق الطغمة إلى عناء توهينـا

فالنصر والفتح قد لاحت بشائـره

وهذه النهضة الكبرى تحيينــا

فيخـر الحرب من قد راح منتصرا

ويربح الحرب من قد عاد مغبونا

وتستعاد ديار الوحي آمنـــة

وراية الحق والإسلام تعلونـــا

ويختم المؤلف كتابه بفصل اسماه : (فلسطينيـات المؤلف) أي القصائد التي قالها عن القضية الفلسطينية. وقد قسم هذا الفصل إلى :

- فلسطين في مهرجان المولد النبوي.
- فلسطين في عيد الفلاح.
- فلسطين في ذكرى الميلاد.
- فلسطين ومهرجان المبعث النبوي.
- إلى أعضاء منظمة (فتح) الفدائية.

ويختم الكاتب جولته الشعرية بقوله :

ولعل خير ما نختم به كتابنا... هذه الأبيات للشاعر العربي الكبير الأستاذ السيد أحمد الصافي النجفي. وقد استمعتها منه وهو ينشدها عندما زرته في سوق الغرب بلبنان في 8 / 8 / 1968 أنا والصديق العزيز الدكتور حسين أمين أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية التربية ببغداد. وكانت تحوط بالصافي النجفي ثلة من أعلام الفكر لبنانيين ومصريين، وعراقيين وفي طليعتهم الأستاذ الكبير جعفر الخليلي (صاحب موسوعة العتبات المقدسة). والأبيات كما يلي :

(محمد) هل لهذا جئت تسعـــى

وهل لك ينتمي همـل مشـــاع

أإسلام وتغلبهـــم يهـــود

وآســاد وتقهرهـــم ضبـــاع

أيشغلهـــم عـن الجلـى نـــزاع

وهذا نزع موت لا نــــــزاع

شرعت لهم سبيل المجد لكـــن

أضاعوا شرعـك السامـي فضاعـوا

ه = ه

أرجوا أن أكون قد وفقت في اعطاء القارىء العربي الكريم نظرة عن هذا الكتاب القيم.

مراكش - **أحمد متفكر**

القدس

عار أن تضيع ربوعه

للأستاذ الشاعر الحسن الهزميري

ودعت أمسي والدموع سجام ليت الوداع جراحه تلتام

شاخ الزمن وشاب غصن ربيعه وطوى محاسن وجهه الاجرام

ومضى بعيدا ودنا ووفاقنا وغدا الكريم تدوسه الأقدام

لاتصلح الاوفاق من أوضاعنا ما أفسد الرعيان والأقزام

جسم العروبة مزقته سهامهم وعقولهم ترثي لها الأنعام

في كل أرض دولة مشلولة وبكل قطر قائد ونظام

هذا يقوم وذا يثور وبعضهم تحت القيود تهزه الأحلام

قطعوا الأواصر والتواصل بينهم وتباعدوا وكأنهم اجرام

نقضوا العهود تحديا وخيانة غصبوا العروش وهم لها خدام

جاروا على أوطانهم وشعوبهم وتقاعسوا والطامعون قيام

لا لن تقوم لأمة حرماتها مالم يصن ارحامها الحكام

تمضي القرون وأرضنا مغصوبة وديارنا للغاصبين مقام

بالأمس أندلس يغيب هلالها ويصيبها الاذلال والاظلام

كم كانت الأيام زاهية بها وبنو أمية هم لها آكام

في حضنهم وجه الحضارة رائق يزهو به الأخوال والأعمام

يد طارق بسطت لهم خيراتها لكنهم ناموا فزال الجام

آه عليك جزيرتي. آه عليك متى تجود بوصلك الأيام

واليوم اقدام اليهود تدوسنا ويهان في أوطانه الإسلام

القدس عار أن تضيع ربوعه ويسود في أبنائه الحاخام

والمسجد الأقصى فداه نفوسنا عبث اليهود به ونحن نيام

عار علينا أن يصاب بنارهم وينل في جنباته الصيام

أين الكرامة والشجاعة أين من اقدامهم بين اليهود تضام

يافا وحيفا ضجتا من غادر الله يعلم انه ظلام

كم من رجال في بطون سجونه وجريح غدر كله آلام

وارامل يبكين من ألم الطوى وبيوتهن من الدمار ضرام

وفتاة خدر ربما هتك العجول وقارها وقيودها اختام

يا إخوتي أكذا يهان بموطن الاسراء إخوان لنا ايتام

عجبا تنام عيونكم وقلوبكم والذائدون عن الحياض حطام

سوريا ولبنان ومصر جرحها جرح العروبة ما عليه منام

الله في جيرانكم واخائكم الله وهو المالك العلام

كيف السلام إذا الاخاء مضيع كيف المثال إذا الجوار حرام

أيليق بالجيران ما ناب العرا ق وجاره والمسلمون نمام

صد الجميع عن السلام تعنتا والرابحون من القتال لئام

افغان سلها عن غزاة بلادها ان الغزاة على الرقاب حسام

لا لن يريد الله قتل بريئها وكتابه في بيته الـزام

طال السكوت عن الغزاة لدنيتا أضحى العرين أسوده آرام

أين النبي محمد من دينه أين الفتوح وخالد الصمصام

أين الصحابة أين من سيوفهم نشر السلام وطبق الإسلام

بالأمس قبر المصطفى وضريحه يعدو عليه محارب هدام

قتل المصلى عنوة برصاصه ودم البريء على الرصاص حرام

شلت يمين محارب ومغامر لا يرتجى للـه منه سلام

سبط الرسول عليك ألف تحية سبكت عطور سطورها الأقلام

زفت إليك هدية من شاعر يهدي إليك ولاءه الالهام

يا ثاني الحسنين ادرك ديننا … جدد له ما أبلت الأيام

رفع النبي أساسه وبناءه … اقدم فإنك للبناء دعام

أنت الرجاء إذا تكون كريهة … أنت الغيور إذا النفوس تضام

ما للعروبة ان بكت أوطانها … الا رحابك ملجأ ومقام

كل إلى الأقصى يشد رحاله … ان الرحال على البلاد زحام

في كل يوم زائر ومشورة … وبكل أرض نزهة وخيام

فإذا أشرت فعاقل متبصر … وإذا وجمت فقائد مقدام

تعلى برأيك شأننا وشؤونهم … وكان ما تقضى به الهام

ما زال يحكي عن مسيرة أمة … رأى الهمام قيادها وحزام

إني لأذكر إذ غدوت تقودنا … والقلب راض والكتاب أمام

والمسلمون هم وراءك وحدة … والصف مرصوص وأنت امام

كل إلى الصحراء يستبق الندا … فالأرض خطو والغبار غمام

حتى إذا تم الرجاء لأهله … ناديت قف : والواقفون كرام

لحظات حب اذهلت أعداءنا … وولاء شعب بالمليك هيام

واليوم جند الله يحرس شعبها … ومليكنا الحسن العظيم زمام

أرأيت يا ملك البلاد وتاجها … أن البحار على الجبال تقام

يدك الكريمة احكمت ابراجها … وعظيم عزمك طابع ووسام

موج المياه بها نداك عبابه … وعلاء قدرك قمة وسنام

ما هذه الجنات حول ضفافها … إلا كعهدك مورف آكام

عم البوادي والحواضر ماؤها … وتفتحت بنعيمها الآكام

وغدت قفار الأرض زاهية الربى … للشعب فيها منجع وطعام

يا بانيا ملأ البلاد مفاخرا … ان العظيم مفاخر ودوام

فلتهنأن بما منحت من النهى … ولتهنأن بعهدك الأيام

وأميرنا المحبوب دام له العلا … وسما به الاجلال والاعظام



المسجد الأقصى

للدكتور حسين مؤنس

ترجع بدايات هذا المسجد المكرم الى عمر بن الخطاب الذى أمر ببناء مسجد في الحرم القدسى غير بعيد من موضع الصخرة التى بنيت عليها القبة. وهناك من يقول أن مسجد عمر أقيم في جزء من معبد رومانى قديم ينسب الى هيرود وهدمه الامبراطور تيتوس. ويذهب كرسويل الى أن هذا المسجد الأول كان يقوم في جناح ذلك المعبد. ولكن الوليد بن عبد الملك كان أول من أنشأ المسجد الأقصى في مكانه الحالى. وكان تلك في سنة 97 هجرية. ولم يبق من مسجد الوليد هذا إلا العقود القائمة على اعمدة من الرخام على يمين القبة الصغيرة عند المدخل ويسارها.

وقد تهدم معظم مسجد الوليد هذا في زلزال وقع سنة 130 هجرية. فأعاد بناءه الخليفة المنصور حوالى سنة 140 على الأغلب بعد ان اقتلع الذهب عن أبوابه لينفق عليه ثم تهدم مرة أخرى ورفع الأمر الى المهدى فقال : رث هذا المسجد وطال وخلا من الرجال انقصوا من طوله وزيدوا في عرضه وهكذا تم انشاؤه بأمر الخليفة المهدي العباسي (163) أعطى المسجد صورته وحجمه الحاليين. ومن أسف أن معظم بناء المهدى تهدم في زلزال وقع في مطلع القرن الثالث فوزع الخليفة المأمون بناءه على أمراء الأطراف يبنى كل منهم رواقا على نفقته. وتولى البناء عبد الله بن طاهر بعد سنة 310 هـ وقد زلزل هذا البناء سنة 424 هجرية ولكن المقدس الرحالة احتفظ لنا بجانب من وصفه فقال : ان بيت صلاته كان يتكون من ستة وعشرين رواقا تشرع كلها من جدار القبلة إلى الصحن. أما أبواب المسجد فكانت سبعة أكبرها هو الأوسط وكان الباب الرئيسى ملبسا بالنحاس. وكانت تتوسط الرواق الأوسط قبة لطيفة.

وأعيد بناء المسجد بعد زلزال وقع عام 424 هـ وكان الذى بناه هو الخليفة الفاطمى الظاهر سنة 426 هـ. وقد ذهب جزء كبير من بناء الخليفة الظاهر الفاطمى أثناء الحروب الصليبية وما أصاب القدس خلالها من أحداث. ولكن بقى لنا منه الهيكل العام المكون من سبعة أروقة عمودية على القبلة. وجوف بيت الصلاة الذي يتكون من 11 أسكوبا - أى صفا - من العقود الموازية لجدار القبلة.

والرواق الأوسط - أو المجاز الأعظم - ضعف بقية الأروقة في الاتساع. وتقوم فوق البلاطة الأخيرة منه قبة صغيرة فوق المدخل مباشرة. وهناك قبة أخرى أكبر من هذه فوق البلاطة المؤدية الى المحراب.

وما زال المسجد الأقصى يحتفظ بهذه الهيئة على وجه التقريب. فقد رمم وأعيد بناء الكثير من أجزائه أيام

المماليك والعثمانيين. وقد كانت عناية الآخرين به كبيرة جدا واليهم يرجع الفضل فيما يمتاز به المسجد اليوم من أروقة بديعة وخاصة عندما تقف وسط الرواق الأوسط في اتجاه القبلة. فترى المربع البديع - الذي يحمل القبة الكبرى - مرفوعا على أعمدة رخامية سامقة الارتفاع، تعلوها عقود تقوم على أرجل. يعدل ارتفاعها ارتفاع العمد والجدار الحامل للقبة فوق العقود مزين بنوافذ صغيرة على هيئة بوائك صغيرة. وهذا الارتفاع العظيم للسقف هو الذى حدا بالمعمارى الى أن يربط الأعمدة بأوتاد خشبية سميكة. وهذه الأوتاد هي الشيء الوحيد الذي يشوب روعة جمال هذا الجامع الجليل رغم زخارفها الكثيرة. ويذهب المعماريون الى أن هذه الأوتاد ترجع الى بناء الظاهر الفاطمى. ومعنى ذلك أن القبة الكبيرة نفسها ترجع الى ذلك العصر أيضا..

والمسجد الأقصى الحالى عمل معمارى يجمع بين البساطة والجلال على صورة تندر في غيره من المساجد. فإن بناءه رغم ضخامته هش. فالجدران الحاملة للقبة الكبرى لا تتميز بضخامة، والقبة نفسها تقوم على هيكل خشبى. وزينة الجدران نفسها قليلة. والقبلة بسيطة رغم زخارفها ولكن يضيف الى روائها أن الجدار - الى يمينها ويسارها الى ارتفاع المحراب - مغطى بالقيشانى المزخرف، وجزء كبير من فخامة الجامع يرجع الى سعة بيت الصلاة التى تملأ النفس روعة وبهجةوهذه السعة هى التى جعلت المعمارى يكتفى بتسقيفه بالخشب.

المرجع كتاب (المساجد) للدكتور حسين مؤنس



الأوقاف المغربية
في القدس الشريف

●● تتوفر وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية على إحصاء لممتلكات أوقاف المغرب بالقدس الشريف. وقد أخذ منها ميكرو فيلم للإيداع في الخزانة العامة.

وتوجد أكثر أوقاف المغاربة في القدس الشريف قرب حائط المبكى وهي بنايات قديمة يرجع البعض منها إلى عهد الدولة المرينية. وتوجد خارج السور قرب مقبرة المسلمين بقعة أخرى مساحتها 400 متر مربع. وقد أقدمت السلطات الصهيونية على هدم 270 ملكا وقفيا حتى نهاية عام 1977، ولم يبق قائما إلى الآن إلا أربع بنايات.

وكانت السلطات الصهيونية تنوي هدم مسجد المغرب فاجتمع المغاربة بالقدس الشريف لترميم المسجد وتبييضه والاعتكاف فيه. فتخلت السلطات الإسرائيلية عن قصدها السابق. أما فيما يخص زاوية أبي مدين الغوث التي بناها السلطان أبو يوسف المريني فان السلطات الصهيونية مازالت تقوم بحفريات تحتها.

ويبلغ عدد المغاربة المقيمين بالقدس الشريف 2740 فردا يتوصلون بإعانات سنوية من وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في المملكة المغربية باسم صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله.

رسالة من السيد روحي الخطيب إلى سفير المملكة المغربية بعمان

●● توصل سفير صاحب الجلالة في عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية في شهر مارس سنة 1977 برسالة هامة من السيد روحي الخطيب عمدة بلدية القدس الشريف المحتل وتتضمن الرسالة بيانات ومعلومات وجداول من الأهمية التاريخية والسياسية بمكان. ونحن ننشر في هذا العدد النص الكامل لرسالة المجاهد روحي الخطيب ●●

إلى سعادة سفير المملكة المغربية المحترم

عمان، 29 جمادى الأولى ـ 18 مارس 1977.

تحية طيبة وبعد :

1 ـ انقل إليكم وإلى المغرب الشقيق، ان زاوية المغفور له الشيخ أبو مدين الغوث وجامعها الواقعة في الحي المغربي داخل سور القدس، أصبحا مهددين في أية لحظة بالانهيار وبالهدم بسبب مواصلة سلطات العدو الإسرائيلي لعمليات هدم العقارات العربية المجاورة والملاصقة التي صادرتها تلك السلطات في الحي المغربي وفي خمسة أحياء عربية أخرى مجاورة بالقوة.

2 ـ وتعتبر هذه الزاوية والجامع الملحق بها، من أبرز وأقدم المعاهد المغربية الإسلامية بالقدس، فقد بنيت واوقفت سنة 720 هـ من قبل المغفور له العالم الجزائري الشيخ أبو مدين بن شعيب بن عبد الله الغوث. وبنى الجامع الملحق بها من قبل العالم المغربي المجاهد الزاهد الشيخ عمر المجرد سنة 730 هـ.

3 ـ وقد أوقف المرحومان بالإضافة إلى الزاوية والجامع، عقارات وأراضي واسعة، ورصدا ريعها للانفاق على الخدمات التي من أجلها انشئتا. ومن جملة ما أوقفه المرحوم الشيخ أبو مدين، أراضي قرية عين كارم بكاملها، وتقع هذه القرية غربي القدس. وكانت إلى ما قبل 1948 تعتبر من أوائل القرى الزراعية التي تمد القدس بإنتاجها من الفواكه والخضار كما كان أهلها دوما في مقدمة المناضلين للدفاع عن وطنهم ومقدساتهم. وقد استولى العدو الإسرائيلي على هذه القرية سنة 1948 ووضع أيديه بالقوة على جميع أراضيها وعقاراتها وطرد أهلها منها. وبالإضافة إلى هذه القرية، فقد أوقف المرحومان عشرات من العقارات السكنية في حارة المغاربة نفسها وفي أحياء أخرى من القدس وخصصا قسما منها مع الزاوية معهدا دينيا وملجأ لمسلمي المغرب العربي ـ المغرب والجزائر وتونس وليبيا ـ الذين اختاروا القدس بعد الجهاد في

سبيلها أو بعد القيام بواجب الحج المقدس وخصصا القسم الاخر للايجارة والانتفاع من عوائدها لتغطية نفقات الزاوية والجامع ولتنفيذ وقفيهما اللذين شملا ما يلي :

أ ـ مواصلة حلقات الدروس الدينية وخاصة الصوفية.

ب ـ استضافة رجال العلم والجهاد وفقراء الحجاج من مسلمي شمالي إفريقيا.

جـ ـ تقديم المساعدات لفقراء العائلات الشمال إفريقية، المسلمة من سلالات من اختاروا جوار المسجد الأقصى مقاما.

4 ـ وبعد سقوط القسم الباقي من القدس سنة 1967، سارع العدو الإسرائيلي وبأمر من سلطاته العليا إلى هدم 138 عقارا في الحي المغربي، معظمها تابع للوقفين المذكورين كما طرد سكانها البالغ عددهم 635 شخصا. ونتج عن هذا الهدم، طمس وازالة معالم هذه الأوقاف المغربية الإسلامية التي يرتبط كل منها بجانب من تاريخ المغرب الإسلامي بالقدس والإسلام وتشريد 635 شخصا من سكانها ومعظمهم من أحفاد سلالات المغاربة الذين رافقوا مراحل الجهاد والعلم في القدس. كما نتج عنها حرمان الوقفين من معظم ما كان متبق لهما من إيرادات. وفوق كل ذلك، فقد أتاحت هذه العملية للعدو تعرية هذا الجزء الملاصق والمجاور للحرم الشريف واعداده ليكون بعضه ساحة عامة لإقامة الشعائر الدينية اليهودية والبعض الأخر اماكن لانشاء كنائس ومدارس دينية يهودية وهي أجزاء، كما ظهر لنا لغاية اليوم، أجزاء من مخطط إسرائيلي لتخليص وهدم جميع العقارات الوقفية الملاصقة للحرم الشريف، وطرد أهلها وسكانها المسلمين واستبدالهم بمعالم يهودية وبسكان يهود وتغيير المدينة المقدسة تدريجيا إلى مدينة يهودية.

5 ـ ولم تكتف سلطات العدو الإسرائيلي بتجريد الزاوية والجامع من أوقافها التي في عين كارم وبطر أهلها وسكانها، بل اتبعت ذلك باعتداء اثيم اخر، وذلك بإعلانها مصادرة جميع العقارات العربية الواقعة في الحي المغربي وأربعة أحياء عربية مجاورة أخرى حي ـ باب السلسلة، الشرف سور الحصر ودرج الطابوني وتضم هذه الأحياء 1048 شقة سكن و 437 مخزن تجاري أو عمل وأربعة مساجد وخمسة مدارس ويقطنها ستة آلاف عربي، وقد تمت هذه المصادرة بموجب أمر إداري اصدره وزير المالية الإسرائيلي بتاريخ 18 / 4 /68.

6 ـ وبمجرد صدور هذا الامر، باشر العدو، وعن طريق أجهزته المختلفة، بإجلاء أهل وسكان العقار المصادرة، مستخدمين في سبيلها ـ عددا من الوسائل منها :

أ ـ الإنذارات الخطية كالنموذج المرفق ـ ملحق 1.

ب ـ الإغراءات المالية.

وفي حالات عدم الاستجابة ـ وهو ما كان يحصل ـ اخذوا يلجأون إلى وسائل أخرى منها :

جـ ـ إجراء حفريات في الطرق وتحت العقارات المصادرة، بحجة إصلاح شبكات المجاري أو المياه أو الكشف على التاريخ، ثم التعمق فيها وعدم اتخاذ احتياطات اسنادية لها، مما كان يولد تصدعا.

د ـ وحين ظهور مثل هذه التصدعات ، يوجهون اخطارات تطالب السكان بإخلاء العقارات المتصل وإذا ما رفض مثل هؤلاء ذلك، يستعملون القوة العسكرية بالإجلاء.

7 ـ وكنتيجة لمثل هذه العمليات، استطاعت سلطات العدو إلى وضع أيديها ما بين 1968، ولغاية اليوم على ما يقارب من 80 ٪ من العقارات المشمولة بأمر المصادرة ، وإلى طرد وتشريد ما يقارب من خمسة آلاف من إخواننا أهل وسكان هذه الأحياء التي تقع زاوية أبو مدين الغوث وجامعها في وسطها. وكان آخر هذه الإنذارات ما وجهته سلطات العدو لعشرات من تجار وأهل وسكان حي باب السلسلة في الشهر الماضي، تطلب منهم إخلاء عقاراتهم خلال فترة وجيزة وتنذرها في حالة التخلف عن اتخاذ الإجراءات الحاسمة لاجلائهم.

8 ـ وكان نصيب أوقاف المغاربة من أمر المصادرة وعمليات إجراء السكان والهدم الإسرائيلي المتواصلة إن لم يعد للوقف من أصل (99) عقارا كان يملكها ضمن الأحياء المصادرة سوى زاوية أبو مدين الغوث وجامعها. ولقد كانت مواقف متوليي الوقف الحاليين المختار عيسى هاشم المغربي ومحمد إبراهيم عبد الحق، وكلاهما من القدس وسكانها، كانت مواقف هذين المتوليين وما زالت، مواقف مشرفة وتدعو للاعتزاز، فقد عارضا إجراءات المصادرة ورفضا الدخول في أية مناقشة للتعويض عنها حين المصادرة، ورفعا لدولة رئيس العدو مذكرة بتاريخ 26 / 6 / 68 يؤكدان اعتراضهما ويرفضان مشروع التعويض وتعتبر هذه المذكرة وثيقة رائدة للموقف الذي تبنياه وجميع من شملهم أمر المصادرة.

9 ـ وقد فهمت ان سلطات العدو عرضت على المتوليين مؤخرا، مشروع استبدال للزاوية وللجامع استبدالهما بعقارات إسرائيلية تقع في حي آخر في المدينة اسمه حي الواد. وعلمت أن المتوليين رفضا هذا العرض رفضا قاطعا واصرا على المحافظة على هذه الزاوية والجامع.

10 ـ لقد وصلت عمليات الاجلاء والهدم إلى بعد امتار من الزاوية ومن الجامع، وأصبحت تهددها بالتصدع والانهيار، وتهدد معها بطرد وتشريد من بقي من سدنتها وسكانها وكلهم في حالة فقر وتوتر وهم ومسلمو القدس قلقون جدا على مصير هذه الزاوية والجامع العزيزين عليهم وعلى التاريخ والحضارة الإسلامية المغربية بالقدس.

11 ـ واني باسمهم وباسم القدس، أناشدكم والمغرب الشقيق أن تضيفوا قضيتهم إلى قائمة القضايا المتعلقة بالقدس وبالقضية الفلسطينية، وتحاولوا أن توصوا لحكومتكم الجليلة بما يخفف المصاب ويحافظ على إبقاء هذا الصرح الديني الخيري قائما وفي مكانه ليؤدي رسالته التي حافظ عليها الخيرون من أبناء المغرب والجزائر وتونس وليبيا وبالتعاون مع إخوانهم أهل القدس ومع الحكومات المتعاقبة التي حكمت القدس منذ إنشاء الزاوية والجامع وحتى 5 / 6 / 1967.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

المخلص

روحي الخطيب

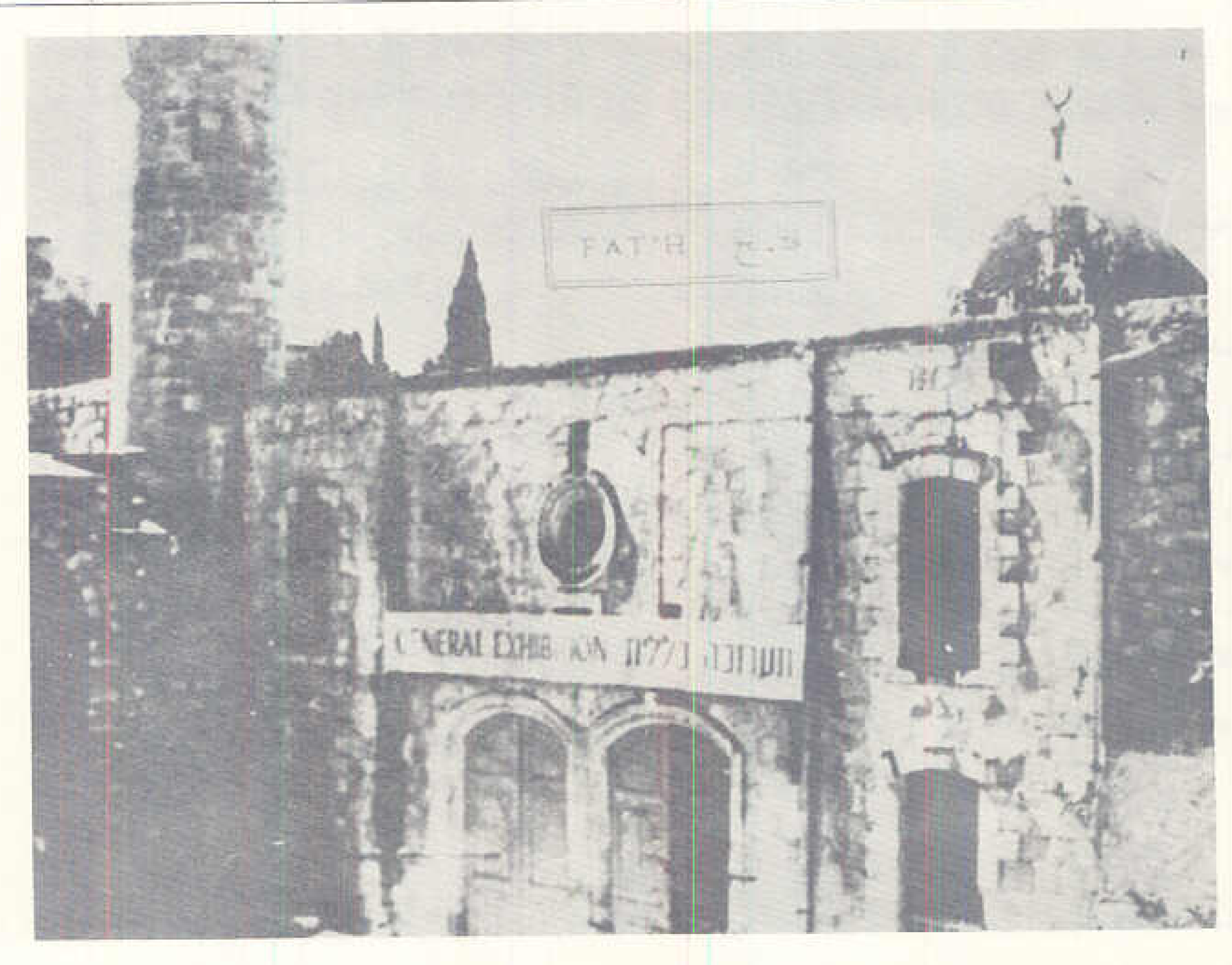
امين القدس

الأوقاف المغربية بالقدس الشريف

حسب تفصيلها لدى المحكمة الشرعية التابعة للمملكة الاردنية الهاشمية

رقم العقد	نوع الوقف	أوصاف العقار	المساحة بالمتر المربع	الحصة	اسم المالك أو المتصرف السابق	نوع المعاملة	القيمة أو الثمن
955 / 9 / 20 / 266	ملك	دار	-	26 / 28	زليخا وفاطمة بنات علي القطب	-	855.555
955/ 9 / 20 / 965	ملك	دار	-	216 / 22	د. أحمد ود. محمد ولدى ابراهيم النقيب الحسيني	بيع	126.088
65 / 22	ملك	أرض	472	1 / 000	د. أحمد ود. محمد ولدى ابراهيم النقيب الحسيني	بيع	-
61 / 289	وقف صحيح	أرض	504,72	24 / 12	-	-	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	326,50	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	99,81	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	103,27	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61/ 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	127,60	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61/ 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	57,50	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61/ 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	64,78	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61/ 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	174,84	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61/ 10 / 22 / 289	وقف صحيح	200,10	كاملا	-	تصحيح الاسم	-	
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	94,08	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	228,82	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	185,82	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	120,48	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	122,00	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	101,50	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	69,70	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	251,47	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	24,65	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	87,84	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	148,25	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	180,88	كاملا	-	-	
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	269,75	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	152,21	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	127,68	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	624,15	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	217,89	كاملا	-	تصحيح الاسم	-

رقم العقد	نوع الوقف	أوصاف العقار	المساحة بالمتر المربع	الحصة	اسم المالك أو المتصرف السابق	نوع المعاملة	القيمة أو الثمن
61 / 10 22 / 289	وقف صحيح	أرض	.41,22	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	226,76	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	154,20	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	12.20	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	115,24	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	129,75	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	25,20	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	248,75	-	تصحيح الاسم	-	
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	201,62	كاملا	-	تصحيح الاسم	
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	452,59	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	154,72	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	3 872,00	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	164,28	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 10 / 22 / 289	وقف صحيح	أرض	505,70	كاملا	-	تصحيح الاسم	-
61 / 7 / 20 / 321	ملك	دار مع بئر	-	32 / 7	-	تسجيل بموجب قرار محكمة الاستئناف القدس في القضية رقم 2/266 وتاريخ 60 / 5 / 19	
61 / 1 / 1 / 1	ملك	أرض	941.00	كاملا	-	تسجيل جديد	-
62 / 1 / 2 / 2	ملك	دار	-	216 / 24	ح أحمد عامر وح محمد المهدي	حق قرار	
62 / 1 / 2 / 2	ملك	دار	-	1475477892248 / 22117815976960	ح أحمد عامر وح محمد المهدي	حق قرار	-



تقرير سنة 1959 عن ممتلكات الأوقاف المغربية - الجزائرية - التونسية بالقدس الشريف

تعرف الأوقاف المغربية - الجزائرية - التونسية الموجودة بالقدس بفلسطين بأوقاف أبي مدين الغوث. وهي عبارة عن ممتلكات محبسة على المغاربة والجزائريين والتونسيين المجاورين بالقدس، كما ينص على ذلك رسم التحبيس المؤرخ بشهر رمضان سنة 720 هجرية والمسجل بالمحكمة الشرعية بالقدس تحت عدد 194 صحيفة 395.

وبعض هذه الممتلكات يوجد الآن في الطرف المحتل حاليا من طرف إسرائيل بالقدس، كما يوجد بعضها الآخر في القسم التابع للمملكة الأردنية.

أما الذي يوجد منها بالقسم المحتل من طرف إسرائيل فهو قرية (عين كريم) المشتملة على أراضي زراعية وعيون وآبار ودور للسكنى وحدائق مغروسة بمختلف الأشجار. وتقدر مساحة هذه الأراضي بخمسة عشر ألف هكتار (15.000).

وقد قامت وزارة الخارجية الفرنسية في سنة 1953 - أي قبل استقلال تونس، والمغرب - دعوى على إسرائيل تطالب فيها بما يلي :

أولا : الاعتراف رسميا بأن قرية عين كريم والأراضي التابعة لها هي ممتلكات مغربية - جزائرية - تونسية.

ثانيا : رفع الحجز عن هذه الممتلكات.

ثالثا : اداء تعويضات عن استغلال هذه الممتلكات منذ الاحتلال الإسرائيلي أي منذ شهر مايو 1948.

وقد ظلت الدعوى التي رفعتها وزارة الخارجية الفرنسية قائمة إلى أن استقلت تونس واستقل المغرب.

وبعد الاستقلال وصلت رسالة إلى وزارة الأوقاف المغربية من وزارة الخارجية المغربية مؤرخة بـ 13 أبريل 1957 وتحمل رقم 13091 تخبرها فيها، ان وزارة الخارجية الفرنسية كتبت إليها بما تم في شأن هذه الدعوى، وهو أن إسرائيل قد قبلت دفع تعويض سنوي عن استغلالها لأراضي قرية (عين كريم) قدره 3.000 ليرة إسرائيلية أي ما يعادل 000 480 فرنك ابتداء من 15 ماي 1948 وذلك على أساس ماكان يدفعه من قبل المستغلون لهذه الأراضي، وهو عشر إنتاجها.

وتزيد وزارة الخارجية الفرنسية فتذكر في رسالتها إلى وزارة الخارجية المغربية ان هذا الحل لا يعتبر نهائيا، وانما هو حل مؤقت في انتظار حل المشكلة بصفة نهائية.

وقد أجابت وزارة الأوقاف المغربية عن كتاب وزارة الخارجية المغربية برسالة مؤرخة بـ 22 ماي 1957 وتحمل رقم 2410، وملخص ماورد في هذه الرسالة أن وزارة الأوقاف المغربية لايمكن لها أن تدخل في معاملة مع إسرائيل كيفما كان نوعها، حتى لايفهم من ذلك أي اعتراف - ولو ضمني بمشروعية إسرائيل، خصوصا وأن المغرب كبقية الدول العربية الأخرى لايعترف بوجود دولة إسرائيل، وان الأولى أن يسكت الآن عن هذه القضية في انتظار تحرير فلسطين.

وقد أقرت وزارة الخارجية المغربية آنذاك وزارة الأوقاف المغربية على هذا الرأي، وبذلك طويت هذه القضية إلى الآن.

وقد علمنا أن وزارة الخارجية الفرنسية كانت قد كتبت بمثل ذلك إلى وزارة الخارجية التونسية وأن رأي تونس في القضية كان مطابقا لرأي المغرب.

هذا عن قرية عين كريم التي توجد في الجزء المحتل من القدس.

أما بقية ممتلكات أوقاف أبي مدين الغوث المغربية - الجزائرية - التونسية، فتوجد في الجزء التابع الآن للمملكة الأردنية الهاشمية في قنطرة أم البنات، وهي عبارة عما يلي :

أولا : زاوية أبي مدين، وهي نزل يحتوي على عدة حجرات.

ثانيا : حي المغاربة، ويعرف بالحارة.

ثالثا : دكاكين للتجارة.

رابعا : قطعتان أرضيتان.

وينفق من ريع هذه الأوقاف فيما وقفت من أجله، وهو مساعدة المغاربة - والجزائريين - والتونسيين، المجاورين بالقدس، وربما أن ريعها غير كاف لذلك، فإن الأقطار الثلاثة : المغرب، والجزائر، وتونس، تبعث بمساعدات سنوية لتسديد العجز.

وكمثال لذلك فإن المملكة المغربية نفذت للسيد الحيدوسي المشرف على هذه الأوقاف مساعدة مالية بمبالغ :

في سنة 1952 : 2.000.000 فرنك.

في سنة 1954 : 3.000.000 فرنك.

في سنة 1955 : 2.000.000 فرنك.

في سنة 1959 : 1.000.000 فرنك وزع تحت إشراف سفارة المملكة المغربية في المملكة الأردنية الهاشمية.

والواقع أن حالة المغاربة والجزائريين، والتونسيين المجاورين بالقدس - ويبلغ عددهم حسب احصاء أجرى في سنة 1952 : (2.000) نسمة - يعيشون في حالة بؤس وفقر وتشرد، وذلك بالرغم من المساعدات التي ينالونها من وقف أبي مدين، مضافا إليها المساعدات السنوية التي تصلهم من كل من المغرب - والجزائر، وتونس، وهي حالة لاتعدو أن تكون مثالا مصغرا من النكبة العامة التي يرزح تحتها جميع اللاجئين الفلسطينيين الذين شردتهم إسرائيل، وأخرجتهم من أرضهم وديارهم، وان كان يؤيد في سوء حالة هؤلاء المغاربة انهم لاينالون شيء من الإسعاف الدولي الذي يقدم للاجئين الفلسطينيين، وذلك باعتبارهم غير فلسطينيين.

وقد سجل السيد محفوظ يونس - من الجزائر - في تقرير كتبه في سنة 1955 عن هؤلاء المجاورين أن المساعدات التي تنوب كل واحد منهم من الوقف لاتعدو رغيف خبز يوميا و400 فرنك في كل شهر.

هذا موجز عن قضية الأوقاف المغربية الجزائرية التونسية الموجود بالقدس، وهو مستخلص من الملف المتعلق بالموضوع والمحفوظ بوزارة الأوقاف المغربية. وقد يكون للقضية جوانب أخرى لا يمكن استيفاؤها إلا بأخذ ملخص من الملف المتعلق بهذه الأوقاف في كل من تونس والجزائر.

الرباط في : 3 ربيع الأول عام 1379
الموافق لـ : 7 شتنبر سنة 1959



تواريخ القدس

●● جاء في كتاب (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ) للسخاوي ص 124 :

((جمع تاريخ بيت المقدس، وفضائله الحافظ أبو القاسم مكي بن عبد السلام بن الرميلي المقدسي، وفضائله أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد الواسطي الخطيب والصلاح خليل العلائي، وللعماد الأصبهاني الفتح القدسي، وللحافظ أبي بكر بن المحب من نزل بيت المقدس، وللبرهان بن الفوكاح الفزاري باعث النفوس على زيارة القدس المحروس)).

ومن الكتب المؤلفة في ذلك أيضا : تاريخ القدس لمحمد بن محمود اسحاق القدسي، والجامع المستقصى في فضائل المسجد الأقصى، ومثير الغرام الى زيارة القدس والشام، واتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى لابن أبي شريف، والروض المغرس في فضائل بيت المقدس للتاج الحسيني، ولطائف أنس الجليل في تحائف القدس والخليل لمصطفى اللقيمي.

الرسالة ـ العدد 790
السنة 16 ـ 1948

فتوى عن كنائس القدس في كتاب "المعيار" للإمام الونشريسي

عرض وتقديم : "دعوة الحق"

حفل كتاب (المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب) لمؤلفه الإمام الونشريسي بالفتاوي الفقهية في مختلف شؤون الحياة العامة للمسلمين. وقد عثرنا في الجزء الثاني من الطبعة التي تصدرها حاليا وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية صفحة 228 على فتوى فقهية تقوم دليلا على تسامح المسلمين وقبولهم التعايش في سلام وطمأنينة ووئام مع أهل الديانات الأخرى. ويتعلق الأمر بفتوى كتبها ابن زكري ونقلها الونشريسي حول كنائس بيت المقدس. ونحن ننقل النص الكامل من الكتاب المشار إليه :

كنائس بيت المقدس لا تهدم لأن الصحابة فتحوها صلحا.

(ومن كتب ابن زكري أيضا ما نصه :

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا ومولانا محمد رسول الله. من عبد الله أحمد بن محمد بن زكري التلمساني خار الله له، وأنجح في رضاه قصده وأمله إلى الأخ في الله أبي محمد عبد الله بعد السلام عليكم، قد وردت علي أسئلتك وانا مشغول البال، من أجل كثرة الأشغال، ووردت على إثرها كتب وسؤال من قبل المغيلي طالب الجواب في قضية الكنائس التي سألت عنها. فأما أجوبة أسئلتك فقد حصلت والحال على ما وصفت لك، وسيقع الجواب له عن سؤاله إن شاء الله عز وجل. وما عندي في القضية إلا ماوقع به الجواب لك، وكان ذلك إثر جوابي في قضية وردت علي من المشرق مثل قضيتك. وحاصل سؤالها : كنيسة في بيت المقدس لأهل الذمة أراد بعض الفقهاء هدمها فهل تهدم أم لا ؟

فأجبت عن السؤال وهو مكتوب في رق بما حاصله ان بيت المقدس قد استفتحه الصحابة رضي الله عنهم صلحا من غير خلاف بين أهل السيرة والتاريخ، وما استفتح صلحا للصلحي الأحداث على مذهب **المدونة** . فكيف يهدم ماهو مبني من قبل الفتح ؟ وقد طلب صاحب السؤال

تـجيله في كل بلد إلى أن يصل فسجل علي وسافر حامله في طرائد البنادقة في هذه السنة.

وأما كنائس البلاد الصحراوية فأقرب شيء في تلك البلاد أنها مملوكة لأهلها بالإحياء والإختطاط. ويبعد فيها أن تكون عنوية أو صلحية. ولا سبيل إلى هدم ما وجد فيها من الكنائس إلا إذا ثبت أن أهل تلك البلاد ملكوا الذميين والارضاء على أن يبنوا فيها الكنائس واثبات هذا هو المتفق على منع الاحداث به وعلى وجوب الهدم. ولاخفاء في عدم ثبوت ذلك. وأما سواه لا يصح معه الهدم بوجه من الوجوه إلا بوجه العدوان والظلم لأهل الذمة. اللهم إلا أن كان القائم عليهم ينكر مشروعية ضرب الجزية وإعطاء الذمة المعلوم ضرورة من دين الأمة. فحينئذ يكون خارقا للاجماع القطعي . وقد علم كفر منكره. ولا خلاف بين المسلمين في سائر الأعصار وفي جميع الأمصار في مشروعية ضرب الجزية وإعطاء الذمة إلى أن ينزل عيسى بن مريم عليه السلام من السماء إلى الأرض فحينئذ لا تعطى لكافر ذمة. وسلام منا على شيوخ الموضع وقرهم الله وكان في عونهم على الحق ودفع الباطل. ونطلبهم في الدعاء لنا. فإن دعاء المؤمن لأخيه المؤمن بظهر الغيب مستجاب. ختم الله لنا ولهم بالحسنى والزيادة وبلغ كل واحد منا في مرضاة مولاه منتهى الإرادة وختم لنا ولهم بالسعادة).

أمر صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني
بطبع هذا الكتاب بمناسبة مطلع القرن الخامس عشر الهجري

المعيار المعرب
والجامع المغرب
عن فتاوي أهل إفريقية والاندلس والمغرب

تأليف
أبي العباس احمد بن يحيى الونشريسي
المتوفى بفاس سنة 914 هـ

خرجه جماعة من الفقهاء
بإشراف الدكتور محمد حجي

الجزء 2

نشر وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية للمملكة المغربية
1401 هـ - 1981 م

فصول من كتاب :

فضائل القدس

تأليف : الشيخ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي

قال الله تعالى : وإذ قال موسى لقومه يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم قال الزجاج (1) المقدسة المطهرة وقيل للسطل القدس (2) لأنه يتطهر منه وسمي بيت المقدس (3) لأنه يتطهر فيه من الذنوب وقيل سماها مقدسة لأنها طهرت من الشرك وجعلت مسكنا للأنبياء والمؤمنين وفي المراد بالأرض المقدسة أربعة أقوال. أحدها أنها أريحا قاله ابن عباس (4) قال السدي (5) أريحا أرض بيت المقدس وقال الضحاك (6) المراد بهذه الأرض ايلياء وبيت المقدس. قال ابن قتيبة (7) وقرأت في مناجاة موسى أنه قال اللهم إنك اخترت من الأنعام الضانية ومن الطير الحمامة (ومن البيوت بيت) ايلياء (8) ومن إيلياء بيت المقدس فهذا يدل على أن إيلياء الأرض التي فيها بيت المقدس وهو معرب.

(ه) قال الفرزدق :

وبيتان بيت الله نحن ولاتـه
وبيت بأعلى إيلياء مشـرف

وقال قتادة (9) الأرض المقدسة الشام كلها.

---

(1) هو أبو اسحاق ابراهيم ابن محمد الزجاج وكان من النحاة وفقهاء اللغة وأهل التفسير من رجال القرن الثالث للهجرة وقد ذكره ابن خلكان 1 : 18 في الوفيات وذكر أسماء بعض الكتب التي ألفها ويذكره ابن منظور كثيرا في معجمه لسان العرب توفي في بغداد بين 311 و 316 هـ.

(2) انظر «قدس» في لسان العرب لابن منظور : 7 : 50 تجد الشرح نفسه منسوبا إلى الزجاج.

(3) تطلق هذه التسمية عند أكثر المؤلفين القدامى على مدينة القدس نفسها وأحيانا على مسجدها.

(4) ابن عم النبي وهو أشهر من أن يعرف وكان من أعظم المفسرين وقد عرف بحبر الأمة وبترجمان القرآن وبالبحر وذلك كله لعلمه العظيم وينسب إليه أنه نقل 1670 حديثا من الصحابة ونقل عنه كثير من التابعين وتوفي بين 68 و 70 هـ ابن حجر (الاصابة) 2 : 802 ـ 813 ابن الأثير (أسد الغابة) 2 : 192 المسعودي (مروج الذهب) 4 : 303 ـ 362 ابن الجوزي (صفة) 1 : 314 ـ 319.

(5) اسماعيل ابن عبد الرحمان السدي أحد المحدثين والمفسرين نقل الحديث عن أنس بن مالك (ابن حنبل 3 : 133) زعم ابن النديم ص 33 أن له تفسيرا للقرآن ويقال أن السدي منسوب إلى سدة جامع المدينة حيث كان يبيع الحجب أو إلى سدة جامع الكوفة. أبي قتيبة المعارف 290 ـ 291. وذكر ابن القيسراني (الجمع بين رجال الصحيحين) 1 : 28 أنه مات سنة 127 هـ.

(6) الضحاك ابن مزاحم كان واحدا من أوائل علماء التفسير ويزعم ابن حجر (الاصابة) 5 : 53) انه درس على ابن عباس ولكن ابن سعد (6 : 10) يزعم أن الضحاك لم يأخذ من ابن عباس ولم يقابله في حياته بل درس التفسير على سعيد ابن جبير ويؤرخ ابن الأثير (الكامل) ج 5 : 94 وفاته سنة 105 هـ.

(7) في عيون الأخبار لابن قتيبة ـ دار الكتب المصرية سنة 1925 ـ 30 ج 2 : 272 «كان فيما ناجى به عزير ربه اللهم... وإنك اخترت من النبات الحبلة يعني الكرمة ومن المواشي الضائنة ومن الطير الحمامة ومن البيوت بيت إيلياء ومن إيلياء بيت المقدس».

(8) اضفنا : «ومن البيوت بيت» قبل إيلياء ليستقيم المعنى. انظر ابن قتيبة ـ عيون الأخبار 2 : 272.

(9) لعله قتادة ابن النعمان الأنصاري أحد الصحابة وهو جد عاصم ابن عمر الذي اعتمد عليه ابن إسحاق في كتابه «السيرة» (ابن الأثير (أسد الغابة) 6 :195) وكان قتادة من الرماة المشهورين وصحب النبي في كثير من المغازي (ابن الجوزي (صفة الصفوة) 1 : 183) وقد يجوز أن يكون قتادة ابن دعامة وهو أحد التابعين وكان من رواة الحديث وقد نقل الحديث عن انس ابن مالك وغيره ونقل الإمام الأوزاعي عنه وقد وثقه ابن سعد والامام أحمد بن حنبل وتوفي سنة 117 أو 118 هـ عن 56 سنة انظر ابن سعد 3 قسم 2 ص 20 وابن حنبل 3 : 130 ـ 134 والنووي (تهذيب) 511.

في ذكر الجبل الذي (1) عليه بيت المقدس

قال أبو هريرة (2) الزيتون طور زيتا. قال قتادة والزيتون جبل عليه بيت المقدس. وقال أبو زرعة السيباني (3) رفع عيسى من طور زيتا.

أخبرنا أبو المعمر الأنصاري (أنبأنا) (4) أبو الحسين محمد ابن محمد ابن الفرا. أنبأنا عبد العزيز ابن أحمد حدثنا أبو بكر محمد ابن أحمد الخطيب حدثنا عمر ابن الفضل حدثنا أبي حدثنا الوليد (ابن) (5) حماد حدثنا ابراهيم ابن محمد حدثنا عمر ابن بكر عن ثور ابن يزيد عن خالد ابن معدان (6) عن أبي هريرة قال أقسم ربنا عز وجل بأربعة أجبل فقال والتين والزيتون وطور سنين وهذا لبلد الأمين (7). قال التين طور زيتا.

---

(1) في الأصل التي

(2) يختلف الناس في اسمه ولكن النووي (تهذيب) 760 ذكر أن الأصح عند المحققين والأكثرين انه عبد الرحمن ابن صخر وقد اشتهر بهذه الكنية لهرة كان يحملها ويلعب بها. وكان من المقربين الى الرسول ومن هنا فقد روي عنه أكبر عدد من الأحاديث نقلها شخص بمفرده ذكر ابن حنبل أنها بلغت 5374 حديثا (1 : 63) وهو من أهم رجال السند في مسند الإمام ابن حنبل ويزعمون أن أكثر من ثمانين محدث نقلوا عنه الحديث. توفي بين 57 و 59 هـ عن عمر بلغ 78 عاما. ودفن في المدينة. ابن سعد 6 : قسم 2 : 35 وابن القيسراني (الجمع) 2 : 600 . وهناك فيما ذكروا سبعة من رواة الحديث المكثرين الذين نقل الواحد منهم أكثر من ألف حديث وهم : أبو هريرة (5374) وعبد الله ابن عمر (2630) وانس ابن مالك (2276) وعائشة أم المؤمنين (2210) وعبد الله بن عباس (1670) وجابر ابن عبد الله الأنصاري (1540) وأبو سعيد ابن مالك الخدري (1170) وقد جمعوهم في شعر فقالوا :

سبع من الصحب فوق الألف قد نقلو
من الحديث عن المختار خير مضر
أبو هريرة سعد جابر أنس
صديقة وابن عباس كذا ابن عمر

(3) في الأصل الشيباني بشين معجمة «والسيباني نسبة الى سيبان بسين مهملة بطن من مراد منهم أبو زرعة يحيى بن أبي عمرو السيباني» الذهب (المشتبه) 287 وصفة الصفوة لابن الجوزي 4 : 179.

(4) بياض بالأصل يتسع لكلمة لعلها انبانا.

(5) ساقطة بالأصل وقد أثبتها الناسخ في المواضع الأخرى التي ستلي انظر ص 6 من المخطوطة.

(6) الدال غير واضحة بالأصل وقد ضبطناها عن الاسم نفسه في صفحة 50 من المخطوطة وهي معدان في ابن الفركاح ص 74 وفي ابن القيسراني (الجمع) 1 : 120 وهو من رجال الحديث شامي، حمصي مات بطرسوس سنة 104 هـ.

(7) القرآن 95 : 1 ـ 3.

في وضع بيت المقدس وبداية أمره

أنبأنا أبو المعمر المبارك ابن أحمد الأنصاري (1). أنبأنا أبو الحسين ابن الفرا. أنبأنا عبد العزيز ابن أحمد ابن عمر النصيبي. أنبأنا أبو بكر ابن أحمد ابن محمد الخطيب. حدثنا أبو حفص عمر ابن الفضل ابن المهاجر اللخمي. حدثني أبي. حدثنا الوليد ابن حماد. حدثنا اسحق ابن الحسين الطحان. حدثنا عبد الله ابن صالح. حدثني ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب. أخبرني عطاء ابـن أبي رباح عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم. عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال : إن مكة بلد عظمه الله وعظم حرمته. وحفها بالملائكة قبل أن يخلق شيئا من الأرض يومئذ (2) كلها بألف عام. ووصلها بالمدينة. ووصل المدينة ببيت المقدس. ثم خلق الأرض بعد ألف عام خلقا واحدا.

حدثنا الوليد ابن حماد (3). حدثنا محمد بن النعمان. حدثنا سليمان التيمي عن أبي عمرو الشيباني (4). قال : «قال علي ابن أبي طالب : كانت الأرض ماء. فبعث الله ريحا. فمسحت الأرض مسحا. فظهرت على الأرض زبدة. فقسمها أربع قطع. خلق من قطعة مكة. والثانية المدينة. والثالثة (5) بيت المقدس. والرابعة الكوفة» (6). أنبأنا محمد ابن ناصر (7) أنبأنا عبد الرحمن ابن أبي عبد الله ابن مندة. حدثنا أبي. أنبأنا أحمد ابن محمد ابن حكيم. حدثنا محمد ابن النعمان ابن بشير. حدثنا سليمان ابن عبد الرحمن. حدثنا محمد ابن حرب عن أبي بكر ابن أبي مريم. عن شريح ابن عبيد. عن كعب (8). قال : بني سليمان ابن داود بيت المقدس على أساس قديم. كما بني ابراهيم الكعبة على أساس قديم. قال المصنف رضي الله عنه : «قلت وسكن الجبارون الأرض المقدسة. فسلط عليهم يوشع. ثم سلط الكفار على بيت المقدس. فصيروه

---

(1) أحد شيوخ ابن الجوزي توفي سنة 549 هـ كان من القراء والحفاظ. والمحدثين له معجم في مجلد وكان سريع القراءة مليا بالرواية : ابن العماد الحنبلي 4 : 154 والذهبي (تذكرة) ص 494.

(2) كذا بالأصل وهي كذلك في كتاب ابن الفركاح (باعث النفوس لزيارة القدس المحروس) ص 74 ولكن ماثيوس ناشر الكتاب المذكور ارتأى نقل «يومئذ كلها» من موضعها إلى موضع آخر ذكرت فيه كلمة الأرض في حديث آخر عن علي تجده في أول الصفحة السابقة من هذه المخطوطة ولا مبرر لنقلها مطلقا.

(3) لم يكن الوليد بن حماد من شيوخ ابن الجوزي ويجب أن نلاحظ هنا أن ابن الجوزي أو الناسخ ينقل أحيانا الرواية عن شخص يقع في وسط سلسلة رواة الخبر ويهمل المتأخرين ويظهر من النص أن الوليد هذا كان من رجال أوائل القرن الثالث للهجرة أو أواخر الثاني وقد ورد اسمه في وسط السلسلة في أكثر من موضع واحد من هذا الكتاب.

(4) هو اسحاق ابن مراد مولى بني شيبان وكان من شيوخ ابن حنبل ويعده ابن النديم ص 68 ثقة عاش أكثر من مئة سنة. وتوفي 206 أو 210 كتب كتبا كثيرة لم يبق منها سوى كتاب الجيم ويقول كرنكو عن هذا الكتاب في مقالته عن الشيباني هذا في الموسوعة الاسلامية (بالانكليزية) انه من أقدم كتب اللغة وجدير بأن يلتفت إليه التفاتا خاصا. انظر أيضا ابن خلكان 1 : 113.

(5) بالأصل «والثالثه».

(6) نقلت هذه الفقرة في «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار لأبي فضل الله العمري بالحرف الواحد من قال علي بن أبي طالب ما عدا كلمة «فظهرت» فإنها هناك وظهرت وبدل «قال» وروى. وقال في آخرها «ذكره أبو الفرج ابن الجوزي» ولكنه لم يشر الى اسم الكتاب وورد نصها بالحرف في ابن فركاح ص 64 ثم ذكر في آخرها نقلتها من أوائل جماع فضائل بيت المقدس ولعله يشير الى كتاب ابن الجوزي هذا مع انه ذكر في مقدمة كتابه ص 1 أنه نقل مادته من كتابي ابن عساكر وأبي المعالي المقدسي بعد أن حذف الأسانيد.

(7) هو أبو الفضل محمد ابن ناصر ابن محمد ابن علي ابن ناصر السلامي الداري خال ابن الجوزي وكان شافعيا ومن أصل فارسي ثم انتقل إلى المذهب الحنبلي وكان في عصره من أشهر محدثي بغداد درس ابن الجوزي عليه الحديث ثلاثين سنة (521 - 550 هـ) وقد مر ذكره في المقدمة. انظر سبط ابن الجوزي 8 : 138.

(8) كعب ابن ماتع المعروف بكعب الأحبار يهودي الأصل من اليمن حميري وفد إلى المدينة سنة 17 هـ وأسلم الطبري (تاريخ) 1 : 2514. وكان في حاشية عمر ابن الخطاب حين دخل القدس. سكن حمص ودمشق واتخذه معاوية مستشارا له وعنه رويت أكثر الأخبار والأحاديث المعروفة بالاسرائيليات. مات في حمص سنة 32 أو 34 هـ وقيل سنة 29 هـ ابن القيسراني (الجمع) ج 2 : 430. ابن حجر (الاصابة) 3 : 635 - 639. النووي (تهذيب) 523.

مزبلة. فأوحى الله تعالى إلى سليمان فبناه» (9) أنبأنا أبو المعمر المبارك ابن أحمد الأنصاري. أنبأنا أبو الحسين محمد ابن محمد الفراء. أنبأنا أبو محمد عبد العزيز ابن أحمد بن عمر النصيبي المقدسي. حدثنا أبو حفص عمر ابن الفضل ابن المهاجر اللخمي. حدثني أبي. حدثنا الوليد. حدثنا المسيب ابن واضح. حدثنا ابن المبارك عن عثمان ابن عطاء. عن أبيه. عن «سعيد ابن المسيب» (10) قال : أمر الله داود أن يبني مسجد بيت المقدس. قال : يارب وأين أبنيه ؟ قال : حيث ترى الملك شاهرا سيفه. قال : فرآه في ذلك المكان. قال : فأخذ داود فأسس قواعده ورفع حائطه. فلما ارتفع انهدم. فقال داود : يارب أمرتني أن أبني لك بيتا. فلما ارتفع هدمته. فقال : يا داود ! إنما جعلتك خليفتي في خلقي. لم أخذته من صاحبه بغير ثمن ؟ انه يبنيه رجل من ولدك.

فلما كان سليمان. ساوم صاحب الأرض عليها (11). فقال له : هي بقنطار. فقال سليمان : قد استوجبتها. فقال له صاحب الأرض : هي خير أو ذاك (12) ؟ قال : بل هي خير. قال : فإنه قد بدا لي. قال : أو ليس قد أوجبتها ؟ قال : بلى ! ولكن البيعين (13) بالخيار ما لم يتفرقا. قال ابن المبارك : هذا أصل الخيار. قال : فلم يزل يراده ويقول له مثل قوله الأول حتى استوجبها منه بسبعة قناطير. فبناه سليمان حتى فرغ منه. وتغلقت أبوابه. فعالجها سليمان أن يفتحها. فلم تنفتح حتى قال في دعائه : بصلوات أبي داود ألا تفتحت الأبواب. ففتحت (14) الأبواب. قال : ففرغ (15) له سليمان عشرة آلاف من قراء بني اسرائيل. خمسة آلاف بالليل. وخمسة آلاف بالنهار. لا تأتي ساعة من ليل ولا نهار إلا والله عز وجل يعبد فيه (16). قال الوليد (17) : حدثنا عمر حدثنا ضمرة عن الشيباني. قال : «أوحى الله عز وجل إلى داود أنك لن تتم (18) بناء بيت المقدس. قال : أي رب. ولم ؟ قال (19) : لأنك غمرت يدك في الدم (20).

---

(9) كذلك نقل العمري هذه الفقرة من سكن الجبارون إلى فبناه بحذف كلمة تعالى ولكن الناشر وضع موضعها (عز وجل) بين هلالين. ص 134 وأشار إلى أنه نقلها عن ابن الجوزي.

(10) هو صهر أبي هريرة وكان من أعظم فقهاء الحجاز روى عنه جماعات من أعلام التابعين. ولد حوالي سنة 14 هـ . ووفد إلى المدينة حيث اتصل بكثير من الصحابة ونقل عنهم الحديث ومات في المدينة سنة 94 أو 93 النووي (تهذيب) 283 ـ 285 اضطهده ابن الزبير وبعده اضطهده الأمويون لأنه أبى أن يبايعهم وقد كتب ابن الجوزي كتابا في مناقبه وانظر عمر ابن أبي ربيعة لجبرائيل جبور 107 وابن قتيبة (المعارف) 223 والاصبهاني (حلية) 2 : 161 ـ 170 والنووي (تهذيب) 283.

(11) في الأصل : لها وهذه الكلمة غير موجودة في مسالك الأبصار حيث نجد النص نفسه عن سعيد ابن المسيب.

(12) في الأصل هي خيرا وذاك. وهو خطأ من الناسخ.

(13) انظر صحيح البخاري 2 : 11 وانظر الأبواب 19. 22. 44. 46. 47 من كتاب البيوع.

(14) بالأصل فتحت وفي مسالك الأبصار ص 34 ففتحت.

(15) في الأصل فقرع في مالك الأبصار ص 134 فقرع.

(16) هذا الخبر عن سعيد بن المسيب نقله بالحرف ابن فضل الله العمري ص 134 و 135 وقال : وروى يعني ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب وأهمل كلمة «لها» بعد ساوم صاحب الأرض ويا قبل كلمة رب الأولى وأهمل اسم ابن المبارك وعبارة هذا أصل الخيار فأثبتها الناشر.

(17) هو الوليد بن حماد المذكور سابقا في روايته المعنعنة عن الشيباني.

(18) في مسالك الأبصار تتم.

(19) كلمة (قال) مكررة بالأصل.

(20) في أخبار الأيام الأولى 22 : 8 «فكان إلى كلام الرب قائلا قد سفكت دما كثيرا وعملت حروبا عظيمة قد تبني بيتا لاسمي لأنك سفكت دماء كثيرة على الأرض أمامي». وفي مختصر كتاب ابن الفقيه. البلدان : 98 «فأوحى جل وعز إليه يأمره أن يمسك عن البناء ويعلمه أن الذي يتولى بناءه من بعده ابنه سليمان. حتى يجري بناؤه على يدي نبي من أنبيائي نقي الكفين».

قال : أي رب، ولم يكن ذلك في طاعتك (21) قال : بلى، وإن كان (22). قال عمر (23) : وحدثني أبي. حدثنا زكريا ابن يحيى ابن يعقوب المقدسي. حدثنا أبو جعفر أحمد بن عبد الله البغدادي. حدثنا علي ابن عاصم حدثنا الحريري عن عبد الله ابن شفيق العقيلي، عن كعب قال : لما ولي سليمان، أوحى الله تعالى إليه أن ابن بيت المقدس. فبناه. فلما دخله خر ساجدا شاكرا لله سبحانه وتعالى. فقال : يا رب من دخله من خائف فأمنه. أو من داع فاستجب له. أو من مستغفر فاغفر له. فذبح أربعة آلاف بقرة، وسبعة آلاف (24) شاة. وصنع طعاما ودعا (25) بني اسرائيل إليه. وفي رواية أن الله تعالى أوحى إلى داود : ابن لي بيتا. فبنى لنفسه بيتا قبل ذلك. ثم بناه فقط.

قال أبو بكر الخطيب المقدسي (26) : وحدثنا عيسى بن عبيد الله. قال : أخبرني علي ابن جعفر. قال : حدثنا محمد ابن ابراهيم ابن عيسى، حدثنا محمد ابن النعمان. حدثنا سليمان ابن عبد الرحمن. حدثنا أبو عبد الملك الجزري (27). قال : لما خلا من ملك سليمان سنين. بدأ في بناء بيت المقدس. فكان عدد من يعمل في بناء بيت المقدس ألف رجل. عليهم قطع الخشب في كل شهر عشرة آلاف. وكان عدة الذين يعملون في الحجارة عشرة آلاف (28). وكان عدة الذين يقومون عليهم ثلثمئة أمين. وأولج فيه تابوت موسى وهارون. وصلى فيه ودعا ربه. فقال : يا رب ! أمرتني ببناء هذا البيت الشريف. يارب فليكن نداك (29) عليه الليل والنهار. وكل من جاءك يبتغي منك الفضل والمغفرة والنصرة والتوبة والرزق فاستجب له من قريب أو بعيد. فاستجاب له ربه عز وجل. وقال : فاستجبت لك دعاءك. قال : يا سليمان ! قد غفرت لمن أتى هذا البيت لا يعنيه إلا الصلاة فيه. قال سليمان ابن عبد الرحمن (30) وحدثنا الوليد ابن محمد. قال : سمعت عطاء الخراساني (31) يقول : لما فرغ سليمان ابن داود من بناء بيت المقدس. أنبت الله عز وجل له شجرتين عند باب الرحمة. احداهما (32) تنبت الذهب، والأخرى تنبت الفضة. فكان في كل يوم ينزع من كل واحدة مائتي رطل

---

(21) غير موجودة في الأصل ونقلتها من مسالك الأبصار.

(22) نقل هذه العبارة العمري عن ابن الجوزي دون أن يشير إلى مصدرها بل قال وقال أبو عمرو الشيباني وأهمل «عز وجل» بعد كلمة الله المسالك ص 134 وترى في المسالك أنه أهمل ذكر رجال السند واكتفى بذكر أقدم الرواة في سلسلة الإسناد.

(23) يقصد «أبو حفص عمر ابن الفضل المهاجر» أحد الرواة في السلسلة التي آخرها سعيد ابن المسيب في الحديث السابق.

(24) في الأصل ألف.

(25) في الأصل ودعى.

(26) هو محمد بن أحمد بن محمد الخطيب أحد الرواة في وسط السلسلة التي ترد في رواية أبي المعمر الأنصاري وهو من شيوخ أبي الوفاء ابن عقيل الحنبلي. سبط ابن الجوزي 8 : 51.

(27) يجب أن يكون الجزري من رجال القرن الثاني لأن سليمان ابن عبد الرحمان الذي نقل عنه توفي في سنة 230 هـ كما سنرى.

(28) في الأصل «ألف».

(29) مهملة النقطة بالأصل.

(30) ابن بنت شرحبيل الدمشقي من رجال سورته المحدثين وكان شيخه الوليد ابن مسلم وقد ذكرهما البخاري. ولد سليمان 153 هـ وتوفي 230 انظر ابن القيسراني (الجمع) 1 : والأصبهاني (الحلية) 6 : 126.

(31) من التابعين المشهورين ولد على الأرجح سنة 50 هـ وأخذ عن ابن عباس وأنس ابن مالك وسعيد بن المسيب ونافع وغيرهم وقد هاجر إلى سورية فأخذ عنه الأوزاعي وغيره وعد من ثقات رجال الحديث مات في أريحا سنة 135 هـ ودفن في القدس ابن سعد 3 القسم الثاني من 102 النووي تهذيب، 423 ـ 424 الاصبهاني (أبو نعيم) (الحلية) 5 : 193 ـ 200 وابن العماد الحنبلي 1 : 192 ـ 193.

(32) في الأصل أحديهما.

ذهبا وفضة. ففرش المسجد بلاطة ذهب وبلاطة فضة (33). فلما جاء بخت نصر (34) خربه. واحتمل منه ثمانين عجلة ذهبا وفضة فطرحه برومية (35).

قال علماء السير : كان بيت المقدس قد خرب حتى صار كالمزابل. فأمر الله تعالى سليمان ببنائه. وذلك لأربع سنين خلت من ملكه. فبناه في سبع سنين. ومن هبوط آدم إلى بناء سليمان بيت المقدس أربعة آلاف (36) وأربع مئة وست وسبعون. أنبأنا يحيى ابن ثابت ابن بندار (37) أنبأنا أبي. أنبأنا الحسين ابن الحسين ابن روما. أنبأنا محمد ابن جعفر الباقرجي. أنبأنا الحسن ابن علي القطان. أنبأنا اسماعيل ابن عيسى العطار. حدثنا أبو حذيفة اسحاق ابن بشر. أنبأنا أبو الياس عن وهب ابن منبه عن كعب (38). قال : إن الله عز وجل أوحى إلى سليمان أن ابن بيت المقدس. فجمع حكماء الأنس وعفاريت الجن وعظماء الشياطين. ثم فرق الشياطين. ثم فرق (39) الشياطين. فجعل منهم فريقا يبنون. ففريقا يقطعون الصخر (40). وفريقا يقطعون القنا (41) والعمد من معادن الرخام. وفريقا يغوصون في البحر فيخرجون منه الدر والمرجان. الدرة مثل بيضة النعام وبيضة الدجاج (42). وأخذ في بناء المسجد. فلم يثبت البناء. وكان عليه حير (43) بناه داود فأمر بهدمه. ثم حفر الأرض حتى بلغ الماء. فقال : أسوا على الماء. فألقوا فيه الحجارة. فكان الماء يلفظ الحجارة. فاستشار في ذلك. فأشاروا عليه أن يتخذ قلالا من نحاس. ثم يملأها حجارة. ثم يكتب عليها ما على خاتمه من ذكر التوحيد. ثم يلقيها في الماء. فيكون أساس البناء عليها. ففعل. فثبت وبنى وعمل بيت المقدس عملا لا يوصف. وزينه بالذهب والفضة والدر والياقوت (44) وألوان الجوهر. في سمائه وأرضه وأبوابه وجدره (45). ثم جمع الناس وأخبرهم أنه مسجد لله تعالى. وانه هو الذي أمر ببنائه.

---

(33) «وكان بلاطه بلاطة من ذهب وبلاطة من فضة». الطبري تفسير 15 : 17.

(34) هو نبوخذ نصر المذكور في الكتاب المقدس سفر الملوك الثاني 24 : 1 ـ 20. 25 : 1 ـ 26 وأخبار الأيام الثاني 36 : 5 ـ 20. وكان ملك بابل من سنة 605 إلى 562 ق.م وفي سنة 605 اجتاح القدس وأخذ منها أسرى كثيرين ثم هاجمها ثانية 597 فأسر ملكها يهوياقيم وأهل بيته وعشرة الاف شخص اخرين ثم عاد مرة ثالثة سنة 586 فهاجم القدس وفتحها وقتل من قتل من أهلها وسبى من سبى وأحرق المدينة والهيكل.

(35) في تفسير الطبري 15 : 17 أن بخت نصر سبى حلي بيت المقدس وأوردها بابل.

(36) في الأصل «ألف».

(37) محدث من رجال القرن السادس هـ في بغداد وكان من شيوخ عبد الغني المقدسي الحمائلي (541 ـ 600 هـ) وكان الأخير قد درس أيضا على ابن الجوزي انظر سبط ابن الجوزي 8 : 339.

(38) كل ما سيأتي بعد كعب بين فاصلتين نقله العمري في المسالك مع تغيير ضئيل ص 135.

(39) غير واضحة بالأصل ولعلها فرق وهي أقرب إلى «قرن». والأرجح أن عبارة ثم فرق الشياطين قد كررها الناسخ سهوا لأنها ليست مكررة في مسالك الأبصار.

(40) في المسالك «الصخور».

(41) المسالك أهمل كلمة «القنا» وحرف العطف الذي بعدها.

(42) المسالك أهمل من كلمة «الدرة» إلى كلمة «الدجاج».

(43) في الأصل «حين» وفي المسالك «حير» وهو الصواب.

(44) أهمل المسالك الدر والياقوت.

(45) في تفسير الطبري 15 : 17 «بناه سليمان بن داود من ذهب ودر وياقوت وزبرجد أعطاه الله ذلك وسخر له الشياطين يأتونه بهذه الأشياء في طرفة عين».

وأن كل شيء فيه لله تعالى (46)، وأن من انتقصه شيئا فقد خان (47) الله، وانه كان قد عهد إلى داود في ذلك ثم أوصى سليمان بذلك من بعده، ثم اتخذ طعاما وجمع الناس (48). أنبأنا المبارك ابن أحمد، أنبأنا أبو بكر محمد ابن أحمد الخطيب، حدثنا عمر ابن الفضل، حدثنا أبي، حدثنا الوليد ابن يزيد، عن سعيد ابن عبد العزيز، عن عطية ابن قيس، عن عبد الله (49) ابن عمرو ابن العاص، فضرب بينهم بسور له باب باطنه في الرحمة، وظاهره من قبله العذاب، قال : هو سور بيت المقدس الشرقي (50) والله أعلم.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه العون
قال شيخ الامة وعلم الائمة ناصر السنة جمال الدين
ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي قدس الله روحه
ونور ضريحه الحمد لله خالق السموات والارض
ومشرف بعض البقاع على بعض وصلى الله على اشرف
نبي جاء بالسنن والفرض محمد المقدم على الانبياء يوم العرض
الذي زويت له الدنيا فرأى طولها والعرض ووعد امته
ملكها وحثهم على الجهاد لينالوا الحظ الاحظ بالحض
...

راموز الصفحة الاولى من النسخة الخطية

فضائل القدس

تأليف
الشيخ الإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي

حققه وقدم له
الدكتور جبرائيل سليمان جبور
أستاذ شرف في الدائرة العربية في الجامعة الأمريكية في بيروت

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

(46) المسالك أهمل «وأن كل شيء فيه لله تعالى».

(47) في المسالك «ضاده».

(48) إلى هنا تم ما نقله المسالك.

(49) صحابي قرشي من سهم أسلم قبل أبيه عمرو ابن العاص. وكان فيما يزعمون أصغر من أبيه باثنتي عشرة سنة فقط (ابن الأثير أسد الغابة 3 : 233) والنووي (تهذيب) ص 361 وابن حجر (الاصابة) 6 : 111) أو باحدى عشرة كما يقول ابن العماد الحنبلي (1 : 73) وكان يكتب كل ما يريد أن يحفظه من كلام النبي فوبخه القريشيون فتوقف فلما سمع النبي شجعه فاستمر (ابن حنبل 2 : 162) (وابن سعد مجلد 7 قسم 2 ص 189) ومع أن أبا هريرة كان يزعم أن عبد الله يحفظ من الأحاديث النبوية أكثر منه فإن الذي أثر عن عبد الله لا يزيد عن 700 حديث (ابن العماد الحنبلي 1 : 63) وكتب مجموعة من الأحاديث تعرف بالصادقة وساهم في فتح سورية وكان حامل راية أبيه في اليرموك وشارك أباه في صفين (ابن الأثير (أسد الغابة) 3 : 233 وما بعده) وحلف أنه لم يرم في تلك الحرب برمح ولا سهم، وإنما حضرها لعزم أبيه عليه ويزعمون أنه كان يعرف السريانية وقرأ الإنجيل وزار بيت المقدس (ابن قتيبة) المعارف ص 146 توفي سنة 63 وقيل 65 وقيل 67 وقيل 55 وقيل 68 وقيل 73.

(50) نقله المسالك ص 135 ثم قال «وقد أخبرنا عن كثير مما ورد في البناء السليماني والعجائب التي كانت فيه لعدم صحته بالنقل.

الخطة الإسرائيلية لتهويد القدس

دأب منظرو الحركة الصهيونية منذ منتصف القرن الماضي على التأكيد لليهود في مختلف انحاء العالم ان هدف الصهيونية هو احتلال القدس وجعلها عاصمة لاسرائيل.

وكان استيطان القدس احدى أهم ركائز الدعوة لدى زعماء الصهاينة، الذين كانوا يرددون أمام بسطاء اليهود في العالم باستمرار احدى المزاعم اليهودية التي تقول: ان اقدامنا كانت تقف عند أبوابك يا قدس. يا قدس التي بقيت موحدة...

وحين انتهت الحرب العربية الاسرائيلية عام 1948 تمكنت القوات الاسرائيلية من تحقيق نصف ذلك الحلم الصهيوني فقد احتلت 66.2 % من المساحة الكلية لمدينة القدس ولكن البلدة القديمة بما فيها من مقدسات ظلت بيد العرب.

الا أن حرب يونيو 1967 أتاحت للقوات الإسرائيلية أحكام قبضتها على الجزء المتبقي من المدينة وفي اليوم الثامن من يونيو 1967 كان الحاخام شلومو غورون - حاخام الجيش الاسرائيلي انذاك - يقف على رأس ثلة من الجيش الاسرائيلي بالقرب من الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف (حائط المبكى) ويقيم شعائر الصلاة اليهودية معلنا في ختامها «ان حلم الاجيال اليهودية قد تحقق فالقدس لليهود ولن يتراجعوا عنها وهي عاصمتهم الابدية».

وبالفعل فقد جاءت كل الاجراءات الاسرائيلية في مدينة القدس منذ ذلك الحين وحتى الآن لتكون مصداقية لهذا الكلام وتحقيقا للحلم الصهيوني بجعل مدينة القدس الموحدة عاصمة للكيان الصهيوني.

ففي 11 يونيو 1967 عقدت الحكومة الإسرائيلية اجتماعا لبحث ضم القدس الى إسرائيل وتوالت اجتماعاتها الى أن تقدمت للكنيست بتاريخ 27 يونيو 1967 بمشروع قرار لضم القدس إلى إسرائيل.

وقد وافق الكنيسيت في اليوم نفسه على قرار الضم وجرى الحاق القدس العربية بإسرائيل سياسيا واداريا بموجب الامر رقم 2064 الذي صدر في الصفحة 2690 من نشرة الكنيسيت.

وفي اليوم التالي أصدرت الحكومة الاسرائيلية ما سمي بأمر القانون والنظام رقم (1) لسنة 1967 واخضعت بموجبه منطقة تنظيم مدينة القدس للقوانين والنظم الادارية الاسرائيلية.

وفي الثلاثين من يوليوز 1980 وبعد ثلاثة عشر عاما من اجراءات الضم والتهويد اقر الكنيست الاسرائيلي ما سمي بالقانون الاساسي للقدس الموحدة الذي ينص على اعتبار مدينة القدس بشطريها عاصمة موحدة لاسرائيل ومقرا لرئاسة الدول والحكومة والكنيست والمحكمة العليا ويدعو القانون الى اتخاذ الاجراءات التي من شأنها تنفيذ نصوص هذا القانون.

اجراءات تهويد القـــدس :

وكانت السلطات الاسرائيلية قد شرعت منذ بداية الاحتلال في تنفيذ الاجراءات الرامية الى تهويد المدينة وأحكام القبضة الصهيونية عليها. ويمكننا ان نوجز هذه الاجراءات على النحو التالي :

أولا : اجراءات تهويد المرافق العامة والخدمات وقد تمثل ذلك في : -

أ - حل مجلس امانة القدس العربية والحاق موظفيها وعمالها ببلدية القدس المحتلة منذ عام 1948.

ب - تهويد القضاء بنقل مقر محكمة الاستئناف من القدس الى رام الله وفك ارتباط القضاء النظامي في مدينة القدس عن الضفة الغربية والحاق مواطني القدس بالمحكمة الشرعية في مدينة يافا المحتلة منذ عام 1948 وتطبيق القوانين الاسرائيلية الجزئية والحقوقية والضرائبية على مواطني القدس العربية واخضاعهم للقضاء الاسرائيلي.

ج - تهويد مرافق الخدمات العامة بالغاء الادارات العربية ونقل قسم منها الى خارج مدينة القدس وربط شبكتي المياه والهواتف بالقدس الغربية المحتلة منذ عام 1948 والحاق الدوائر العربية بالدوائر الاسرائيلية وسن تشريع المسائل القانونية والادارية الذي فرض على أصحاب المهن العرب الالتحاق بالمؤسسات الاسرائيلية حتى يسمح لهم بمزاولة مهنتهم.

د - نقل عدد من الوزارات والدوائر الرسمية الاسرائيلية الى القدس العربية ومنها محكمة العدل العليا ووزارة العدل ومقر رئاسة الشرطة ومكاتب الهستدروت ووزارة الاسكان ومكاتب المؤتمر الصهيوني العالمي ومقر رئاسة الوزراء.

هـ - تهويد التعليم والثقافة وذلك بالغاء مناهج التعليم العربية في المدارس الحكومية بمراحلها الثلاث وتطبيق منهاج التعليم الاسرائيلي والاستيلاء على متحف الاثار الفلسطيني وحظر تداول المئات من الكتب الثقافية العربية والاسلامية واطلاق الأسماء اليهودية على الشوارع والساحات في القدس العربية.

و - تهويد الاقتصاد بعزل القدس جمركيا واقتصاديا عن الضفة الغربية واخضاع المرافق الاقتصادية والتجارية العربية لانظمة الضرائب الاسرائيلية وخاصة ضريبة القيمة المضافة تمهيدا لتصفيتها وهو ما تحاوله مع شركة كهرباء القدس العربية.

ثانيا : محاولة القضاء على التراث الاسلامي وتدمير المقدسات : -

وقد تمثل هذا النهج في عدد من الاجراءات التي تمت ضد الاماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية بهدف تدميرها وتشويه الطابع الحضارى لمدينة القدس وازالة الأماكن المقدسة والقضاء على ما تمثله هذه الأماكن من

ارتباطات اسلامية ومسيحية بالمدينة المقدسة ويمكن ايراد بعض الأمثلة في هذا المجال.

أ ـ الحفريات حول وتحت المسجد الأقصى المبارك بهدف العثور على الهيكل الذى تدعي اسرائيل وجوده في منطقة المسجد الأقصى وقد ابتدأت الحفريات في أواخر عام 1967 وما تزال مستمرة حتى الآن وقد مرت هذه الحفريات بسبع مراحل وأدت الى هدم وتصديع العديد من العقارات الاسلامية المجاورة للمسجد الأقصى.

ب ـ حريق المسجد الأقصى الذي دبرته سلطات الاحتلال في 21 غشت 1969 وقد أتى الحريق على منبر صلاح الدين واجزاء واسعة من الحرم القدسي، ثم المحاولات التي جرت لنسفه في مطلع عام 1980 على يد الحاخام مئير كاهانا زعيم عصابة كاخ حيث اكتشفت المتفجرات على مسافة تبعد 50 مترا عن المسجد الأقصى. وقد اعترف كاهانا في محاضرة القاها في جامعة بارا بلان بتل أبيب يوم 1980/12/24 بأن عدم ازالة الحرم القدسي من قبل الجيش الاسرائيلي بعد احتلاله عام 1967 كان خطأ العمر.

جـ ـ الاعتداءات على الأماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية ومحاولة اقامة الصلوات في ساحة المسجد الأقصى وسرقة بعض محتويات كنيسة القيامة واستملاك الأراضي التابعة لبعض الاديرة المسيحية في القدس والاعتداء على المقابر الاسلامية.

ثالثا : هدم المنازل وتهجير السكان : ـ

وقد باشرت السلطات الاسرائيلية باجراءات الهدم والتهجير فور قرار الضم في يونيو 1967 حيث قامت بهدم حي المغاربة واجلاء سكانه بالكامل واجلاء قسم كبير من سكان حي الشرف في البلدة القديمة وقد أسفرت هذه الاجراءات عن مصادرة 116 دونما من أراضي الوقف الإسلامي في البلدة القديمة عليها 595 عقارا وقفيا اسلاميا ومدرسة للبنات وزاوية ابو مدين الغوث ومسجدين أى ما يزيد على 10 % من مساحة البلدة القديمة ونجم عن ذلك تهجير 7413 مواطنا عربيا من سكان البلدة القديمة ثم شرعت السلطات الاسرائيلية في عمليات مصادرة واسعة للأراضي خارج البلدة القديمة وفي نطاق حدود أمانة القدس ثم في نطاق ما سمي بالقدس الكبرى وسنتحدث فيما يلي عن الاجراءات الاستيطانية التي تمت حتى الآن في إطار هذه الدوائر الثلاث ـ البلدة القديمة ـ حدود امانة القدس العربية وتوسيعاتها الهيكلية ـ حدود القدس الكبرى

أولا : الاستيطان في البلدة القديمة

باشرت السلطات الاسرائيلية فور الانتهاء من عمليات المصادرة والهدم داخل البلدة القديمة بإقامة أول حي سكني يهودى فيها وقد تم حتى الآن إقامة وترميم 468 وحدة سكنية فيه يقدر عدد سكانها بحوالى 1800 نسمة.

ويضم هذا الحي سوقا تجاريا وكنيسا للصلاة اقيمت كلها على انقاض أربعة أحياء عربية هي حي الشرف.. حي الباشورة، حي المغاربة وباب السلسلة.

وقد جاءت عمليات الاستيطان العاجلة داخل البلدة القديمة مصاحبة لاجراءات التهويد الأخرى وعلى رأسها توسيع ساحة حائط البراق على حساب العقارات الوقفية الاسلامية والشروع في عمليات الحفر تحت الحائط الغربي والجنوبي للمسجد الأقصى وترحيل العائلات العربية من المناطق المجاورة للحي اليهودي واصدار مختلف التعليمات والقوانين لتجريد العرب من أملاكهم ووضع اليد على المزيد من الأراضي والعقارات في البلدة القديمة وخارج الاسوار وفي نطاق حدود امانة القدس لعام 1967.

ثانيا : الاستيطان في حدود أمانة القدس لعام 1967.

اما المرحلة الثانية من مراحل تهويد المدينة المقدسة استيطانيا فقد بدأت خلال عام 1968 بالشروع في إقامة حزام من الأحياء السكنية يحيط بالقدس من الناحيتين الشمالية والجنوبية وقد تم حتى الآن إقامة تسعة من هذه الأحياء احاطت القدس العربية بجدران من القلاع الاسمنتية الصماء التي شوهت طابع المدينة الحضارى ومعالمها الجمالية الأمر الذى حدا باليونسكو الى تشكيل لجنة هندسية لدراسة هذه المسألة ومطالبة اسرائيل بالتوقف عن تشويه طابع المدينة الحضارى بهذه السلاسل من القلاع الاسمنتية المدججة.

(وقد تبين ان هناك طوقا آخر يقع خلف هذا الطوق من القلاع وهو طوق المستوطنات التي أقيمت في نطاق ما يسمى بخطة القدس الكبرى).

وهذه هي الأحياء السكنية التسعة التي تمت إقامتها حتى الآن (1981) في حدود امانة القدس وعلى مشارف البلدة القديمة ،

1/ رامات اشكول

بدأت بإقامته عام 1968 على أراض صودرت من المواطنين تبلغ مساحتها 600 دونم ويقع في منطقة الشيخ جراح شمال غربي القدس ويضم 2200 وحدة سكنية. ويقدر عدد سكان هذا الحي بحوالي 7500 نسمة.

2/ معلوت دفنا

ويعتبر امتدادا لحي رامات اشكول من الناحية الشمالية وقد أقيم عام 1968 على أراض في الشيخ جراح تعود ملكيتها لعدد من العائلات العربية ووقف امينة الخالدى وعارف العارف وتقدر مساحة الأراضي ب 270 دونما.

وقد أقيم في هذا الحي حتى الآن 2400 وحدة سكنية ويقدر عدد سكانه بحوالي 4500 نسمة.

3-سانهدريا

ويعتبر هذا الحي امتدادا آخر لحي رامات اشكول. وقد بدأ بانشائه عام 1973 على أراض عربية مصادرة. واقيم فيه حتى الآن 1000 وحدة سكنية يقدر عدد سكانها بحوالي 3200 نسمة.

4-جبعات همفتار

ويعتبر هذا الحي امتدادا آخر لحي رامات اشكول من الناحية الشمالية الغربية حيث أقيم على المنطقة موقع تل الذخيرة على أراض عربية مصادرة ومستملكة. وقد تم انشاء 500 وحدة سكنية فيه ويقدر عدد سكانه من اليهود بحوالي 1500 نسمة.

5-النبي يعقوب

وهو حي سكني ونواة لمستوطنة بدىء باقامته عام 1973 على الطريق بين القدس ورام الله في الأراضي التي تقع الى الشمال الشرقي لبيت حنينا. وقدرت مساحة الأراضي التي صودرت لاقامته بحوالي 30 ألف دونم. وقد تم حتى الآن انشاء 4000 وحدة سكنية والعمل جار لإقامة 100 وحدة سكنية أخرى بحيث تستوعب في المستقبل 17 ألف نسمة ويقدر عدد السكان اليهود فيه الان بحوالي 12.000 نسمة.

6-التلة الفرنسية ، حي شابيرا

بدىء بإنشاء هذا الحي عام 1969 شرقي جبل سكوبس على طريق القدس رام الله وتبلغ مساحة الأراضي العربية التي صودرت لاقامته 15 ألف دونم تعود ملكيتها لمواطنين عرب وللدولة الأردنية ولدير اللاتين.

تم انشاء 5000 وحدة سكنية يزيد عدد سكانها اليهود عن 12500 نسمة.

7-الجامعة العبريـــة

بدء بإقامة هذا الحي عام 1969 على جبل سكوبس لتوسيع الجامعة العبرية القديمة ومستشفاها. وقد أقيم فيه سكن للأساتذة والطلاب ومكاتب جديدة وقاعة للمحاضرات ومستشفى للجامعة وتستوعب التوسعات الجديدة 31500 طالب وموظف جامعي ويبلغ عدد الوحدات السكنية التي أقيمت فيه 109 وحدات وقد أقيمت هذه التوسعات على أراض تقع ضمن المساحات على جبل سكوبس.

8-تل بيوت الشرقيـة

أقيم هذا الحي عام 1972 على أراضي جبل المكبر وصور باهر الى الجنوب من مدينة القدس، وتبلغ مساحات الأراضي العربية التي صودرت لاقامته 20 ألف دونم تعود ملكية معظمها لاهالي قريتي صور باهر وجبل المكبر والقدس. وقد أقيم حتى الآن 2342 وحدة سكنية ويبلغ عدد سكانها (7820) نسمة ويبلغ مجموع الوحدات السكنية المقرر انشاؤها 5 آلاف وحدة تستوعب 15 ألف نسمة.

9- تل عناتـــوت

تقع شمال شرق القدس على أراضي قريتي عناتا وشعفاط وقد أقيمت عام 1974 على أرض مصادرة مساحتها 3650 دونما.

ويبلغ عدد الوحدات السكنية فيه 500 وحدة يقيم فيها 200 مستوطن.

مشروع القدس الكبـــرى

لم تقف الأطماع الصهيونية في مدينة القدس عند حدودها التي كانت قائمة في يونيو 1967 ولكنها تعدت ذلك بحيث أرادت للمدينة بعد اعلانها عاصمة موحدة لاسرائيل ان تمتد لتشتمل ما يقارب 30 % من مجمل مساحة الضفة الغربية.

(وكانت أول تفاصيل تنشر حول هذا الموضوع ما نشرته جريدة معاريف الاسرائيلية في 26 مارس 1969 تحت عنوان «القدس الكبرى عاصمة لاسرائيل» وجاء فيها ان لجنة هندسية اسرائيلية بدأت منذ يونيو 1967 بوضع المخططات اللازمة لمشروعات القدس الكبرى وانتهت من وضعها خلال عام 1968.

(وفي مارس 1971 اعلن الدكتور ميرون بنفنستي نائب رئيس بلدية القدس الاسرائيلي عن انجاز مشروع مشابه عرف باسمه وفيه يقترح توسيع حدود بلدية القدس لتشتمل المناطق الممتدة من مدينة رام الله شمالا وحتى بيت لحم جنوبا.

وقد أطلق على هذا المشروع اسم «مشروع الأب» وفي اطاره أقيمت حتى الآن 15 مستوطنة تشكل بحد ذاتها الحزام الاستيطاني الثاني حول مدينة القدس وهو الحزام الذي يحيط بطوق الأحياء السكنية المجاورة للمدينة والتي أقيمت ضمن حدود أمانة القدس لعام 1967.

وفي 1974/2/8 نشرت جريدة عل همشمار الاسرائيلية في ملحقها تفاصيل مشروع اخر وضعه الدكتور رافل بنكلر وقال انه يشبه الى حد كبير مشروع بنفنستي ولكنه يتجاوزه الى طرح وجهات نظر وتصورات عامة لمستقبل المدينة السياسي ويتضمن مشروع بنكلر النقاط التالية : -

1 ـ إبقاء مدينة القدس موحدة تحت السيادة الاسرائيلية.

2 ـ توسيع حدود المدينة وتقسيمها الى ثمانية احياء لكل حي مجلس بلدى فرعى وتخضع كلها لهيمنة المجلس البلدى المركزى الذى يضم 55 عضوا بينهم 38 عضوا من اليهود.

3- إعطاء الأحياء العربية نوعا من الحكم الذاتي.

4 - ضمان حرية العبادة والوصول الى الأماكن المقدسة لجميع الديانات.

5- حدد المشروع نسبة السكان العرب بحيث لا تتجاوز 25 % ابتداء من عام 1967 وحتى عام 2010.

6- يشمل التوسع المقترح المناطق العربية الممتدة شمالا حتى مدينتي رام الله والبيرة وشرقا حتى ابوديس والعيزريه وغربا حتى اللطرون وجنوبا حتى بيت لحم.

وفي هذه الاثناء شكلت الحكومة الإسرائيلية لجنة لوضع مخطط لتوسيع القدس اطلق عليها اسم «لجنة جفني» وقد انهت هذه اللجنة توصياتها التي نشرتها جريدة هآرتس الإسرائيلية 1975/10/14 ودعت الى إقامة 28600 وحدة سكنية خلال السنوات الخمس 75 - 1979 ولكن اللجنة حصرت عمليات البناء في إطار حدود أمانة القدس لعام 1967 وذلك في محاولة لاحكام طوق الاستيطان حول البلدة القديمة كخطورة أولى قبل التوسع الاستيطاني في نطاق القدس الكبرى.

وفي 30 شتمبر 1975 نشرت جريدة دافار الاسرائيلية خبرا نسبت فيه الى مسؤول اسرائيلي كبير قوله ان الموافقة قد تمت على خارطة القدس الموسعة وذلك على النحو التالي : -

تمتد حدود بلدية القدس ما بين الخان الأحمر شرقا واللطرون غربا ودير دبوان وبيتين شمالا. وضواحي مدينة الخليل (مستوطنة كريات أربع) جنوبا. ويقضي هذا التوسيع بضم 9 مدن و60 قرية عربية وما يقارب 30 % من مجموع المساحة الكلية للضفة الغربية.

وهذا المشروع هو بمثابة التوسيع النهائي لحدود مدينة القدس الكبرى وهو بحد ذاته المشروع الذى تم تنفيذه على الطبيعة بإقامة 15 مستوطنة أخرى تشكل الحزام الثالث من الأحزمة الاستيطانية حول القدس ويضم هذا الحزام المستوطنات التالية : -

أ- في الشمال وهي المستوطنات التي أقيمت حول مدينتي رام الله والبيرة وتضم : -

كوخاف هشاحر. عفرة. بيت ايل. كفار روش. نيفي تسوف. بيت ايل ب.

ب- في الجنوب وهي المستوطنات التي أقيمت في المنطقة الممتدة من شمال مدينة الخليل وحتى مناطق بيت لحم وبيت ساحور وتضم : -

تكواع. كفار عصيون. تكواع ب. اليعازر اوب. افرات مجدل عوز. روش تسوريم الون شيفون. متسبي جوبرين.

ان الهدف من إقامة هذه الاحزمة الاستيطانية الثلاث حول مدينة القدس ليس فقط عزل المدينة نهائيا عن الضفة الغربية بسياج من القلاع والمستوطنين ولكن هناك أهدافا أخرى يمكن ايجازها كما يلي :

1- تجزئة الضفة الغربية وتقطيع أوصالها جغرافيا وديمغرافيا والقضاء على الوجود العربي الكثيف حولها (250 الف نسمة) والذي يشكل رافدا يغذى الوجود العربي فيها باستمرار.

2- أحداث خلخلة سكانية في وسط الضفة الغربية تمهيدا لتمزيقها الى منطقتين معزولتين تماما ومحاصرتين بالاستيطان اليهودى وهما منطقة الخليل جنوبا ومنطقة نابلس شمالا.

3- ضم مساحات واسعة من أراضي الضفة الغربية تتراوح ما بين 400 - 500 كم بالاضافة الى المساحات التي جرى الحاقها بالقدس وفقا للمخططات الهيكلية وكان آخرها إضافة 63 كم على حساب الضفة الغربية وفقا لآخر مخطط هيكلي اقرته بلدية القدس في يوليوز 1980.

4/ جعل مدينة القدس الكبرى العاصمة التي تتركز فيها كل عوامل الجذب والاستقطاب للنشاطات الاستثمارية والسياحية والصناعية والزراعية لليهود من جميع أنحاء العالم. فالمساحات الشاسعة من الأراضي التي تقع في نطاق القدس الكبرى ستمكن المخططين اليهود من توفير كل المناخات اللازمة للاستثمار والاستيطان اليهودي في هذه المنطقة.

وحين نضع في الاعتبار الخطط الاسكانية التي رافقت مشروع القدس الكبرى والتي تنص على جعل عدد سكانها مع نهاية عام 2000 قرابة المليون نسمة 75 % منهم يهود فاننا نجد ما يلي :

1/ عدد سكان القدس وفق احصائية عام 80. بـ 400 ألف نسمة 75 % منهم يهود.

2/ ينص مشروع القدس الكبرى على جعل سكان القدس مليون نسمة في عام 2000 شريطة ان لا يتجاوز عدد السكان العرب فيها نسبة 25 %.

3/ ذلك يعني ان عدد العرب المسموح به في نطاق القدس الكبرى سيظل 250 الف نسمة فقط.

4/ ان عدد السكان العرب حاليا في نطاق القدس الكبرى يتجاوز الآن 250 ألف نسمة.

وذلك يعني أن خطة القدس الكبرى تستهدف العمل على تهجير حوالي 180 الف نسمة من المواطنين العرب إذا وضعنا في الاعتبار التكاثر المتوقع للعرب خلال هذه الفترة.

5/ إن خطة القدس الكبرى كما هو واضح لا تستهدف فقط التهويد النهائي لمدينة القدس وتدمير طابعها الحضاري وتحويل العرب في إطارها الى اقلية هزيلة ولكنه يستهدف الاستمرار في احتلال الضفة الغربية نهائيا وخلق حقائق بشرية وجغرافية جديدة حول مدينة القدس وفي قلب الضفة الغربية.

ولقد بلغ عدد المستوطنات التي أقيمت حتى الآن في نطاق المرحلة الأولى من مراحل القدس الكبرى 15 مستوطنة. علما بأن ما أقيم حتى الآن في نطاق المرحلة الثانية والأخيرة من خطة القدس الكبرى هو 15 مستوطنة أيضا عدا عن الأحياء السكنية العشرة التي أقيمت في البلدة القديمة وفي حدود أمانة القدس لعام 1967 (انظر الجدولين 1 و2).

وبذلك يكون عدد الأحياء السكنية والمستوطنات الجديدة التي أقيمت في إطار القدس الكبرى 40 مستوطنة وحيا سكنيا.

وهذه هي المستوطنات الخمس عشرة التي أقيمت في نطاق المرحلة الأولى من مراحل القدس الكبرى.

1/ عطـــروت :

أقيمت عام 1970 قرب مطار القدس/فلنديا على أراض تعود ملكيتها لاهالي قرية بيت حنينا. مساحتها 10 الاف دونم. وهي مستوطنة صناعية اقيم فيها حتى الان (181) مصنعا تختص بصناعة ادوات التدفئة المركزية والدهانات وورشات حدادة بالإضافة الى مستودع للتبريد ومختبر بيولوجي.

2/ جيلو ـ هار جيلـــو

أقيمت عام 1973 على أرض الصليب قرب بيت جالا جنوبي القدس وتبلغ مساحة الأراضي التي صودرت من أصحابها العرب لإقامتها 4044 دونما تعود 1/4 ملكيتها لأهالي القدس وبيت صفافا وبيت جالا وشرفات.

وقد تم انشاء 3000 وحدة سكنية من أصل 10 الاف وحدة سكنية خطط لانشائها على أربعة مراحل بحيث تستوعب حتى نهاية الثمانينات حوالى 25 ألف نسمة.

يقدر عدد سكانها حاليا بحوالي 10 آلاف مستوطن.

اما هار جيو فقد جاءت امتدادا لمستوطنة جيلو وقد أقيمت عام 1976 على أراض عربية مصادرة مساحتها 400 دونم ويضم هذا الحي حتى الآن 40 وحدة سكنية يقطنها حوالي 200 مستوطن.

3-روش جيلـــو : -

أقيمت هذه المستوطنة في بداية عام 1976 في منطقة رأس بيت جالا على أراض عربية مصادرة تبلغ مساحتها حوالي 250 دونما.

وتم انشاء 300 وحدة سكنية من الابنية الجاهزة وخصصت هذه الوحدات حاليا لإسكان عائلات ضباط الجيش تمهيدا لتحويلها فيما بعد الى مستوطنة صناعية ويقدر عدد المستوطنين فيها بحوالي 9 آلاف مستوطن.

4- جبعـــون : -

أقيمت شرقي قرية الجيب في بداية عام 1977 على أراض عربية مصادرة مساحتها 800 دونم تعود ملكيتها لاهالي قرية الجيب.

أقيم فيها حتى الآن 250 وحدة سكنية من أصل 500 وحدة خطط لاقامتها.

يبلغ عدد سكانها حاليا حوالي 750 نسمة. وقد جرى توسيعها في فبراير 1981 بإضافة 650 دونما.

5 - جبعــون : -

انشئت عام 1979 على أراضي صودرت من قرية الجيب العربية شمال مدينة القدس وتبلغ مساحتها 650 دونما وتقدر عدد الوحدات السكنية فيها بحوالي 200 وحدة سكنية يقطنها 650 مستوطن.

6-نيفي حـــورون

أقيمت في نهاية عام 1969 على أراضي اللطرون وأراضي ثلاث قرى عربية جرى تدميرها بعد حرب يونيو وهي عمواس ويالو وبيت نوبا بعد تشريد سكان هذه القرى وعددهم حوالي 11 ألف نسمة.

وتقدر مساحة الأراضي التي تم الاستيلاء عليها بحوالي 70 دونم وهذه المستوطنة زراعية تعاونية من فئة الموشا يقدر عدد سكانها بحوالي 250 نسمة وعدد الوحدات السكنية بـ 50 وحدة سكنية.

7-معاليه ادوميـــم : -

أقيمت عام 1972 على أراضي الخان الأحمر على طريق القدس اريحا على بعد 15 كلم شرقي القدس تبلغ مساحة الأراضي التي صودرت لإقامة هذه المستوطنة 70 ألف دونم تعود ملكيتها لأهالي العيزرية وأبو ديس والعيسوية.

ويقدر عدد الذين يعملون فيها بحوالي 2500 عامل والمستوطنة صناعية سكنية. وتبلغ عدد الوحدات السكنية فيها 500 وحدة سكنية.

8 - معاليه ادوميم : -

أقيمت عام 1979 في منطقة الخان الأحمر على أراض مصادرة مساحتها 6700 دونم أقيم فيها 25 وحدة سكنية.

9 - معاليه ادوميم : -

أقيمت عام 1979 في منطقة الخان الأحمر وهي منطقة صناعية وتبلغ مساحة الأراضي التي صودرت لانشائها 400 دونم. أقيم فيها 25 وحدة سكنية. وقد جرى توسيعها في مارس 1981 بإضافة 350 دونما.

ويبلغ عدد المستوطنين في هذه المستوطنات الثلاث 3500 مستوطن.

10ـ رامــــوت : ـ

أقيمت قرب قرية النبي صموئيل العربية على أراضي قريتي بيت اكسا وبيت حنينا شمال غرب القدس عام 1973 وتبلغ مساحة الأراضي المصادرة 30 ألف دونم.

وتبلغ عدد الوحدات السكنية التي أقيمت فيها 3000 وحدة سكنية ومن المقرر أن يقام فيها 5000 وحدة سكنية أخرى ويبلغ عدد المستوطنين فيها 7500 وقد خطط لها أن تستوعب 35 ألف نسمة وقد جرى توسيعها في مارس 1981 بإضافة 450 دونما أخرى لها من أراضي النبي صموئيل.

11ـ بيت حـــورون

أقيمت عام 1977 على أراض مصادرة مساحتها 150 دونما على أراضي قرية بيت عور الفوقا شمال مدينة القدس وتقدر عدد الوحدات السكنية فيها بحوالي 200 وحدة سكنية يقطنها 500 مستوطن وقد جرى توسيعها في مارس 1981 بإضافة 150 دونما.

12ـ جبعا حداشـــا : ـ

أقيمت عام 1979 على أراضي مصادرة يملكها سكان قرية الجيب ومساحتها 25 دونما أقيم فيها حتى الآن 150 وحدة سكنية يقطنها 500 نسمة وقد جرى وتوسيعها في مارس 1981 بإضافة 180 دونما.

13ـ مخميـــش : ـ

أقيمت في أواخر عام 1980 على بعد 5 كلم شمال شرق مدينة القدس على أراضي مصادرة من قرية مخماس ومساحتها 160 دونما ويقيم فيها 150 مستوطنا من جماعة غوش ايمونيم وتطل المستوطنة على مدينة القدس من جهة وعلى غور الأردن من جهة أخرى وعدد الوحدات السكنية فيها 45 وحدة.

14ـ تلة زئيـــف

أعلن عن إقامتها عام 1981 على بعد 10 كلم شمال غرب القدس وليس هناك أية تفصيلات أخرى عنها.

15ـ حلميـــش : ـ

أعلن عن إقامتها عام 1981 على أراضي النبي صالح وليس هناك اية تفصيلات أخرى عنها.

الزحف التدريجي بالمخططات الهيكلية : ـ

ومما يؤكد أن سلطات الاحتلال ماضية في إخراج مشروع القدس الكبرى الى حيز الوجود على الصعيد التنظيمي مع ان التنفيذ للمشروع على صعيد الاستيطان قد تم بصورة أولية ـ الزحف التدريجي لحدود بلدية القدس على حساب الأراضي العربية المجاورة ويمكننا إيضاح هذا الزحف من خلال استعراض الوقائع التالية : ـ

في يوليوز 1980 صادقت بلدية القدس المحتلة على المخطط الهيكلي الجديد لمدينة القدس كما أقرته اللجنة اللوائية للتنظيم والبناء في بلدية القدس.

وسيحل هذا المخطط الهيكلي الجديد محل المخطط القديم لمدينة القدس لعام 1955 وكانت مساحة القدس بشطريها بموجب مخطط عام 1947 38 كلم الا أن اسرائيل قامت بتوسيع هذا المخطط عام 1955 بإضافة 7 كلم جديدة للقسم المحتل منذ عام 1948.

في حين ظلت مساحة القدس العربية 13 كلم وهي المساحة التي كانت عليها حدود أمانة القدس العربية عام 1976.

اما المخطط الهيكلي الجديد الذي أقر عشية الاعلان عن قانون ضم القدس (30 يوليوز 1980) فيقضي بإضافة 50 كلم الى المدينة من الأراضي العربية المحتلة بعد عام 1967 ويتضح من تفاصيل هذا المخطط ان المساحة

الإجمالية لمدينة القدس ستكون 108 كم سيخصص منها 41 كلم للسكن و38 كم للحدائق والساحات العامة و11 كم مناطق مفتوحة 6.3 كم للمؤسسات العامة 4.2 كم للتجارة والصناعة.

وسيفتح هذا المخطط الطريق أمام مصادرة مساحات جديدة من الأراضي العربية شمال مدينة القدس لإقامة 12 ألف وحدة سكنية جديدة بحيث يصبح عدد الوحدات السكنية في حدود هذا المخطط الهيكلي حتى نهاية عام 3000 حوالي 180 ألف وحدة سكنية.

إن استعراضا سريعا للخطة الخمسية التي وضعها متتيا هو دروبلس رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية. للإستيطان خلال الفترة من 1979 ـ 1983 والأرقام التي تضمنتها الخطة تعطي فكرة من الاخطار البالغة التي تنطوى عليها سياسة الاستيطان الاسرائيلية على المناطق العربية المحتلة.

ويتبين من خطة دروبلس وملحقها ان عدد المستوطنات التي ستقام في الضفة الغربية حتى نهاية عام 1983 سيكون ما بين 136 ـ 150 مستوطنة يتراوح عدد سكانها ما بين 120 ـ 150 ألف مستوطن عدا عن المستوطنين في مدينة القدس وحولها والذين سيكون عددهم ما بين 100 ـ 120 ألف مستوطن

كما يتبين أن تكاليف تنفيذ هذه الخطة تقدر بـ 1730 مليون دولار أى بمعدل 346 مليون دولار للعام الواحد.

وتدل معطيات الأرقام عن مصادرات الأراضي في الضفة الغربية حتى آخر مارس 1981 ان مجموع ما صادرته اسرائيل من أراضي الضفة الغربية بلغ 1874892 دونما أى ما يقارب 35 % من مجموع أراضي الضفة الغربية.

في حين بلغ مجموع ما صودر حتى الآن من أراضي القدس وحولها حتى مارس 1981 ـ 33556 دونما.

أقيمت فيها حوالي 22 ألف وحدة سكنية والعمل جار لإقامة 33 ألف وحدة سكنية أخرى حتى نهاية عام 1985.

إزاء كل ذلك وبالنظر إلى الأخطار المحدقة التي تنطوي عليها خطة الزحف الإسرائيلي لتوسيع حدود مدينة القدس وصولا إلى مشروع القدس الكبرى وما يحمله هذا المشروع من أخطار على عروبة القدس وطابعها الحضاري ومكانتها الإسلامية عبر التاريخ ولما تنطوي عليه هذه الخطة من أبعاد خطيرة على مستقبل الوجود العربي برمته في المناطق المحتلة.

فلا بد من أن تتوجه الأمة الإسلامية وبشكل حازم إلى وضع كل الطاقات الممكنة من أجل الوقوف في وجه هذه المخططات الإسرائيلية في مدينة القدس وحولها وفي سائر أنحاء الأرض العربية المحتلة.

وبالنظر إلى حجم الموازنات التي ترصدها إسرائيل وورائها الصهيونية العالمية لتنفيذ مخططاتها الاستيطانية في مدينة القدس والأرض العربية المحتلة فإنه يترتب على الأمة الإسلامية أن ترصد في المقابل ولو جزءا يسيرا من حجم الموازنات التي ترصدها الصهيونية العالمية لمواجهة هذه المخططات.

ولا بد والحالة هذه من تخصيص موازنة سنوية ثابتة لصندوق القدس لا تقل عن مائة مليون دينار ولا بد من تغطية رأسمال وقفية صندوق القدس الذي سيظل ريعه السنوي بندا ثابتا من بنود موازنة الصندوق.

وعليه فإننا نقترح تعديل المادة الثالثة من النظام الأساسي لصندوق القدس بحيث تصبح كالتالي :

يتألف رأسمال صندوق القدس من موازنة سنوية ثابتة مقدارها مائة مليون دولار تتم تغطيتها على النحو التالي :

1) الريع السنوي لوقفية صندوق القدس.

2) المساهمات السنوية للدول الأعضاء بنسبة مساهماتها في الموازنة السنوية للأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي.

3) التبرعات والهبات التي تقدمها المؤسسات الخاصة والعامة والأفراد.

ان تخصيص موازنة سنوية ثابتة لصندوق القدس من شأنه أن يمكن هذا الصندوق من الانفاق في مختلف المجالات الكفيلة بإحباط الخطط الإسرائيلية وتدعيم الوجود العربي والإسلامي في القدس وحولها وذلك عن طريق :

1) تنفيذ مشاريع الإسكان العربية القادرة على استيعاب المواطنين العرب في القدس وحولها بهدف الحيلولة دون هجرتهم وتمكينهم من إقامة منازل لهم في أرضهم القدس وحولها بهدف الحيلولة دون هجرتهم وتمكينهم من إقامة منازل لهم في أرضهم وقطع الطريق أمام عمليات المصادرة الإسرائيلية لهذه الأراضي لإقامة المستوطنات اليهودية فيها.

2) تمكين الأوقاف الإسلامية ماديا من شراء الأراضي والعقارات العربية المهددة بالمصادرة أو أية عقارات وأراض أخرى ترى الأوقاف الإسلامية في الضفة الغربية أن من الضرورة المحافظة عليها أو شرائها من أجل إقامة مشاريع سكنية عربية عليها.

3) تمكين الفلاحين العرب في القرى العربية المحيطة بالقدس بشكل خاص من استغلال أراضيهم واستصلاحها وإقامة المشاريع الزراعية عليها للإسهام في توفير العمل الزراعي لهم ولتمكينهم من الاحتفاظ بأرضهم أمام حملات مصادرة الأراضي التي تتم تحت مختلف الحجج والذرائع ومنها قانون الأراضي المبررة الذي يعطي سلطات الاحتلال صلاحية الاستيلاء على الأراضي البور لتأمين فلاحتها إذا لم تقتنع هذه السلطات بأن صاحب الأرض بدأ أو سيبدأ في فلاحة أرضه أو سيستمر في فلاحتها.

4) تمكين أصحاب الصناعات العربية وصغار الحرفيين من الاستمرار في تشغيل صناعاتهم بما يضمن استمرار العمل العربي فيها وتمكين هذه الصناعات من الوقوف في وجه منافسة الصناعات الإسرائيلية المدعومة.

5) تقديم الدعم اللازم للجمعيات والمؤسسات العربية التي تقدم الخدمات الضرورية للمواطنين العرب وتمكين هذه الجمعيات والمؤسسات من إقامة المشاريع الحيوية اللازمة التي تساعدها على توفير دخل سنوي ثابت لها يمكنها من الاستمرار في تقديم خدماتها.

6) دعم المؤسسات التعليمية الإسلامية والعربية في مدينة القدس والمناطق العربية المجاورة لها بما يمكنها من الاستمرار في تقديم خدماتها للطلبة العرب والاستمرار في أداء رسالتها التعليمية ونشر الدين الإسلامي ودعم جهاز الوعظ والإرشاد الإسلامي في مدينة القدس.

7) دعم المؤسسات الصحية وخاصة المستشفيات الخاصة التي تقدم خدماتها الصحية للمواطنين العرب وبالشكل الذي يمكنها من تقديم هذه الخدمات دون مقابل.

8) تخصيص موازنة دائمة للجنة إعمار المسجد الأقصى لتمكينها من اكمال المراحل المتبقية من اعمار المسجد الأقصى والاستمرار في أعمال صيانة وترميم الأماكن الإسلامية المقدسة في القدس والحرم الإبراهيمي في الخليل وغير ذلك من المرافق والآثار والعقارات الإسلامية المهددة من جراء استمرار الحفريات الإسلامية حولها.

وتعزيز الحراسة على المسجدين الأقصى المبارك في القدس والحرم الإبراهيمي في الخليل خاصة بعد اكتشاف أكثر من مؤامرة صهيونية لتخريبهما.

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

صدق الله العظيم

جدول رقم 1

الأحياء السكنية الاسرائيلية التي أقيمت في القدس العربية وضواحيها 67 - 1980

اسم الحي	الموقع	المساحة بالدونم	تاريخ الإنشاء	الوحدات السكنية	عدد المستوطنين
1 ـ الحي اليهودي	داخل البلدة القروية	116	1968	468	1800
2 ـ تل بيوت	أراضي صور باهر	20,000	1973	2342	7820
3 ـ رامات اشكول	قرب الشيخ جراح	600	1968	2200	7500
4 ـ معلوت دفنا	امتداد لرامات اشكول	270	1968	2400	4500
5 ـ التلة الفرنسية	شرق جبل سكوبس	15.000	1969	5000	12500
6 ـ جفعات همفتار	تل الذخيرة	-	1977	500	1500
7 ـ تل عناتوت	أراضي عناتا ـ شعفاط	3650	1974	500	2000
8 ـ النبي يعقوب	أراضي بيت حنينا	30.000	1973	4000	12000
9 ـ سانهدريا	طرف القدس من الجهة الشمالية	-	1973	1000	3200
10 ـ الجامعة العبرية	الجامعة العبرية	-	1969	109	؟
	المجموع	69636		16319	31500

جدول رقم 2

المستوطنات التي اقيمت حول مدينة القدس في نطاق المرحلة الأولى من مشروع القدس الكبرى 67 - 1980

اسم المستوطنة	الموقع	المساحة بالدونم	تاريخ الانشاء	الوحدات السكنية	عدد المستوطنين
1 - راموت	أراضي بيت اكسا - بيت حنينا - النبي صموئيل	450 + 30,000	1973	3000	7500
2 - معاليه أدوميم	الخان الأحمر	70,000	1972	500	2100
3 - معاليه ادوميم (ب)	الخان الأحمر	6700	1972	25	منطقة صناعية
4 - معاليه ادوميم (ج)	الخان الأحمر	350 + 400	1979	25	منطقة صناعية
5 - جبعون	أراضي الجيب	650 + 800	1977	250	750
6 - جبعون (ب)	أراضي الجيب	630	1979	200	650
7 - نيفي حورون	عواس - يالو	70,000	1969	50	250
8 - بيت حورون	بيت عورالفوقا	150 + 150	1977	200	500
9 - جيلو - هارجيلو	جنوب غرب القدس	4044	1973	340	10200
10 - مخميس	أراضي قرية مخماس	160	1980	45	150
11 - تله زليف	10 كلم شمال غرب القدس		1981		
12 - حمليش	النبي صالح		1981		

جدول رقم 3

المستوطنات التي اقيمت حول مدينة القدس في نطاق المرحلة الأولى من مشروع القدس الكبرى 67 - 1980

الموقع	المساحة بالدونم	تاريخ الانشاء	الوحدات السكنية	عدد المستوطنين
رأس بيت جالا	250	1976	300	9000
أراضي قلنديا	10,000	1970	181 مصنعا	منطقة صناعية
أراضي قرية الجيب	180 + 85	1979	150	500
المجموع	194907		5171	36600

جدول رقم 4

الأراضي المصادرة في مدينة القدس وضواحيها
من يونيو وحتى أبريل 1981

الموقع	المساحة بالدونم	تاريخ المساحة	نوع العقار	ملاحظات
الشيخ جراح	3345	1968	بناء	
جنوب مركز شرطة المدينة	500	1968	بناء	
بيت حنينا / النبي صموئيل	4840	1970	بناء	
جبل المكبر / صور باهر	2240	1970	بناء	
شرفات	2700	1970	زراعية	
جبل الزيتون	7785	1970	زراعية	
جنوب غرب الحرم الشريف	756	1968	بناء	
بيت حنينا / النبي يعقوب	470	1970	بناء	
حول مطار قلنديا	1200	1970	بناء	
شعفاط / الشيخ جراح	1700	1972	بناء	
حول سور القدس	100	1968	بناء	
حزما / عناتا	45	1973	زراعية	
صور باهر	100	1973	بناء	
السواحره	10000	1973	زراعية	
هداسا	25	1973	بناء	
العيزرية	300	1974	بناء	
عانا	3000	1974	زراعية	
الخان الأحمر	30,000	1975	زراعية	
شرفات	44	1976	بناء	
العيزرية	750	1976	بناء	
أبو ديس	2000	1976	زراعية	
أبو ديس	700	1977	زراعية	
النبي يعقوب	40	1977	بناء	
النبي صالح	90	1978	بناء	
داخل سور القدر	116	1966	منازل وحوانيت	
قلنديا	400	1968	بناء	
مسلوان	100.000	1976	متنوعة	أقيمت عليها
أبو ديس	600	1980	متنوعة	مستوطنات الخان
بيت حنينا	500	1980	متنوعة	الأحمر
أبو ديس / السواحره	150.000	1980		
العيزرية العباوية	11.000	1981		
الجيب	500	1981		
المجموع	335856	لنهاية شهر مارس 1981		

جدول رقم 5

تطور الوضع السكاني في مدينة القدس

1980 - 1948

السكان	احصاء 1948	احصاء 1967	إحصاء 1972	إحصاء 1980	الخطة الاسكانية لعام 2000
المجموع	240000	279000	304500	400000	1000000
العرب	140000	80000	81000	100000	250000
اليهود	100000	190000	223500	300000	750000
النسبة المئوية للعرب	%58.3	%28.6	%26.6	%25	%25

جدول رقم 6

تطور الملكية العقارية في مدينة القدس

1976 - 1918

الملكية	عام 1918	عام 1948	عام 1950	عام 1976
العرب	%94	%84	%25	%14
اليهود	%4	%14	%73	%84
الأجانب	%2	%2	%2	%2



النصوص الكاملة

لتوصيات وبيانات لجنة القدس

●● يقف القارىء فيما يلي على النصوص الكاملة لتوصيات وبيانات لجنة القدس التي يترأسها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، وهي خدمة إعلامية تقدمها المجلة لقرائها الكرام بغية خلق وعي إسلامي رشيد معزز بالحقائق التي لا غنى عنها للمسلم ●●

توصيات لجنة القدس في اجتماعها الأول بفاس يوليوز 1979

أولا : المجال السياسي :

1) مناشدة ملوك ورؤساء الدول الإسلامية الاتصال بالدول الأعضاء في مجلس الأمن لإطلاعها على خطورة الوضع في القدس الشريف وفي الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة، وأثر استمرار الممارسات الصهيونية على السلام في المنطقة وفي العالم.

2) دعوة مجلس الأمن لاتخاذ إجراءات عملية تكفل تحقيق الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني وتوقف العدوان المستمر على مدينة القدس الشريف والأراضي الفلسطينية والعربية الأخرى المحتلة.

3) إرسال وفد على مستوى عال لزيارة حاضره الفاتيكان والمراجع الدينية المسيحية الدولية الأخرى ليعرض عليها قضية القدس الشريف والأوضاع الخطيرة في الأراضي الفلسطينية والعربية الأخرى المحتلة، والعمل على كسب تأييد تلك المراجع لهذه القضايا

4) دعوة الدول الإسلامية إلى الاتصال على مستوى عال بدول السوق الأوربية المشتركة وقيام وفد من لجنة القدس يضم في عضويته منظمة التحرير الفلسطينية بزيارة عواصم هذه الدول، وذلك بهدف تطوير مواقفها عن موضوع القدس الشريف وقضية فلسطين والأراضي العربية الأخرى المحتلة.

5) بمناسبة الاجتماع القادم لمنظمة الوحدة الإفريقية، سوف تقوم الدول الإفريقية الأعضاء في المؤتمر الإسلامي بالطلب من الدول الإفريقية الشقيقة، مناصرة الحق الفلسطيني والعربي والتضامن مع العالمين العربي والإسلامي لحملها على اعتبار اتفاقية كامب ديڤيد وواشنطن انتهاكا لميثاق الأمم المتحدة وقراراتها وللقواعد الآمرة في القانون الدولي، وفي مقدمتها حق تقرير المصير للشعوب، وعدم جواز اكتساب أراضي الغير بالقوة، واتخاذ موقف حازم تجاه قضية القدس الشريف والأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة وتأكيد قرار منظمة الوحدة الافريقية اعتبار قضية فلسطين قضية إفريقية.

6) مناشدة ملوك ورؤساء الدول الإسلامية الاتصال بدول أمريكا اللاتينية وغيرها من الدول غير المنحازة بهدف توفير أكبر دعم لقضية القدس وللحق الفلسطيني والعربي واظهار المخاطر الناجمة عن اتفاقيات كامب ديفيد وواشنطن واثرها الخطير على مستقبل العلاقات الدولية.

7) تبني الدول الإسلامية لسياسة مشتركة في علاقتها في مختلف المجالات مع الدول الأخرى على أساس موقف هذه الدول من الحق الفلسطيني والعربي والإسلامي في القدس وفلسطين والأراضي العربية المحتلة.

8) مناشدة ملوك ورؤساء الدول الإسلامية، اتخاذ مواقف حازمة بما فيها قطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية مع الدول التي تقرر نقل سفارتها إلى القدس.

9) عقد اجتماعات دورية لمجموعة السفراء الأعضاء بمنظمة المؤتمر الإسلامي المعتمدين في العواصم العالمية، وتكوين مجلس لهم تكون مهمته التعريف بقضية القدس وفلسطين. ومتابعة تنفيذ العمل السياسي والإعلامي الذي تقرره لجنة القدس والمؤتمر الإسلامي.

10) تذكر لجنة القدس بالقرارات التي اتخذتها منظمة اليونسكو في مؤتمراتها العامة وفي المكتب التنفيذي. وتطالب بوقف الحفريات الاثرية، واجراءات تغيير معالم مدينة القدس التي تهدف إلى تهويدها وتغيير طابعها العربي والإسلامي. وتطبيق العقوبات المنصوص عليها في ميثاق منظمة اليونسكو.

11) دعوة الدول الإسلامية لتقديم الدعم والمساندة لمنظمة التحرير الفلسطينية وسوريا والأردن بهدف تحقيق التوازن الاستراتيجي مع العدو الصهيوني.

12) دعوة الدول الإسلامية لدعم الجبهة الشمالية والشرقية امام العدو الصهيوني ودعم التنسيق بين الجبهتين لتأمين القوة العربية الإسلامية الكفيلة باسترداد الحق الفلسطيني والعربي والإسلامي.

13) دعوة الدول الإسلامية لتقديم الدعم والمساندة للشعبين اللبناني والفلسطيني لمواجهة حرب الابادة التي تشنها سلطات العدو الصهيوني عليهما، وخاصة في جنوب لبنان.

ثانيا : المجال الاعلامي :

تقوم رئاسة القدس بالتعاون مع الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي وبالوسائل التي تقترحها هذه الأخيرة وتوافق عليها الرئاسة بما يلي :

1 ـ وضع خطة إعلامية لتطبيق القرارات الإسلامية بشأن قضية القدس وفلسطين تتضمن ما يلي :

أ ـ إعداد وثيقة أساسية علمية تؤكد عروبة القدس وتبرز أهمية القدس بالنسبة للمسلمين عقائديا وسياسيا وحضاريا. وتؤكد عروبتها.

ب ـ إعداد مواد إعلامية سمعية وبصرية للتعريف بقضية القدس وفلسطين تنويرا للرأي العام العالمي.

ج ـ تنظيم ندوات عالمية بشأن قضية فلسطين والقدس والصهيونية والتمييز العنصري.

تساهم فيها شخصيات سياسية بارزة ومفكرون من كافة أنحاء العالم.

د ـ توجيه وتوحيد البرامج الإعلامية الخاصة بالمناسبات الإسلامية، كيوم التضامن الشريف (1400 هجرية الموافق 1980م).

2 ـ الاستعانة في تنفيذ هذه الخطة بالأجهزة المختصة المنبثقة عن منظمة المؤتمر الإسلامي وخاصة، وكالة الأنباء الإسلامية، ومنظمة الإذاعات الإسلامية وبعض المؤسسات الإعلامية العالمية المتخصصة.

3 ـ حث الدول الإسلامية على ضرورة إصدار (طابع فلسطين) بصورة دائمة ومستمرة مادامت قضية فلسطين قائمة وبالكيفية المقررة في قرارات المؤتمر الإسلامي لما لهذا الإصدار المستمر من نفع متواصل في المجالات الإعلامية والسياسية والإنسانية لجهاد شعب فلسطين والتعريف بقضيته العادلة.

ثالثا : المجال المالي :

1 ـ حث الدول الإسلامية على المساهمة الجدية في صندوق القدس كي يتمكن من النهوض بمسؤولياته في المحافظة على عروبة القدس والأراضي الفلسطينية المحتلة.

2 ـ دعوة البنك الإسلامي للتنمية لمنح التسهيلات والقروض المالية للمؤسسات الفلسطينية وبضمان من منظمة التحرير الفلسطينية لدعم المشاريع الإنمائية والتطويرية للشعب الفلسطيني في القدس وفلسطين المحتلة وذلك في مجالات الاسكان والصناعة والزراعة والخدمات والتعليم.

3 ـ التأكيد على الدول الإسلامية بضرورة تنفيذ جميع قرارات المقاطعة التي قررتها المؤتمرات الإسلامية ضد الكيان الصهيوني.

وقررت لجنة القدس تجديد عضوية أعضاء مجلس ادارة صندوق القدس المكون من الدول التالية :

1 ـ فلسطين (منظمة التحرير الفلسطينية) بصفتها عضوا دائما.

2 ـ المملكة العربية السعودية.

3 ـ المملكة الأردنية الهاشمية.

4 ـ جمهورية باكستان الإسلامية.

5 ـ جمهورية غينيا الشعبية الثورية.

6 ـ المملكة المغربية.

وفي ختام أعمال اللجنة رفع السادة رؤساء الوفود إلى مقام صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المغرب، اسمى عبارات الشكر والامتنان لجلالته على رئاسته الكريمة وتوجيهاته الحكيمة التي كان لها الدور الفعال في الوصول إلى القرارات الإيجابية وبرنامج عمل محدد لتنسيق الجهود الصادقة على تثبيت الحق العربي والإسلامي في القدس الشريف والأرض الفلسطينية.

كما عبر رؤساء الوفود عن شكرهم للمغرب ملكا وحكومة وشعبا على الحفاوة البالغة والضيافة الكريمة والتنظيم المحكم الأمر الذي انجح هذه الدورة التاريخية للجنة القدس.

(فاس) 8 شعبان 1399 هـ ـ الموافق 3 يوليوز 1979م

توصيات لجنة القدس في اجتماعها الثاني بمراكش مارس 1980

تدعيما للجهود السياسية والإعلامية التي انجزتها لجنة القدس في الفترة الواقعة بين دورتيها الأولى والثانية برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني واستثمارا للتطورات الإيجابية الأخيرة التي عرفتها قضية فلسطين والقدس على المستوى الدولي بصفة عامة والمستوى الأوربي بصفة خاصة وتحقيقا لتكثيف العمل السياسي والاعلامي في المرحلة المقبلة على أعلى المستويات حتى يتسنى تحقيق المزيد من المكاسب الكفيلة بتحرير القدس الشريف واستعادة الأراضي العربية المحتلة توصي القدس بما يلي :

1) الاعراب عن تقدير الموقف الفرنسي الذي عبر عنه الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان في زيارته الأخيرة لعدد من الأقطار العربية الشقيقة بشأن حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واعتبار قضية فلسطين. قضية شعب وليست قضية لاجئين ومواصلة الجهود والاتصالات وتكوين مجموعات اتصال على مستوى وزاري وبالطريقة التي يختارها جلالة الملك الحسن الثاني للقيام بزيارات لفرنسا والدول الأوربية ومجموعة مختارة من الدول غير الإسلامية من أجل تطوير موقفها باتجاه الوصول إلى الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني والاعتراف بالحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني كما أكدتها قرارات الأمم المتحدة بما في ذلك حقه في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة في فلسطين وفق ميثاق الأمم المتحدة.

2) تمسك الدول الإسلامية بقرار مجلس الأمن الدولي بشأن المستوطنات والقدس الشريف. واعتباره إرادة شرعية دولية اجماعية. يجب وضعها موضع التنفيذ. وتوجيه الشكر إلى الدول الأعضاء في مجلس الأمن لمصادقتها على القرار القاضي بتفكيك المستوطنات الاسرائيلية في القدس وكافة الأراضي المحتلة. واعتبار هذا القرار كسبا كبيرا للقضية الفلسطينية.

3) تعبر اللجنة عن استيائها بشدة للتصريحات الامريكية اثر صدور قرار مجلس الأمن الدولي المذكور اعلاه. والمتعلقة بوضع القدس ومستقبلها والاستيطان في الاراضي الفلسطينية والعربية المحتلة.

4) تأكيد التفاف الشعوب والدول الإسلامية حول قضية فلسطين والقدس الشريف باعتبارهما قضية العالم الإسلامي الأولى. وحشد جميع الجهود الإسلامية من أجل حماية فلسطين ودحر العدوان الإسرائيلي عن كل الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة بما فيها القدس واعتبار ذلك من ملتزمات الجهاد.

5) تؤكد اللجنة مناشدتها لملوك ورؤساء الدول الإسلامية لاتخاذ مواقف حازمة بما فيها قطع العلاقات الديلوماسية والاقتصادية مع الدول التي تقرر نقل سفاراتها إلى القدس أو تعترف بضم القدس إلى الكيان الصهيوني.

6) دعوة الدول الإسلامية إلى ابراز تضامنها الكامل مع الثورة الفلسطينية وسوريا والأردن ولبنان لمواجهة التهديدات والاستفزازات العدوانية الإسرائيلية.

7) تحيي وتقدر الدول الافريقية الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي على الجهود المتواصلة التي تبذلها على مستوى منظمة الوحدة الإفريقية من أجل تعميق فهم الدول الإفريقية الأعضاء لقضية الشرق الأوسط وتشجيعهم على متابعة هذه الجهود بهدف استمرار مساندة ودعم هذه الدول لمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني.

وتطالب الدول الإفريقية الأعضاء في المؤتمر الإسلامي ببذل كل الجهود حتى لا تعيد الدول الإفريقية العلاقات مع إسرائيل بأي شكل كان. ما لم يتحقق للقضية الفلسطينية حلا عادلا ودائما. مبني على تحقيق الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني ويمكنه من ممارسة حقه في تقرير المصير وإنشاء دولته المستقلة على ترابه الوطني بقيادة ممثله الشرعي والوحيد منظمة التحرير الفلسطينية.

8) اعتبار كل دعم سياسي وعسكري أو مالي أو اقتصادي أو بشري يقدم لإسرائيل . مشاركة وتشجيعا لها في عدوانها على المقدسات وممارساتها التوسعية في الضم والاستيطان في الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة.

9) توجيه الشكر والتقدير لجميع الدول التي وقفت وتقف إلى جانب الحق العربي والإسلامي في فلسطين وذلك في الأمم المتحدة ومجلس الأمن.

10) الدعوة لعقد دورة خاصة للجمعية العامة للأمم المتحدة تعقد حول القدس والقضية الفلسطينية في أقرب وقت مناسب.

في المجال الإعلامي :

1) تشير اللجنة إلى الجهود التي قام بها مجلس سفراء الدول الإسلامية في بعض العواصم الإسلامية وتوصي بتعميم هذا النشاط في باقي العواصم الأخرى وباعطائه دفعا قويا مبنيا على خطة إعلامية تقوم بتحضيرها الأمانة العامة مع تزويد المجلس بما يلزم من وثائق ومستندات.

2) نظرا لوضع لبنان الخاص كحلقة وصل بين العالمين الإسلامي والمسيحي. ونظرا لوجود جاليات لبنانية عديدة وذات فعالية في بلدان أوربا والامريكيتين فإن اللجنة ترى أهمية إسهام المؤسسات اللبنانية والجاليات اللبنانية والعربية الأخرى في تلك البلدان للتعريف بقضية القدس وفلسطين فيها.

3) الموافقة على الخطة الإعلامية التي أعدتها الأمانة العامة بالتعاون مع لجنة القدس. ووضع برنامج زمني ورصد الاعتمادات اللازمة لتنفيذها.

4) عقد ندوة خاصة بالقدس الشريف في مدينة باريس خلال هذه السنة والتفكير في ندوات مماثلة في عواصم أخرى وبحث إمكانيات التمويل.

5) تكليف مجموعة من الخبراء ورجال الفكر بالتعاون مع الأمانة العامة بوضع الوثيقة الخاصة بالقدس التي تؤكد عروبتها وتبرز أهميتها بالنسبة للمسلمين عقائديا وسياسيا وحضاريا.

6) تكوين جمعيات وطنية في الدول الأعضاء لتعبئة الشعوب الإسلامية وتعميق تعريفها بقضية القدس الشريف وفلسطين وذلك على غرار الجمعيات الموجودة في بعض البلاد العربية.

7) ضرورة قيام وكالات الأنباء وأجهزة الاعلام في الدول الإسلامية بإعطاء الأهمية والحرص اللازم لأخبار المجاهدين الفلسطينيين وتطورات القضية الفلسطينية المحتلة ومتابعة نضال السكان الفلسطينيين الصامدين تحت الاحتلال الصهيوني والتعريف بمنجزات وانتصارات الثورة الفلسطينية على الصعيدين الإسلامي والدولي.

مجال الاتصال مع العالم المسيحي :

1) تقديم الشكر لقداسة البابا على خطابه في الأمم المتحدة وعلى ثبات الفاتيكان في رفض ضم القدس العربية للكيان الصهيوني.

2) مواصلة الاتصالات مع قداسة البابا وحاضرة الفاتيكان بالطرق التي يراها جلالة الملك الحسن الثاني رئيس لجنة القدس.

3) متابعة إجراء الاتصالات مع باقي العالم المسيحي.

4) الاستفادة من إسهام لبنان على صعيد الدولة وعلى صعيد المؤسسات الدينية المسيحية اللبنانية في القيام بالاتصالات اللازمة مع المراجع الدينية العالمية التي تقرر لجنة القدس الاتصال بها وخاصة حاضرة الفاتيكان لتأمين تأييدها لعروبة القدس والحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني وخاصة حقه في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني واعتبار ذلك من ضرورات إقامة السلام العادل في الشرق الأوسط.

وناقشت لجنة القدس البند الرابع والأخير المتعلق بالتقرير المقدم إليها من مجلس إدارة صندوق القدس في دورته الثالثة وصادقت على ما ورد فيه. ثم أوصت بإضافة مقترحات جديدة لبحثها من لدن صندوقي التضامن الإسلامي والقدس في أول اجتماع لهما على أن يعرض ما يتوصل إليه من توصيات على لجنة القدس في دورة استثنائية تعقدها باسلام اباد في حالة موافقة جلالة الملك الحسن الثاني على عقدها قبل اجتماع المؤتمر الإسلامي الحادي عشر.

وهذه المقترحات هي :

1) الاستفادة من التبرعات الطوعية من الأفراد والمنظمات والشعوب الإسلامية.

2) إنشاء جمعيات في الدول الإسلامية الأعضاء لجمع التبرعات لفائدة صندوق القدس.

3) الأخذ بمبدأ تطبيق نسب مساهمات الدول الأعضاء في رأسمال صندوق القدس حسب مساهماتها في ميزانية الأمانة العامة.

4) الاستفادة من برامج مطلع القرن الخامس عشر لتوفير مداخيل إضافية لصندوق القدس.

5) بحث إمكانية دمج وتوحيد صندوق التضامن الإسلامي وصندوق القدس.

توصيات لجنة القدس في اجتماعها الثالث بالدار البيضاء غشت 1980

•• توصيات لجنة القدس خلال اجتماعها في دورتها الطارئة بمدينة الدار البيضاء تحت رئاسة صاحب الجلالة، غشت 1980.

تنعقد هذه الدورة الطارئة للجنة القدس برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني وبمشاركة المجاهد ياسر عرفات استجابة لطلب منظمة التحرير الفلسطينية. في هذا الظرف الخاص الذي تجتازه قضية القدس الشريف وقضية فلسطين. حيث صعدت قوات الاحتلال الاسرائيلي أعمالها الإرهابية ضد الشعب الفلسطيني وصعدت ممارستها لسياسة استكمال تهويد المدينة المقدسة وسلبها ذلك أن الكنيست الإسرائيلي اصدر قانونا أساسيا يقضي بضم القدس العربية الشريفة إلى الكيان الصهيوني واعلانها عاصمة أبدية لإسرائيل.

ان هذا الإجراء الجديد ينطوي بالإضافة إلى تكريس القدس بشطريها كعاصمة «موحدة وأبدية» للكيان الصهيوني - على اخراجها من دائرة المفاوضات. أو امكانية اتخاذ أي قرار بالانسحاب منها. كما ينطوي على رفض إسرائيل النهائي للحلول السياسية العادلة للمشكلة الفلسطينية التي تعتبر مدينة القدس حجر الزاوية لأي حل يهدف إلى الانسحاب الكامل من جميع الأراضي العربية المحتلة. كما أن هذا الإجراء الإسرائيلي يعتبر تأكيدا قاطعا على رفض إسرائيل الالتزام بالقرار الأخير لمجلس الأمن رقم 476. والذي يعتبر كل الإجراءات التشريعية والإدارية والأعمال الأخرى التي تشمل تغيير هوية ووضع القدس الشريف لاغية وباطلة. ويطالب بإلغائها على الفور.

ان هذا الإجراء الإسرائيلي الأخير يعتبر أخطر مرحلة في تصعيد العدوان الصهيوني على فلسطين العربية. وعلى جميع المقدسات. وعلى الشرعية الدولية كذلك. كما يعتبر تحديا واستفزازا لملياري مسلم ومسيحي في جميع أنحاء العالم. ولجميع الدول التي تلتزم بميثاق الأمم المتحدة. الأمر الذي يحمل هؤلاء جميعا مسؤولية مواجهة هذا التحدي باستجابة فعالة توقف العدوان وتردع المعتدي وتنصر الحق.

ان الدول العربية والإسلامية تجابه هذا التحدي الأخير بالتأكيد على التزامها بتحرير القدس العربية لتكون عاصمة الدولة الفلسطينية المستقلة وهي تعتبر هذا الالتزام واجبا وطنيا وعربيا وإسلاميا وإنسانيا يفرض على جميع الدول العربية والإسلامية والصديقة مساعدة الشعب الفلسطيني في نضاله من أجل ممارسة حقوقه في العودة إلى وطنه وتقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني.

كذلك فإن الدول العربية والإسلامية في معرض ردها على الحرب الدينية العنصرية التي تشنها الصهيونية تؤكد عزمها على استمرار الجهاد من أجل تحرير القدس الشريف من الاحتلال الصهيوني لأن الجهاد بما يمثله من معنى إنساني تحريري عظيم هو حق لكل من احتل وطنه واغتصبت مقدساته. وهو فرض لا بد من القيام به.

ان الدول العربية والإسلامية وهي تقدر مشاعر الغضب والمرارة التي تجيش في نفوس المؤمنين بسبب العدوان الصهيوني على القدس وعلى شعب فلسطين ستجابه هذا العدوان بالعمل بكل طاقاتها وإمكاناتها على ضمان استمرار النضال البطولي لشعب فلسطين من الداخل والخارج ودعم هذا النضال ومساندته إلى أبعد مدى حتى يتحرر بيت المقدس وتقوم دولة فلسطين وتنشرح صدور المؤمنين.

ان الدول العربية والإسلامية تعبر عن ثقتها التي لا تتزعزع بأن لديها من الطاقات والامكانات ما يجعلها قادرة على مجابهة المعتدي واتخاذ الإجراءات العملية الفعالة اللازمة لذلك.

وعلى ضوء كل ذلك قررت لجنة القدس ما يلي :

في المجال الإسلامي :

1) تأكيد التزام الدول الإسلامية الأعضاء بالتنفيذ الفوري للقرارات التي اتخذت في المؤتمر الاستثنائي لوزراء خارجية الدول الإسلامية الذي انعقد في عمان مؤخرا. وكافة القرارات الإسلامية السابقة.

2) تقديم الدعم المادي والمعنوي إلى منظمة التحرير الفلسطينية لتمكينها من تصعيد كفاحها المسلح وتدعيم صمود الشعب الفلسطيني الباسل داخل فلسطين المحتلة وخارجها.

3) دعوة الدول العربية والإسلامية لاستخدام جميع طاقاتها وامكاناتها مع جميع الدول التي تتعامل مع هذا القرار أو تؤيده أو تشجعه أو تسهم فيه. أو تساعد على تنفيذه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. والبدء في تطبيق المقاطعة السياسية والاقتصادية لـ :

أ ـ الدول التي لها سفارات أو ممثليات في مدينة القدس الشريف.

ب ـ الدول التي تنقل أو تعلن عن نقل سفاراتها أو ممثلياتها إلى القدس.

ج ـ الدول التي تعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل.

4) إجراء الاتصال مع دول العالم قصد تنبيهها إلى أن قيام المسؤولين فيها بزيارة القدس المحتلة. يعتبر تشجيعا ودعما منها لقرار إسرائيل بضم القدس الشريف وحثها على عدم القيام بتلك الزيارات.

5) تكليف الأمين العام بالاتصال بالدول الإسلامية لدعوتها للانضمام إلى نظام المقاطعة العربية ضد إسرائيل.

6) تقديم الدعم والمساعدة للشعبين اللبناني والفلسطيني في مواجهتهما لحرب الابادة التي يشنها العدو

الإسرائيلي بصفة متواصلة، خاصة في جنوب لبنان والتجمعات الفلسطينية في المخيمات.

7) إعادة التأكيد على ضرورة تعميم تكوين جمعيات وطنية في الدول الأعضاء لتعبئة الشعوب الإسلامية وتعريفها بقضية القدس وفلسطين على ضوء الأحداث الأخيرة.

8) في مجال الاتصال بالعالم الخارجي :

تشكيل لجنة من فخامة الرئيس أحمد أحمد سيكوتوري رئيس جمهورية غينيا الشعبية الثورية وفخامة الرئيس ضياء الرحمن رئيس جمهورية البنغلاديش الشعبية للعمل إلى جانب جلالة الملك الحسن الثاني في الاتصالات التي يرى جلالته إجراءها للأعمال التالية :

أ ـ مواجهة التطورات المستجدة بالنسبة لقضية القدس الشريف.

ب ـ الطلب إلى الدول الأوربية الغربية، تبني الدعوة إلى انسحاب إسرائيل الفوري وغير المشروط من الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة بما في ذلك مدينة القدس، وان تعلن ادانتها للتعسف الصهيوني وان تتخذ إجراءات عملية في هذا المجال.

ج ـ الطلب من الأحزاب الأوربية والأحزاب الصديقة المشاركة في الاشتراكية الدولية، طرد حزب العمل الإسرائيلي من المجموعة لموافقته على عمليات الاستيطان في الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة، وعلى القرار الإسرائيلي المتعلق بضم القدس الشريف.

د ـ الطلب من الدول الأوربية التي تقدم تسهيلات للمهاجرين اليهود إلى فلسطين المحتلة، التوقف عن تقديم التسهيلات، لأن التهجير يسهم في استيطان الأراضي الفلسطينية والعربية بما فيها القدس، كما يشجع العدوان الصهيوني على شعب فلسطين.

هـ ـ بذل الجهود لدى الدول الغربية واليابان وكندا واستراليا لتوسيع الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني وتقديم التسهيلات المختلفة لها على الصعيد الدبلوماسي والسياسي.

و ـ الطلب من دول عدم الانحياز التي لها علاقات بإسرائيل، أن تبادر إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية معها، وتطبيق العقوبات الاقتصادية ضدها.

9) إجراء الاتصال مع الدول التي لديها سفارات في القدس عن طريق وفد مكلف من طرف رئاسة لجنة القدس، قصد شرح موقف الدول الإسلامية ومطالبة تلك الدول بنقل سفاراتها من القدس الشريف.

10) العمل على استصدار قرارات دولية في الأمم المتحدة ومؤسساتها ومنظماتها بإنزال العقوبات المنصوص عليها في الفصل السابع من الميثاق ضد إسرائيل وذلك لاستمرار احتلالها للأراضي الفلسطينية والعربية وتحديها للإرادة الدولية وقراراتها. ومتابعة العمل لإقرار مشروع العقوبات المقدم من المجموعتين العربية والإسلامية لمجلس الأمن.

11) دعوة جميع الدول على صعيد الأسرة الدولية إلى تحمل مسؤولياتها في التصدي لتحدي إسرائيل للقرارات الدولية وذلك باتخاذ هذه الدول إجراءات عملية رادعة للعدوان الإسرائيلي وداعمة للنضال الفلسطيني والعربي وبتبنيها موقفا واضحا من ضرورة انسحاب إسرائيل الفوري وغير المشروط من جميع الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة.

12) تكثيف الاتصال مع حاضرة الفاتيكان وباقي العالم المسيحي لاتخاذ موقف إيجابي ضد قرار العدو الإسرائيلي بضم القدس.

13) التأكيد على قرارات اللجنة للاستفادة من اسهام لبنان على الصعيد الدولي والمؤسسات الدينية اللبنانية في القيام بالاتصالات اللازمة للتعريف بقضية القدس وفلسطين.

14) العمل على الاستفادة من الطاقات الهائلة التي تشكلها الجاليات العربية وخاصة اللبنانية في الولايات المتحدة الأمريكية وفي دول أمريكا اللاتينية لمجابهة قوى الضغط (اللوبي) الصهيوني في هذه الدول.

15) القيام بحملة إعلامية واسعة للتنديد بالقرار الإسرائيلي وتوضيح الحقوق العربية الإسلامية في القدس. وتركيز العمل الإعلامي في هذه المرحلة على التعريف بأخطار وأبعاد قرار العدو الإسرائيلي.

16) تعميق التعريف بقضية فلسطين وقضية القدس لدى الرأي العام الامريكي بصفة عامة ولدى الأوساط

الجامعية الامريكية بصفة خاصة على اعتبار أنها تشكل مركزا هاما من مراكز توجيه الرأي العام والسياسة الامريكية.

17) توصي لجنة القدس مؤتمر القمة الإسلامي القادم أن يبدأ بالتطبيق العملي لمقررات المؤتمرات الإسلامية السابقة المتعلقة بتقديم الدعم والمساندة الفورية والعاجلة لدول المواجهة العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية. بهدف تحقيق التوازن الاستراتيجي مع العدو الإسرائيلي ولتغطية الاحتياجات الملحة التي تتطلبها طبيعة المرحلة الراهنة والظروف المستجدة على الساحة العربية.

18) توصي بتغطية ومضاعفة رأسمال صندوق القدس. كي يتمكن من مواجهة الاحتياجات الضرورية والملحة لدعم صمود ونضال الشعب الفلسطيني.

19) توصي لجنة القدس بجمع التبرعات في جميع الدول الإسلامية لصالح فلسطين وصندوق القدس.

20) بعد أن ظهر جليا أن هدف الكيان الصهيوني هو ترسيخ احتلاله والتمادي في مخططاته التوسعية على ضوء قراره الأخير بضم القدس وجعلها عاصمة أبدية لكيانه وردا على الحرب الدينية والعنصرية التي شنتها إسرائيل على الدول العربية والإسلامية بضم القدس. توصي اللجنة مؤتمر القمة الإسلامي القادم بوضع الخطط الناجعة من الجوانب الاقتصادية والسياسية والثقافية والإعلامية وغيرها للوصول مع الدول التي تدعم إسرائيل إلى إيقاف هذا الدعم. وللعمل على إنهاء الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية والعربية علما بأن استمرار دعمها للكيان الصهيوني على ضوء هذه الحقائق سينعكس سلبيا على مصالحها في العالم الإسلامي.

21) توصي اللجنة بعقد دورة طارئة خاصة بالقدس الشريف بتاريخ 18 بتمبر 1980 بالمملكة المغربية.

بيان لجنة القمة الثلاثية المنبثقة عن لجنة القدس في اجتماعها بالرباط

•• تنفيذا لقرار لجنة القدس في دورتها الاستثنائية بمدينة الدار البيضاء اجتمعت يوم الجمعة 28 ذو الحجة 1400 الموافق 7 نونبر 1980 لجنة القمة. المنبثقة عن لجنة القدس والمكونة من صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ملك المملكة المغربية ورئيس لجنة القدس وفخامة الرئيس

أحمد سيكوتوري رئيس جمهورية غينيا الشعبية الثورية. وفخامة الرئيس ضياء الرحمن رئيس جمهورية بنغلاديش الشعبية بمشاركة معالي السيد الحبيب الشطي الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي. تحت رئاسة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني.

وتم الاجتماع في جو سادته روح التضامن والاخوة والثقة الكاملة في عزم الأمة الإسلامية على مضاعفة الجهود قصد وضع حد للاحتلال غير المشروع لمدينة القدس وإيجاد حل عادل لقضية فلسطين.

وأكد الاجتماع عزم الأمة الإسلامية المطلق على بذل كل الجهود وتسخير كل الطاقات والامكانات من أجل تحقيق الأهداف العربية الإسلامية. وتثبيت التضامن والتعاون الإسلاميين.

وقد استعرض الاجتماع التحرك الذي قامت به لجنة القدس والأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي خلال الفترة الأخيرة لمجابهة التحدي الإسرائيلي بإعلان مدينة القدس عاصمة موحدة وأبدية للكيان الصهيوني وأقرت لجنة القمة خطة للتحرك السياسي. تؤكد المواقف الإسلامية الأساسية بخصوص القدس وقضية فلسطين.

كما قررت لجنة القمة العمل على زيادة تفهم واقناع الدول الكبرى والرأي العام الدولي بعدالة المواقف الإسلامية الأساسية بهدف الوصول إلى حل عادل ودائم وشامل لأزمة الشرق الأوسط.

وسيتم خلال الاجتماع المقبل للجنة القدس في شهر دیسمبر المقبل. والذي سيشارك فيه أعضاء لجنة القمة بحث الاستراتيجية الشاملة لمجابهة التحدي الإسرائيلي وكذلك اعداد برنامج عمل شامل يعرض على مؤتمر القمة الإسلامي المزمع عقده بالمملكة العربية السعودية للمصادقة عليه.

البيان الختامي لأشغال لجنة القدس في اجتماعها الرابع بالرباط

• • انعقدت لجنة القدس. في دورتها الرابعة بمدينة الرباط في المملكة المغربية فيما بين 14 و 16 صفر 1401 هـ ـ الموافق 22 و 24 دجنبر 1980م. تحت رئاسة صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني. وذلك تنفيذا للفقرة الرابعة والعشرين من قرار الدورة الطارئة للمؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية بشأن قضية القدس الشريف وفلسطين التي عقدت في فاس بالمملكة المغربية (18 ـ 20 شتنبر 1980). والمتضمن تكليف لجنة القدس بإعداد مخطط شامل يتناول تهيئة كافة إمكانات الدول الإسلامية لمجابهة العدوان الإسرائيلي وتقديم هذا المخطط إلى مؤتمر القمة الإسلامي المقرر عقده بالمملكة العربية السعودية.

وقد شارك في هذه الدورة للجنة القدس وفود الدول الأعضاء التالية :

- جمهورية بنغلاديش الشعبية.
- جمهورية غينيا الشعبية الثورية.
- المملكة الأردنية الهاشمية.
- جمهورية اندونيسيا.
- الجمهورية اللبنانية.
- المملكة المغربية.
- جمهورية باكستان الإسلامية.
- فلسطين.
- المملكة العربية السعودية.
- جمهورية السينغال.
- جمهورية السودان الديموقراطية.

- الجمهورية العربية السورية.
- الأمانة العامة.

وقد تغيب عن هذا الاجتماع كل من جمهورية إيران الإسلامية والجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.

افتتح صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني رئيس لجنة القدس، هذه الدورة بخطاب توجيهي هام. أبرز فيه الأهمية الخاصة لاجتماع لجنة القدس الذي سيضع خطة شاملة تحقق الأهداف الثلاثة التالية :

- تحرير القدس الشريف.
- الإعانة على تحرير الأراضي العربية المحتلة.
- قيام الدولة الفلسطينية.

كما تحدث جلالة الملك عن الظروف الدولية في المرحلة الراهنة. واحتمالاتها مؤكدا ان سنة 1981 ستكون بالنسبة للعالم سنة حاسمة في منعطفاتها. وان لدى العالم الإسلامي من التجارب ما يمكنه. إذا اقترن بشيء من الواقعية والجدية. من تحقيق الأهداف التي تطمح إليها الأمة الإسلامية. والتي هي في مستوى العبقرية الإسلامية.

وأشار جلالته إلى الخطة التي كلفت لجنة القدس بإعدادها فأوضح جلالته أن هذه الخطة سترفع إلى مؤتمر القمة المقبل. الذي تعلق عليه الأمة الإسلامية أكبر الآمال متمنيا أن يكون اجتماع المسلمين في تلك البقاع الطاهرة مدعاة إلى السمو نحو استقامة السريرة وطهارة النية والجدية في العمل.

ثم تناول الكلمة رئيس وفد جمهورية بنغلاديش فتلا برقية فخامة الرئيس ضياء الرحمن التي تمنى فيهـا للجنة كل التوفيق والنجاح. وان تتوصل إلى إعداد خطة عمل شاملة لمواجهة التحدي الإسرائيلي وتحرير القدس الشريف. كما أوصى اللجنة بدراسة واعتماد برنامج العمل الذي قدمته بنغلاديش من خمس عشرة نقطة والذي اعتمدته لجنة القمة الثلاثية للجنة القدس خلال اجتماعها بالرباط يوم سابع نوفمبر 1980.

ثم تحدث السيد الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي فأشاد بالمجهودات الجبارة التي قام بها جلالة الملك الحسن الثاني منذ تولي جلالته رئاسة لجنة القدس الشريف، مما كان له الاثر البالغ في السير بأعمالها نحو الهدف المنشود ونوه بما ورد في خطاب جلالته من توجيهات سامية مؤكدا أن هذه التوجيهات ستكون أساسا لأعمال هذه الدورة في انجاز المهمة المنوطة بها.

ثم تحدث السيد رئيس وفد الجمهورية العربية السورية فشكر جلالة الملك على كلمته القيمة. وأشار إلى القرار رقم 24 الصادر عن المؤتمر الاستثنائي لوزراء خارجية الدول الإسلامية الذي عقد في مدينة فاس ونص على إحالة ما ورد في ورقة العمل السورية الفلسطينية على لجنة القدس لدراستها.

وتحدث السيد رئيس وفد فلسطين فاستعرض تطورات قضية القدس وقضية فلسطين على ضوء الظروف الدولية الراهنة والتوقعات المرتقبة بشأنهما سنة 1981. وأكد على أهمية اجتماع لجنة القدس الذي يأتي قبيل اجتماع القمة الإسلامية في المملكة العربية السعودية والذي سيقوم بإعداد خطة عمل شاملة تكون مرتكزة على أسس واقعية وفق مقتضيات الظروف الدولية.

وبعد تبادل وجهات النظر بشأن أوراق العمل المغربية والأردنية والسورية الفلسطينية والمقترحات المقدمة من وفد جمهورية بنغلاديش. تم تشكيل لجنة صياغة لتوحيد أوراق العمل المقدمة واعداد مشروع عمل مستوحى من تلك الأوراق. وتضم لجنة الصياغة كلا من : جمهورية بنغلاديش الشعبية وجمهورية غينيا الشعبية الثورية والمملكة الأردنية الهاشمية والمملكة المغربية

وفلسطين والمملكة العربية السعودية والجمهورية العربية السورية.

وقد أثير خلال الاجتماع موضوع الاعتداءات الإسرائيلية اليومية المستمرة على لبنان وغاراتها الوحشية على القرى اللبنانية والمخيمات الفلسطينية واستمرار احتلالها لأجزاء من أراضيه الجنوبية. فقد أعربت لجنة القدس عن قلقها العميق للوضع القائم في جنوب لبنان، وإدانتها للاعتداءات الإسرائيلية وتطالب مجلس الأمن بالعمل على وقفها فورا وعلى انسحاب إسرائيل من الأراضي التي تحتلها في الجنوب اللبناني وتطبيق القرارات التي اتخذها بهذا الشأن تسهيلا لبسط سيادة السلطة الشرعية اللبنانية على تلك المناطق.

وقد انهت لجنة القدس أعمالها يوم الأربعاء 16 صفر 1401 الوافق 24 دجنبر 1980 بإصدار البيان التالي:

نظرا لاستهتار إسرائيل المستمر برفضها لقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن والمنظمات الدولية، وقرارات منظمة الوحدة الإفريقية . وحركة عدم الانحياز التي تدعو إلى انسحاب إسرائيل من المناطق العربية والفلسطينية المحتلة بما في ذلك القدس الشريف، وتمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقه في العودة وتقرير المصير وحقه في إقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني.

ونظرا لاستمرار إسرائيل في تحدي مشاعر المسلمين والرأي العام العالمي، بمواصلتها اتخاذ الإجراءات التي تهدف إلى تهويد الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس الشريف وتفريغها من سكانها العرب وممارسة سياسة العقوبات الجماعية ضدهم، وبناء المستوطنات اليهودية على أراضيهم، وتعريضهم لسياسة الإرهاب الرسمي وشبه الرسمي، الذي يهدف إلى تهجيرهم والقضاء على قياداتهم السياسية وأبعادها.

ونظرا لاستمرار إسرائيل في انتهاك المقدسات الإسلامية في القدس الشريف، واستمرار حفرياتها وتشويهها لمعالمها الحضارية والتاريخية، مخالفة بذلك قرارات وتوصيات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة.

ونظرا للايمان الاجماعي باعتبار قضية فلسطين بالإضافة إلى بعدها الفلسطيني والعربي، هي قضية إسلامية وأن العمل على تحرير الأراضي العربية والفلسطينية المحتلة وفي مقدمتها القدس الشريف، هو التزام إسلامي، تعهدت الدول الإسلامية لتنفيذه باستخدام إمكاناتها السياسية والعسكرية وقدراتها الاقتصادية ومواردها الطبيعية بما فيها النفط.

ونظرا لاستمرار إسرائيل في انتهاكاتها لحقوق الإنسان واتفاقيات جنيف، مخالفة بذلك ميثاق الأمم المتحدة والقوانين والأعراف الدولية .

واقتناعا بضرورة وضع برنامج واضح ودقيق للعمل الإسلامي المشترك لمواجهة العدو الصهيوني في المرحلة القادمة.

وحرصا على الحفاظ على المكاسب والانتصارات التي حققها النضال الفلسطيني داخل الوطن المحتل وعلى المستويات الدولية وفي الأمم المتحدة وما يستوجبه ذلك من مواصلة العمل الإسلامي المشترك لتجسيد هذه الانتصارات.

وانطلاقا من روح التضامن الإسلامي : فقد أقرت لجنة القدس، برنامج عمل إسلامي شامل لمواجهة التحدي الإسرائيلي ولتحرير القدس الشريف، واستعادة الأراضي العربية والفلسطينية المحتلة، وتحقيق جميع الحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني سيتم رفعه إلى مؤتمر القمة الإسلامي القادم للمصادقة عليه.

توصيات لجنة القدس
في اجتماعها الخامس بفاس
أبريل 1981

عقدت لجنة القدس دورتها الخامسة بمدينة فاس بالمملكة المغربية يومي 18 و 19 جمادى الثانية 1401 الموافق 23 و 24 أبريل 1981 برئاسة جلالة الملك الحسن الثاني ومشاركة فخامة الرئيس سيكوتوري رئيس جمهورية غينيا الشعبية الثورية وفخامة الرئيس ضياء الرحمن رئيس جمهورية بنغلاديش الشعبية عضوي لجنة القمة المنبثقة عن لجنة القدس.

وشعورا بأهمية الظرف البالغ الخطورة بالنسبة لقضية القدس وفلسطين بصفة خاصة وأزمة الشرق الأوسط بصفة عامة.

وانطلاقا من قرارات مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بمكة المكرمة ومن برنامج العمل الإسلامي لمواجهة العدو الصهيوني الذي اعدته لجنة القدس وصادق عليه ملوك ورؤساء الدول الإسلامية في تلك القرارات.

أوصت لجنة القدس بما يلي :

أولا : في المجال السياسي :

إيمانا بضرورة تعزيز التضامن الإسلامي وإزالة جميع الخلافات بين الدول الإسلامية ورغبة في توحيد صفوف الأمة الإسلامية لمواجهة التحديات وتفويت الفرصة على الاعداء الذين يسعون إلى خلق وتعميق الخلافات بين صفوف الدول الإسلامية.

- وتنفيذا لقرارات مؤتمر القمة الإسلامي الثالث باستخدام جميع المقدرات الاقتصادية والمواد الطبيعية للدول الإسلامية بما فيها النفط بصورة صادقة ومدروسة.

- وتأكيدا لقراراتها بأن قضية تحرير القدس وفلسطين والأراضي العربية المحتلة هي قضية الأمة الإسلامية الأولى وان العدوان الإسرائيلي المتواصل على الدول العربية هو الذي يهدد السلام والأمن في منطقة الشرق الأوسط.

- وتأكيدا لالتزام الدول الإسلامية بتحرير كل الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة بما في ذلك القدس الشريف.

فإن لجنة القدس توصي بما يلي :

1 - الاتصال برؤساء الدول الأوربية وكذلك رؤساء ودول اليابان واستراليا وكندا ونيوزيلندا لشرح الموقف الإسلامي بهدف اقناعها بضرورة الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني.

2 - الاتصال بالإدارة الامريكية الجديدة وإبلاغها استنكار الدول الإسلامية للسياسة المتبعة حتى الآن المؤيدة والداعمة لإسرائيل على كل المستويات وحثها على تفهم الموقف الإسلامي باعتبار أن استمرار تلك السياسة سينعكس سلبيا على علاقات ومصالح الولايات المتحدة الامريكية مع العالم الإسلامي وشرح الموقف الإسلامي لها وإقناعها بضرورة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة.

3 - متابعة الاتصال بحاضرة الفاتيكان لإقناعها بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني وبحق شعب فلسطين في تقرير المصير وفي العودة وفي إقامة دولته المستقلة التي عاصمتها القدس ومطالبتها بإدانة ضم إسرائيل القدس الشريف واستمرار احتلالها للأراضي الفلسطينية والعربية.

4 ـ اتخاذ الخطوات اللازمة من أجل وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة باعتبارها المصدر الأساسي للقوى البشرية اليهودية التي تدعم الكيان الصهيوني وتفرض الأمر الواقع الاستيطاني على الأراضي العربية والفلسطينيةالمحتلة وعلى رأسها القدس.

وتتضمن هذه الخطوات إجراء الاتصالات اللازمة مع الدول التي تسمح بالهجرة اليهودية والتي تقدم تسهيلات لها عبر أراضيها من أجل وقفها. والعمل على تشجيع الهجرة اليهودية من فلسطين المحتلة للخارج.

5 ـ تأكيد ضرورة إجراء الاتصالات مع الأحزاب الصديقة المشاركة في الاشتراكية الدولية من أجل العمل على طرد حزب العمل الإسرائيلي من عضويتها على اعتبار أن سياسة هذا الحزب عدوانية الأسلوب توسعية الهدف ولكونه مسؤولا عن شن عدة حروب على الأمة العربية ولموافقته على عمليات الاستيطان في الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة وعلى القرار الإسرائيلي المتعلق بضم القدس الشريف واقناعها بعدم عقد اجتماع الاشتراكية الدولية في القدس والأراضي الفلسطينية المحتلة.

6 ـ تعزيز علاقات الدول الإسلامية مع دول أمريكا اللاتينية بهدف منع وإيقاف تغلغل النفوذ الصهيوني بجميع أشكاله في تلك الدول وخاصة في المجال العسكري المتمثل في صفقات الأسلحة الإسرائيلية لبعض دول أمريكا اللاتينية ونشاط أجهزة الوكالة اليهودية وعملائها المتمثل في تزييف صكوك بيع الأراضي في أوساط المغتربين الفلسطينيين من فلسطين المحتلة والعمل على الاتصال بهؤلاء المغتربين وتنبيههم إلى مخططات العدو والنتائج السلبية المترتبة عنها.

7 ـ الاتصال بدول عدم الانحياز ودول منظمة الوحدة الإفريقية ودول المجموعة الاشتراكية لتوطيد العلاقات معها لمواقفها من القضية الفلسطينية.

8 ـ إجراء الاتصالات اللازمة مع الدول الصديقة من أجل تنفيذ قرار لجنة القدس القاضي بالعمل على استصدار قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة بتجميد عضوية إسرائيل تمهيدا لطردها من الأمم المتحدة ما لم تبادر إلى تطبيق قرارات الأمم المتحدة الخاصة بقضية فلسطين وبمشكلة الشرق الأوسط.

1 ـ ضرورة قيام الأمانة العامة بالتعجيل في مراجعة وطباعة الوثيقة الأساسية عن مدينة القدس باللغات الثلاث وتوزيعها وتصميمها على أوسع نطاق إسلامي وعالمي باعتبارها تمثل مرجعا تاريخيا وسياسيا وحضاريا وإعلاميا هاما عن مدينة القدس.

2 ـ القيام بحملة إعلامية في أوربا والولايات المتحدة الامريكية لكسب المزيد من التأييد الرسمي والشعبي لقضية القدس وفلسطين.

3 ـ إقامة ندوة دولية عن القدس الشريف في العاصمة الامريكية نظرا لأهمية توعية الشعب الامريكي والأوساط الجامعية والثقافية بقضية فلسطين والقدس.

4 ـ تنظيم ندوات دولية أخرى حول القدس وفلسطين في بون ولندن وطوكيو.

5 ـ تقوم الأمانة العامة بالتنسيق مع رئاسة لجنة القدس بوضع الترتيبات اللازمة والتحضير الكامل لإقامة الندوة في واشنطن خلال هذه السنة وتغطية نفقاتها من الاعتمادات المقررة في البرنامج الإسلامي للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري.

6 ـ تقوم اللجنة الإسلامية للشؤون الإعلامية والثقافية والتي شكلها مؤتمر القمة الإسلامي الثالث بمتابعة وتنفيذ جميع القرارات الإعلامية الصادرة عن المؤتمر الإسلامي ولجنة القدس والمتعلقة بقضية القدس وفلسطين.

7 ـ تكليف الامانة العامة بالعمل على إنشاء جمعيات مماثلة لجمعية فرنسا القدس في العواصم الأوروبية الأخرى ورفع تقرير عن ذلك إلى المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية.

8 ـ حث الدول الإسلامية على أعطاء التعليمات إلى بعثاتها الدبلوماسية في العواصم العالمية للمشاركة بنشاطات لجنة القدس في تلك العواصم.

9 ـ الاتصال بالقيادات السياسية في أمريكا الجنوبية المنحدرة من أصل عربي للتأثير على مواقف الحكومات في دول أمريكا اللاتينية تجاه القدس وفلسطين.

10 ـ الاتصال بالدول أعضاء لجنة التراث التابعة لليونيسكو من أجل الإسراع في اتخاذ القرار النهائي بتسجيل مدينة القدس مدينة تاريخية من أجل المحافظة على تراثها وطابعها الديني والحضاري والتاريخي والمعماري وذلك في الاجتماع المقبل لهذه اللجنة المكونة من الولايات المتحدة الامريكية وبناما واستراليا وفرنسا وتونس.

ثالثا : في المجال الاقتصادي ودعم الصمود :

1 ـ حث الدول الإسلامية على تغطية رأسمال صندوق القدس البالغ مائتي مليون دولار بمبلغ لا يقل عن خمسين مليون دولار في هذا العام لمواجهة المسؤوليات المتزايدة ولتحقيق أهدافه المقررة في دعم صمود ونضال الشعب الفلسطيني.

2 ـ حث الدول الإسلامية على التسرع لتغطية رأسمال وقفية صندوق القدس البالغ مائة مليون دولار حتى يجري استثمارها وفقا لنظامها الأساسي المقرر.

3 ـ تشجيع الدول الإسلامية لهيئاتها الخيرية والإنسانية بتقديم الهبات لهذه الوقفية بما في ذلك العقارات والأموال المنقولة وغير المنقولة.

4 ـ التوصية بأن يبحث المؤتمر الإسلامي الثاني عشر لوزراء الخارجية موضوع تخصيص ميزانية سنوية ثابتة لصندوق القدس.

5 ـ حث المجلس الدائم لصندوق التضامن الإسلامي على تقديم المزيد من الدعم والمساندة لمشاريع دعم صمود الشعب الفلسطيني سواء من خلال الباب المخصص لهذا الغرض في الميزانية السنوية أو من الاعتمادات الأخرى لمجالات نشاطه.

6 ـ التأكيد على قرار المؤتمر الإسلامي بإحداث المكتب الإسلامي لمقاطعة إسرائيل والتنسيق بينه وبين المكتب الرئيسي المقاطعة التابع لجامعة الدول العربية.

7 ـ الطلب من الدول الإسلامية بأن تقوم عواصمها بالتآخي مع عاصمة فلسطين القدس الشريف تعبيرا منها عن التقدير الكامل الذي يكنه العالم الإسلامي لمدينتهم المقدسة.

8 ـ التنويه بالجهود التي بذلتها الدول الإسلامية من خلال مندوبيها في مجلس المديرين التنفيذيين لكل من الصندوق والبنك الدوليين من أجل قبول منظمة التحرير الفلسطينية عضوا مراقبا فيها وبمواقف الدول التي ربطت جميع أنواع مساهماتها الجديدة بقبول منظمة التحرير الفلسطينية عضوا مراقبا فيهما.

9 ـ التأكيد على الطلب من المجموعة الأوروبية بوقف اتفاقياتها الاقتصادية الثنائية والجماعية مع العدو الإسرائيلي وذلك تنفيذا لتعهداتها بألا تسري هذه الاتفاقيات على الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة.

10 ـ حث الدول المجموعة الأوروبية واليابان على عدم تبني التشريعات المعادية التي صدرت في الولايات المتحدة الامريكية لمواجهة المقاطعة العربية لإسرائيل والتركيز على شرعية هذه المقاطعة واستمرارها.

رابعا : في المجال العسكري

تأكيدا لقرارات مؤتمر القمة الإسلامي الثالث ولبرنامج العمل الإسلامي لمواجهة العدو الصهيوني من ضرورة تلبية احتياجات منظمة التحرير الفلسطينية من الكفاءات والمستلزمات العسكرية كما وكيفا وانطلاقا من مبدأ الجهاد التي التزمت به الدول الإسلامية من خلال بلاغ مكة المكرمة .

فإن لجنة القدس تجدد :

1 ـ الدعوة لإنشاء المكتب العسكري في الأمانة العامة للقيام بالتنسيق العسكري مع منظمة التحرير الفلسطينية والدول الإسلامية بما يحقق قدرة الاستفادة من إمكانات الدول الإسلامية بشكل يخدم النضال الفلسطيني.

2 ـ التأكيد على دعم دول المواجهة العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية ضد العدوان الإسرائيلي بمختلف وسائل الدعم.



ملف كامل عن:

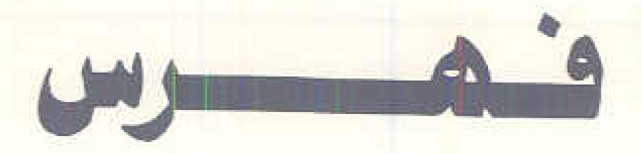
المجلس العلمي الأعلى

أو

المجالس العلمية الإقليمية

إقرأ الملف في العدد القادم

تغطية كاملة لحفلات تنصيب السادة
رؤساء المجالس العلمية بالمملكة.



مطبعة فضالة ـ المحمدية (المغرب)

رقم الإيداع القانوني 1981/3

